

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

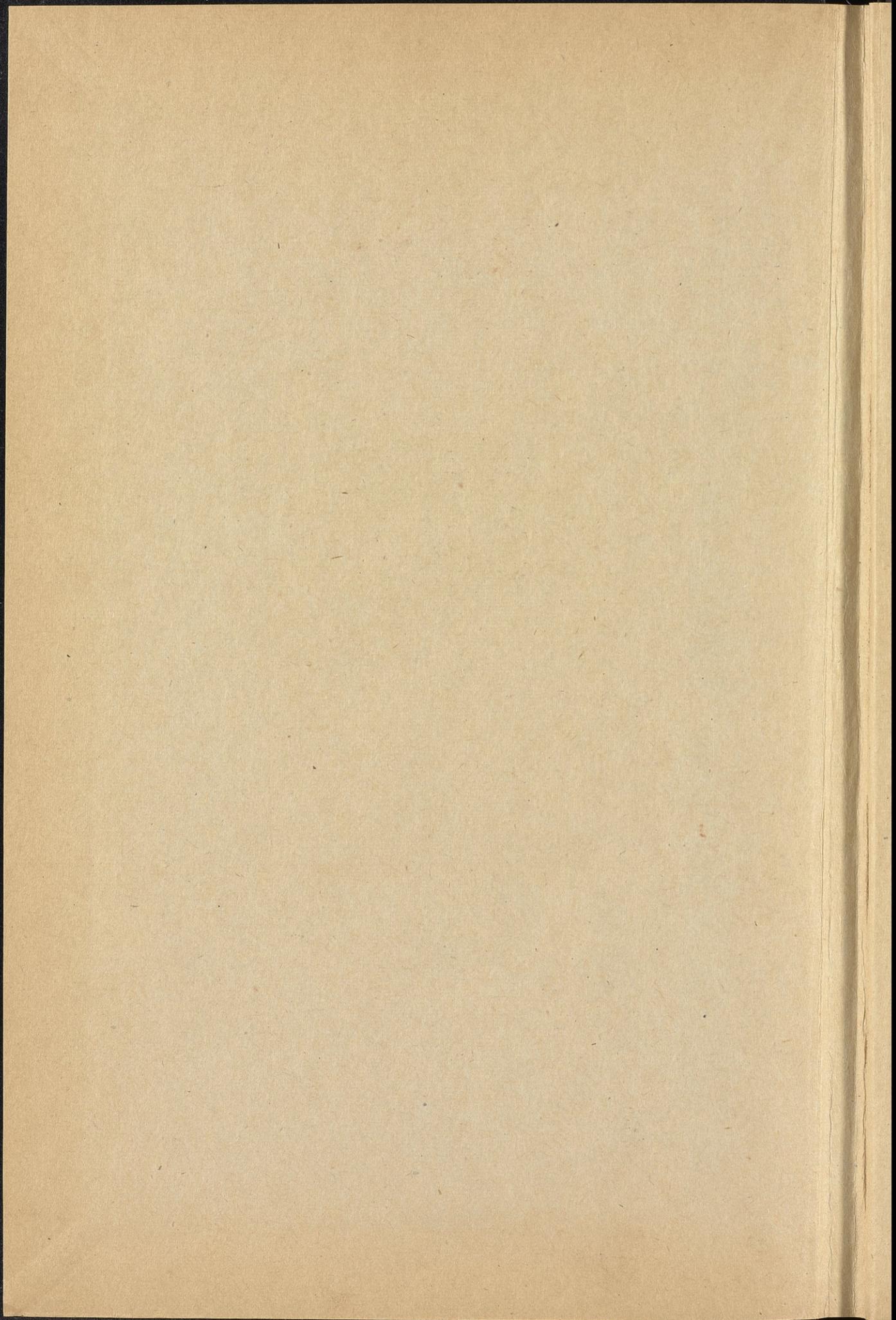


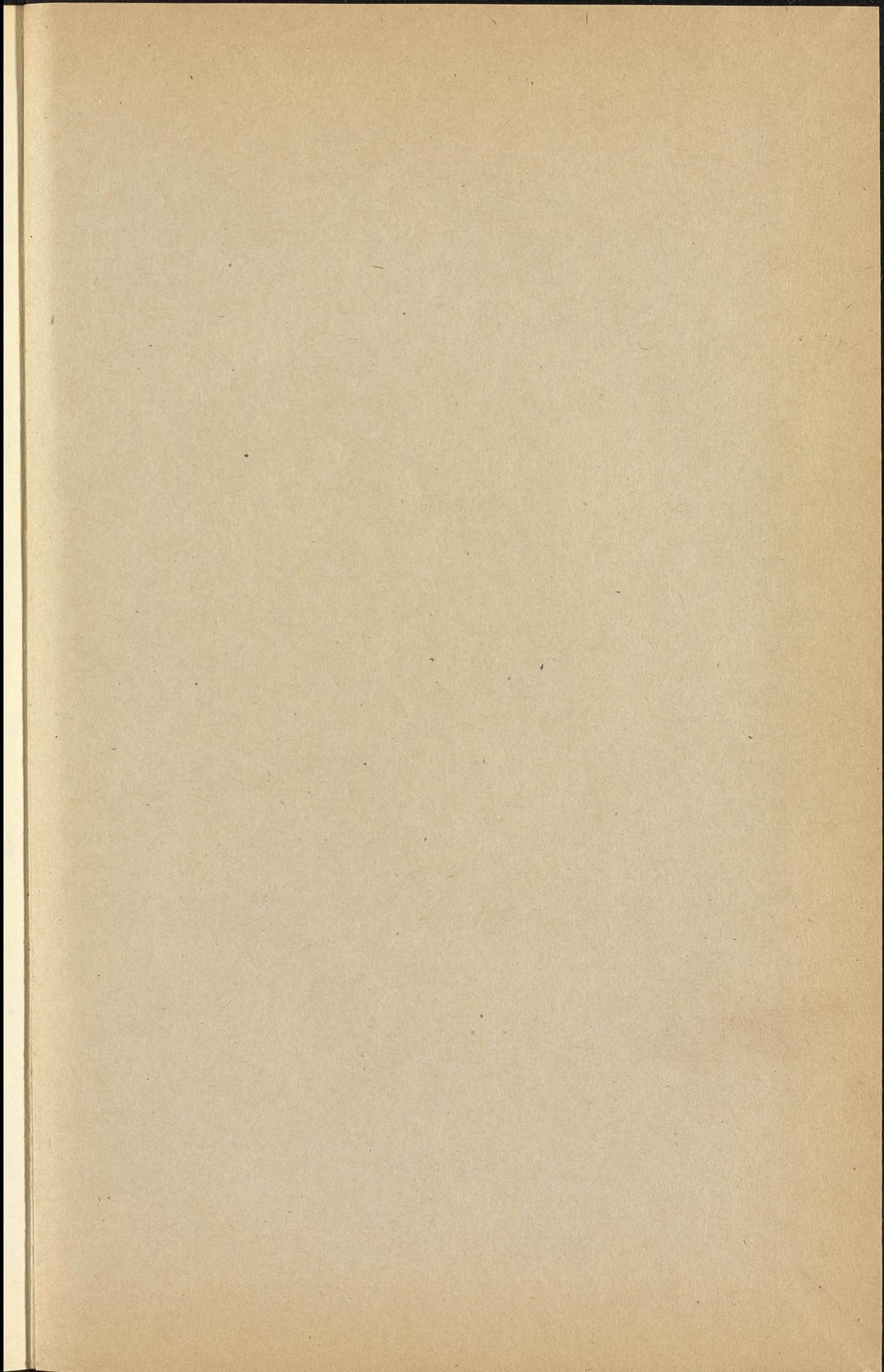
0061892181

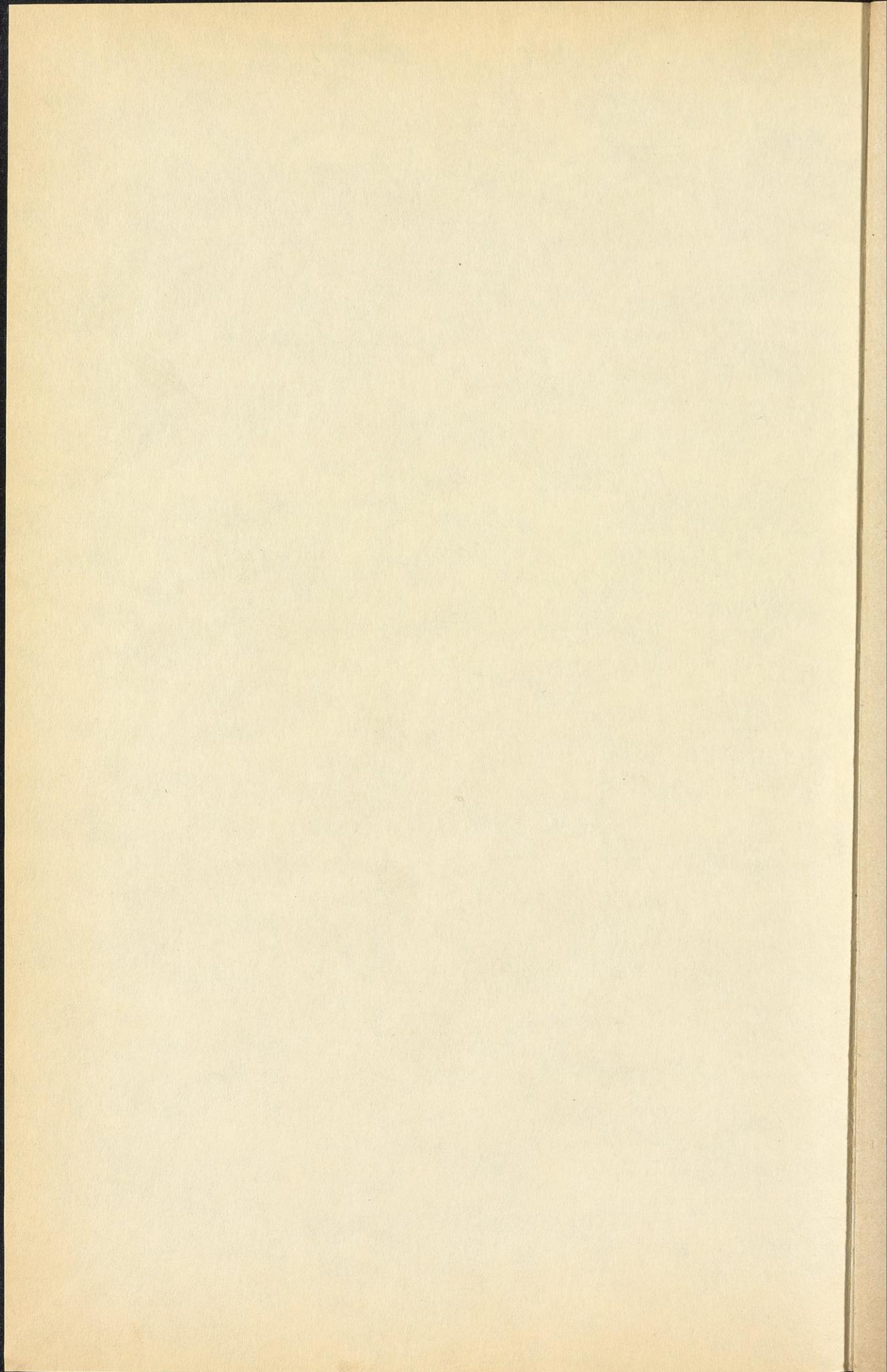
Columbia University
in the City of New York

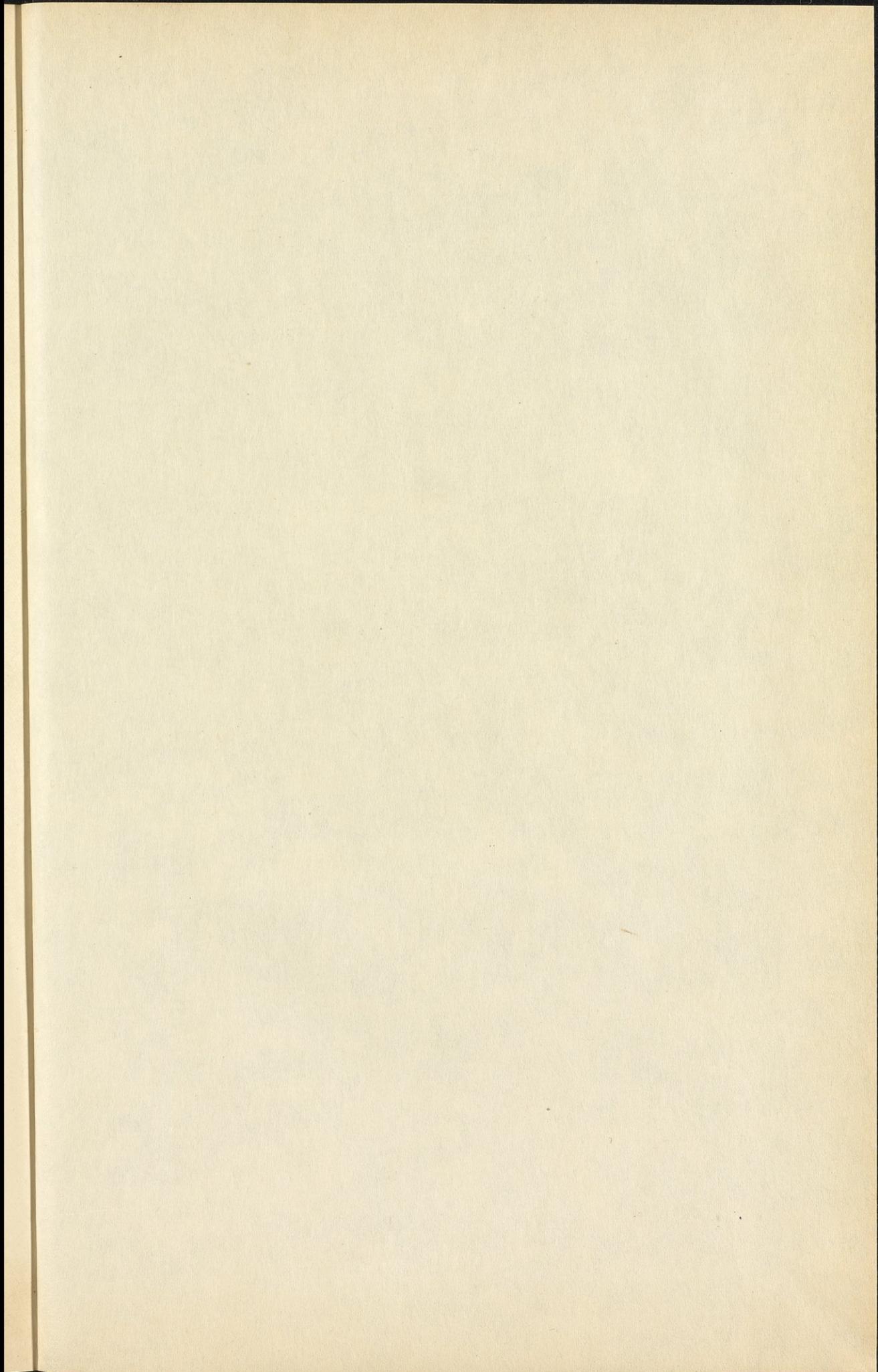
THE LIBRARIES











©
327

فهرس

الجزء الحادى عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

ALBILLOO
VTBIVIBU
VBAABU

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

صفحة

- الفصل الثانى — من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من
الولايات عن الملوك، وفيه ثلاثة أطراف ٥
- الطرف الأول — فى مصطلح كتاب الشرق ٥
- الطرف الثانى — فى مصطلح كتاب الغرب والأندلس فيما يكتب من
الولايات عن الملوك، وفيه ثلاثة أضرب ٦
- الضرب الأول — ما يكتب لأرباب الوظائف من أصحاب السيوف ... ٦
- الضرب الثانى — ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية من أصحاب الأقلام ٢١
- الضرب الثالث — ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ٢٦
- الطرف الثالث — فى مصطلح كتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء
الفاطميين وفيما بعدهم ٢٨
- الحالة الأولى — ما كان عليه أمر تواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء
الدولة الطولونية ٢٨
- الحالة الثانية — ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم
إلى أنتراض الدولة الأخشيدية ٢٩
- الحالة الثالثة — ما كان عليه الأمر فى زمن بنى أيوب ٣٢
- الحالة الرابعة — مما يكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات
ما عليه مصطلح كتاب الزمان بديوان الإنشاء بالديار
المصرية مما يكتب عن السلطان لأرباب السيوف
والأقلام وغيرهم : من التقاليد والمراسيم، والتفاويض،
والتواقيع، وفيه ثلاثة مقاصد ٧٢

صفحة	
٧٢	المقصد الأول — فى مقدمات هذه الولايات ، وفيه مهيعان
٧٢	المهيع الأول — فى بيان رجوع هذه الولايات الى الطريق الشرعى
٧٤	المهيع الثانى — فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات
١٠١	المقصد الثانى — فى بيان مقاصد ما يكتب فى الولايات ، وفيه جملتان
	الجملة الأولى — فى بيان الرسوم فى ذلك [ولم يذكر فى الأصل غيرها] ،
١٠١	وهى على أربعة أنواع.....
١٠١	النوع الأول — التقاليد.....
١٠٧	النوع الثانى — المراسيم ، وفيه ضربان
١٠٧	الضرب الأول — المراسيم المكبرة
١١١	الضرب الثانى — المراسيم المصغرة
١١٢	النوع الثالث — التفاويض
١١٤	النوع الرابع — التواقيع ، وهى على أربع طبقات
١٢٧	المقصد الثالث — فى بيان كيفية وضع ما يكتب فى هذه الولايات فى الورق
	فى ذكر نسخ مما يكتب فى متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكبرة
١٣٣	والتفاويض والتواقيع ، وهى على ثلاثة أقسام
١٣٤	القسم الأول — ولايات وظائف الديار المصرية ، وهى على نوعين
١٣٤	النوع الأول — الولايات بالحضرة ، وهى على ستة أضرب
١٣٤	الضرب الأول — ولايات أرباب السيوف ، وهى على طبقتين
١٣٤	الطبقة الأولى — ذوات التقاليد ، وهى ثلاث وظائف

الوظيفة الأولى — الكفالة، وهي نيابة السلطنة بالحضرة	١٣٤
الوظيفة الثانية — الوزارة لصاحب سيف	١٤٨
الوظيفة الثالثة — الإشارة، وهي وظيفة قد حدثت كتابتها ولم يعهد بها	
كتابة في الزمن القديم	١٥٣
الطبقة الثانية — ممن يكتب له من أرباب السيوف ذوات التواقيع،	
وفيه وظائف	١٥٦
الوظيفة الأولى — نظر البيمارستان لصاحب سيف	١٥٦
الوظيفة الثانية — نظر الجامع الطولوني	١٥٩
الوظيفة الثالثة — نقابة الأشراف	١٦٢
الضرب الثاني — ممن يكتب له بالولايات بالديار المصرية أرباب	
الوظائف الدينية، وهو على طبقتين	١٧٤
الطبقة الأولى — أصحاب التقاليد ممن يكتب له بالجناب العالی	١٧٤
الطبقة الثانية — من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التواقيع،	
وتشتمل على مراتب	٢٠٤
المرتبة الأولى — ما كان يكتب في النصف	٢٠٤
المرتبة الثانية — ما يكتب في قطع الثلث، وتشتمل على وظائف	٢٠٤
المرتبة الثالثة — من الوظائف الدينية ما يكتب في قطع العادة الصغير	
مفتتحاً برُسم بالأمر الشريف	٢٦٨

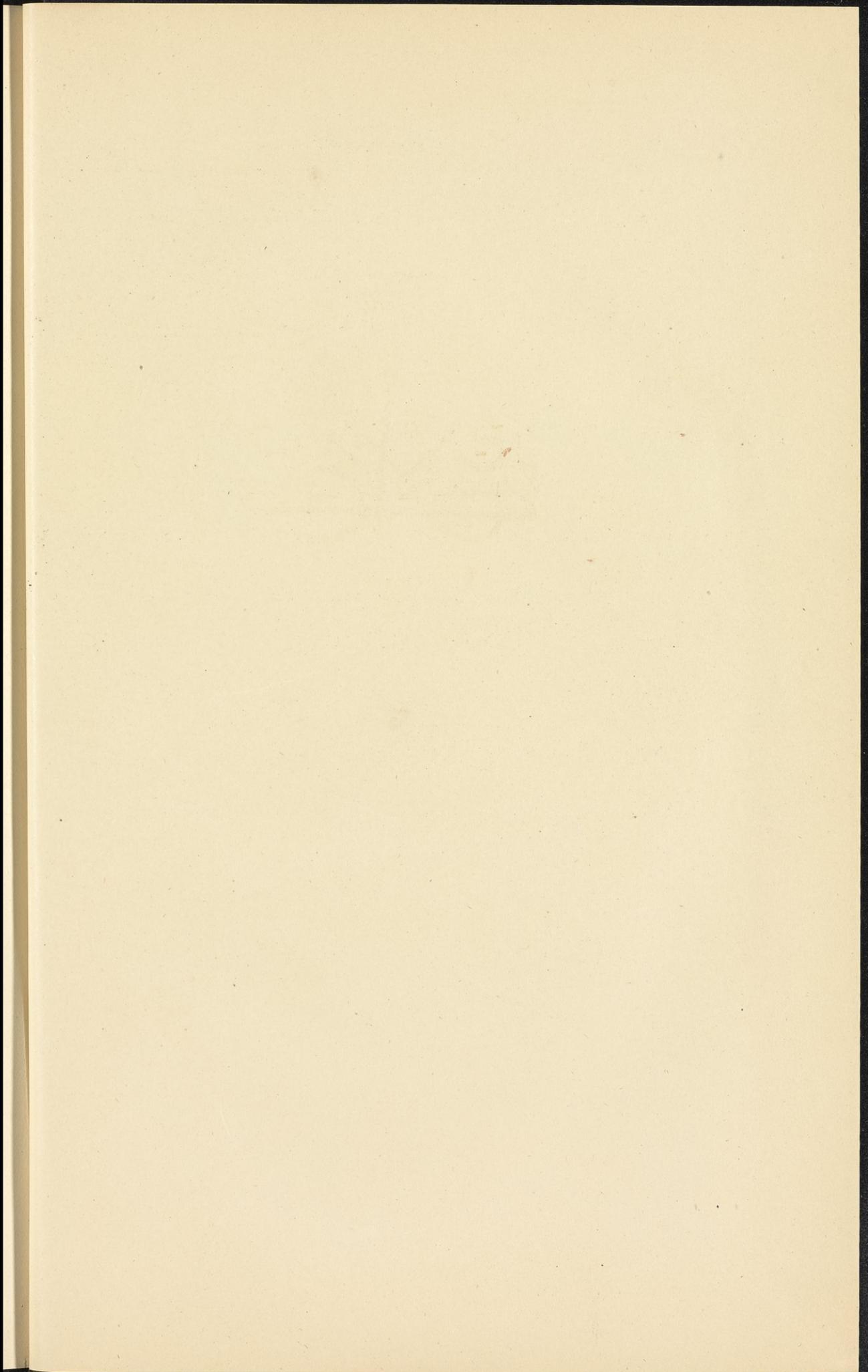
صفحة

- الضرب الثالث — من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية
 ٢٧٠ الوظائف الديوانية ، وهى على طبقتين
- الطبقة الأولى — أرباب التقاليد ممن يكتب له الجتاب العالى ،
 ٢٧٠ وفيها وظيفتان
- الطبقة الثانية — من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية
 أصحاب التواقع ، وهم على ثلاث درجات ٣١٦
- الدرجة الأولى — ما يكتب فى قطع النصف ، وتشتمل على ثلاث وظائف ٣١٦
- الدرجة الثانية — ما يكتب فى قطع الثلث ، وتشتمل على وظائف ٣٣٣
- الدرجة الثالثة — ما يكتب فى قطع العادة ، وفيها وظائف ٣٥١
- الضرب الرابع — من الوظائف التى يكتب فيها بالديار المصرية مشيخة
 الخواثق ، وكلها يكتب بها تواقع ٣٧٠
- الضرب الخامس — من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة
 أرباب الوظائف العادية ، وكلها تواقع ٣٧٧
- الضرب السادس — من أرباب الوظائف بالديار المصرية زعماء أهل
 الذمة ٣٨٥
- النوع الثانى — ماهو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة من وظائف
 الديار المصرية مما يكتب لأربابها ، وهى ثلاث
 جهات ٤٠٥

صفحة

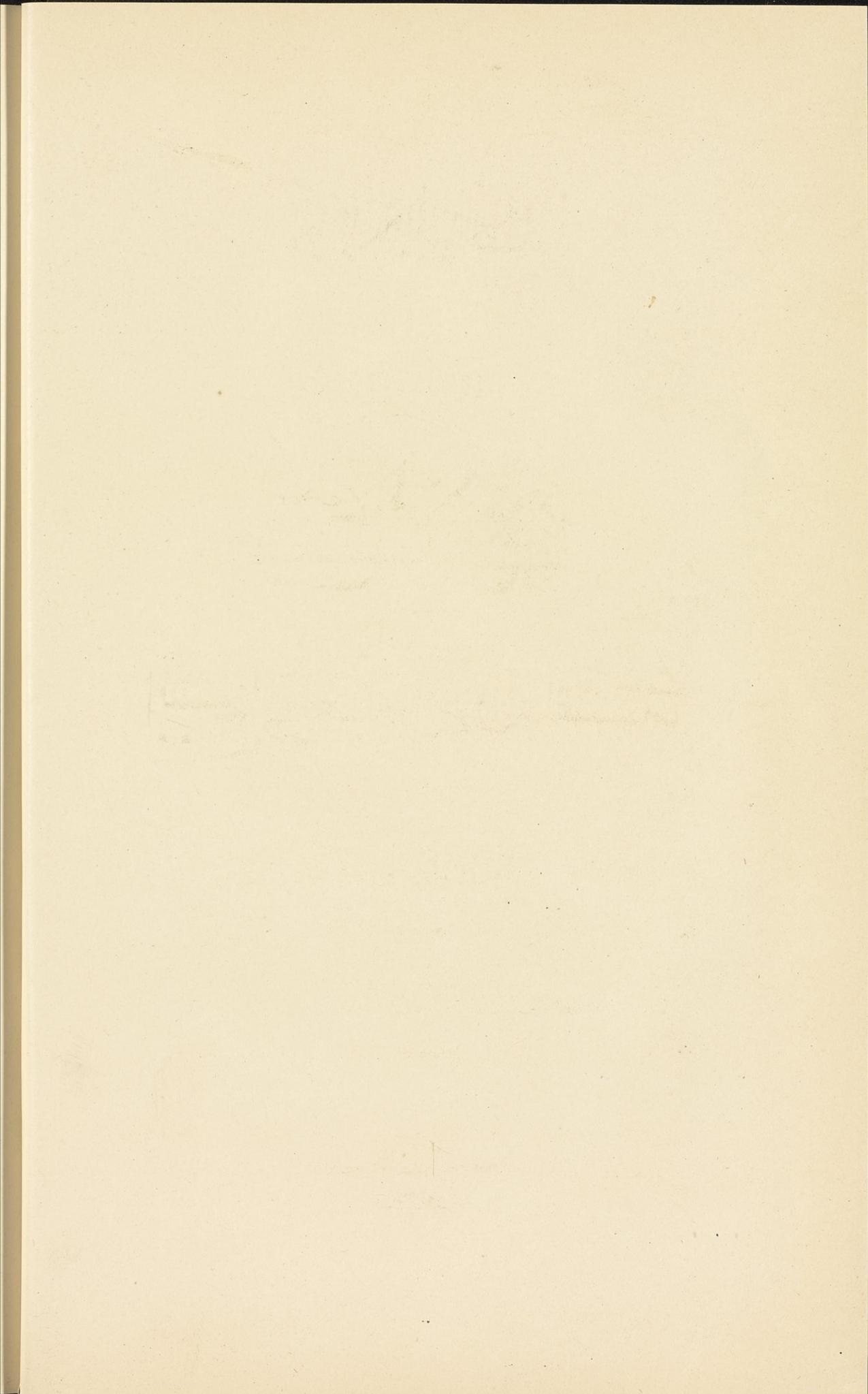
- الجهة الأولى — نجر الإسكندرية ، والوظائف فيها على ثلاثة أصناف ... ٤٠٥
- الصف الأول — وظائف أرباب السيوف ... ٤٠٥
- الصف الثاني — الوظائف الدينية ... ٤٠٨
- الصف الثالث — الوظائف الديوانية ، وهي على طبقتين ... ٤١٩
- الطبقة الأولى — من يكتب له في قطع الثلث بالمجلس السامى بالياء ٤١٩
- الطبقة الثانية — من يكتب له في قطع الثلث بالمجلس السامى بغيرياء
- أو مجلس القاضى ... ٤٢٣
- الجهة الثانية — مما هو خارج عن حاضرتى مصر والقاهرة بالديار
- المصرية بلاد الريف ، وهي وجهان ... ٤٢٦
- الوجه الأول — الوجه القبلى ، وهو المعبر عنه بالصعيد ... ٤٢٦
- الوجه الثانى — من وجهى الديار المصرية البحرى ، وهو الشمالى ... ٤٣٨
- الجهة الثالثة — درب الحجاز الشريف ... ٤٤٢

(تم فهرس الجزء الحادى عشر من كتاب صبح الأعشى)



صنعة الأربعة

الجزء الحادي عشر



دار الكتب السلطانية

كتاب

صنح الأربعة

تأليف

الشيخ أبي الغبار أحمد القلقشندي

الجزء الحادي عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٣٣٥ هـ
م ١٩١٧

893.7K125

W

- v. 11

ch. 2

45-39141

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

الفصل الثاني^(١)

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

(فيما يُكْتَبُ مِنَ الْوَلَايَاتِ عَنِ الْمُلُوكِ ، وفيه [ثلاثة] أطراف)

الطَّرْفُ الْأَوَّلُ

(في مصطلح كُتِّبَ الشَّرْق)

قد تقدّم في الكلام على ما كان يُكْتَبُ عَنِ الْخُلَفَاءِ أَنَّ الْوَلَايَاتِ فِي الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِبَغْدَادَ كَانَتْ تَصْدُرُ عَنِ الْخُلَفَاءِ دُونَ الْمُلُوكِ الْمُسَاهِمِينَ لَهُمْ فِي الْأَمْرِ ، لَا يُشَارِكُونَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْوَلَايَاتِ أَصْلًا . وقد تقدّم ذكر ما كان يكتب عن خلفائهم من الولايات هناك .

والمقصود هنا ما كان يُكْتَبُ عَنِ مُلُوكِ بَنِي جَنْكِرْخَانَ مِنَ الْبَيْتِ الْهُوَلَا كُوهِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ . ولم أَقِفْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ مِصْطَلَحِهِمْ فِي ذَلِكَ فَأُورِدَهُ هُنَا .

(١) وقع سهواً في آخر الجزء العاشر أن أول الجزء الحادي عشر "الفصل الثالث" وصوابه "الثاني"

الطرف الثانى

(فى مصطلح كُتَّابِ الغَرْبِ والأَنْدَلُسِ فيما يُكْتَبُ من الِوِلاياتِ عن المملوكِ)

وأعلم أنهم يعبرون عما يُكْتَبُ فى جميع ولاياتهم بالظَّهائر: جمع ظهير، يفتتحونه^(١) بلفظ «هذا ظهير» كما تقدم بيانه فى الكلام على ما كان يكتب عن خلفاء المغرب .
ثم هى على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

(ما يكتب لأرباب الوظائف من أصحاب السيوف)

وهذه نسخة ظهير بِنِيابة السلطنة بالحضرة من إنشاء أبى عبد الله بن الخطيب، وهى :

هذا ظهير كريم، منزله فى الظهائر منزلة المعتمد به من الظهراء، ومحلّه من الصُّكوك، الصادرة عن أعظم المملوك، محلّ أولى الرايات، الخافقة العدّبات، والآراء . فتح على الإسلام، من بعد الإبهام، أبواب السَّراء، وراق طرازاً مُدَّبا على عاتق الدولة الغراء، وأعمل عوامل الجهاد فى طاعة ربّ العباد، شارعة لأهل الكفر والعناد، من باب الإعمال والإغراء .

أمر به فلان لصدر صدور أودائه، وحسامه المشهور على أعدائه، ووليه الذى خبر صدق وفائه، وجلى فى مضمار الخلوص له مغبراً فى وجوه أكفائه . شيخ شيوخ المجاهدين، وقائد كتائبه المنصورة لغزو الكافرين والمعتمدين، وعدته التى يُدافع بها عن الدين، وسائق ورده المبرز فى الميادين، الشيخ الأجل الأعزّ الأسنى، الأُمجد،

(١) فى اللسان وغيره "الظهير العون يستوى فيه الواحد والجمع". وقد جمعه الفراء على ظهراء . وفى شرح

الأشونى عن بعض النحويين أنه يشترط فى جمع فعيل على فاعل أن يكون عليها مؤنث . تأمل .

الأسعد ، الأصعد ، الأعنى ، الأحمى ، الأحب ، الأوصل ، الأفضل ، المجاهد ،
الأقضى ، الأرضى ، الأمضى ، الشهيد ، المقدس ، المرحوم أبى عبد الله بدر الدين
أبن شيخ الشيوخ وعلم الأعلام ، المدافع عن حوزة الإسلام ، البعيد الغارة فى نُحوم
عبدة الأصنام ، الشيخ الكبير ، الجليل الخطير ، الرفيع ، الصدر ، المعظم ، الموقر ،
صاحب الجهاد الأرضى ، والعزم الأمضى ، المقدس ، المرحوم أبى عمران (موسى)
أبن أبى زيد رحوب بن محيو بن عبدالحق بن محيو ، وصل الله سعدته ، وحرس مجده ،
وبلغه من مظاهره دولته وموازرة خلافته قصده . رفع قبة العناية والاختيار
على عماد ، وأشاد بدعوة التعظيم [مُسْمِعاً ^(١) كلِّ حى وجماد ، وقابل السعى الكريم
بإحماد ، وأورد من البر غير ثماد ، وأستظهر بالوفاء الذى لم تستتر ناره برماد ،
ولا قصرت جياؤه عن بلوغ آماد ؛ وقلد سيف الجهاد عاتق الحسب اللباب ، وأعلق
يدى الأستظهار بأوثق الأسباب ، وأستغلظ على الأعداء بأحب الأحاب .
لما قامت له البراهين الصادقة على كرم شيمه ، ورُسوخ قدمه ، وجنى منه عند
الشدة والتمحيص ثمرة ما أولاه من نعمه ، قابل بالرعى كرائم ذممه ، وعظائم خدمه ؛
وشد اليد على عهدته الذى عرفه حين أنتكشت العقد وأخلق المعتقد ؛ وأستأسد
النقد ، وتكر الصديق ، وفرق الفريق ، وسدت على النظرة الطريق ، وتميز المغرق
والغريق ؛ فأثقل له ميزان المكافات ، وسجل له رسم المصافات ؛ وجعله يمين الملك
الذى به يناضل ، ويقاطع ويواصل ؛ وسيف الجهاد ، الذى يحمى بمضائه حوزة
البلاد ، ومراة النصيح التى تتجلى بها وجوه الرشاد . فقدّمه - أعلى الله قدمه ، وشكر

(١) الزيادة عن "ريحانة الكتاب" لابن الخطيب .

(٢) النقد بالتحريك السفلى من الناس ، وضرب من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه يقال هو أذل من

النقد . أنظر اللسان .

نِعْمَهُ ، وَأَسْعَدَهُ فِيمَا يَمَّمُهُ ، وَنَشَرَ بِالنَّصْرِ عَالَمَهُ - شَيْخَ الْغَزَاةِ بِحَضْرَتِهِ الْعَلِيَّةِ ، وَسَائِرِ
بِلَادِهِ النَّصْرِيَّةِ : تَرْجِعُ الْقِبَائِلُ وَالْأَشْيَاحُ إِلَى نَظَرِهِ فِي السَّكَّاتِ ، وَتَسْتَدِرُّ عَلَى يَدِهِ
مِنْ مَقَامِهِ الْكَرِيمِ غُيُومَ الْبَرَكَاتِ ؛ وَتُقَرَّرُ وَسَائِلُهَا بِوَسَاطَةِ حُطُوتِهِ ، وَتَقْصُرُ خُطَايَا
اعْتِرَافًا بِحَقِّهِ الْوَاجِبِ عَنْ خُطُوتِهِ . فَعَلِيَّةٌ تَدُورُ أَفْلَاكُ جَمَاعَاتِهِمْ كُلَّمَا اجْتَمَعُوا
وَأَتَلَفُوا ، وَبِحِجَّةِ فَضْلِهِ يَزُولُ إِشْكَالُهُمْ مَهْمَا اخْتَلَفُوا ؛ وَبِلِسَانِهِ الْمُبِينِ يَقَرَّرُ لَهُمْ
مَا أَسْلَفُوا ، وَفِي كَنْفِ رَعِيَّةٍ يَنْشَأُ مِنْ أَعْقَبُوا مِنَ النَّشْأَةِ وَخَلَفُوا ؛ وَبِإِقْدَامِهِ تَهْضُ
أَقْدَامَهُمْ مَهْمَا تَوَقَّفُوا . فَهُوَ يَعْسُوبُ كِتَابِهِمُ الْمُتَلَفَّةَ ، وَفِرْزَانُ قِطْعَتِهِمُ الْمُصْطَفَّةَ ؛
وَشَهْمُ جَوَارِحِهِمُ الْفَارِهَةَ ، وَعَيْنُ عِيُونِهِمُ النَّابِيَةَ ، وَتَأْوِيلُ أُمُورِهِمُ الْمُتَشَابِهَةَ ؛ عَنْ
نَظَرِهِ يَرْدُونَ وَيَصْدُرُونَ ، وَبِإِشَارَتِهِ يَرِيْسُونَ وَيَبْرُونَ وَأَثَارُهُ يَقْتَفُونَ ، وَبِتَلْعَةِ
دَوَارِهِ الْمَرِيئِيَّةِ فِي خِدْمَةِ مَقَامِهِ النَّصْرِيِّ يَقْفُونَ . فَهُوَ الَّذِي لَا تَأْنِفُ أَشْرَافُ الْقِبَائِلِ
مِنْ آقْتِفَاءِ آثَارِهِ ، وَلَا تَجْهَلُ رِفْعَةَ مِقْدَارِهِ ؛ فَلَيْتَهُ الْمَزِيَّةُ بِالْحَقِّ ، الْمُسْتَوْجِبَةُ لِلْفَخْرِ
بِسَابِقَةِ السَّعَادَةِ لِعَبْدِ الْحَقِّ ؛ وَلِذَاتِهِ قَصَبِ السَّبْقِ ، وَلَوْفَائِهِ الشُّهْرَةِ فِي الْغَرْبِ
وَالشَّرْقِ .

فَلَيْتَوَلَّ ذَلِكَ - تَوَلَّاهُ اللَّهُ - مُنْشِرِحًا بِالْعَزْ صَدْرُهُ ، مُسْتَمِدًّا مِنْ شَمْسِ سَعَادَتِهِ بِدُرِّهِ ،
مَعْرُوفًا حَقَّهُ مَعْظَمًا قَدْرُهُ ؛ فَهِيَ خُطَّةٌ قَوْمِهِ ، وَفَرِيْسَةٌ حَوْمِهِ ، وَطِيَّةٌ أَمْسِهِ وَيَوْمِهِ ؛
وَكَفُّ خُطْبَتِهِ ، وَمَرْمَى رُتْبَتِهِ ؛ وَحَلِيٌّ جِيْدِهِ ، وَمَظْهَرٌ تَوْفِيْقِهِ وَتَسْدِيْدِهِ . مُطْلَقًا مِنْ
عِنَانِ الثَّنَاءِ ، عَلَى أَهْلِ الْغِنَاءِ ، مَعَامِلًا بِصَادِقِ الْإِطْرَاءِ ، لِدَوَى الْآرَاءِ ؛ مَتَعَمِّدًا بِالْإِغْضَاءِ ،
هَفَوَاتِ أَهْلِ الْمَضَاءِ ؛ مَعْرِفًا بِالْقِبَائِلِ ، وَالْعَشَائِرِ وَالْفَصَائِلِ ؛ كَلِمًا وَفِدْوًا مِنَ الْآفَاقِ
لِلْإِسْتِحْقَاقِ ؛ مِنْبَهَا عَلَى مَظَانِّ الْإِسْتِحْقَاقِ ، مُطَبَّقًا لِلطَّبَاقِ ، مُمَيِّزًا لِجِيَادِهَا يَوْمَ السَّبَاقِ ؛
حَرِيصًا عَلَى إِنْمَاءِ الْأَعْدَادِ ، مُطَبَّقًا مَفَاصِلَ الشَّرَادِ ؛ مُحْتَاطًا عَلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي تَمْتَرِي

بها أكَفُّ الجباية ضُرُوعَ العباد، واضعاً مالَ الله حيثُ وضعه ألحق من الورع والأستداد، [لا] سِيَّما في هذه البلاد؛ حتى تعظم المزايا والمزاين، وتتوفر الكتابُ والخزائن ويتهيج السامعُ ويُسرُّ المعانين؛ ويظهر الفضلُ على من تقدم، وأنَّ الظهراءَ كم غادرت من متردِّم، ويتحسَّر من قَصْرٍ ويتندَّم، وعند الله يجِدُ كلَّ ماقدِّم . فهي قلادةُ الله التي يُضِيعُ من أضعاعها، ويرضى^(١) عمن أعمل فيها أوامره وأطاعها . وهو، - وصلَّ الله سعادته! وحرس مجادته! - أولى من لاحظ ضرائرها، وأستطلع من شأيا التوكل على الله بشأرها : نسباً وحسباً، وجداً وأباً، وحدّاً وشباً؛ وتجدةً وصحّت مذهباً .

وعلى الغزاة - وفرَّ الله جموعهم! وأنجد تابعهم ومتبوعهم! - أن يعرفوا قدرَ هذا التعظيم الذي خفقت أعلامه، ووضحت أحكامه؛ والاختصاص الذي لطف محله، والاعتناء الكريم الذي ضفأ ظله؛ فيكونوا من إيجاب حقه حيث حدَّ ورسم، وميز ووسم؛ لا يتخلَّف أحد منهم [في خدمته]^(٢) أيده الله عن إشارته الموفِّقه، ولا يشدُّ عن رياسته المطلقة؛ بحول الله تعالى وقوته .



وهذه نسخة ظهير بناية السلطنة ببعض الأعمال، وهي :

هذا ظهير كريم، مضمَّنه أستجلاءً لأُمور الرعايا وأستطلاع، ورعاية كُرِّمت منها أجناس وأنواع؛ وعدلٌ بهر منه شعاع، ووصايا يجب لها إهطاع .

أصدرناه للفقير أبي فلان . لما تقرَّر لدينا دينه وعدله وفضله رأينا أنه أحقُّ من نُقلده المهِّم الأَكيد، ونزجى [به] من أغراض البرِّ الغرض البعيد؛ ونستكشف به^(٢)

(١) في "ريحانة الكتاب" التي لا يضيع من أضعاعها، ويوفى صاعها .

(٢) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

أحوال الرعايا حتى لا يغيب عنا شيء من أحوالها، ولا يتطرق إليها طارق من إهمالها،
ويُنهى إلينا الحوادث التي تنشأ فيها إنهاءً يتكفل بجياطة أبقارها وأمواها .
وأمرناه أن يتوجه إلى جهة كذا - حاطها الله - فيجمع الناس في مساجدهم، ويندبهم
من مشاهدتهم . ويبدأ بتقرير غرضنا في صلاح أحوالهم، وإحساب آمالهم،
ومكابدتنا المشقة في مداواة عدوهم الذي يعلم من أحوالهم ما غاب عنهم - دفعه الله
بقدرته، ووقى نفوسهم وحریمهم من معرته - وبما رأينا من آيات الأسباب التي
فيك تؤمل، وعجز الحيل التي كانت تعمل . ويستدعى إيجادهم بالدعاء، وإخلاصهم
فيه إلى رب السماء . ويسأل عن سيرة القواد، وولاية الأحكام بالبلاد : فمن نالته
مظلمة فليرفعها إليه، ويقصها عليه : ليبلغها إلينا، ويوفدها مقررة الموجبات علينا .
ويختبر ما أفترض صدقةً للبلبل، وما فضل عن كريم ذلك العمل : ليعين لبناء
الحصن بجبل قارة يسر الله لهم في إتمامه، وجعل صدقتهم تلك مسك ختامه،
وغيره مما أفترض إعانةً للسافرين، وإيجاداً للجهاد الكافرين؛ فيعلم مقداره،
ويتولى اختباره؛ حتى لا يجعل منه شيء على ضعيف، ولا يعدل به لمشروف
عن شريف، ولا تقع فيه مضايقة ذى الجاه، ولا مخادعة غير المراقب لله . ومتى
تحقق أن غنياً قصر به فيه عن حقه، أو ضعيفاً كلف منه فوق طوقه، فيجبر الفقير
من الغنى، ويجرى من العدل على السنن السوى - ويعلم الناس أن هذه المعونة
وإن كانت بالنسبة إلى محل ضرورتها يسيره، وأن الله يضاعفها لهم أضعافاً كثيرة؛
ليست مما يلزم، ولا من المعاون التي بتكريرها يُجزم - وينظر في عهود المتوفين
فيصرفها في مصارفها المتعينة، وطرقها الواضحة البينة - ويتفقد المساجد تفقداً يكسو

عاريها ، ويتمم منها المأرب [نتميا] يرضى باريها - ويندب الناس إلى تعليم
 القرآن لصبيانهم ، فذلك أصل أديانهم . ويحذرهم المغيب عن كل شيء من
 أعشارهم فالزكاة أخت الصلاة وهما من قواعد الإسلام ، وقد اخترنا لهم بأقصى الحد
 والاعتزام ، ورفعنا عنهم رسم التعريف نظراً إليهم بعين الأهتمام ؛ وقد منّا الثقات
 لهذه الأحكام ، وجعلنا الحرص شرعياً في هذا العام ، وفيما بعده إن شاء الله
 من الأعوام .

ومن أهم ما أسندناه إليه ، وعولنا فيه عليه ، البحث بتلك الأحواز عن أهل
 البدع والأهواء ، والسائرين من السبيل على غير السواء ؛ ومن ينز بفساد العقْد ،
 وتحريف القصد ؛ والتلبس بالصوفية وهو في الباطن من أهل الفساد ، والذاهبين
 إلى الإباحة وتأويل المعاد ؛ والمؤلفين بين النساء والرجال ، والمتبعين لمذاهب
 الضلال . فهما عثر على مطوق بالتهمة ، منبذ بشيء من ذلك من هذه الأمة ؛ فليشد
 وثاقه شداً ؛ وليسد عليه سبيل الخلاص سداً ؛ ويسترع في شأنه الموجبات ،
 ويستوعب الشهادات ، حتى ننظر في حسم دائه ، ونعالج المرض بدوائه ؛

فليتول ما ذكرنا نائباً بأحسن المناب ، ويقصد وجه الله راجياً منه جزيل الثواب ،
 ويعمل عمل من لا يخاف في الله لومة لائم ليجد ذلك في مواقف الحساب ؛

وعلى من يقف عليه من القواد والأشياخ والحكام أن يكونوا معه يداً واحدة على
 ماقرناه في هذه الفصول : من العمل المقبول والعدل المبذول . ومن قصر عن غاية
 من غاياته ، أو خالف مقتضى من مقتضياته ، فعقابه عقاب من عصى أمر الله
 وأمرنا فلا يلومن إلا نفسه التي غرتة ، وإلى مصرع النكير جرتة ، والله المستعان .



وهذه نسخة ظهير بالإمرة على الجهاد ، وهى :

هذا ظهير كريم بلغ فيه الاختيار، الذى عضده الاختبار، الى أقصى الغايه،^(١)
 وجمع له الوفاق، الذى خدّمه البختُ والاتفاق، والأهليّة التى شهدت بها الآفاق،
 بين نُجْحِ الرأى ونَصْرِ الرايه، وأنتجتْ به مقدماتُ الولاء نتيجةَ هذه الرتبة السامية
 العلاء والولاية. وأستظهر من المعتمد به، على قصده الكريم فى سبيل الله ومذهبه،
 بليث من ليوث أوليائه شديد الوطأة على أعدائه والنكايه، وفرع من فروع الملك
 الأصيل معروف الأبوّة والإبايه، لتتضح حجة النصر العزيز والفتح المبين ذى القوّة
 المتين محكمة الآيه، وتدل بداية هذه الدولة الرافعة لمعالم الدين، المؤيّد فى الأقوال
 والأفعال بمدد الروح الأمين، على شرف النهايه.

أصدر حكّمته وأبرز حُكْمَه، وقتر حده الماضى ورسمه، عبدُ الله، الغنى بالله
 [محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر]^(٢) - عضد الله كتابه وشدّ عضده،
 ويسر فى الظهور على أعداء الله قصده - لوليّه المستولى على ميادين حُظوته وإيثاره،
 الفائز بالقدح المعلن من إجلاله وإكباره؛ ظهير استنصاره، وسيف جهاده المعّد
 لصدق ضريته ويوم آفتخاره، ويعسوب قبائل الغزاة بأصقاعه الجهادية وأقطاره؛
 الأمير أبى عبد الرحمن، أبى الأمير أبى على، أبى السلطان أمير المسلمين أبى سعيد،
 ابن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبدالحق - وصل الله له أسباب سعده،
 وأنجز للمسلمين بمظاهرة إياه على الكافرين سابق وعده، لمّا وفد على بابهِ الكريم

(١) فى ريحانة الكتاب « بلغ فيه الاختيار النهايه والاختبار الى » الخ .

(٢) الزيادة "من الريحانة" .

(١)
 مؤثراً على ما كان بسبيله عن جواره ، ملقياً بحملة الجهاد عصاً تسياره ، مفضلاً ما عند
 الله على رُحْبِ أوطانه وأقطاره ؛ شميةً من أسرع إلى خير الآخرة بسبب داره ، قبل آكمال
 هلاله وإبداره ، وعلى أنبعاثِ أمله وتراحي هممه وأستقامة مداره - قابل أيده الله
 وفادته بالقبول المدوح ، والصدر المشروح ، والعناية العالية المظاهر والصرُوح ؛
 وجعل له الشرب المهنى في مناهل الصنائع التي صنع الله للملكه والفتوح ؛ ولم يدخر
 عنه تقريباً يقف الأولياء دون مداه ، وترفعاً تشهد به محافلُ الملك وامتداه ؛ إلى أن
 ظفرت بحقيقة الموالاتة الكريمة يداه ، ثم أستظهر به على أعداء الله وعداه ، فوق
 النصيح لله وأذاه ، وأضمّره وأبداه ، وتحلّى بالبسالة والجلالة والطهارة ، اللائقة
 بمنصب الإمارة ، في رَواحِه ومغداه ؛ حتى أتفتت الأهواءُ على فضله وعفافه ،
 وكال أوصافه وظهرت عليه محابيل أسلافه . ثم رأى الآن - سدد الله رأيه ،
 وشكر عن الإسلام والمسلمين سعيه - أن يُوفد ركائب الاعتقاد الجميل على جنابه ،
 ويفسح ميدان الاستظهار بحسن منابه ، ويصل أسبابه بأسبابه ؛ ويضعف بولائه
 الصادق أهتامة ، ويقيمه في قود عساكره لجهاد البرمقامه ؛ فأضفى ملابسُ وده
 عليه ، وجعله فاتح أبواب الجنة بفضل الله بين يديه ؛ وأجراه مجرى عضده الذي
 تصدق عنه الضريبة في المجال ، وسيفه الذي يفرج به مضائق الأهوال ؛ ونصبه
 للقبائل الجهادية قبلة في مناصحة الله ومناصحة مشروعه ، وراية سعيدة في مظاهرة
 متبوعه ؛ وعقد له الولاية الجهادية التي لا تعدل بولايه ، ولا توازنُ عناية المعتمد بها
 بعنايه ؛ يشهد بصراحة نسبها الدين ، وتتحلّى بحلّى غرّتها الميادين . فالجهاد في سبيل
 الله نحلة نبي الأمة ، ومن بعده من الأمة ؛ لاسيما في هذا القطر المتأكد فيه ذلك
 لأولي الدين والهممه .

(١) لعله "مؤثراً له على ما كان يشغله عن جواره" تأمل .

فليتولَّ ذلك تولى مثله وإن قلَّ وجودُ مثله ، جارياً على سَنَنِ مَجْدِهِ وفضله ، سائراً من رضا الله على أَوْضَحِ سَبِيلِهِ ، معتمداً عليه فى الأمر كله .

وَلْيَعْلَمْ أن الذى يخلق ما يشاء ويختار قد هَيَّأ له من أمره رشداً ، وسلك به طريقاً سَدَّداً ، واستعمله اليومَ فيما يُحِظِيهِ غداً ، وجعل حَظَّهُ الذى عَوَّضَهُ نُوراً وهُدًى ، وأبعد له فى الصالحات مَدًى - ولينظر فيما لديه من القبائل الموفوره ، والجموع المؤيَّدة المنصوره ؛ نظراً يُزِيحُ العِللَ ، ويبلغ الأملَ ، ويرعى الأهلَ ، ويحسن القولَ ويُجِجُ العملَ ؛ منبهاً على أهل الغناء والأستحقاق ، مستديراً للعوائد والأرزاق ، معرفاً بالغرباء الواردين من الآفاق ، مُطبِّقاً منهم للطباق ، متعمداً للهفوات بحسن الأخلاق ؛ مستجيذاً للأساحة والكراع ، مبادراً هيئات الصريح بالإسراع ؛ مسترعياً للشورة التى يقع الحكمُ فيها عن حصول الإجماع ، رفيقاً بمن ضَعُفَ عن طول الباع ؛ محتاطاً على الإسلام فى مواقف الدفاع ، مُقدِّماً عند آتجاه الأطماع ؛ صابراً فى المضايق على القراع ، متقدِّماً للأبطال بالأصطناع ، مقابلاً نصائح أولى الخبرة بحسن الاستماع ، مستعملاً فى الحروب ما أجازهُ الشرعُ من وجوه الخداع ؛ حتى يكون عمله وفق شهرته البعيدة المطار ، وسيرته فيما أُسِنَدَ إليه مثلاً فى الأقطار ، واستقامة التدبير على يديه ذريعة إلى إرغام أنوف الكفار ؛ بقوة الله وحوله ، وعزته وطوله .

وعلى الغزاة بالحضرة العلية ، وسائر البلاد النصريه ؛ من بنى مَرِينِ ، وسائر القبائل المجاهدين ، أن يعرفوا قدره ، ويمثلوا فى مرضاتنا أمره ؛ ويكونوا معه رُوحاً ويدا

(١) السدد القصد والاستقامة والسدد أيضاً مقصور من السداد . انظر اللسان .

(٢) الهمل اسم جمع هامل لأن فاعلا لا يكسر على فعل ونظيره راح وروح . انظر اللسان .

(٣) الكراع كغراب جماعة الخيل . والهيفة الصوت تفرع منه وتخافه من عدو . انظر القاموس .

وجسداً، وساعداً وعضداً؛ فبذلك يشمله من الله ومن مقامنا الرضا والقبول، والعزُّ
الموصول؛ ويمضي في عدو الله النُّصُول، ويتأثى على خير الدنيا والآخرة الحُصُول،
إن شاء الله . ومن وقف عليه، فليعرف مآلديه؛ بحول الله تعالى .



وهذه نسخة ظهير بالتقدمة على الطبقة الأولى من المجاهدين، لولد السلطان،
وهي :

هذا ظهيرٌ كريمٌ، فاتحٌ بنشر الألوية والبُنود، وقود العساكر والجنود؛ وأجال
في ميدان الوجود، جِياد البأس والجُود؛ وأضفى ستر الحماية والوقاية بالتهايم
والنُّجود، على الطائفين والعاكفين والرُّكع السُّجود - عقد للتعتمد به عقد التشريف
والقدر المُتَيْف زاكي الشهود؛ وأوجب المناقسة بين مجالس السُّروج ومضاجع
المُهود، وبشر السُّيوف في العُمود، وأنشأ ريح النصر آمنةً من الخُمود - أمضى
أحكامه، وأهد العزَّ أمامه، وفتح عن زهر السُّرور والحبور أحكامه، أميرُ المسلمين
عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف ابن مولانا أمير المسلمين
أبي الوليد فرج بن نصر - أيد الله أمره، وخلد ذكره - لكبير ولده، وسابق أمده،
ورِيحانة خَلده، وياقوتة الملك على يده؛ الأمير الكبير، الطاهر الظاهر، الأعلى،
واسطة السلك، وهلال سماء الملك، ومصباح الظلم الخلك، ومظنة العناية الإلهية
من مدبر الفلك ومجرى الفلك؛ عنوان سعيده، وحسام نصره وعضده؛ وسمي
جده، وسلالة فضله ومجده؛ السعيد، المظفر، الهمام، الأعلى، الأمضى، العالم،
العادل، العامل، الأرضي، المجاهد، المؤمل، المعظم، أبي الحجاج يوسف - ألبسه
الله من رضاه عنه حللاً لا تُخلق جنتها الأيام، ولا تبلغ كُنُها الأفهام؛ وبلغه
في خدمه المبالغ التي يُسرُّها الإسلام، وتسبح في بحار صنائعها الأقلام، وحرس

معاليه الباهرة بعينه التي لا تتام، وكنفه بركنه الذي لا يضم - فهو الفرع الذي جرى بحضله على أصله، وأرسم نصره في نصله، واشتمل جدّه على فضله، وشهدت ألسن خلاله، برفعة جلاله؛ وظهرت دلائل سعادته، في بدء كل أمر وإعادته .

ولما صرف وجهه إلى ترشيحه لأقتراع هضاب المجد البعيد المدى، وتوشيح به بالصبر والحلم والبأس والندى، وأرهف منه سيفاً من سيوف الله لضرب هام العدا، وأطلعه في سماء الملك بدر هدى، لمن راح وغدا؛ وأخذ بالآداب التي تقيم من النفوس أودا، وتبدر في اليوم فتجنى غدا، ورقاه في رتب المعالي طورا فطورا، ترقى النبات ورقاً ونورا؛ ليجده بحول الله يداً باطشة على أعدائه، ولسانا مجيباً عند ندائه، وطرازاً على حلة عليائه، وعماماً من غمام آلائه، وكوكبا وهاجاً بسائته . وعقد له لواء الجهاد على الكتيبة الأندلسية من جنده، قبل أن ينتقل من مهده؛ وظلله بجناح رايته، وهو على كند دايته^(١)، واستركب جيش الإسلام ترحيباً بوفادته، وتويهاً بمجادته، وأثبت في غرض الإمارة النصرية سهم سعادته - رأى أن يزيد من عنايته ضرباً واجناساً، ويتبع أثره ناساً فناساً؛ قد اختلفوا لساناً ولباساً، واتفقوا آبتغاء لمرضاة الله والتماساً؛ ممن كرم أنماؤه، وأزينت بالحسب الغر سماءه^(٢)، وعرف غناؤه، وتأسس على المجادة بناؤه؛ حتى لا يدع من العناية فناً إلا جلبه إليه، ولا مقادة فخر إلا جعلها في يديه، ولا حلة عز إلا أضفى ملابسها عليه .

وكان جيش الإسلام في هذه البلاد الأندلسية - آمن الله خلالها، وسكن زلزالها، وصدق في رحمة الله التي وسعت كل شيء آمالها - كلف همته، ومرعى

(١) الكند بفتح الناء وكسرهما أعلى الكتف والداية الظئر، أنظر اللسان .

(٢) لعله الاغر وفي ريحانة الكتاب «الخالص» .

أذمته ، وميِّدان جِياده ، ومتعلِّق أمد جهاده ، ومِعْرَاج إرادته ، إلى تحصيل
سعادته ، وسبيلِ خِلاله ، إلى بلوغ كِماله ، فلم يدع له علةً إلا أزاخها ، ولا طلباً
إلا أجال قِدادها ، ولا عزيمه إلا أورى أفتداحها ، ولا رغبة إلا فسح ساحها ،
أخذاً مروءته بالتهذيب ، ومصافه بالترتيب ، وآماله بالتقريب ، وتأنيس المريب ،
مستنجزاً له وبه وعد النصر العزيز والفتح القريب ، ورفع عنه لهذا العهد نظر من
حكّم الأغراض في حُماته ، وأستشعر عُروق الحسائف لشريف كُتاتِه ، واشتغل
عن حُسن الوساطة لهم بمصلحة ذاته ، وجأب جُباته ، وتمير ماله وتوفير أوقواته ،
ذاهباً أقصى مذاهب التعمير بأمد حياته ، فأنفرج الضيق ، وخلص إلى حسن نظره
الطريق ، وساغ الرقيق ، ورضى الفريق .

رأى - والله الكفيل بئُجج رأيه ، وشكر سعيه ، وصلة حفظه ورعيه - أن يُحمّد
لهم اختياره ، ويُحسن لديهم آثاره ، ويستنيب فيما بينه وبين سيوف جهاده ، وأبطال
جِلاده ، وحمّة أحوازه ، وآلات أعتزازه ، من يجرى مجرى نفسه النفيسة في كل
معنى ، ومن يكون له لفظ الولاية وله - أيده الله - المعنى ، فقدّمه على الجماعة الأولى
كبرى الكُتائب ، ومقاد الجنائب ، وأجمة الأبطال ، ومزينة الودق الهطال ، المشتملة
من الغزاة على مشيخة آل يعقوب نُسباء الملوك الكرام ، وأعلام الإسلام ، وسائر
قبائل بني مرّين ، ليوث العرين ، وغيرهم من أصناف القبائل ، وأولى الوسائل ،
ليحوط جماعتهم ، ويرفع بتفقدده إضاعتهم ، ويستخلص لله ولأبيه - أيده الله -
طاعتهم ، ويُشرف بإمارته مواكبهم ، ويزين بهلاله الناهض إلى الإبرار ، على فلك
سعادة الأقدار ، كواكبهم ، تقديماً أشرق له وجه الدين الحنيف وتهلل ، وأحس
باقتراب ما أمّل ، فليخيل آختيال ومراح ، وللأسل السمر أهترأز وأرتياح ، وللصدور
النسراج ، وللأمل مغدى في فضل الله ومراح .

فليتولَّ ذلك - أسعده الله - تَوَلَّى مثله من أسرة الملك أسرته ، وأسرة النبي صلى الله عليه وسلم أسرته ، والمَلِكُ الكريم أصل لفرعه ، والنسبُ العربيُّ مفخرٌ لطيب^(١) طبعه ، أخذًا أشرفهم بترفيح المجلس بنسبة أقدارهم ، مقربًا حُسن اللقاء بإيثارهم ، شاكرًا غناءهم ، مستديماً ثناءهم ، مستدرًا لأرزاقهم ، موجبًا للزينة بحسب استحقاقهم ؛ شافعا لديه في رَغَبَاتِهِمُ المؤمَّله ، ووسائلهم المتحمَّله ، مسهلا الإذن لوُفودهم المتلاحقه ، مُنققا لبضائعهم النافقه ؛ مؤنسا لُغَرَبائهم ، مستجليا أحوال أهليهم وآبائهم ، مميزا بين أغفالهم ونُبَّائهم .

وعلى جماعتهم - رعى الله جهادهم ، ووفَّر أعدادهم - أن يطيعوه فى طاعة الله وطاعة أبيه ، ويكونوا يداً واحدةً على دِفَاعِ أعادى الله وأعاديه ؛ ويتشدوا فى المواقف الكريمة أزره ، ويمثلوا نهيه وأمره ؛ حتى يعظُم الانتفاع ، ويثْمِر الدِّفاع ، ويخلص القصدُ لله والمطاع ؛ فلو وجد - أيدى الله - غايةً فى تشريفهم لبلَّغها ، أو موهبةً لسوَّغها ؛ لكن ما بعد ولده العزيز عليه مذهب ، ولا وراء مباشرتهم بنفسه مرغب ؛ والله منجح الأعمال ، ومبلغ الآمال ، والكفيل بسعادة المآل .

فمن وقف على هذا الظَّهير الكريم فليعلم مقدار ما تضمَّنه من أمرٍ مُطاع ، ونفخ مستند إلى إجماع ، ووجوب اتِّباع ، وليكن خير مرعى لخير راع ، بحول الله .

وأقطعه - أيدى الله - ليكون بعض المدد لأزواد سفره ، وسِمَاط قفره ؛ فى جملة ما أولاه من نعمه ، وسوَّغه من مواد كرمه - جميع القرية المنسوبة إلى عرب غَسَّان : وهى المحلة الأثيرة ، والمنزلة الشهيرة ؛ تنطلق عليها أيدى خدامه ورجاله ،

(١) فى الريحانة «منجد لطيب» الخ .

جارية مجرى صالح ماله ، محررة من كل وظيف لاستغلاله ، إن شاء الله فهو المستعان سبحانه ، وكتب في كذا .



وهذه نسخة ظهير لمشيخة الغزاة بمدينة مائة ، وهو :

هذا ظهير كريم أطلع الرضا والقبول صباحا ، وأنشأ للعناية في جَوِّ الوجود ، من بعد الرُّكود ، رِيَاحاً ، وأوسع العيون قُترةً [وإبصاراً]^(١) والصِّدورَ آنسراحاً ، وهياً للتعتمد به مَعْدَى في السعادة ومَراحاً ، وهنَّ منه سيفاً عتيقاً يفوق اختياراً ويروقُ ألتِماحاً ، وولاه رياسة الجهاد في القطر الذي تقدمت الولاية فيه لسلفه فنال عزاً شهيراً وأزداد فخراً صراحاً ، وكان [له]^(١) ذلك إلى أبواب السعادة مفتاحاً .

أمر به وأمضاه ، وأوجب العمل بحسبه ومقتضاه ؛ الأميرُ عبدُالله محمد ابن مولانا أمير المسلمين ، والمجاهد في سبيل رب العالمين ؛ أبي الحجَّاج [يوسف]^(١) ابن مولانا أمير المسلمين ، أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر - أيد الله أمره وأعز نصره ، وأسعد زمانه وعصره - لوليه في الله الذي كساه مولاه من جميل أعتقاده حُلاً ؛ وأورده من عذب رضاه منهلًا ، وعرفه عوارف قبوله مَقْصلاً خطابها ومجملًا ؛ الشيخ أبي العلا ، إدريس ، ابن الشيخ أبي سعيد عثمان ، بن أبي العلا وصل الله أسباب سعادته ، وحرس علي مجادته ، وأجراه من ترفيع المكانة لديه علي [أحمد]^(١) عادة سلفه [وعادته] .

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

(٢) في ریحانة الكتاب «أخاف» .

ولمّا كان له القَدْرُ الجليل ، والمجدُ الأثيل ، والذكرُ الجميل ، والفضائلُ التي كُرِّمَ
 منها الإجمال والتفصيل ، وأحرزَ قَصَبَ السَّبْقِ بذاته وسلفه إذا ذُكِرَ المجدُ العريض
 الطويل ، وكان قد أعملَ الرِّحْلَةَ إليه يَحْدُوهُ إلى خدمته التأميل ، ويَهْوَى به الحُبُّ
 الذى وَضَعَ منه السبيل ، وعاق عنه الواقعُ الذى تبيّن فيه عُذْرُه الجميل ، ثم خلّصه الله
 من مَلَكَةِ الكفر الخِلاصَ الذى قام به على عناية الدليل - قابله بالقبول والإقبال ،
 وفَسَّحَ له ميدانَ الرضا رَحَبَ المَجَالِ ، وصرفَ إليه وجهَ الاعتداد بمضائه رائقَ
 الجمال ، سافراً عن بلوغ الآمال ، وآواه من خدمته إلى رُبُوعِ مَتَّسَعَةِ الأرجاء وارفئة
 الظلال ، وقطعَ عنه الأَطْمَاعَ بمقتضى همته البعيدة المنال . ثم رأى - والله يُنْحِجُ
 رأيه ، ويشكر في سبيل الله عن الجهادِ سعيه - أن يستظهر بمضائه ، ويرسل عليه
 عَوَارِفَ آلائه ، ويعمر به رُتَبَ آبائه . فقدمه - أعلى الله قدمه ، وشكر [الآءه]^(١)
 ونعمه - شيخَ الغزاة والمجاهدين ، وكبيرِ أُولَى الدِّفاعِ عن الدين ، بمدينة (مالقة)
 حرسها الله أختِ حضرة [دار]^(١) ملكه ، وثانيةِ الدَّرَةِ الثمينة من سلّكه ، ودارِ سلفه
 وقرارةِ مجده ، والأفقي الذى تألّق منه نُورُ سعده ، راجعاً إليه نظرَ القواعد الغربية
 رُندة وركوان (؟) وما إليه رجوعُ الاستغلال والاستيراد ، والعزّ الفسيح المَجَالِ البعيد
 الآماد ، يقودُ جميعها إلى الجهاد ، عاملاً على شاكلة مجده فى الإصدار والإيراد ،
 حتى يظهر على تلك الجهاتِ المباركة آثارُ الحِماية والبَسالة ، ويعود لها عهدُ المِجَادَةِ
 والجلاله ، وتترين مَلابَسَ الإياله . وهو يعمل فى ذلك الأعمال التى تليق بالمجد
 الكريم ، والحسب الصميم ، حتى ينمو عددُ الجُماه ، ويكفّ البأسُ أكفّ الغزاة
 ويعظم أثرُ الأبطال الكُماه ، وتظهر ثمرة الاختيار ، ويشمل الأمنُ جميعَ الأقطار ،
 وتتخيم عنه أطماعُ الكفار .

(١) الزيادة من "الريحانة" .

وَحَرَسَ مَجَادَتَهُ ، وَسَنَىٰ مِنْ فَضْلِهِ إِرَادَتَهُ . عَصَّبَ مِنْهُ جَبِينَ الْمَجْدِ بِتَاجِ الْوِلَايَةِ ،
وَأَجَالَ قِدَاحَ الْأَخْتِيَارِ حَتَّىٰ بَلَغَ الْغَايَةَ وَتَجَاوَزَ النِّهَايَةَ ، فَأَلْقَىٰ مِنْهُ بِمِيزَانِ عَرَابَةِ الرَّايَةِ ،
وَأَحَلَّهُ مِنْهُ مَحَلَّ اللَّفْظِ مِنَ الْمَعْنَىٰ وَالْإِعْجَازِ مِنَ الْآيَةِ ، وَحَشَرَ إِلَىٰ مِرَاعَاةِ تَرْفِيعِهِ وَجُوهَ
الْبِرِّ وَأَعْيَانَ الْعَنَايَةِ ، وَأَنْطَقَ بِتَجْجِيلِهِ ، أَلْسُنَ أَهْلِ جَيْلِهِ ، بَيْنَ الْإِفْصَاحِ وَالِكِنَايَةِ .

ولما كان له الحسب الذى شهدت به ورقات الدواوين ، والأصالة التى قامت
عليها صحاح البراهين ، والآباء الذين أعتز بمضاء قضاتهم الدين ، وطبق مفاصل^(١)
الحكم بسيوفهم الحق المبين ، وأزدان بمجالسة وزراءهم السلاطين : فمن فارس حُكْمِ
أو حَكِيمِ تَدْيِيرِ ، أَوْ قَاضٍ فِي الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ وَوَزِيرِ ، أَوْ جَامِعٍ بَيْنَهُمَا جَمَعَ سَلَامَةَ
لِاجْتِمَاعِ تَكْسِيرِ ، تَعَدَّدَ ذَلِكَ وَأَطْرَدَ ، وَوَجَدَ مَشْرَعِ الْمَجْدِ عَذْبًا فُورَدَ ، وَقَصَّرَتْ
النَّظْرَاءُ عَنْ مَدَاهِ فَأَنْفَرَدَ ، وَفَرَى الْفَرَى فِي يَدِ الشَّرْعِ فَأَشْبَهَ السَّيْفَ الْفَرَنْدَ ؛ وَجَاءَ
فِي أَعْقَابِهِمْ مُحِيًّا لِمَا دَرَسَ ، بِمَا حَقَّقَ وَدَرَسَ ، جَانِيًّا لِمَا بَدَّرَ السَّلْفُ الْمُبَارَكُ
وَأَغْتَرَسَ ؛ طَاهِرَ النَّشْأَةِ وَقُورَهَا ، مَحْمُودَ السَّيِّئَةِ مَشْكُورَهَا ؛ مَتَحَلِّيًا بِالسَّكِينَةِ ،
حَالًّا مِنَ التَّرَاهُةِ بِالْمَكَانَةِ الْمَكِينَةِ ؛ سَاحِبًا أَذْيَالَ الصَّوْنِ ، بَعِيدًا عَنِ الْإِتِّصَافِ
بِالْفَسَادِ مِنْ لَدُنِ الْكُؤُنِ ، نَخْطَبْتَهُ الْخُطَطَ الْعَلِيَّةَ ، وَأَغْتَبَطَتْ بِهِ الْمَجَادَةُ الْأَوْلِيَّةَ ؛
وَأَسْتَعْمَلْتَهُ دَوْلَتَهُ الَّتِي تَرْتَادُ أَهْلَ الْفَضَائِلِ لِلرُّتَبِ ، وَتَسْتَظْهَرُ عَلَى الْمَنَاصِبِ بِأَبْنَاءِ
التُّقَىٰ وَالْحَسَبِ ، وَالْفَضْلِ وَالْمَجْدِ وَالْأَدَبِ ، مِمَّنْ يَجْمَعُ بَيْنَ الطَّارِفِ وَالتَّالِدِ وَالْإِرْثِ
وَالْمَكْتَسَبِ ؛ فَكَانَ مَعْدُودًا مِنْ عُدُولِ قُضَاتِهَا وَصُدُورِ نُبَاهِئِهَا ، وَأَعْيَانَ وَزَرَائِئِهَا ،
وَأَوْلِي آرَائِهَا .

فَلَمَّا زَانَ اللَّهُ خِلَافَتَهُ بِالْتَّمَحِيصِ ، الْمَتَجَلَّىٰ عَنِ التَّخْصِيصِ ، وَخَلَصَ مُلْكُهُ
الْأَصِيلَ كَالذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ مِنْ بَعْدِ التَّخْلِيسِ ، كَانَ مِنْ صَحْبِ رِكَابِهِ الطَّالِبَ لِلْحَقِّ

(١) يُقَالُ طَبَّقَ السَّيْفَ إِذَا أَصَابَ الْمَفْصَلَ فَأَبَانَ الْعَضْوُ . انظر اللسان .

بَسَيْفِ الْحَقِّ ؛ وَسَلَكَ فِي مَظَاهِرِهِ أَوْضَحَ الطَّرِيقِ ، وَجَادَلَ مَنْ حَادَّهُ بِأَمْضَى مِنْ
 الْحِدَادِ الدُّنْيِيِّ ، وَأَشْتَهَرَ خَيْرُ وَفَائِهِ بِالْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ؛ وَصَلَّى بِهِ صَلَاةَ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ ،
 وَالْأَمْنِ وَالْحَدَرِ ؛ وَخَطَبَ بِهِ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي بَعْدَ بَدْرٍ كَرَّمَ اللَّهُ عَهْدَهَا ، وَخَاطَبَ
 عَنْهُ - أَيْدِي اللَّهِ - الْمَخَاطَبَاتِ الَّتِي حَمِدَ قَصْدَهَا ؛ حَتَّى اسْتَقَلَّ مُلْكُهُ فَوْقَ سَرِيرِهِ ،
 وَأَبْتَهَجَ مِنْهُ الْإِسْلَامَ بِأَمِيرِهِ وَأَبْنِ أَمِيرِهِ ، وَنَزَلَ السُّتْرَ عَلَى الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ بِبِرْكَةِ إِيَابَتِهِ
 وَيُؤْمِنُ تَدْيِيرِهِ ، وَكَانَ الْجَلِيسَ الْمُقَرَّبَ الْمَحَلَّ ، وَالْحَظِيَّ الْمَشَاوِرَ فِي الْعَقْدِ وَالْحَلِّ ؛
 وَالرَّسُولَ الْمُؤْتَمَنَ عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَالْأَمِينَ عَلَى الْوُظَائِفِ الْجِبَارِ ؛ مَزِينِ الْمَجْلِسِ
 السُّلْطَانِيِّ بِالْوَقَارِ ، وَمَتَحِفِ الْمَلِكِ بِغَرِيبِ الْأَخْبَارِ ؛ وَخَطِيبِ مَنبَرِهِ الْعَالِي فِي الْجُمُعَاتِ ،
 وَقَارِيءِ الْحَدِيثِ لَدَيْهِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ .

ثُمَّ رَأَى - أَيْدِي اللَّهِ - أَنْ يُشْرِكَ رِعِيَّتَهُ فِي نَفْعِهِ ، وَيَصْرِفَ عَوَامِلَ الْحُظُوتِ
 إِلَى مَزِيدٍ رَفَعَهُ ، وَيُجْلِسَهُ مَجْلِسَ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لِإِيضَاحِ شَرْعِهِ ،
 وَأَصْلِهِ الْوَثِيقِ وَفِرْعِهِ ؛ وَقَدَّمَهُ - أَعْلَى اللَّهِ قَدَمَهُ ، وَشَكَرَ آلاءَهُ وَنِعَمَهُ - قَاضِيًا فِي الْأُمُورِ
 الشَّرْعِيَّةِ ، وَفَاصِلًا فِي الْقَضَايَا الدِّيْنِيَّةِ ؛ بِحَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ [الْعَلِيَّةِ] حَرَسَهَا اللَّهُ تَقْدِيمَ
 الْإِخْتِيَارِ وَالْإِتِّقَاءِ ، وَأَبْقَى لَهُ نَخْرَ السَّلَفِ عَلَى الْخَلْفِ وَاللَّهُ يَمْتَنِعُهُ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ .

فَلْيَتَوَلَّ ذَلِكَ عَادِلًا فِي الْحُكْمِ ، مُهْتَدِيًا بِنُورِ الْعِلْمِ ؛ مَسْوِيًا بَيْنَ الْخِصْمِ حَتَّى
 فِي لَحْظِهِ وَاللَّفَاتِهِ ، مُتَصِفًا مِنَ الْحِلْمِ بِأَفْضَلِ صِفَاتِهِ ؛ مَهِيبًا بِالذِّينِ ، رُءُوفًا بِالْمُؤْمِنِينَ ؛
 مَسْجَلًا لِلْحَقِيقِ ، غَيْرَ مُبَالٍ فِي رِضَا الْخَالِقِ بِسُخْطِ الْمَخْلُوقِ ؛ جَزَلًا فِي الْأَحْكَامِ ،
 مُجْتَهِدًا فِي الْفُضْلِ بِأَمْضَى حُسَامٍ ، مُرَاقِبًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ ، بَارًا
 بِمَشِيخَةِ أَهْلِ التَّوَثِيقِ ، عَادِلًا إِلَى سَعَةِ الْأَقْوَالِ عِنْدَ الْمَضْيِيقِ ، سَائِرًا مِنْ مَشْهُورِ
 الْمَذْهَبِ عَلَى أَهْدَى طَرِيقٍ - وَأَوْصَاهُ بِالْمَشُورَةِ الَّتِي تَقْدَحُ زِنَادَ التَّوْفِيقِ ، وَالتَّثْبِتِ

حتى ينبليج قياس التحقيق؛ وصية أصدرها له مصدر الذكوى التى تنفع، ويعلى الله بها الدرجات ويرفع، وإلا فهو عن الوصاة غنى، وقصده قصد سنى؛ والله عز وجل ولى إعانتة، والكفيل بحفظه من الشبهات وصيانتة .

[وأمره - أيدته الله - أن ينظر فى الأعباس على اختلافها، والأوقاف على شتى أصنافها]^(١) واليتامى التى أنسدلت كفالة القضاة على ضعافها . فيؤود عنها طوارق الخلل، ويجرى أمورها بما يتكفل لها بالأمل .

وليعلم أن الله عز وجل يراه، وأن فلتات الحكم تُعاوذه المراجعة فى أئحراه، فيدبر جنة تقواه، فسبحان من يقول: (إِنَّ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ) .

فعلى من يقف عليه أن يعرف حق هذا الإجلال، صائناً منصبه عن الإخلال، مبادراً أمره الواجب بالامتثال؛ بحول الله .

وكتب فى الثالث من شهر الله المحرم فاتح عام أربعة وستين وسبعائة، عرف الله فيه هذا المقام العلى عوارف النصر المبين والفتح القريب، بمنه وكرمه، فهو المستعان لارب غيره .



وهذه نسخة ظهير بقضاء الجماعة بالحضرة أيضا، وهو :

هذا ظهير كريم أعلى رتبة الأحتفاء [والأحتفال]^(١) اختيارا وأختبارا، وأظهر معاني الكرامة والتخصيص انتقاءً وأصطفاءً وإيثارا، ورفع لواء الجلالة على من أشتمل عليها حقيقةً وأعتبارا، ورقى فى درجات العزم من طاولها علاء بهر أنوارا، ودينا كرم فى الصالحات آثارا وزكا فى الأصالة نجارا، وخلوصا إلى هذا المقام العلى السعيد

(١) الزيادة عن ربحانة الكتاب، ونفح الطيب ص ٧٣ ج ٣ .

راق إظهاراً وإظهاراً. أمر به وأمضاه، وأنفذ العمل بحكمه ومقتضاه، فلان للشيخ
القاضي، العدل، الأَرْضَى، قاضي الجماعة وخطيب الحضرة عليه، المخصوص
لدى المقام العلىّ بالحُظوة السنيّة والمكانة الحَفِيَّة؛ انفاضل، الحافل، الكامل،
الموقر، المبرور أبي الحسن ابن الشيخ الفقيه، الوزير، الأجل، الأعزّ، الماجد،
الأسنى، المرقع، الأحفل، الأصحح، المبارك، الأكل، الموقر، المبرور، المرحوم
أبي محمد بن الحسن - وصلّ الله عزّته، ووالى رفعتَه ومبرّته، ووهب له من صلة
العناية الربّانية أمله وبُغِيته - لمّا أصبح في صدور القضاة العلماء مُشاراً إلى جلاله،
مستنداً إلى معارفه المخصوصة بكاله، مطرّزاً على الإفادة العلمية والأدبية بحاسنه
البديعة وخِصاله، محفوفاً مقعدُ الحكم النبويّ ببركة عدالتِه وفضلِ جلاله؛ وحلّ
في هذه الحضرة العلية المحلّ الذي لا يرقاه إلا عينُ الأعيان، ولا يتبوء مهاده إلا مثله
من أبناء المجد الثابت الأركان، وموالى العلم الواضح البرهان، والمبرزين بالماثر العلية
في الحُسن والإحسان. وتصدّر لقضاء الجماعة فصدرت عنه الأحكام الراجحة
الميزان، والأَنْظارُ الحسنة الأثير والعِيان، والمقاصدُ التي وفّت بالغاية التي لا تُستطاعُ
في هذا الميدان؛ فكم من قضية جلا بمعارفه مشكلها، ونازلة مبهمّة فتح بإدراكه
مُقفَلها، ومسألة مُهملة عرّف نكرتها وقزرها مهمَلها؛ حتى قزرت بعدالته وجزالته
العيون، وصدقت فيه الآمال النابجة والظنون، وكان في تصديره لهذه الولاية
العظمى من الحَيْرِ والحَيْرَةِ ما عسى أن يكون - كان أحقّ بالتشفيح لولاياته وأولى،
وأجدر بمضاعفة النعم التي لا تزال تترادف على قدره الأعلى.

فلذلك أصدر له - أيده الله - هذا الظهير الكريم مشيراً بالترفيح والتنويه، ومؤكداً
للاحتراف الوجيه؛ وقدمه - أعلى الله قدمه، وشكر نعمه - خطيباً بالجامع الأعظم

(١)
[من حضرته] - عمّره الله بذكره - من عليّة الخطباء، و كبار العلماء، و خيار الفقهاء
الصالحاء ؛ فليتولّ ذلك في جمعاته ، مظهرها في الخطبة أثر بركته و حسناته ، عاملاً على
ما يقتر به عند الله من مرضاته ، و يُظفره بجزيل مَثوباته ؛ بحول الله وقوته .

الضرب الثالث

(ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية)

وهذه نسخة ظهير بالقلم الأعلى المعبر عنه في بلادنا بكتابة السر ؛ وهى :

(٢)
هذا ظهير كريم نصب للمعمد به الإنافة الكبرى بابه فرّعه ، وأفرد له متلوّ العز
جمعه ووتره وشفعه ، وقتر به في إساط الملك تقريبا [أرغم به أنف عداه ووضع] ،
(٣)
وفتح له باب السعادة وشرعه ، وأعطاه لواء القلم الأعلى فوجب على من دون رتبته ،
من أولى صنغته ، أن يتبعه ؛ ورعى له وسيلته السابقة عند أستخلاص الملك لما
أبتّره الله من يد الغاصب وآنترعه ، وحسبك من ذمام لا يحتاج إلى شيء معه .

أمر به الأمير فلان لفلان - وصل الله سعادتة ، وحرس مجادته - أطلع له وجه
العناية أبهى من الصبح الوسيم ، وأقطعه جناب الإنعام الجميم ، وأنشقه أرج الحظوة
عاطر النسيم ، ونقله من كرسى التدريس والتعليم ، إلى مرقى التنويه والتكريم ،
والرتبة التي لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ؛ وجعل أقلامه جياداً لإجلالة أمره العلى ،
وخطابه السنى ، في ميادين الأقاليم ؛ ووضع في يده أمانة القلم الأعلى ، جارياً من

(١) الزيادة من "ريحانة الكتاب" .

(٢) في الريحانة «نصب المعتمد به للأمانة» الخ وهو أنسب بالمقام .

(٣) من "ريحانة الكتاب" .

الطريقة المثلى، على النهج القويم، وأختصه بمزية الشفوف على كُتاب بابه الكريم .
 لما كان ناهض الوكر في طلبه حضرته من البدايه ، ولم يزل تظهر عليه لأولى التميز
 محاييل هذه العنايه : فإن حضر حلق العلم جلي في حلبة الحفاظ إلى الغايه ؛ وإن نظم
 أو نثر أتى بالقصائد المصقوله ، والمحاطبات المنقوله ؛ فاشتهر في بلده وغير بلده ،
 وصارت أزمه العنايه طوعَ يده ، بما أوجب له المزيه في يومه وغده .

وحين ردّ الله عليه ملكه الذي جبر به جناح الإسلام ، وزين وجوه الليالي
 والأيام ، وأدال الضياء من الظلام ؛ وكان ممن وسمه الوفاء وشهره ، وعجم الملك
 عود خلوصه وخبره ؛ فحمد أثره ، وشكر ظاهره ومضمرة ؛ وأستصحب علي ركابه
 الذي صحب اليمن سفره ، وأخلصت الحقيقة نفره ، وكفل الله ورده وصدره ؛
 مميون النقيبه ، حسن الضريبه ؛ خالصاً في الأحوال المريبه ، ناطقاً عن مقامه
 بالمخاطبات العجيبه ؛ واصلاً إلى المعاني البعيدة بالعبارات القريبه ، مبرزاً بالخدم
 الغريبه ، حتى آستقام العباد ، ونطق بصدق الطاعة الحي والجناد ، ودخلت
 في دين الله أفواجا العباد والبلاد ، لله الحمد على نعمه الثرة العهاد ، وآلائه المتواليه
 الترداد - رعى له - أيده الله - هذه الوسائل وهو أحق من يرعاها ، وشكره الخدم
 المشكور مسعاها ؛ فقصر عليه الرتبة السماء التي خطبها بوفائه ، وألبسه أثواب
 أعتنايه ، وفسح له مجال آلائه ؛ وقدمه - أعلى الله قدومه ، وشكر نعمه - ، كاتب السر ،
 وأمير النهى والأمر ؛ تقديم الاختبار ، والأعتباط بخدمته الحسنه الآثار ، والتمين
 باستخدامه قبل الحلول بدار الملك والأستقرار ، وغير ذلك من موجبات الإيثار .

فليتول ذلك عارفاً بمقداره ، مقتفياً لآثاره ، مستعيماً بالكتم لأسراره ، والأضطلاع
 بعظام أموره وبقاره ، متصفاً بما يجمل من أمانته وعفافه ووقاره ؛ معطياً هذا الرسم

حقه من الرياسة ، عارفاً بأنه أكبر أركان السياسة ، حتى يتأكد الاعتباط بتقريبه وإدناؤه ، ونتوفر أسباب الزيادة فى إعلانه ، وهو - إن شاء الله - غنى عن الوصاة فهما ثاقبا ، وأدباً لعيون الكمال مُراقبا ، فهو يعمل فى ذلك أقصى العمل ، المتكفل ببلوغ الأمل .

وعلى من يقف عليه : من حملة الأعلام ، والكُتاب الأعلام ، وغيرهم من الكافة والخدام ، أن يعرفوا قدر هذه العناية الواضحة الأحكام ، والتقديم الراجح الأقدام ، ويوجبوا ما أوجب من البر والإكرام ، والإجلال والإعظام ، بحول الله وقوته ، وكتب فى كذا .

الطـرف الثالث

(فى مصطلح كُتاب الديار المصرية فيما قبل الخلفاء الفاطميين
وفى بعدهم إلى زماننا)

وفيه أربع حالات :

الحالة الأولى - ما كان عليه أمر نواب الخلفاء بهذه المملكة إلى ابتداء الدولة الطولونية .

ولم يكن لديوان الإنشاء بالديار المصرية فى هذه المدة صرف عناية ، تقاصراً عن التشبه بديوان الخلافة ، إذ كانت الخلافة يومئذ فى غاية العز ورفعة السلطان ، ونيابة مصر بل سائر النيابات مضمحلة فى جانبها ، والولايات الصادرة عن النواب فى نياباتهم متصاغرة متضائلة بالنسبة إلى ما يصدر من أبواب الخلافة من الولايات ، فلذلك لم يقع مما كتب منها ما تتوفر الدواعى على نقله ولا تتصرف الهمم لتدوينه مع تناول الأيام وتوالى الليالى .

الحالة الثانية — ما كان عليه أمر الدولة الطولونية من حين قيام دولتهم إلى آنقراض الدولة الأخشيدية .

وقد تقدم أن أحمد بن طولون أول من أخذ في ترتيب الملك وإقامة شعار السلطنة بالديار المصرية . ولما شَمَخَ سلطانه ، وأرتفع بها شأنه ، أخذ في ترتيب ديوان الإنشاء لما يحتاج إليه في المكاتب والولايات ، فاستكتب ابن عبد كان ، فأقام منار ديوان الإنشاء ورفع مقداره ، وكان يفتتح ما يكتبه عنه في الولايات بلفظ « إن أولى كذا » أو « إن أحق كذا » وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة عهد كتب به ابن عبد كان عن أحمد بن طولون بقضاء برقة تُرشد إلى ما عداها من ذلك وهي :

إِنَّ أَحَقَّ مَنْ آثَرَ الْحَقَّ وَعَمِلَ بِهِ ، وَرَاقَبَ اللَّهَ فِي سِرِّ أَمْرِهِ وَجَهْرِهِ ، وَأَحْتَرَسَ مِنَ الزَّيْغِ وَالزَّلَلِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَعَمِلَ لِمَعَادِهِ وَرَجَعْتَهُ ، إِلَى دَارِ فِائِتِهِ وَفَقْرِهِ وَمَسْكَنَتِهِ ، مَنْ جَعَلَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَاكِمًا ، وَفِي أُمُورِهِمْ نَازِرًا : [فَأَرَأَيْتَ] الدَّمَاءَ وَحَقَنَهَا ، وَأَحَلَّ الْفُرُوجَ وَحَرَّمَهَا ، وَأَعْطَى الْحُقُوقَ وَأَخَذَهَا ، وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَأَلَهُ عَنِ مِثْقَالِ الذَّرَّةِ مِنْ عَمَلِهِ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُ فِي قَبْضَتِهِ ، أَيَّامَ مُدَّتِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ دُنْيَاهُ نَكَرُوجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمَّه ، إِمَّا سَعِيدًا بِعَمَلِهِ وَإِمَّا شَقِيًّا بِسَعِيهِ .

وإِنَّمَا لِمَا وَقَفْنَا عَلَيْهِ مِنْ سَدِيدِ مَذْهَبِكَ وَقَوِيمِ طَرِيقَتِكَ ، وَجَمِيلِ هَدْيِكَ وَحُسْنِ سِيرَتِكَ ، وَرَجَوْنَاهُ فِيكَ ، وَقَتَّرْنَاهُ عِنْدَكَ : مِنْ سُلُوكِ الطَّرِيقَةِ الْمَثَلِيِّ ، وَأَقْتَفَاءِ آثَارِ أُمَّةِ الْهُدَى ، وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ لِبَاهْوَى — رَأَيْنَا تَقْلِيدَكَ الْقَضَاءَ بَيْنَ أَهْلِ نَعْرِ بَرَقَةَ ، وَأَمْرَنَا بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مِنْ طَلَبٍ ، وَلَا يُفُوتُهُ مِنْ هَرَبٍ — وَبِطَاعَتِهِ الَّتِي مِنْ آثَرِهَا

سعد، ومن عمل بها حُمد، ومن لزمها نجا، ومن فارقها هوى - وأن تواصل
الجلوس لمن بحضرتك من الخُصوم : صابرا بنفسك على تنازُعهم في الحقوق،
وتدافعهم في الأمور؛ غير برِّم بالمراجعات، ولا سَجِر بالمحاكات : فإن من حاول
إصابة فصل القضاء، ومواقفة حقيقة الحكم بغير مادة من حلم، ولا معونة من
صبر، ولا سُهمة من كَظْم، لم يكن خليقًا بالظفر بهما، ولا حقيقًا بالدرك لهما -
وأن تقسم بين الخصمين إذا تقدما إليك، وجلسا بين يديك، في لحظك ولفظك،
وتوفى كل واحد منهما قِسمه من إنصافك وعدلك؛ حتى يئأس القوى من ميلك،
ويأمن الضعيف من حيفك : فإن في إقبالك بنظرِكَ وإصغائك بسمعك إلى أحد
الخصمين دون صاحبه ما أضل الآخِر عن حُجته، وأدخل الحيرة على فكره ورويته -
وأن تُحضر مجلس قضائك من يُستظهر برأيه، ومن يرجع إلى دينٍ وِحْجًا وثقًى :
فإن أصبت أيدك، وإن نسيت ذكرك - وأن تقتدى في كل ما تُعمل فيه
رويتك، وتُضى عليه حكمك وقضيتك، بكتاب الله الذى جعله صراطا مستقيما،
ونورا مستبينًا؛ فشرع فيه أحكامه، وبين حلاله وحرامه، وأوضح به مشكلات
الأُمور، فهو شفاء لما فى الصدور . وما لم يكن فى كتاب الله جل وعز نصه
فإن فيما يؤثر عن النبى صلى الله عليه وسلم حُكمه؛ وما لم يكن فى حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم آقتفت فيه سبيل السلف الصالح من أئمة الهدى رضى الله
عنهم الذين لم يألوا الناس اختبارا، ولا أدخروهم نصيحةً وأجتهدا؛ عالما أنك
أسعد بالعدل ممن تعدل عليه، وأحظى بإصابة الحق ممن تُصيبه فيه : لما تتعجله
من جميل أحدوثته وذِكْره، ويُدخرك من عظيم ثوابه وأجره، ويُصرف عنك من
حُوب ما تثقلده ووزره - وأن يكون الذين تحكم بشهادتهم [من] أهل الثقة فى أديانهم،
والمعروفين بالأمانة فى معاملاتهم، والموسومين بالصدق فى مقالاتهم، والمشهورين

بالتقدم في عدالاتهم : فإنك جاعلهم بين الله وبينك في [كل] كلام تُصَدِّره، وحكم
تبرمه، وحقيق بأن لا ترضى لنفسك منهم إلا بما يرضى منك، وتعلم أن ذلك هو
الصدق، وأنت قد أبلت عُذْرَكَ في تحيُّهم، فإنه بعلم أن ذلك هو الصدق من نيتك،
والصحة من يقينك، تحسن عليه معونتك، ويحضرك التوفيق في جميع أفضيتك -
وأن يكون من تستعين به على المسألة عن أحوال هؤلاء الشهود ومذاهبهم،
وما يعرفون به وينسبون إليه في رحالهم ومساكنهم أهل الورع والأمانة، والصدق
والصيانة - وأن تجدد المسألة عنهم في كل مرة، وتفحص عن خبرهم في كل قضية؛
ثم لا يمنعك وقوفك على سقوط عدالة من تقدمت بتعديله من استقبال الواجب
في مثله، واستعمال الحق في أمره - وأن تُسْرِف على أعوانك وأصحابك، ومن تجرى
أمورك على يديه من خلفائك وأسبابك؛ إشرافا يمنعهم من الظلم للرعية، ويقبض
أيديهم عن المآكل الرديئة؛ ويدعوهم إلى تقويم أودهم، وإصلاح فاسدهم، ويزيد
في بصيرة ذوى الثقة والأمانة منهم؛ فمن وقفت منه على أمثالٍ لمذهبك، وقبول
لأدبك؛ وأقتصار فيما يتقلده لك، أقررتَه وأحسنَت مكافأته ومثوبته، ومن شِمت
منه حيفا في حكمه، وتعديا في سيرته، وبسطا ليده إلى ما لا يجب له، تقدمت
في صرفه، وأزمتَه في ذلك ما يلزمه - وأن تختار لكاتبك من تعرف سداد مذهبه،
وأستقلاله بما يتقلده، وإيثارا لرس (١) من صحته، ومن تقدَّر عنده تقديما
في نصيحتك فيما يجرى على يديه، وتوخيا لصدقك فيما يحضره وتغيب عن مشاهدته؛
فإنك تأمنه من أمر حكمك على ما لا يؤتمن على مثله إلا الأمين، وتفوض إليه
من حُجج الخصوم المرفوعين إليك ما لا يفوض إلا لذي العفاف والدين - وأن تتفقد

(١) لعله « وإيثاره للتأكد من صحته » . تأمل .

(٢) لعله « تحريا » . تأمل .

مع ذلك أمره، وبتصفّح عمله، وتُشْرِفَ على ماتحت يديه بما يؤدّيك إلى إحكامه
وضبطه، ويؤمّنك من وقوع خلل فيه - وأن تختار لِحجَابَتِكَ من لا يتجهم الخُصوم،
ولا يختصّ بعضها دون بعض بالوصول؛ وتُوَعزَ إليه في بسط الوجه، ولين
الكنف، وحسن اللفظ، ورفع المئونة، وكف الأذى.

فتقلّد ماقلدناك من ذلك عاملاً بما يحقّ عليك لله جلّ وعزّ ذكره، ومستعيناً به
في أمرك كلّ: فإنّا قلدناك جسماً، وحملناك عظيماً، وتبرّأنا إليك من وزره
وإصره، واعتمدنا عليك في توحى الحقّ وإصابته، وبسط العدل وإفاضته؛
وأقبض لأرزاقك وأرزاق كُتّابك وأعوانك ومن يحجّبك ولثمن قراطيسك وسائر
مؤنك في كل شهرٍ أربعين ديناراً؛ فقد كتبنا إلى عامل الخراج بازاحة ذلك، أوقات
استحقاقك إياه ووجوبه لك، وإلى عامل المدينة بالشّد على يدك، والتقوية
لأمرك؛ وضمّ العدة التي كانت تُضمّ إلى القضاة من الأولياء إليك، وهما فاعلان
ذلك إن شاء الله تعالى.

الحالة الثالثة - ما كان عليه الأمر في زمن بنى أيوب.

وكانوا يسمون ما يكتب عن ملوكهم من الولايات لأرباب السيوف والأقلام
«تقاليد» و«تواقيع» و«مراسيم» وربما عبّروا عن بعضها بـ«لمنّاشير»
وهي في الافتتاحات على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى - أن تفتتح الولاية بخطبة مبتدأة بالحمد لله تعالى ثم يؤتى
بالبعديّة، ويذكر ما سنّح من حال الولاية والموتى، ويوصى الموتى بما يليق
بولايتهم، ثم يقال: «وسبيل كلّ واقفٍ عليه من النّواب العملُ به» أو نحو ذلك.

وهي على ثلاثة أصناف:

الصف الأول - أرباب السيوف من هذه المرتبة

وهذه نسخة توقيع بولاية ناحية وإقطاع بلادها لمتوليها ، وهى :

الحمد لله على عوائده الجميلة وعواطفه ، وفوائده الجزيلة وعوارفه ؛ ناصب الحق وناصره ، وقاصم الباطل وقاصره ؛ ومُنير الدين ومُدِيله ، ومُبيِّر الكُفْر ومُدِيله ؛ وشادّ أزر أوليائه وسادّ ثغره ، وناصر مُعزّه ومُعزّ نصره ؛ الذى أضفى علينا مدارع نعمة ، وأصفى لدينا مشارع كرمه ؛ وأعلق أيدينا من العدل بأوكد الأسباب والأمراس ، وصرف بنا صرف العسف وكفّ بكفايتنا كفّ البؤس عن الرعية واللباس ؛ وجلب إلى استجلاب الشكر من الناس همتنا ، وطوى على حبّ البر وإبرار المحب طويتنا ؛ وحسم بما أولانا من أيدٍ مادّة كلِّ يدٍ تمتدّ إلى محذور ، ويسرنا بيساط العدل المطوى لما طوى بعدلنا بساط الظلم المنشور ؛ وأبى لنا أن نكفر نعمة أو نههها لكافر ، أو ندع شكر منة أو نُودعها عند غير شاكر .

ولما كان الأمير فلان ممن سبقت لجدّه ولأبيه - تعاهد الله بالعهد مثنوهما ، وخص بثرار الرحمة ثراهما - الحرم الأكيده ، والخدم الطريفة والتليده ؛ ولم يزالا مجتهدين فى تعمير هذا البيت وتشيد أسسه ، ملازمي الإداب فى إنمائه وتشديد غرسه ، مفضيين بالموالاة إلى مواليسه ، مفضحين بالمعاداة لمُعاديه ، رأينا - لا زال الإقبال لآرائنا مقابلا ومرافقا ، والسعدُ مساعداً والتوفيقُ موافقا - أن نلحقه بدرجة أوليه ، ونورده من كرمنا مورد جدّه وأبيه ؛ ونثني إليه عنان عنايتنا ، ونرعاه بعين رعايتنا ؛ ونلحقه جناح لطفنا ، ونبوئه مقعد شرف تحت ظلنا ؛ ونخرس حده من الفلول ، وجدّه من الخمول ؛ وعوده من الخور ، وورده من الكدر ؛ وأن نقره

على ما يؤانأ فيه والِدَه من الهبات والإنعام والإفضال والإحسان، وجميع ما دخل تحت أسمه من المعاقل والبُلدان، وسيُصحَّح ذلك بقلم الديوان .

فليقابل هذا الإنعام من الشكر بمثله ، ويواز هذا الإفضال من حُسن القبول يَعِدله ؛ وليرتبط نِعَمَ الله عنده بالشكر الوافى الوافر، فالسعيدُ من أطرح خلة الشاكي وأدرع حلة الشاكر ؛ وليُدمن التحدُّث بها فالتحدُّث بالنعم من الشكر ، ويستجذب موادها بإيضاح سُبُل البر ؛ ويجعل التقوى شعاره وديناره ، ويُخلص الطاعة لله إِيْراده وإصداره .

وليكن العدل رِيئته ورائده ، والأمرُ بالمعروف دليله وقائده ؛ وليتِم فيما نيظ به حق القيام، ويشمر في حفظ ما استرعيناه عن ساق الإهتمام، ويعلم أن منزلته عندنا أسنى المنازل وأعلاها، ومرتبته لدينا أهبج المراتب وأبهاها ؛ ومحله عندنا السامى الذى لأيضاهيه سامى، ومكانه المكان الذى ليس له فى الممكن أن يفتزع علمه سامى ؛ فسبيله علم ذلك وتحقيقه، وتيقنه وتصديقه، وسبيل كل واقف على هذا المثال ، [أن] يقابله بالأمثال ، من سائر العَمال ، وأرباب الولايات والأعمال . والاعتماد على العلامة الشريفة فى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

الصنف الثانى — أرباب الوظائف الدينية

وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة والنظر عليها، والتحدُّث على أوقافها وسائر تعلقاتها، وهى :

الحمد لله الظاهر إحسانه، الباهر برهانه ؛ القاهر سلطانه ، المتظاهر أمتنانه ؛ نحمده على إنعامه حمداً يدوم به من حلب غزارته وحلى نضارته ازدياده وأزديانه ،

ونسأله أن يصلّي على سيدنا محمد نبيّه الشارح الشارح بيانه ، وعلى آله وصحبه الذين هم أعضاد شرعه وأركانُه .

أما بعد ، فإنّنا لما نراه من تشييد بيوت ذوى البيوتات ، وإمضاء حكم المروءة فى أهل المروءات ، وإرعاء موات ذوى الحقوق الحقيقة بالمراعاة وإحياء الموات ، وموالات النعم الشامل عمومها لأولى الخُصوص والخُلُوص فى الموالات ، ما نزال نلحِق درجَات الأخلاف منهم فى الاختصاص بالاستخلاص بالأسلاف ، فنوردهم من مشارع دولتنا ومشارب نعمتنا فى الأصطفاء والأصطناع أعذب النطاف ، ومُجَنِّبهم من مغارس الرجاء ، ومجارى التَّماء ، فى الإذناء والاجتباء ، ثمرات النعم الدانية القِطاف ؛ ونُفِيض عليهم من مَدَارِع البهجة والبهاء ، وحُلل الثناء والسَّناء ، فى الاكرام ، بالاحترام ، ما يصفو على الأعطاف .

ولما كان الشيخ فلان متوحدا بالنسب الأثير الأثيل ، والحسب الجلىّ الجليل ، والمحتد الأکید الأصمیل ؛ والفضل الموروث والمكتسب ، والزكاء فى المسمى والمتسب ؛ والدكاء الذى أنارت فى أفق التوفيق ذكأؤه ؛ والولاء الذى بان فى شرعة الإخلاص صفأؤه ؛ والدين الذى علا سناسنته ، فى منار التحميد ، والخُلُوص الذى حلّا جنى جنته ، فى مذاق التوحيد ؛ والرياسة التى تَصَوَّع رياء رياضها الموثقه ، والسماحة التى تتوّح حيا حياضها المغدقه ؛ والأمانة التى نهضت بها فضائله ، والموالات التى تجحت بها عندنا وسائله - رأينا إجراءه على عادة والده فى تولى المدرسة المعمورة التى أنشأها جدّه للشافعية بحلب ، وأوقافها ، وأسبابها ، وتدريسها ، وإعادتها ، وأستنابة من يراه ويختاره فى ذلك كله ، والنظر فى جميع ما يتعلق بها كثره وقله ؛ وترتيب الفقهاء فيها ، وتقرير مشاهراتهم على ما يراه من تفضيل وتقديم ، وتفصيل

وتقسيم ، وتخصيص وتعميم ، ونقص وتكميل وتتميم ، وحفظ الوقوف بالأحتياط
 فى مصارفها ، والعمل فيها ، بشروط محبسيها وإطلاقها بقيود واقفيها ، بالأبتداء
 بالعارات ، التى تؤذن بتوفير الأرتفاعات ، وتكثير المغلات ، وتتمية الثمرات ،
 مستشعرا تقوى الله التى هى حلية الأعمال الصالحات ، والعصمة الباقية والحنة
 الواقية عند النابات . وفوضنا ذلك إلى أمانته ، وبعده إلى من يقوم مقامه من
 إخوته ، تشييدا لبيتهم الكريم ، وتجديدا لمجدهم القديم ، ورفعنا لمكاتهم المكيته ،
 وحفظا لمرتبتهم المصونه . وأمرنا بإعفاء جميع أوقاف المدرسة وسائر أوقافهم ،
 وأملاكه وأملاك إخوته وحمايتهم من جميع المظالم والمطالب ، والنواب والشوائب ،
 والعوارض والعراض واللوازم والكلف ، والمؤون والسخر ، والتبن والخطب ،
 والأطباق والأنزال ، وسائر التوزيعات والتقسيمات والأنفال ، وإعفاء فلاحيها
 ومزارعيها من جميع ذلك ، وإطلاق كل ما يصل من مغلات الأوقاف والأملاك
 المذكورة إلى مدينة حلب من جميع المؤون على الإطلاق ، وكذلك جميع ما لهم من
 البضاعات والبياعات والتجارات معفاة مطلقة لا اعتراض عليها لأحد ، ولا تمتد إلى
 شىء منها يدى يد . وليتول ذلك على عادته المشكوره ، وأمانته المشهوره ، بنظر
 كافي شاف ، وكريم وافر واف ؛ وورع من الشوائب صاف ، وعزوف عن الدنيات
 بالدنيات متجاف ؛ وسداد لركن المصالح شائد ، وتذكر لترقى مواد المنابح رائد ؛
 ورأي فى ذمة الصواب راجح ، وسعى برتبة الرشاد ناجح ؛ وهمة عالية فى نشر العلم
 بالمدرسة وإعلاء مناره ، وإلزام الفقهاء والطلبة بتدريسه وإعادته وحفظه وتكراره ؛
 ومروءة تامة فى الأشمال على إخوته ومخلفي أبيه بما يصل به الرحم ، ويظهر به
 الكرم ، ويحيى من مفاخر آباءه الرمم ، ويقوى لهم من معاهد مكارمه العصم . وسبيل
 الولاة والنواب وكل واقف على هذا المشال إمضاء ذلك كله على سبيل الأستمرار ،

وتصرم الأعمار ، وتصرف الأعصار ، وتقلب الأحوال والأدوار ، وحفظه فيهم
وفي أعقابهم على العصور والأحقاب ، ووصل أسبابه عند انقطاع الأسباب ،
من فسح ينقض مبرم معاقده ، أو تسخ يقوض محكم مقاعده ، أو تبديل يكدر صافي
موارده ومشارعه ، أو تحويل يقلص ضافي ملبسه ومدارعه . وليبدل لهم المساعدة
في كل ما يعود له ولجماعته بصلاح الحال ، وفراغ البال ونجاح الآمال ، وإقامة الجاه
في جميع الأحوال . والعمل بالأمر العالی وبمقتضاه ، والاعتدأ على التوقيع الأشرف
به إن شاء الله تعالى .

الصنف الثالث — أرباب الوظائف الديوانية

وهذه نسخة توقيع بوزارة ، من إنشاء بعض بني الأثير ، وهي :

الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من عباده ، وأغنانا بمزيد عطائه عن أزيدائه ،
وجعلنا من استخلفه في الأرض فشكر عواقب إصداره ومبادئ إيراده .

نحمده ولسان أنعمه أفصح مقالاً وأفسح مجالاً ، وإذا اختلفت خواطر الحامدين
روية كآثرها أرتجالاً ؛ ونسأله أن يوفقنا لتلقى أوامره ونواهيها بالاتباع ، وأن يصني
بقلوبنا إلى إجابة داعي العدل الذي هو خير داع ، ويُنقذنا من تبعات ما استرعانا
يوم يُسأل عن رعيته كل راع .

أما بعد ، فإن الله قرن استخارته برشده ، وجعلها نوراً يهتدى به في سُلوك جده ،
ويستمد من يمن صوابه ما يغني عن الرأي ومدده . ومن شأننا أن نتأدب بأداب الله
في جليل الأمر ودقيقه ، وإذا دلّ التوفيق أمراً على عمله دلّ عملنا على توفيقه ؛
فمن عنوان ذلك أنا أصطفينا لوزارتنا من تمجدنا الأيام من أجله ، وتحسدنا الملوک
على مثله ، ويعلم من أتى في عصره أنه فات السابقين من قبله ، وهو الوزير الأجل

السيدُ الصدرُ الكبيرُ؛ جلالُ الدين، شرفُ الإسلام، مجتبيُ الإمامِ نحرُ الأنام؛
وليست هذه النعوت مما تزيد مكانه عرفاً، ولا تستوفى من أوصافه وصفاً؛
وإن عدها قومٌ جُلٌّ ما يدخرونه من الأحساب، ومعظم ما يخلفونه من التراث
للأعقاب؛ ولا يفخر بذلك إلا من أعدم من ثروة شريفه، ورضى من الجوهر
بصدفه؛ وأنت فغير فاجرٍ به ولا بما ورثته من مجد أبيك الذى أضحيت الأيام به
شهوداً، والجُدود له جُدوداً، وغداً وكأنَّ عليه من شمس الضحى نوراً ومن الصباح
عموداً؛ وقد علمت أنه كان إليه نَسَبُ المكارم وسيمها، وكان ما بلغه منها أعظم
ما بلغه من دنياه على عظيمها؛ ألك خلفت لنفسك مجداً منك ميلادُه، وعنك
إيجادُه؛ وإذا آقرن سعى الفتى بسعى أبيه فذلك هو الحسب الذى تقابل شرفاه،
وتلاقى طرفاه، وغض الزمان عنه طرفه كما فتح بمدحه فاه؛ وإذا استطرفت سادة
قوم بنيت بالسؤدد الطريف التليد، ولقد صدق الله لهجة المثنى عليك إذ يقول:
إنك الرجل الذى تضرب به الأمثال، والمهدب الذى لا يقال معه: أى الرجال؛
وإذا وازرت مملكة فقد حظيت منك بشد أزرها، وسد ثغرها، وأصبحت وأنت
صدر قلبها وقلب لصدرها؛ فهى مزدانةٌ منك بالفضل المبين، معانئةٌ بالقوى
الأمين؛ فلا تبيت إلا مستخدماً ضميرك فى ولأها، ولا تغدو إلا مستجدياً كفايتك
فى تمهيدها وإعلائها.

ومن صفاتك أنك الواحدُ فى عدم النظر، والمعدودُ بألف فى صواب التدبير،
والمؤازرُ عند ذكر الخير على الإعانة وعند نسيانه على التذكير؛ ولم ترق إلى هذه
الدرجة حتى نكحت عقبات المعالى ففضيت أجلاًها، وأنست من طور السعادة نارا
فهديت لها؛ ولم تبلغ من العمر أشده، ولا نزع عنك الشباب برده؛ بل أنت
فى ريعان عمرك المتجمل بريعان سُودده، المتقمص من سيم الخلال ما أبرز وقار

المشيب في أسوده . وهذا المنصب الذي أهلت له وإن كان ثاني الملك محلاً ، وتلوه عقداً وحلاً ؛ فقد علا بك قدره ، وتأبل بك أمره ؛ وأصبح وشخصك في أرجائه مناراً ، ورأيك وفضلك من حوله سور وسوار ؛ وله من قلمك خطيب يجادل عن أحساب الدولة فيفتحها فخراً ، وسيف يجالد عن حوزتها فيمنحها نصراً ؛ ولقد كان من قبلك وقبل أيك مكرها على إجابة خاطبه ، والترول إليه عن مرآته ؛ فلما جئناه استقر في مكانه ، ورضى بعلو شأنك لعلو شأنه ؛ وقد علم الآن بأنك نزلته نزول الليث في أجمه ، وأستقلت به أستقلال الرمح بأحدمه (؟) ؛ وما زالت المعالي تسفر بينك وبينه وأنت مشغول بالسعي للسيادة وآدابها ، عن السعي للسعادة وطلابها . نخذ ما وصلت إليه باستحقاق فضلك ومناقبه ، لا باتفاق طالعك وكواكبه .

وأعلم أن هذه النعمة وإن جاءتك في حقلها ، وأناخت بك بصاحبها وأهلها ؛ فلا يؤنسها بك إلا الشكر الذي يجعل دارها لك داراً ، ووُدّها مستملاً لك لا معاراً ؛ وقد قيل : إن الشكر والنعمة توءمان ، وإنه لا يتم إلا باجتماع سر القلب وحديث اللسان ؛ فاجعله معروفها الذي تُمسكها بإحسانه ، وتقيدها بأشطانه .

وقد أفردنا لك من بيت المال ما تستعين به على فرائض خدمك ونوافله ، وترد فضله على آبناء مجديك وفضائله ؛ وذلك شيء عائد على الدولة طيب سمعته ، فلها محمود ذكره ومنك موارد شرعته ؛ وإذا حُمدت مناهل الغدر كان الفضل للسحاب الذي أغدرها . والمفرد باسمك من بيت المال كذا وكذا .

وكل ما تضمنته تقليد غيرك من الوصايا التي قرعت له عصاها ، ونبتت له حصاها ، فأنت مستغن عن استماعها ، مكتفٍ بأطلاع فكرك عن اطلاعها ؛ غير أنا نسألك كما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً ، ونسأل الله أن يجعل لك

من أمرِك يُسرا ومن عَزَمِك نَفَاذا ، وقد أجبنا لسانَ حالك بأنك تأخذ بتقوى الله
التي ضمنَ لها العاقبه ، وجعل شيعتَها الغالبه ؛ وأنتك تجعلُها بينك وبينه سببا ممدودا ،
وبينك وبين الناس خُلُقًا معهودا ؛ حتى تُصبح وقد أمنتَ من دهرِك عِثارا ، ومن
أبنائه أسماءا وأبصارا — ومن شرائطها أن يكونَ الرجلُ المسلم الذي سلم الناسُ
من يده ولسانه ، وفي هذين كفاية عن غيرهما من الشيم ، التي تُحفظُ بها سياساتُ
الأمم : فإنَّ العدل هو الميزان الذي جعله الله ثانيَ الكتاب ، والإحسان الذي هو
الطينة التي شاركتها القلوبُ في جِبَلَّتْها مشاركة الأحاب .

وأما ماسوى ذلك من سياسة الملك في تقرير أوصوله ، وتدير محصولة ؛ كالبلاد
وأستعجارها ، والأموال وأستثمارها ؛ وولاية الأعمال وأختبارها ، وتجنيد الجنود
وأختيارها ؛ فكلُّ ذلك لا يصدر تديره إلا عن نظرك ، ولا يُمشى فيه إلا على
أثرك ؛ وأنت فيه الفقيهُ أبْنُ الفقيه الذي سرى إليك علمه نفسا ودرسا ، وثمره
وغرسا ؛ فهذا كتابُ عهدنا إليك : نخذه بقوة الأمانة التي أبت السموات والأرض
حملها ، وما أطاقَتْ ثقلها ؛ والله يسلك بك سَدَدا ، ويتحرى بك رَشَدا ، ويلزمك
التوفيقَ قلبا ولسانًا ويذا ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخةٌ توقيع باعادة النظر بنظر الإسكندرية لأبن بصاصة في شهر
سنة ثمان وسبعين وستائة ، وهي :

الحمدُ لله الذي أضحك الشغور بعد عبوسها ، وردَّ لها جمالها وأنار أفاقها بطلوع
شموسها ، وأحيا معالم الخير فيها وقد كادت أن تُشرف على دروسها ؛ وأقام
لمصالح الأمة من يُشرق وجهُ الحق ببياض آرائه ، وتلتدُ الأسماعُ بتلاوة أوصافه

الجميلة وأنبائه ؛ حمد من أُسبغت عليه النعماء ، وتمادت إليه الآلاء ، وخطبته
لنفسها العلياء .

وبعد ، فأحق من ماس في أندية الرياسة عطفاً ، وأستجلى وجوه السعادة من
مُجِبِّ عِزِّهَا فَأَبَدَتْ لَهُ جَمَالاً وَلُطْفًا ؛ وَأَصْطَفَتْهُ الدَّوْلَةُ الْقَاهِرَةُ لِمَهْمَاتِهَا لَمَّا رَأَتْهُ
خَيْرَ كَافِلٍ ، وَتَقَلَّ فِي مَرَاتِبِهَا السَّنِيَّةِ تَنْقُلُ النَّيِّرَاتِ فِي الْمَنَازِلِ ^(١) .

ولما كان المجلس السامى القاضى ، الأجل ، الصدر ، الكبير ، الرئيس ، الأوحد ،
الكامل ، المحبب ، المرتضى ، الفاضل ، الرشيد ، جمال الدين ، نحر الأنام ، شرف
الأكابر ، جمال الصدور ، قدوة الأمناء ، دُخْرُ الدَّوْلَةِ ، رِضَى الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ،
الحسين بن القاضى زكى الدين أبى القاسم - أدام الله رفعتَه - ممن أشارت إليه
المناقبُ الجليله ، وصارت له إلى كل سُؤْلِ نِعَمِ الوَسِيلِهِ - رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي ،
المولوى ، السلطانى ، الملكى ، العادلى ، البدرى ، - ضاعف الله علاه ونفاذه -
أن يفوض إليه نظرُ ثغر الإسكندرية المحروس ونظر متاجره ، ونظر زكواته ونظر
صادره ؛ ونظر قوة والمزاحمتين ، فيقدم خيرة الله تعالى ويياشر هذا المنصب المبارك ،
بعزماته الماضيه ، وهممه العاليه ؛ برأى لا يساهم فيه ولا يُشارك ، ليصبح هذا الثغر
بمباشرتَه بِاسْمِ حَالِيَا ، وتعود بهجتُه له بجميل نظره ثانيا . ويتصّب لتدبير أحواله على
عادته ، ويقتر قواعده بعالي همته ؛ ويجتهد في تحصيل أمواله وتحصين ذخائره ،
وأستخراج زكاته وتتمية متاجره ؛ ومعامله التجار الواردين إليه بالعدل الذى كانوا
ألفوه منه ، والرفق الذى نقلوا أخباره السارة عنه ؛ فإنهم هدايا البحور ، ودوالبه

(١) لم يذكر خبر المبتدا ولعله سقط من قلم الناصح وأصله « من اشتهر بحاسن الخلال ، ومحامد الخصال ،

وساس الأمور برأيه الراجح ، ودبرها بسعيه الناجح ، ولما « الخ أو نحو ذلك فتنبه .

الثغور، ومن ألسنتهم يطالع على ما يُجنُّه الصدور، وإذا بذر لهم حب الإحسان
نشروا له أجنحة مرايكهم وحاءوا عليه كالطيور. وليعتمد معهم ما تضمنته المراسيم
الكريمة المستقرة الحكم إلى آخر وقت، ولا يسلك بهم حالة تُوجب لهم القلق والتظلم
والمقت؛ وليواصل بالحمول إلى بيت المال المعمور، وئيملاً الخزان السلطانية
من مستعملات الثغر وأمتعته وأصنافه بكل ما يُستغنى به عن الواصل في البرور
والبحور؛ وليصرف همته العالية إلى تدير أحوال المتاجر بهذا الثغر بحيث ترتفع
رؤوس أموالها وتنمي، وتجوّد سحاب فوائدها وتحمي؛ وليراع أحوال المستخدمين
في مباشراتهم، ويكشف عن باطن سيرهم في جهاتهم؛ ليتحققوا أنه مهيمن عليهم،
وناظر بعين الرأفة إليهم؛ فتتكف يد الخائن منهم عن الخيانة، وتتحلى أنامل الأمين
بمحاسن الصيانة؛ ولتتفق فيما يأتيه ويذره، ويقدمه من المهمات ويؤخره، مع المجلس
السامى، الأمير، الأجل، الكبير، المجاهد، المقدم، الأوحيد، النصير، شمس الدين،
متولى الثغر المحروس - أدام الله نعمته - فإنه نعم المعين على تدير المهمات، ونعمت
الشمس المشرقة في ظلم المشكلات. وليطالع بالمتجددات في الثغر المحروس، ليرد
الجواب عليه عنها بما يشرح الصدور ويطيب النفوس؛ وليتناول من الجامكية
والجراية عن ذلك في غرة كل شهر من استقبال مباشرته ما يشهد به الديوان المعمور
لمن تقدمه من النظار بهذه الجهات، وهى نظر الثغر وما أضيف إليه على ما شرح
أعلاه.

المرتبة الثانية

(أن تفتح الولاية بلفظ « أما بعد حمد الله » أو « أما بعد فإن كذا »

ويؤتى بما يناسب من ذكر الولاية والمولى ، ثم يذكر ما سنع

من الوصايا ، ثم يقال « وسبيل كل واقف عليه »)

فمن المكتتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة ما كان يُكتَب لبعض الولاة .

وهذه نسخة بولاية الشرقية ، وهي :

أما بعد ، فإننا لما منحنا الله إياه من معجزات النصر المستنطق الألسنة بالتسبيح ،
وأتانا من نظر حى ناصر عيش الأمة من التصويح ، وألبسناه من ثياب العظمة
المخصوصة بأحسن التوشيع والتوشيح ، ووقفنا له من أصطفاء من نُقبل عليه بوجه
التأهيل للمهمات والترشيح ، وقواه من عزائنا التي تُرجُّ بها أرض الكفر وتدوخ ،
ووسعه لنا من الفتوح التي أنبأوها خير ما تُصدر به السير وتورخ - لانزال نبالغ فيما
صان الحوزة وحاطها ، ومد رواق الأمانة ومهد بساطها ، وقرب نوازح المصالح
وجمع أشتاتها ، وأوجب أنصرام جبال آختلال الأمور وأقتضى أنبتاتها .

ولما كانت الأعمال الشرقية جديرة بمتابعة الاعتناء ومولاته ، وإعراق كرم التعهد
فيما يحفظ نظامها بمغالاته ، وأحقها بأن تُصرف إلى صونها وجوه الهمم الطوامح ،
ويوقف عليها حسن الاحتفال الجامع دواعي تذليل الجاح ، إذ كانت أجدر الأعمال
بِكلاءة الفروع من أوضاعها والأصول ، والباب الذى لا يجب أن يدخله إلا من
أذن له فى القدوم إليها والوصول ، ويتعين التحرز على الطرقات التى منها إليها
الإفضاء ، ويوكل بما دونها من المياه عيون حفظة لا يلزمها النوم والإغضاء ،

— وكنت أيها الأمير أشدَّ الأمرءِ باسا، وأوفاهم لحسن الذكر الجميل لباسا؛
وأكثرهم لمهيج الأعداء آختلاسا، وأجمعهم للحاسن المختلفه ضُروبا وأجناسا؛ وقد
تناصرت على قُصودك الحسنة وإصحات الدلائل، وتحت أجيادِ خلاك من جواهر
المفآخر بقلائد غير قلائل؛ وأستطار لك أجملُ سُمعه، وفطمتُ سؤفك أبناء الكُفر
عن ارتضاعها من الملة الإسلامية تدى طمعه؛ ولا أستبهمت طرق السياسة
إلهديت إلى مجآهلها، ولا حلاَّ التقصير سواك عن شرائع النعم إلا غدوت بكفآيتك
وارد منآهلها؛ وكَم شهدت مقام جلاذ، وموقِف جهاد؛ فمزقت ثوبَ مارقته نسجا،
وأدلت فى ليل قسطله عوادى صوارمك شرجا، وقُمت فيما وكل إليك من أمور
الفاقوسية وقلعتى صدرِ وأيلة حرسهما الله تعالى قياما أحظاك بالثناء والثواب،
وأستنبت فى كلِّ منها من أجرى أمورها على الصواب - خرج أمر الملك الناصر بكتب
هذا السجل بتقليدك ولاية الأعمال الشرقية المقدم ذكرها .

فاعتمد مباشرتها عاملا بتقوى الله التى مغمها خير ما أقتاده مستشعروها لأنفسهم
وأستأقوه . قال الله تعالى : ﴿ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ﴾
وأبسَط العدل على أهل هذه الولاية، وأخصص أهل السلامة بما يُسبل عليهم
ستر الحياطة والحمايه؛ وتطلب المفسدين أتم تطلب، وأحظر عليهم التنقل فى هذه
البلاد والتقلب؛ ومن ظفرت به منهم فقايله بما يُوجب حكمة جريته، ويقتضيه
موقع جريمته، ويجعله مُز دجرا لسالكى طريقته . وشد من المستخلف على الحكم
العزیز شدا ينصر جانب الشرع ويعزه، ويكثر به على الباطل ترويع الحق وآزه؛
وَأَعِنِ المستخدمين فى المال على استيفائه من وجوهه عند وجوبه، وبلغ كلاً منهم
من الإعانة على تحصيله أقصى مطلوبه؛ وقوأيديهم فى تخضير البلاد وتعميرها،

وأبعث المزارعين على مباشرة أحوال الزراعة وتقرير أمورها ، وفيما يُسترعونه من مَصَالِح الأعمال ، ويعود عليهم في موجبات الرجاء بمناجح الآمال . وراع أمر السُّبُل والطُّرُقَات ، وأجعل احتِراسك عليها الآن موفياً على المتقدم من سالف الأوقات ؛ ولا تن في إنفاذ المتخبرين إلى بلاد العدو ، وتحديثهم في الرواح والغدو ، بما يمنعمهم من الهدو ؛ وكشف أخبارهم ، وتتبع آثارهم ، وتسيير الجواسيس إلى ديارهم ؛ حتى لا تخفى عنك من شؤونهم خافيه ، ولا يجدوا سبيل غرة يهتبلونها - والعياذ بالله - بالجملة الكافية . وطالع بما يتجدد لك وما يرد من الأنباء عليك ، وغير ذلك مما يحتاج إلى علمه من جهتك ، وما تجرى عليه أحكام خدمتك ، فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية الغربية من هذه المرتبة ، وهي :

أما بعد ، فإننا لما آتانا الله من سعادة لطرق الإرادات فيها تعييد ، وأسبغنا بنا من نعم لا يعدها التحديد ، ولا يحدها التعييد ؛ وأبهجنا به من آكتناف المطالب بنجاح لا يعقبه تعسير ولا يعسره تعقيد ؛ وأمضاه من عزائنا التي ما فتكت قط بالأعداء فقيد منهم فقيد ؛ ولقاه الأمانة بنظرنا من نضرة عيش جانب الجفاف دوحه الخضل ، وأهداه بتبصيرنا من أنوار الهدى المتقدمة كل ذى جهل ظل ممن ضل - لانزال نستوضح أمور أمراء دولتنا متصفحين ، ونبلو أخبار المؤهلين منهم لسياسة الرعيّة المرشحين ، ونكشف شؤونهم غير متجاوزين ولا متسمحين ؛ ونظهر في أحوالهم آثار الإيثار لرفع درجاتهم ، وأمارات الرفع منهم مقابلة على حيطة أموال من نكون عليه وصور منحاتهم ، ونبؤهم مَبُوءاً صدق من تصديق آمالهم وتحقيقها ؛ ونزف إليهم

عقائل المِنَح المانع شُكْرهم من تسيب سَيِّبها وتطرق تطليقها؛ ونحمل لكل منهم ما يؤمِّله من آجهاده ويؤثره؛ ولا نلغى الأهتمام بما يوطئ لهم مهاد الطول الجزيل ويؤثره؛ عملاً بأداب الله سبحانه في إجزال حُظوظ المحسنين من إحسان المجازاه، وإيلائهم المزيد الحاكم بنقص أعتدادهم عن الموازنة له والموازاه، كما قال سبحانه وقوله هدى ونور وشفاء لما فى الصدور: ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

ولما كان الأمير (والنعت والدعاء) من أنجحهم فالأ، وأرجمهم مَصَلاً، وأصلحهم أعمالاً، وأوصحهم كمالاً؛ وما زالت أغصانُ نَهَاه متتابعةً فى بسوقها، وضرائبُه نافقةً أعلق المحامد بسوقها؛ وعزائمُه فى إذلال الفرق المبالغة فى فسوقها، مشمرةً عن سوقها؛ وما برح فى شوط الفخر راكضاً، ولعقود مكره الأمور التى تُزيغ الأمانة رافضاً، وبأعباء القيام بفرائض الآلاء ناهضاً؛ وما أنفكت مناقبه تُعبي بيان الواصف وبنان العاد، ومساعيه مُدركةً وهى وادعةٌ ما يعجز عن أقله جدُّ الجاد؛ ورأيه [يرتق] كل متفتق ومنبثق من الأمور المهمة بسداد الراق الساد، وجميل ذكره يقوح بما يفوق المسك فيثوب إليه من الثواب بالنائى الناد؛ وما قتي دأب شيمته الإعراض، عن الموبق من الأعراض؛ واختيار الرق، والإغراق فيما يُديمه إلى فك أعناق أسرى المسلمين من سرى العتق - نخرج أمر الملك الناصر بكتب هذا السجل له بتقليده ولاية الأعمال الغربية .

فليتقلد ما قلده معتمداً على تقوى الله التى صرف عن معتمدها شرب التكدير، ومنحه من المكارم عنده ما يوفى على التقدير؛ وليجزع على عادته فى بسط ظل المعدلة ومد رواقها، وصون مساحى الرعايا عن إملاقها منها وإخفاقها؛ والمساواة بها بين

الأقوى والأضعف، والأدنى والأشرف؛ والبادى والحضار، والمناوين والأنصار؛
والخاص والعام، والأجنبي وربّ الحرمة والذمام: لينام المستورون على مهاد الأمن،
ويسلم جانب سلامة أموالهم وأرواحهم من الوهن. ويعامل المستخلف على الحكم
العزيم بما يستوجبه مثله من نصرة الأحكام «ووكّل إليه أمر الأمراء لمن آثرها^(١)
والإحكام» والإكرام الشامل لقدره، والأهتمام الشارح لصدره. وليتوخّ المستخدمين
في الأموال بما يكون لعلّهم مُزيحاً، ليصل إليهم ما يرومونه نجيحاً. ويلزِم من
جرت عادته بلزوم الحدود وأجتناب تعديها، والتوفّر على حفظ مسالكها والمترددين
فيها؛ وليطالع بما يتجدد قبله من الأحوال الطارئة، وما لم تزل الرسوم بإنهاء مثلها
جاريه؛ إن شاء الله تعالى.

المرتبة الثالثة

(أن تفتتح الولاية بلفظ «رسم» ثم يذكر أمر الولاية والمولى ويوضح،
ثم يقال «وسبيل كل واقف عليه»)

فمن المكتتب لأرباب السيوف من هذه المرتبة نسخة مرسوم بشد ناحية، وهي:
رسم - أعلى الله المراسيم وأدام نفاذها - بالإيناع على الأمير فلان بما يفيض عليه
ملايس الأصطفاء ويضيفها، ويسمى لقدمه في الثبات مدارج الأرتقاء ويسننها؛
ويُعرب عن اختصاصه بالمنزلة التي يفضّل بها على مباريه، وأستخلصه للرتبة التي
يفوت بها شأو مجاريه؛ ويؤهله لتغر حريم المحروس وشده، وتوليّه أمورَه بكفايته
ونهضته وحرّامته وجده؛ وقد أمرنا بتسليم قلعة حريم وأعمالها وسائر ما يختص
بها ويضاف إليها من ضياعها ومواضعها إليه، والتعويل في ولايتها وتعميرها وتثميرها

(١) كذا في غير نسخة ولا معنى له وقد تقدّم لهذا المقام أمثال ونظائر يفهم منها المقصود.

عليه ؛ بموجب ما يُفَصَّل من الديوان على ما كان جارياً فى الإقطاع المحروس للحال ،
وسبيل أهل الديوان - أيدهم الله - العمل بالأمر العالى وبمقتضاه ، والاعتماد على
التوقيع الأشرف به ، إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك نسخة مرسوم بَشَد وقف ، وهى :

رُسم - أعلى الله المراسيم وأدام نفاذها - بالتعويل على الأمير فلان فى تولية
الوقوف بالجامع المعمور بحلب المحروسة ، والبيمارستان ، والمساجد ، والمشاهد
بالأماكن والمواضع ، وظاهرها وباطنها وأعمالها ، وتفويضها إليه ، والاعتماد
فى جميعها عليه ؛ سكوناً إلى نهضته وكفايته ، ووثوقاً بخبرته ومعرفته وعلمها بنزاهته ،
وسداده وأمانته ؛ وذلك لاستقبال سنة سبع وثمانين وخمسة .

فليتول ذلك بكفاية كفيه ، ونهضة وافية ، وهمة لأدواء الأحوال شافية ؛ ونظر
تام ، لشمل المصالح ضام ، وتديير جميل فى كل خاص من أسباب عمله وعام ؛
وتقوى لله عز وجل تقوى بها يده ، ويضح بالاستقامة على سننها جدده ؛ ناظراً
فى الوقوف ومصارفها ، وتتبع شروط واقفها ؛ بكل ما يعود بتعمير أعمالها ، وتمثير
أموالها ، وتديير أحوالها ؛ مطالباً بحساب من تقدمه وتحقيق مبالغه تكميلاً وإضافة ،
واحتساباً وسياقه ؛ وليطلب شواهد ، وليبين على الصحة قواعده ، وليتمس ما يصح
من بواقه من جهاتها ، وليكشف بما يوضحه من سبل الأمانة وجوه شبهاتها ؛ وقد أذن
له فى استخدام من يراه من الثواب والمتصرفين والمشارفين ، والوكلاء والمستخدمين ؛
على ما جرت به العادة ، من غير زياده . وسبيل الثواب - أيدهم الله - العمل بالأمر
العالى وبمقتضاه ؛ والاعتماد على العلامة الشريفة ، إن شاء الله تعالى .

المرتبة الرابعة

(أن يفتح بلفظ : «إن أحق» أو «إن أولى» أو «من كانت

صفته كذا » وما أشبه ذلك)

فمن ذلك نسخة منشور بِنقابة الأشراف ، وهي :

مَنْ كَانَتْ أَوْصَافُهُ شَائِعَةً بَيْنَ الْأَنْامِ ، وَصُحُفَ فِضَائِلِهِ مَنْشُورَةً لَدَى الْخَاصِّ وَالْعَامِّ ، مَعَ شَرَفٍ نَسَبٍ شَايخِ الْأَعْلَامِ ، وَتُقِّ فَخْرٌ بِهِ عَلَى الْأَنْامِ ، وَعِلْمٌ يُجَلُّ بِهِ صَدَأُ الْأَفْهَامِ ، وَعِفَّةٌ مَرَاهُهَا مُحْكَمَةُ الْإِبْرَامِ - كَانَ جَدِيرًا بِإِفَاضَةِ سَبْجَالِ النَّعْمِ عَلَيْهِ ، وَقَمِينًا بِإِرْسَالِ سَيْلِ الْمَوَاهِبِ إِلَيْهِ .

ولما كان الشيخ فلان متصفاً بهذه الصفات الجميلة ، ومتخصّصاً بمزاياها الجلييلة ، وضارباً فيها بالسهم المعلي ، ونازلاً منها في الشرف الأعلى ، ومتقمّصاً ثوب الإخلاص والصفاء ، ومتشجحاً بوشاح العفة والولاء - اختصصناه بزيادة التقديم والاجتباء ، وحبوناه بوفور الكرامة والأصطفاء ، وأجريناه على مستمرّ رسمه بالرعاية على ذرية أهل العباء ، حسب عادته المستقرّة إلى آخر عهد من كانت الإيالة إليه وإلى رحمة الله مضى : ليسير فيهم بكتاب الله العظيم وسنة رسوله ، ويسلك جدد الحق الذي يوصله من الرئفى إلى أقصى مناه وسوله ، ويخصّصهم على تلاوة القرآن ، ومعرفة ما يصلح للأديان . وليسوّى الحكم بين الضعيف فيهم والقوى ، ويعمّ بالإنصاف الفقير والغنى . وليحسن إلى محسنهم ، وليجر على فضله لمسيئهم ؛ بعد أن يقدم إليه زجراً ووعيداً ، ويوسعه إنذاراً وتهديداً ؛ فإن وعى وأرعوى وإلا سلط عليه أسباب الأذى ، وتولاه بما يستحقّه من الجزاء ، ويعيده إلى حالة الاستقامة والأستواء ، ويكفّه عن دواعى الهوى . ومن وجب عليه حدّ أقامه فيه ، وبأدر إلى أعماده وتوخيّه ، حسب ما يوجبّه حكم الشرع ويقتضيه .

وليكن رءوفاً بهم ما استقاموا، ومنتقياً منهم ما أعوجوا ومالوا؛ وإن وجب على أحدهم حق للملئ أو دنى، استخلصه منه ولم يمنعه تعلقه بنسب شريف على؛ وإن أفتى منهم مفتر على أحد من الملل، قابله عليه بما يزجره عن قبيح العمل: فإن الناس في دار الإسلام ومن هو تحت الذمام سواسية وأقربهم إلى الله تعالى من كانت سيرته في الإسلام رضية، وطويته في الإيمان خالصة تقيه؛ ومن حكم عليه حاكم من الحكام، بحق ثبت عنده بالبينة العادلة أو الإعلام، آتتعه منه أو سجنه عليه، إلى أن يرضى خصمه أو يرد أمره إلى الحاكم ويقوضه إليه .

وليحرس أنسابهم بإثبات أصولها، وتحقيق فروعها؛ ومن رام دخولا فيه بدعى يبطل فيها نقب عن كشف حاله، وإظهار محاله؛ وجازاه بما يستحقه أمثاله، ويرتدع فيما بعد مثاله: ليخلص هذا النسب الكريم، من دعوى المجهول، وأندماجه في أسرة الرسول؛ عليه أفضل الصلاة والتسليم . ويمنع من اتصال أيم من الأسرة إلى عامي، ولا يفسح أن يعقد عليها عقد إلا لكفء ملي: ليبرأ هذا المجد الشريف من التكدير، ولا تزيفه شوائب التغيير .

ولينظر في الوقوف على المشاهد والذرية، نظرا يحمده عليه من يعلمه من البرية، ويحظيه بالثواب عند مالك المشية . ويتدى بعبارة أصولها وأستكمال فروعها، وقسمة مغلها على ما تضمنه شرط الواقفين لها . وليحتط على النذور، وينفقها على عاداتها في المصالح والجمهور؛ عالماً أن الله تعالى سائله عما توخاه في جميع الأمور، وأنه لا يخفى عليه كل خفي مستور . قال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ .

وَأَدْنَاهُ أَنْ يَسْتَنْبِيبَ عَنْهُ فِي حَالِ حَيَاتِهِ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ - فَسَّحَ اللَّهُ لَهُ فِي الْمُهْلِ، وَخَوَّلَهُ صَالِحَ الْعَمَلِ - الْأَرْشَدَ مِنْ بَيْنِهِ، وَمَنْ يَخْتَارُهُ لِهَذَا الْأَمْرِ وَلَهُ يَرْتَضِيهِ. وَقَدْ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِإِجْرَاءِ مَا كَانَ بِاسْمِهِ مَسْتَمِرًّا إِلَى الْآنِ، وَأَضْفَنَّا إِلَيْهِ مَا يُعِينُهُ عَلَى النَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الْأُمُورِ أَدَامَ اللَّهُ لَهُ عُلُوَّ الشَّانِ؛ مِنْ تَمْلِيكِ وَإِدْرَارِ وَتَيْسِيرِ، وَجَعَلْنَاهُ لَهُ مَسْتَمِرًّا، وَعَلَيْهِ مَسْتَقَرًّا؛ وَلَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ نَسَلِهِ وَالْأَعْقَابِ، عَلَى تَوَالِي الْأَزْمَانِ وَالْأَحْقَابِ؛ وَحَظَرْنَا تَغْيِيرَهُ وَفَسْحَهُ، وَتَبْدِيلَهُ وَنَسْخَهُ: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وَهُوَ مَعِينٌ مِنْ دِيْوَانِ الْأَسْتِيفَاءِ الْمَعْمُورِ، بِهَذَا الْمُنْشُورِ الْمَسْطُورِ، بِالْأَمْرِ الْعَالِيِ أَعْلَاهُ اللَّهُ وَأَمْضَاهُ، عَمَّا كَانَ قَدِيمًا، وَمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهِ آخِرًا، وَهُوَ الْقَدِيمُ الَّذِي كَانَ لَهُ وَشَهِدَ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ، وَهُوَ الْإِقْطَاعُ مِنْ نَاحِيَةِ كَذَا، وَيُجْرَى عَلَى عَادَتِهِ فِي إِطْلَاقِ مَا قُرِّرَ لَهُ مِنْ نَاحِيَةِ كَذَا بِشَهَادَةِ الدِّيْوَانِ الْفُلَانِي، وَالْمَجْدُدِ الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ لِأَسْتِقْبَالِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَمَا بَعْدَهَا. وَسَبِيلُ كَافَّةِ الْأُسْرَةِ الطَّالِبِينَ بِمَدِينَةِ كَذَا الْإِتْقَادُ إِلَى تَبَاعُثِهِ، وَالْإِمْتِثَالِ لِإِشَارَتِهِ، وَالتَّوَقُّفِ عَلَى إِجْلَالِهِ وَكِرَامَتِهِ؛ فَإِنَّهُ زَعِيمُهُمْ، وَمَقْدَمُهُمْ وَرَأْسُهُمْ؛ وَمَنْ خَالَفَهُ مِنْهُمْ قَابَلْنَاهُ، وَبِأَلِيمِ الْعِقَابِ جَازِيْنَاهُ، وَالْإِعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ أَجْمَعَ عَلَى التَّوَقُّعِ الْأَشْرَفِ الْعَالِيِ أَعْلَاهُ اللَّهُ، وَالْعَلَامُ الدِّيْوَانِيَّةِ فِيهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.



وهذه نسخة بولاية الشرقية، وهي :

لَمَّا كَانَتِ الْأَعْمَالُ الشَّرْقِيَّةُ أَجْدَرَ الْبِلَادِ بِأَكِيدِ الْأَهْتَامِ وَأَخْلَقَ، وَأَوْلَاهَا بِإِضْفَاءِ سِرِّبَالِ الْأَهْتِبَالِ الَّذِي لَا يُخْلَقُ إِذَا رَثَ سِوَاهُ وَأَخْلَقَ؛ وَأَقْمَنَهَا بِحُسْنِ نَظَرٍ يُرْسَلُ لِرَسُولٍ عَلَى الرَّسْمِ الْأَعْنَةِ فِي إِدَامَةِ نَضْرَةِ الْعَامَّةِ عَلَيْهَا وَيُطْلَقُ، وَأَحَقَّهَا بِأَنْ يُبْرَمَ لَهَا

سَبَبُ تَفْقُدِ لا يَلْتَصِقُ بِهِ رَهْنٌ وَلَا يَغْلَقُ ؛ وَأَحْرَاهَا بِاعْتِنَاءٍ يَقْضَى لِأَمْرِهَا بِالْإِطْرَادِ ،
 وَأَوْلَاهَا بِتَعَهُّدٍ يَجْمَعُ مَصَالِحَ الشُّؤْنِ آلِفَةً لِلثَّوَاءِ بِهَا وَالْمَقَامِ عَائِفَةً لِلشُّورِ عَنْهَا
 وَالشَّرَادِ ؛ لِأَنَّهَا بَابُ الشَّامِ ، وَإِلَيْهَا تَرِدُ الْقَوَائِلُ الْمُرْتَدَّةُ مِنْهُ عَلَى مَرَّةِ الْيَوْمِ ؛ وَمِنْهَا
 يَسْتَكْشِفُ الْأَخْبَارَ وَيَسْتَنْهَضُ الطَّوَالِعَ وَالْمُتَخَبِّرِينَ ، وَبِمَوَاصِلَةِ التَّفْقُدِ تَعْلَمُ الْأَحْوَالَ
 الطَّارِئَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينَ ؛ فَتَجِبُ الْمُبَالَغَةُ فِي حِفْظِ طُرُقَاتِهَا وَمِيَاهِهَا ، وَأَنْ تَصْرِفَ
 الْهِمْمُ إِلَى ضَبْطِ أَحْوَالِهَا ، وَعَامَّةِ أَتْقَانِهَا وَأَتِّجَاهِهَا ، وَيَوْضِعُ بِنَاءَ الْحِزْمِ فِي صَوْنِ
 أَطْرَافِهَا عَلَى أَثْبَتِ قَاعِدَةٍ وَيُؤَسِّسُ ، وَيَسَالِّغُ فِي إِذْكَاءِ الْعِيُونِ عَلَى كُلِّ طَارِقٍ يَتَخَبَّرُ
 لِلْعُدُوِّ الْمَلْعُونِ وَيَتَجَسَّسُ ؛ وَكَانَتْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ ،
 وَذَوِي الْكِنَايَةِ الْمُوفِيِّ ثَرَاؤُهُمْ فِيهَا [عَلَى] عَارِضِ الْإِعْدَامِ ، وَمَا زِلْتَ مَعْدُودًا مِنْ خَاصِ
 الْأَتْرَاكِ الْأَعْيَانِ لِسَمِّهِمْ (؟) ، الْمَقْصُرِ مَجَارِوَهُمْ إِلَى غَايَةِ الْبَسَالَةِ عَنِ الْخَلْقِ بِهِمْ وَالْإِدْرَاكِ
 وَقَدْ تَقَدَّمَتْ وَلَايَتُكَ هَذِهِ الْأَعْمَالَ فَقَصَدْتَ مِنْهَا قَصْدًا سَدِيدًا ، وَأَلْحَقْتَ الرِّعَايَا
 ظِلًّا مِنَ الْأَمْنَةِ مَدِيدًا - خَرَجَ الْأَمْرُ بِإِيدَاعِ هَذَا الْمَنْشُورِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ إِعَادَتِكَ
 إِلَى وَلَايَتِهَا ، فَبَالِغٍ فِي اسْتِضَاحِ الْأَنْبَاءِ وَكَشْفِهَا ، وَرَفَعِ الْوَيْسَةَ فِي ذَلِكَ وَصَرَفَهَا ؛
 وَوَكَّلَ بِهَا عَزْمَةً لَا تُلْمُ سِنَّةً بِطَرَفِهَا ، وَأَنْتَ فِيهِ إِلَى غَايَةِ تَضْيِيقِ سَعَةِ الْقَوْلِ بِوَصْفِهَا ؛
 وَتَابِعَ فِي تَسْيِيرِ الطَّلَائِعِ وَنَدْبِهَا ، وَعَوَّلَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْعُرَبَانِ الْمُسْتَنْهَضِينَ عَلَى
 شَهْمِهَا وَنَدْبِهَا ؛ وَأَجْتَهَدَ فِي حِفْظِ الطَّرِيقَاتِ وَالْمَسَاهِلِ ، وَأَسْتَنْهَضَ لِلتَّحْرُزِ عَلَيْهَا
 مَنْ هُوَ عَالِمٌ بِهَا غَيْرُ جَاهِلٍ ؛ وَتَحَفَّظَ مِنْ جَلَلٍ يَتَطَرَّقُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - عَلَى الْبِلَادِ
 وَخَلَلٍ يَتَخَلَّلُهَا ، وَأَنْتَ لِهَذِهِ الْمَهْمَاتِ بِصَارِمٍ حَدِّ تَسْلَمَ مَضَارِبُهُ مِنْ عَجْزِ يَفَلِّهَا ؛
 وَلَا تُبْقِ مَمَكًا فِي إِنْفَازِ الْمُتَخَبِّرِينَ ، وَإِرْسَالِ مَنْ يُغَيِّرُ عَلَى بِلَادِ الْعُدُوِّ مِنَ الْخَبِيرِينَ ،
 بِمَا [أَنَّ] هَذِهِ سَبِيلُ الْمُتَدَرِّبِينَ ، وَأَلْزِمَ أَرْبَابَ الْحُدُودِ مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ حِرَاسَةَ
 حُدُودِهِمْ ، وَخُدْمَهُمْ بِاسْتِنْفَادِ وَسْمِهِمْ فِي الْأَحْتِيَاظِ وَأَسْتِفْرَاغِ مَجْهُودِهِمْ ؛ وَطَالِعَ

بما يُورد قبلك ، وأنه ما يُزيح بسرعة إجابتك عنه في الخدمة عليك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية المتراحية ، وهي :

خرج الأمر بكتب هذا المنشور وتضمينه : إن من أظهر خلاصة جوهره السبب ، وأرتفع في إشكائه بالإنصاف عن كل شك الشك ، وحصل عنده [من] الخلال الزكية نظم لا يتحل وعقد لا ينفك ، وأوفى على التقدير والظن في التدبير المفرج به عن الرعية الضنك - أستوجب أن تُسند إليه حمايتهم ، وتجعل إليه كلاً لهم .

ولما كنت أيها الأمير من أحمد عند تحز عزمه ، وتجريب نصل حزمه ، واعتبار فصل مقالته ، واختيار أصل أصالته ؛ وشكر استمراره على الاتصاف بحض الولاء ، وأستنداره أخلاف غرر الآلاء ، وأستثماره أصناف جنى الثناء ، وأستقراره أكاف وهبي الاعتناء ؛ ولم تزل في رفعتك وجيها ، وما برح جميل الرأي يديم بعثاً لتخف الإحسان نحوك وتوجيهها ؛ وما أنتهكت مجاهدتك مجاهدة في مهام إقدام تنويرها ، وشجاعتك مائة على الكفار كل كفاح يلقون منه كلاً ثقيلًا ويوماً كريهاً ؛ - أودع هذا المنشور ما رسم من استخدامك في ولاية الأعمال المتراحية .

فباشرها معتمدا على تقوى الله سبحانه التي تقوى بها أسباب توفيقك وتناؤه ، وتسلم أمور مباشرتك من خلل يكدر استبشارك وينكد . وأعتد العدل على من تشتمل عليه هذه الولاية وتحويه ، وبالغ فيما يزيل عنهم الحيف ويؤويه ؛ وأقصد ما يقضى لسرهم بالتأمين ، ويبلغهم من تحصين أوطانهم غاية التأميل . وأجعل أيدي المفسدين مكفوفة عن كافتهم ، ووجوه المعتدين مصروفة عن إخافتهم ؛

وتطلب الأشرار، وتببع الدعار، ومن ظفرت به منهم فلا تكن عن التنكيل به ناكلا، ولا تقصر في الحوطة عليه والمطالعة به عاجلا. وعامل النائب في الحكم العزيز بإنهاضه، وصون مديد باعه في تنفيذ الأحكام عن انقباضه، وأعضده في إنفاذ قضاياه، واختصاصه بإكرام يقبل عليه مطلق محياه. وشد من الضامن في استيلاء حقوق الديوان واستنطافها على أحسن حال من غير خروج عن الضرائب المستقره، وعوائد العدل المستمره. وتحرز أن يكون لمناهضة العدو طروق إلى ناحيتك أو أنتياب، وشمّر للتحفظ من مكائدهم تسميرا يزول عن حقيقته عارض الإزنياب، ولا تبقى شيئا يمكن لأهل ولايتك قواعد الأمانة منهم، وتبتل لوقايتهم أذاهم تبتل من لا ينأ عنهم. وطالع بما يحتاج إلى علمه من جهتك إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة بولاية السمنودية، وهي :

إن أولى من ولي الأعمال، وتعلقت بكفايته الآمال، وعدت به المهمات، وأسندت إليه الولايات، من نطقت بمعدلته الألسنه، وانتقت عن عين خبرته السنه، وكان حسن السياسة لرعيته، كثير العارة مدة توليته، شهما في استخراج الحقوق من جهاتها، صارما في ردع المجرمين عن زلات النفس وهفواتها، حسنة سيرته، خالصة مناصحته وسريته.

ولما كنت أيها الأمير فلان - أدام الله تأييدك وتسديدك، وحراستك وتمهيدك - أنت المتوشح بهذه الصفات الحسان، المتصف بما تقدم من الشرح والبيان، الذي نطقت شمائلك بشهامتك، وشهدت مخايلك بنبأتهك - خرج الأمر الفلاني بأن نتولى مدينة سمنود وضواحيها، وما هو معروف بها ومنسوب إليها، بشرط بسط

العدل ونشره، وإعباق عرف الحق ونشره؛ وأن تُخفف الوطأة عنهم وتُفعل ما هو
أولى، وتعلم أنك تُسأل من الله تعالى في الأخرى ومنا في الأولى؛ وأن تصون
الرعايا وتجتلب لنا أدعيتهم، وتعاملهم بما يُطيب نفوسهم ويبلغهم بُغيتهم؛ حتى
يتساوى في الحق ضعيفهم وقويهم، ورشيدهم وغويهم، ومليهم ودنيهم؛ وأن لا تُقيم
الحدود على من وجبت عليه إلا بمقتضى الشرع الشريف، والعدل المنيف؛ وأن
تُشد من ثواب الحكم العزيز، وتُفعل في ذلك فعل المهذب ذى التميز؛ وأن تحسّر
عن ساعد الاجتهاد في الجمع بين استخراج جميع الحقوق الديوانية والعمارة، وتجعل
تقوى الله هى البطانة لك والظهاره؛ وأن تبدل النهضة فى استخراج الأموال،
وتحصيل الغلال على التمام والكمال؛ بحيث لا يتأخر منها الدرهم الفرد ولا القدح
الواحد، وتُفعل فى ذلك فعل المشفق المشمر الجاهد؛ وأن تُديم مباشرتك للأقصاب
فى حال برشها وزراعتها وتربيتها وحملها، واعتصارها وطبخها، وتركبة أثمارها؛
بحيث لا تنكل الأمر فى شىء من ذلك إلى غير ذى ذممة بمفرده، ولا إلى من ليس
بذى خبرة لا يعلم مُشقى التصرف من مُسعده. وقد جعلنا لك النظر على جميع النواحي
الجارية فى ديواننا بالوجه البحرى خاصة لتنظر فى أمرها، وتزجر أهل الجنایات بها؛
وتفعل فيها كل ما يحمده به الأثر، ويطيب بسماعه الخبر.

فتقلد ما قلدت، وقم حق القيام بما إليه نُدبت؛ وأعمل فيه بتقوى الله فى سرك
وجهرك، وقدم الخوف من الله على جميع ما تأتيه أو تدره من أمرك؛ وتسلمه
شاكرًا لما أسديناه إليك، متمسكا بما أوجبناه عليك؛ فإن الشكر يُوجب مزيدك،
ويكثر عددك.



وهذه نسخة بولاية النستراوية، وهى :

من عادتنا فى التدبير وشيئتنا، وسنتنا فى السياسة وسيرتنا؛ إسباغ المواهب والنعم،
وتثقيف عبيدنا فى مراتب الخدم؛ استرشادا بأسلافنا الملوك وأقدياء، وأستضاءة
بأنوارهم المشرقة وأهتداء .

ولما كنت أياها الأمير ممن عرفت بسالته ، وأشتهرت شجاعته وصرامته ؛
وأستحق أن يلاحظ بعين الرعايه ، وأن يشرف بالأرتضاء للتعويل عليه فى ولاية ، -
رأينا - وبالله توفيقا - أستخدامك فى ولاية الأعمال النستراوية ، وخرج أمرنا إلى
ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك ذلك ، وتضمينه ماتعمد عليه ، وتنتهى
إلى المثل لك فيه .

فتقلد ماقلدته عاملا بتقوى الله فيما تُسرّه وتعلنه ، معتمداً فيها غاية مايسطيعه
المكلف ونهاية ما يمكنه ؛ فالله تعالى يقول إرشادا للمؤمنين وتفهما : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ . وساو بين القوى من هذه الولاية والضعيف ،
ولا تجعل فى الحق فرقا بين المشروف والشريف ؛ وأمدد على كافتهم رواق السكون
والأمنه ، وأجرهم فى المعدلة على العادة الجميلة الحسنه ؛ وأفعل فى إقامة الحدود على
من تجب عليه ما يوجبه كتاب الله الكريم ، وتقضى به سنة نبيه محمد عليه أفضل
الصلاة والتسليم ؛ وأدأب فى حفظ السبل والمسالك ، وأجتهد فى ذلك الاجتهاد
الذى يجب على أنظارك وأمثالك ؛ ومتى ظفرت بمن يؤذى مسافرا، أو يخيف واردا
أو صادرا ؛ فطالع بحاله ليمثل لك فى التمثيل بما تعتمده ، وتؤمر فى شأنه بما تنتهى

إليه وتقصده . وراع المستخدين على الحكم والدعوة فهما يتوليان ما بإعزازه يقوم
منار الإسلام ، وتجري أمور الشريعة على أجمل وضع وأحسن نظام . وخذ
المستخدين في الأموال الديوانية بالأجتهد في العماره ، وحمل المعاملين على ما توجب
المعدلة والحرض على ما وفر الإرتفاع ، وحماه من أسباب التفريط والضّياع ،
واستنض الرجال المستخدين معك فيما ترى نذبهم إليه ، واستنأضهم فيه ؛ فاعلم
هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة بولاية الإسكندرية ، وهي :

أهتامنا بما حاط ثغر الإسكندرية - حماه الله تعالى وحصنه ، ومنحه أتم حظ
التفقد وأكمله وأجمل وضع التعهد وأحسنه ؛ وقوى سبب استقامة شؤونه وأتساق
أموره ومكّنه ، ومدّ ظلّ الدعة والسكون على كافة من تدبره وسكّنه ؛ وحفظ
عليه نظام النضاره ، وأماط عنه مكروه الأحوال الضاره ؛ وأنام أهله على مضجع
الأمن ومهاده ، وحكم بإحلالهم بُجود الأتحد على المصالح وإجلالهم عن وهاده ؛
وحمى سوام أموالهم من مشروب ورد أجاج ومرعى نبت وخيم ، وحباهم من
رسوم الإحسان وعوائده مالا ينطق لسأ على زوائده بترخيم ؛ وملا آمال الأعداء
عن التطرق إليه إخفاقاً ، وردّ نصول سهام مكابدهم عنه على ما عهد من فضل الله
سبحانه أفواجا - إذ كان من أجل الثغور الإسلامية أوزارا ، وأسبقها إلى غاية
التفضيل ابتدارا ، وأكثرها بمن حواه من صدور الدين وأئمة المسلمين افتخارا ،
وأفضلها محلاً ولم يزل مفرغ السفار من كل جهة رسلاً وتجاراً - أوجب أن نُسند
ولايته ، ونردّ كلاءته ، إلى من يجرى في التدبير على حكم سياسته المعلوم ؛ الحسنى

الأخذ بيدِ المظلوم ، ويقومُ بحسن التفويض والإئتمان ، ويعطى بدلَ السلامة من حقوق انتقامه عهدَةَ الأمان ؛ ويسلكُ فيما يُعَدَّق به طريقَ السداد ويلزم نَهجه ، ولا يمكنُ أن يكونَ له على غير الصواب معاجٌ ولا عرَجُه ؛ ويأخذُ في كل أحواله بوثائق الحزم ، ويُحِلُّ له أعماله الصالحةُ من مثوى المنازل الرفيعة ما هو على غيره من الحرامِ الحزم .

ولما كان الأمير المعنى بهذا الوصف الواضح البيان ، المتكافئة في ذكر مناقبه شهادة السماع والعيان ؛ الكائى ما يناط به بقلب المعنى وطرف يقظان ، الحال من الورع فى أسمى مكان وأعلى مظان ؛ الجامع فى إقامة شرع الإخلاص بين الفرائض والسُنن ، الموفية عزائمهُ على مضارب المهنة التى لا تقي منها ما نعاتُ الجُنن ؛ الفائح من نيته ما تؤثر صحاحُ الأنباء عن عليل نسيمة ، الجدير بما يُزفُ إليه من عقائل جزيل الإناعام وجسيمه ؛ وقد أبان فى ولايته بمطابقتها بين شدته ولينه ، وإقامة منار الإنصاف المُعرب عن امتدادِ باعه فى الحرب وأنقباض يمينه ؛ وإروائه كافة أهلها من تميم العون على استتباب الأمور ومعينه - خرج أمرُ الملك العادل بتقليده ولاية نجر الإسكندرية حماه الله تعالى والبحيرة .

فليتقلد ما قلده إياه ، ويباشره منشرحاً صدره مهللاً محيياً ؛ وليعتمد على تقوى الله التى هى خير عتاد ، وأفضل ما اعتمد عليه فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ؛ وهى نجاة أهل اليقين ، وفوز المتقين ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

وليبلغ فى نشر راية العدل ومد جناحه ، وتعفية أذى الجور واجتياحه ؛ وليشمل الصغير والكبير من أهل هذه الولاية برداء النصفه ، ويعاملهم بالجميل الموفى على

الصَّفَهَ ، وَيُقِمُ الحُدُودَ عَلَى مُسْتَوْجِبِيهَا ، وَيُنْتَهِي إِلَى الغَايَةِ فِي تَجَنُّبِ إِضَاعَتِهَا وَتَوَقُّيْهَا ؛
 وَلِيُدَلَّ عَلَى المَفْسِدِينَ عَيْنَ مَنْ يَتَّبِعُ وَقُوعَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ وَيَتَطَلَّبُ ، وَيَقَابِلُ كَلًّا مِنْهُمْ
 بِمَا يَرَى مُتَعَقِّبًا بِإِيْمَاضِ بَرْقِ المُعَاقِبَةِ غَيْرِ حُطِّبٍ ؛ وَلَا يُبْقِي مُمَكِّنًا فِي التَّنْقِيبِ عَلَى
 مَرْتَكِبِي الآثَامِ ، وَالمَرْتَكِبِينَ عَلَى سَفْكِ الدَّمِ الحَرَامِ ؛ وَمَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ فَلْيُحْكَمْ فِيهِ
 شَبَابُ ظُفْرِ الأَنْتِقَامِ وَنَابِهِ ، وَيَقَابِلُهُ مِنَ الرَّدْعِ بِمَا يُؤَمِّنُ مِنْ مَعَاوِدَةِ عَادَاتِ التَّعَدَّى
 عَلَى كُلِّ حَقِيرٍ وَنَابِهِ . وَيُجْرِي عَلَى عَادَتِهِ فِيمَا يَسِيرُ عَنْهُ أَحْسَنَ السَّمْعَةِ ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِالنَّزْهِ
 عَنِ حَبِيثِ الطَّعْمَةِ وَقَبِيحِ الطَّمَعِ . وَيَشَدُّ مِنَ القَاضِيِ مَتَوَلَّى الحُكْمِ فِيمَا يُصْدِرُهُ
 وَيُورِدُهُ ، وَيَحُلُّهُ وَيَعْقِدُهُ ، وَيُضَيِّعُهُ مِنَ الأحْكَامِ الشَّرْعِيَةِ ، وَيَعْتَمِدُهُ فِي القَضَايَا بِمَا
 لَدَيْهِ مِنَ الأَمْعِيَةِ . وَيَعَاوِدُ المَسْتَحْدِمِينَ فِي الأَمْوَالِ مَعَاوِدَةً تُثْمِرُهُ ، وَتَمْتَلِي الأَرْتِفَاعَ
 وَتُوفِّرُهُ ، وَتَعُودُ عَلَى الدِيَوَانِ بِالحِظِّ الوَاقِيِ ، وَتُعْرِبُ عَنْ كَوْنِهِ بِمِثْلِ هَذِهِ الوَالِيَةِ نَعْمَ
 الكُفَى الكَافِيِ . وَيَعَامِلُ التُّجَّارَ عَلَى تَبَايُنِ بُلْدَانِهِمْ ، وَأَخْتِلَافِ أَلْسِنَتِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ ،
 مَعَامَلَةً يَجْمَلُ أَثْرَهَا وَيُحْسِنُ ؛ وَيَتَلَقَّهِمْ بِبِشْرٍ وَطَلَاقَةٍ تَنْطِقُ بِشُكْرِ أَسْتِيشَارِهِمْ بِهَا
 الأَلْسِنِ ؛ وَيَحْفَظُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَبِضَائِعِهِمْ ، وَيَسْتَنْفِدُ الوُسْعَ فِي دَفْعِ مَضَارِهِمْ
 وَرَوَائِعِهِمْ . وَيَعْتَمِدُ بَعَثَ رِجَالَهُ عَلَى الإِسْتِعْدَادِ لِلجِهَادِ ، وَالتَّأَهُبِ لِقِرَاعِ الأَضْدَادِ .
 وَيُنْتَهِي إِلَى الغَايَةِ فِيمَا يُزِيلُ مِنْهُمْ أَعْتِدَارًا وَيُزِيحُ أَعْتِلَالًا ، وَيُوجِبُ لَهُمُ الأَقْتِدَارَ عَلَى
 مَكَافَأَةِ عُدُوِّ إِنْ طَرَقَ الثَّغْرَ وَالعِيَاذُ بِاللهِ تَعَالَى .



وهذه نسخة بولاية برقة، وهي :

مِنْ حَقِّ الأَطْرَافِ المَتْنَاهِيَةِ فِي بُعْدِ أَقْطَارِهَا ، وَالبِلَادِ الشَّاسِعَةِ عَنْ ثَوَاءِ المَمْلُوكَةِ
 وَمَحَلِّ أَسْتِقْرَارِهَا ، الَّتِي أُنْتَضَمَتْ فِي سِلْكِ أَعْمَالِ المَمْلُوكَةِ النَّاصِرِيَّةِ وَأَنْخَرَطَتْ ،

وأستدركت مُعدّاتها لمن حوته فرائت الفوائد التى سلفت وفرطت - أن يُديم أكيد
الاهتمام لها التحصين والتحسين، ولا يُغيب أهلها ما يغشاهم من الملاحظات مصيحين
ومُسيين، وتزجى لها سحاب كرم التعهد عهاده غدقا، ويعمل الأولياء فى حياتها
من الغمود السنة ويذكون دونها من القنا حدقا، ويفوض أمورهم إلى من تخف
على يده كلفتهم، وتجتمع بحسن سيرته الفهم، ويشتمل من عناية عليهم آشتال
الصدفة على القلوب، وتنبههم مهابة من كف عدوى العدا كل مؤثر مطلوب .

ولما كنت أيها الأمير من أميز سالكى هذه الطرائق، وأمثل فرسان الحروب
وحماة الحقين، وأشجع المجاهدين فى الله حق جهاده، وأجسرهم على إصلاء الشرك
ضرام فك لا يخشى إصلاذ زناده، ولك السياسة التى ترتب بين الأسود والظباء
أصطحابا، والمخالصة التى لأتجاجى إذا وصفت بالتعالى فيها ولا تُجابى - خرج أمر
الملك العادل بكتب هذا المنشور لك بما أنعم عليك بولايتيه وإقطاعه : وهو برقة
بجميع أعمالها وحقوقها : من العقبة الصغرى وإلى آخر حدودها، وبما أمر به كافة
العربان المقيمين بهذه البلاد، وجميع أهلها من حاضر وباد : من الإعلان لك بشعار
الطاعة، وصون ما يلزمهم أدائه إليك من فروض النصيح عن الإضاعة، وأن يبدلوا
فى موافقتك غاية الاجتهاد، ويعتمدوا من آمتثال مراسيمك أحسن اعتماد، ويحذروا
من العدول عن أمرك، ويحتنبوا مخالفة نهيك وزجرك .

فاستمسك بجبل التقوى الفائز من يعتصم به ويتعلق، وأستشعر من خيفة الله
ما يشرق لأجله عليك نور الرضوان ويتألق، قال الله تعالى فى كتابه المكنون :
(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) . وعامل أهل هذه الولاية بالإيناف،
وإيائك ومكروه العدول عن محجة العدل والانحراف، وتوق العسف بهم والحيف

عليهم ، وأجتنب الترخيص لأصحابك في مد يد أحد منهم بعدوان إليهم ؛ وسرفيهم
سيرة ترؤف بهم وترؤف ، وجانب سبيل من تقوم عنده أسواق اختلاف المتخترصين
وتنفق ؛ ولا تخرج في تدبير الأمور عن قانون الشريعة ، ولا تجعل لك إلى فوز الآخرة
عن تقديم العمل الصالح من ذريعه . وغل عنهم أيدي حاضري المفسدين وباديهم ،
وأنهم بالمهابة عن إصرارهم على المنكرات وتماديهم ؛ وكل بهم عز ما رادعاً لهم
وازعاً ، ونكل بمن ظفرت به منهم تنكيلاً يزجر من يظل ببحر الضلال نازعاً . وشدد
من خلفاء الحكم العزيز في تنفيذ قضاياه ، وخصهم من الكرامة بما تقتضيه إقامة
مناره وإنارة منايه . وأعتمد ما يعيد الحقائق بوجوه ناضره ، ويرد الأباطيل
بصفة خاسره . وراع أمور التجار والحجاج مراعاة تشملهم في السفر والإقامة ،
وتحميهم من تطرق استهانة إلى أحد منهم وأستضامه ؛ وطالع بما يتجدد من أحوال
خدمتك ، وما يحتاج إلى علمه من جهتك ؛ إن شاء الله عز وجل .



وهذه نسخة بولاية الفرما ، وهي :

نحن لما ضاعفه الله لدينا من إحسانه وأجزله ، وعدقه بنا من تدبير أمور الخلق
وأسنده إلينا ووكله ، نعمد عبيدنا بتوفير الرعاية لهم والإكرام ، ونحافظ على ما يغمرهم
من شامل الإفضال وسابغ الإنعام ؛ فنقدم للخدم من خطبها بخلوص طاعته ، ونؤهل
للرتب من أبانت شيمه عن خبرته ومناصحته .

ولما كنت أيها الأمير ممن ظهرت مشايعته وموالاته ، وحسنت في مكافحة
الأعداء مشاهدته ومقاماته ، ووضحت في أفعاله دلائل النصح وبانت عليه سماته ؛
ولك مساع مشكوره ، ومواقف مشهوره ، ومقاصد هي من ما شرك معدودة

(١) وفى فضائلك مذكوره؛ رأينا - وبالله توفيقنا - استخدامك فى ولاية الفرما والحفار :
سكوناً إلى رضا مذهبك ، وثقةً بانتظام الحال فيما يُردُّ إليك ويُناطُ بك ؛ وخرج
أمرنا إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السجل بتقليدك الولاية المذكورة وتضمينه
ما أمر به وترسمه ، مما يهديك إلى الصواب فتتمسك به وتعكف عليه وتلزمه .

فتقلد ما قلده شاكراً على هذه النعمى ، عاملاً بطاعة الله تعالى ومراقبته فى السر
والنجوى ؛ وأعتدّها زاداً إلى الآخرة تطمئن به القلوب وتقوى ، قال الله عز من
قائل فى كتابه : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ . وأعتد في أهل هذه الولاية
نصفه تعمهم ومعدله ، وسهم سياسة تكون لسنة الخير مؤكدة لسنة الجور
مبدله . ومائل فى الحق بين قويهم وضعيفهم ، ولا تجعل مزية فى الواجب
لشريفهم على مشروفهم ؛ وانتصف للظالم من المعتدى الظالم ، وأعمل بالكتاب
والسنة فى الحدود التى تُقيمها على ذوى الجرائر والجرائم ؛ وأتصب لفظ
الطُّرقات ، وصون الصادرين والواردين فى جميع الأوقات ؛ ونكل بمن تظفر به من
المفسدين ، وأجعله عظة لأمثاله من الظالمين والمعتدين ؛ وعاضد النائب فى الحكم
العزيم معاضدة تقضى بإعزاز الجانب ، وساعده مساعدة تنفذ بها أحكامه على قضية
الواجب ؛ وكذلك متولى الدعوة الهادية فهى مصباح الزمان ، وبإشادة ذكره تقوى
دعائم الإيمان ؛ فاجتهد فى تمييز متوليها وإكرامه ، وبلغه فى ذلك غاية مطلوبه
ومرامه . وتوقر على الشد من المستخدمين فى الأموال ؛ وراع [ما يحسن] لدينا فيما
تنظر فيه من الأعمال ؛ وأحرص على ما عاد بوفور ارتفاعها ، وأجر أحوالها على أفضل
رؤومها وأوضاعها ؛ بحيث يكون العدل منبسطاً منبثاً ، والحيف منحسماً مستأصلاً
مجتثاً ؛ وأجمل صحبة الرجال المستخدمين معك ، وأحسن معاشرتهم مع مطالبتهم بملازمة

(١) كانت عدة قرى ومن مدنها العريش والورادة ورفح وقطية وقس والزعقا . انظر معجم البلدان .

الخدمه، وأستنهاضهم في الأمور الشاقّة المهيّمه، فاعلم هذا وأعمل به، وطالع بما تحتاج إلى المطالعة به؛ إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة بولاية عسقلان، وهي:

من شيمنا التي غدّت للصالح ضوا من، وعلت فكلّ متطاول عندها متطامن؛ وهممنا الكافلة [للرعية] بما يُقرُّ عيوننا، والقاضية للخاصة والعامة بما يوجب طمأنينتها وسكونها؛ أنعمنا النظر فيما نرعاها به ونسوسها، وأعملنا الفكر فيما يستقيم به أمرها ويزول معه بؤسها؛ فيقف [بنا] الاجتهاد في ذلك على محجة الصواب التي لا ضلال في سلوكها، ويفضي منا الحرص إلى غاية لم يبلغها أحد من مدبري الدول وملوكها؛ فننتخب لخطير الخدم من كان قووما بها مستقلا بأصارها، ونتجب لجليل الرتب الأعيان من أمراء دولتنا وأنصارها؛ حفظا لما أستحفظناه من أمور العباد والبلاد، ورفعاً لعماد الصلاح وحسنا لمواد الفساد.

ولما كنت أيها الأمير من الأولياء الذين صفت في الخالصة ضمائرهم، وحسنت في الطاعة عقائدهم وسرائرهم؛ ونالوا من نبيه الحظ ما أطنب الواصف فيما يذكره منه ويرويّه، وأحمدوا المناصحة فيما رقا فيه من درج التنويه؛ وقد استكفيت مهمات من الخدم فكفيت همها وخففت ثقلها؛ وأهلت لولايات سنية فحملت كلفها، وكنت مستحقا لها وأهلها؛ فلك موات حميدة من حسن المقاصد ومشكور المساعي، وحرمت أكيدة ظلت على أصطفائك من أوفى البواعث وأقوى الدواعي؛ وكانت مدينة عسقلان - حماها الله تعالى - ثغر الإسلام الذي لا تغرله في الشام سواه، والرباط الذي من كان به فقد نال الثواب الجزيل وأحرزه وحواه؛ وهو في عيون الكفار - خذلهم الله - نُكته؛ وأسباب طمعهم فيه منقطعة بحماماته منبته؛ ونحن

(١) نُوفِّرْ أَهْتَامَنَا عَلَيْهِ رَعَايَةً لِمَكَانِهِ الْمَكِينِ ، وَنُنْتَصِي الكُفَاةَ لِتَوَلِيهِ تَوْصِيلاً إِلَى النَّكَايَةِ فِي الْمَشْرُكِينَ ، وَهُوَ مَعْقِلٌ لِلسَّلَامِينَ الْمُجَاهِدِينَ وَرِدِّ ، وَمُجَاوِرُهُ قَوْمٌ لُدٌّ ، وَأَمْرُهُمْ أَمْرٌ إِدٌّ ، فَيَجِبُ أَنْ يُرْتَادَ لَضَبْطِهِ النَّدْبُ الَّذِي لَا تُهْتَبَلُ غِرَّتُهُ ، وَيُسَامَ لِحَفْظِهِ الْعَضْبُ الَّذِي لَا تُتَّقَى ضَرْبَتُهُ ، وَيُخْتَارُ لِصَوْنِهِ الشَّهْمُ الَّذِي تَقِفُ عَلَى الْمَصَالِحِ هَمَّتُهُ ، وَتَنْفَذُ فِيهَا عَزْمَتُهُ ؛

وَحِينَ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِيكَ مَوْجُودَةً ، وَظَلَّتْ مَحْسُوبَةً مِنْ خَلَائِكَ مَعْدُودَةً ، رَأَيْنَا - وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُنَا - مَا خَرَجَ بِهِ أَمْرُنَا إِلَى دِيْوَانِ الْإِنشَاءِ مِنْ كِتَابِ هَذَا السِّجْلِ بِتَقْلِيدِكَ وَوَلَايَةِ هَذَا الثَّغْرِ وَضَوَائِحِهِ ، وَعَمَلِهِ وَنَوَاحِيهِ ؛ ثِقَةً بِمَشْهُورِ مَضَائِكَ ، وَعِلْمًا بِإِبْرَارِكَ عَلَى نَظَائِكَ .

فَتَقَدَّرَ هَذِهِ الْخِدْمَةَ عَارِفًا قَدْرَ مَا خُوِّلَتْ مِنْهَا ، وَعَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ وَخِيفَتِهِ فِي جَمِيعِ مَا تَأْمُرُ بِهِ وَتَنْهَى ؛ فَإِنْ تَقَوَّاهِ الْجُنَّةَ الْوَاقِيَةَ ، وَإِنْ خِيفَتَهُ الذَّخِيرَةُ الْبَاقِيَةَ ؛ وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ بِتَيْسِيرِ الْأُمُورِ ، وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَإِعْظَامِ الْأَجُورِ ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ . وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ فِي جَمِيعِ مَنْ يَشْتَمَلُ عَلَيْهِ عَمَلُكَ ، وَيَجْرِى عَلَيْهِ تَوَلِيكَ وَنَظْرُكَ ؛ وَسَاوِ فِي الْحَقِّ بَيْنَ الضَّعِيفِ وَالْقَوِيِّ ، وَمَائِلٍ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ الْقَرِيبِ وَالْقَصِيِّ ؛ وَإِذَا ثَبَتَ عَلَى شَرِيفٍ حَقٌّ فَلَا تُحَايِهِ لِرُتْبَتِهِ ، وَإِذَا ثَبَتَ لَوْضِيعٍ بَخْذُهُ مِمَّنْ لَزِمَهُ وَأَسْتَقَرَّ فِي جِهَتِهِ .

وَأَعْتَمِدْ مِنَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَا يَسْتَنْطِقُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْكَ أَلْسِنَةَ الْمَادِحِينَ ، وَيَنْظُمُكَ فِيْمَنْ عَنَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) فِي الْقَامُوسِ وَغَيْرِهِ «أَنْتَصَيْتُ» أَي بِالصَّادِ الْمَهْمَلَةِ «الرَّجُلُ أَخْرَجَتْهُ» فَتَبَهُ .

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ .

وأقيم الحدود على من لزمته بما أمر الله به إقامة [تجربى بها] مجراها ، وتوقّ الزيادة فيها والنقص توقّي من يمتثل المجازاة كأنه يراها . وهذا النغر لمحمّله وسُمّو مقداره ، وقرب العدو منه ودنو داره ؛ لا يقنع له بمركزيته ، ولا يكتفى في حقه بمرايئته وقراريته ؛ فتحنّ نسير إليه العساكر المظفّرة دفعتين في كل سنة على حكم البديل : فيرده عسكر جديد مزارح العلة ، كثيف العده ، وافر العده ؛ يؤثر أن يظهر أثره ، ويحافظ على ما يطيب به ذكره وخبره ؛ فبتّ السرايا وشنّ الغارات ، وضيق على العدو فسيح النواحي والجهات ؛ وجهّز إليه من يخيفه في مآمنه ، وأبعث عليه من يطرّقه في أحزرها ؛ وأنذب من يطالعك بخفي أخباره ، ويظهر لك باطن أموره ومستور أسرارها : لتتمز فيه الفرصة إذا لاحت محالها ، وتبادر الغفلة منه إذا ظهرت دلائلها . وأجعل للتطوعين من الكنائيين نصيبا من ثواب الجهاد ، وأحمّلهم على استفراغ الوسع بغاية الحرص والاجتهاد ؛ وأفعل في هذا الباب ما تتضاعف به مواد الأجر ، وتتسخ به الأوزار كما يتسخ الظلام بضياء الفجر ؛ وأعضد متولّي الحكم العزيز عضدا يعلى أمره ، ويشدّ أزره ؛ ويجرس نظامه ، وينفد قضاياه وأحكامه ؛ وكذلك متولّي الدعوة الهاذية - ثبتها الله تعالى - فاعتمده بما يشرح صدره فيما يوصّيه للمؤمنين ، ويهدى به المستجيبين والمتدينين ؛ ووفّر موقر أهتمامك على مرافدة من يتولّى أمر المال وما يجري في الخاصّ لتبدر أخلافه ، ويزكو ارتفاعه ، وتعزّر مادته ، ويتوفّر مستخرجه ؛ ويحتمى من خيانه وتحيف ، ويسلم استيداؤه من تريث وتوقف . وأستنهض الرجال المستخدمين في الأمور السوانح ، وصرفهم فيما ترى تصريفهم عليه من أسباب المنافع والمصالح ؛ وأستطير

الإحسان لمن أحدث طريقته ، وقوم بالتأديب من ذممت فعله وكرهت سيرته ، فاعلم هذا وأعمل به ، وطلع بما يُحتاج إلى المطالعة بمثله ؛ إن شاء الله عز وجل .



ومن المكتتب بالوظائف الديوانية من هذه المرتبة نسخة توقيع بنظر الدواوين ، وهى :

أحق الأعمال بأن ينعم فيها النظر الشافى ، ويندب لحمل عبئها الأمين الكافى ، ويُجَال النظر فى تقليدها للقيم بأمرها ، ويعمل الرأى لأرتياد القوى على ضبطها وحصرها ، ما كان منها جامعاً لمصالح الدولة ، حائراً لمهام المملكة : وهى أعمال الديوان ، والنظر فى حفظ وجوه الأموال وما يُعين على استئناسها ، ويعود بالزيادة فى أصول أبوابها ؛ إذ كان ذلك ملاك الأمور ، وزمام التدبير فى حفظ الجمهور ، والمؤونة العظمى على الاستئناس من الرجال الذين بهم يتم حفظ البلاد وحماية الشعوب .

ولمّا سلطنا البحث على استصلاح من نؤهل له هذه المنزلة ، واستخلاص من نُحِلّه بهذه المرتبة ، أدانا الاختبار والانتقاد ، وأنتهى بنا الاعتيام والأرتياد ؛ إلى اختيار الشيخ فلان : حين سَفرت له النباهة فى الكفائة ، والوجهة فى الخبرة والدراية ؛

(١) وجب ... على اختصاصه بالفضل الذى تحلّى بأدبه ، والعفاف الذى اشتهر من مذهبه ؛ من انحصال الحميدة ، والخلال الرشيدة ؛ والفضائل الموروثة والمكتسبة ، والخلائق المتتقاة المهذب ، ورأيناه أهلاً لإحلال هذه المكانة ، وعدلاً قيماً باحتمال هذه الأمانه ؛ وعلمنا أن الصنعة عنده زاكية المغارس ، والنعمة المفاضة عليه ضافية الملبس ؛ فقلدناه أمر الديوان بحلب وما معها من البلاد المضافة إليها

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

والداخلة في حكمها : قاصي ذلك ودانيه ، وأواسطه وحواشيه ؛ مقدمين الاستخارة فيما بُدئ به من قول ، ونعزم عليه من فعل .

وأمرناه أن يستشعر تقوى الله سبحانه فإنها الجنة الواقية ، والذخيرة النافعة الباقية ؛ ويعتاق أسبابها فإنها المنتجة من المهالك ، الهادية إلى السبل الواضحة إذا اشتبهت المسالك ؛ محققا ما توسمناه فيه من مخايل الأصله ، ودلائل الجزاله ؛ مصدقا ما استلمحناه من كفايته وغناؤه ، واستوحناه من استقلاله واستقصائه .

وأن يبدأ فيرتب في كل معاملة أمينا من الثقات الكفاه ، مشهودا له بالنهضة والأمانة المستوفاه . وأن يزم الأعمال القاصية والدانية ، والبلاد القريبة والنائية ؛ بالضبط المستقصى ، والحفظ المستوفى ؛ وبمن يرتبه عليها من الكتاب الأمناء ، ويستصلحه لها من الحفظة النصحاء . ويتتبع حال من بها من الثواب : فمن شهدت له التجربة بالكفاية ، ودل الاختبار منه على العفة والأمانة ، استدامه في خدمه المنوطة به ، وطالع من حاله بما يقضى له حسن النظر بحسبه ؛ ومن ألقاه متنبكا سبيل الأمانه ، مقارفا طريق العجز والحيانه ، بادر إلى الاستبدال به ، وعجل قطع ما بينه من الخدمة وبين سببه . وأن يسترفع البواقى من الأموال ، في سائر الجهات والأعمال ، إلى آخر التاريخ الذى تليه مباشرته ، ويتصل بأخره مبدأ نظره وفاتحته ؛ موثقة أوراق ذلك بخطوط الأمناء ، مفصلة جهاته بأسماء المعاملين والضماناء ؛ حتى إذا حلت إليه ، وضارت حجة على رافعها في يديه ؛ طالبه بمواقفة من هو في ذمته ، وتقدم بعد تصديقه على ذلك بمضايقتة بعد المطالعة بجلي الحال وحققتة . ثم يسترفع من مستوفى الديوان وعماله شروط الضمان ورسومهم ، وقواعدهم في الضمان وعوائدهم :

ليكون علم ذلك عنده مبينا ، ووقت مساس الحاجة إليه حاضرا . ^(١) ويتطلب بجراند الضياع خاصها ومقطعها المشتملة على ذكر رسومها وحقوقها ؛ وعدد فئتها

(١) الأولى بل الصواب ميسر الحاجة .

ومَقَاسِهَا . وجَرَائِدِ الخِرَاجِ اللّازِمِ لأرباب الأملاك على أملاكهم ، وتحقيق المصفوح عنه والمسامح به والباقي على الأداء فى جهته . وجَرَائِدِ الجزية مفصّلة فى نواحيها ، وأسماء أربابها إلى حين رفعها - وأن يطالب نواب الجزية فى كل شهر بختمة تتضمن ذكر مصارف ما يحول إليهم ، وإقامة وجوه المال الذى جمع عليهم ؛ مفصّلة مميزة الإبتاعات عن الإطلاقات ، والضّيافات عن السفّرات والإصبطلات ؛ وكذلك نواب الأهرء يسترفع منهم ما يدُلُّ على مثل ذلك ، وسائر المتولين فى سائر الخدم يطالبهم بهذه المطالبة ، ويضيق عليهم فى مثل ذلك سبيل المغالطة والمواربة ؛ ويجعل مؤاخذتهم بذلك من الأمور الراتبه ، والوظائف اللّازمة الواجبه ؛ حتى يتبين له الكافى من العاجز ، والأمين من الخائن .

وليتأمل وجوه الإخراجات ، ومبلغ الإطلاقات والإدّارات ؛ ويسترفعه من مظانه مفصّلا بجهاته ، منسوبا إلى أربابه ؛ ويتقدم بكتب مؤامرة جامعة لذلك التفصيل ، دالة على المقدار المطلق فى كل سنة محكّم النظر الدقيق دون الجليل ؛ وليعتمد فى إطلاع ما يطأق منها على سبيل ما يوقع به عند ذلك ، وليكن هذا من الأمور الجارية على العادة والرسم ، ويلزمه كل من نواب الديوان .



ومن المكاتب منها بالوظائف الدينية نسخة تقليد بولاية الحسبة ، من إنشاء الوزير ضياء الدين بن الأثير ، وهى :

(وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

هذا أمرٌ يَشمَلُ على معنى الخُصُوصِ دونَ العُمُومِ ، ولا يَخْتَصُّ به إلا ذُوو الأوامرِ المُطَاعَةِ أو ذُوو العُلُومِ ؛ وقد منَحَنَا اللهُ هذينِ الوصفينِ كِلَيْهِمَا ، وجعلَنَا من المُسْتَخْلَفينِ عليهما .

فَلنبَدَأُ أولاً بِحمده الذي هو سبب للزَيدِ ، ثم لنأخُذُ في القيامِ بأمره الذي هو على كُلِّ نفسٍ منه رقيبٌ عتيدٌ ؛ ولا ريبَ أن إصلاحَ العِبَادِ يَسِيرُ إلى الأرضِ حتَّى تزكُوَ بَطُونُهَا ، وتَمُوَّ عُمُونُهَا ، وَيَشْتَرَكَ في بركاتِ السماءِ ساكنُهَا ومُسْكُونُهَا ؛ والأمرُ بِذلكِ حِمْلٌ إن لم تتوزعْه الأَكُفُ نُقل على الرقابِ ، وإِذَا أنتشرتْ أطرافُ البلادِ فإنها تفتقرُ إلى مُساعدَةٍ من مستنيبٍ ومستنابٍ ؛ وقد آخَرْنَا مَدِينَةَ كذا رجلاً لم نأل في أَخْتِيَارِهِ جُهْداً ، وقدمنَا فِيهِ خَيْرَةَ اللهُ التِي إِذَا صَدَقَتْ نَيْتُهَا صَادَقَتْ رُشْدَاً ؛ وَهُوَ أَنْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ فُلانُ .

فابْسُطْ يَدَكَ [بِقُوَّةٍ] ^(١) إِلَى أَخِيذِ هَذَا الكِتَابِ ، وَكُنْ حَسَنَةً مِّنْ حَسَنَاتِنَا التِي تَمَّ يَرْجَحُ بِهَا مِيزَانُ الثَّوَابِ ، وَحَقَّقْ نَظَرَنَا فِيكَ فَإِنَّهُ مِن نُّورِ اللهِ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ مِن حِجَابٍ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمْرَ الشَّرِيعَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّيْسِيرِ لا عَلَى التَّعْسِيرِ ؛ وَلا يَضَعُ اللِّسَانَ مَوْضِعَ السُّوِطِ إِلا مِّنْ أُوتِيَ زِيَادَةً فِي التَّفْسِيرِ ؛ وَفِي سَنَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دُوحَةٍ لَمَّا لَزِمَهَا ، وَهِيَ هَدَى لِمَنْ عَمِلَ بِهَا وَنُورٌ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا ؛ وَيَكْفِي مِّنْ ذَلِكَ قِصَّةُ الأَعْرَابِيِّ الَّذِي أَتَى حاجَتَهُ فِي المَسْجِدِ فَسَارَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَهَاجَمَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ مَيْسِرِينَ وَلَمْ تَبْعَثُوا مَعْسِرِينَ ، ثُمَّ دَعَا بِذُنُوبٍ مِّنْ ماءٍ فَصَبَّهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا أَخَا العَرَبِ إِنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُوضَعْ لَشَيْءٍ مِّنْ هَذَا وَإِنَّمَا وَضِعَتْ لِلصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ » .

(١) الزيادة من "المثل السائر" ص ٤١٦ .

فانظر إلى هذا الرفق النبوي الذي سننى وكفى، وعنى على أثر المعصية لمّا عفا،
ولو عاد ذلك الأعرابى لمثلها لُنقل عن لين التهذيب، إلى شدة التأديب، وكذلك
فكن أنت فى الرفق الذى حدثت عنه، ومن عاد فينتقم الله منه.

ونحن نأمرك أن تحتسب أولاً بلين القول لا بالأنف [و] النكير، وأن تترقق
فى الموعظة التى هى طريق إلى الخشية والتذكير، وأن لا تكون باحتسابك مُدلاً
بأنك على الصراط المستقيم، وأن الناس بين يديك على سَنَنِ التثقيف والتقويم؛
فإن من أكبر الذنوب ذنب الإعجاب، والأولى لك حينئذ أن تعود على نفسك
بالاحتساب؛ ^(١) ومن أدبك وأدب أمثالك أن يقف فى أمره بالمعروف مع التقوى
لامع هوآه، وأن لا يُفرك فى إزالة المعصية أن تكون بيده أو بيد أحدٍ سواه؛
وإذا كنت كذلك قرّنتك الله بمن أنزل السكينة على لسانه ويده، وقوم له أود الناس
لتقويم أوده، والله ينظر إلى قلب ابن آدم لا إلى عمله ولا إلى جسده. وعليك
بالمجاهدين الذين سلب عنهم ثوب العافيه، ومن آخفى منك بالاستتار فلا تكشف
عن حاله الخافيه. وأما ذُوء الهيئات فإن عثراتهم تُقال، وأعراضهم لا تُدال، ولربما
كان التجاوز عنهم داعياً إلى الانتقال؛ وفى قصة أبى محجن وسعد ما ينبئك أن الحياء
أغنى فى الأزدجار، وفى الناس أذئاب لا قدر لها تدب عنه ورءوس تدب عما لها
من الأقدار. وهاهنا من ضروريات الوصايا ما يؤتى فى مثله بتوكيد الأقوال، وأكثر
ذلك يدور فى المعاملات التى ألّفها قوم دون قوم، وأستمروا عليها يوماً دون يوم؛
وقد أتى منها ما اتفق على العمل به كل فريق، وأيسر ذلك إزالة النخامة من المسجد
وإماطة الأذى عن الطريق.

(١) فى القاموس أحتسب عليه أنكرومته المحتسب.

وهذه الوصايا كلها لا تفتقر فيها إلى التوقيف ، وأنت عالم بوضع كلِّها في موضعه
وغيرك الذي يتعدى إلى التحريف ؛ فامض على السنن ، وأت بالحسن ؛ وسويين
حالتيك في السر والعلن ، وكن من خوف الله ورجائه بين رحلة سفر وقرارة وطن .
وهذا عهدنا إليك تتقمص اليوم منه رداء جميلا ، وستحمل غدا منه عبئا ثقيلا ؛
وقد فرضنا لك عن حق سعيك فريضة تجد بها كفافا ، وتمنعك أن تمد عينيك إلى
غيرها استشرافا ، فإن العمل الذي توليته يستغرق أوقاتك أن تكون للدنيا كاسبه ،
وتشغل نفسك بالعمل والنصب لا أن تكون عاملة ناصبه . وإذا نظرت إلى ما يبط
بك وجدته قد استحصى الزمن أو كاد ، وأنت فيه بمنزلة الباني وقواعده :
« وكل بناء على قدر بانيه وما شاد » . ونحن نأمر ولاتنا على اختلاف مراتبهم
أن يرفعوا من قدرك ، ويسدّدوا من أمرك ، وإذا استوعر عليك أمر من
الجوانب سهلوا من وعرك ؛ والله قد أمر أهل طاعته بأن يكون بعضهم لبعض
من الأعوان ، فقال جل وتعالى : ﴿ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى
الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

الحالة الرابعة

(مما يُكتب عن ملوك الديار المصرية من الولايات ماعليه مصطَح كُتَّب الزمان
 بديوان الإنشاء بالديار المصرية مما يُكتب عن السلطان لأرباب السيوف
 والأقلام وغيرهم من التقاليد والمراسيم والتفويض والتوقيع ،
 على ما سياتى بيانه ، وفيه [ثلاثة^(١)] مقاصد)

المقصد الأول

(فى مقدمات هذه الولايات ، وفيه مهيعان)

المهيع الأول

(فى بيان رجوع هذه الولايات إلى الطريق الشرعى)

قد تقدم فى أول الكلام على العهود أن السلطنة فى زماننا دائرة بين إمارة
 الاستيلاء : وهى أن يقّده الخليفة الإمارة على بلاد ويفوض إليه تديرها فيستولى
 عليها بالقوة ، وبين وزارة التفويض : وهى أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه
 تدير الأمور برأيه وفصلها على اجتهاده ، وأنها بإمارة الاستيلاء أشبه ، على ماتقدم
 بيانه هناك . وقد صرح الماوردى فى "الأحكام السلطانية" أنه إذا كمل فى المستولى
 على الأمر بالقوة بعد تولية الخليفة له مع اشتماله على الصفات المعتبرة فى المولى
 فى الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة الإسلام ، والحرية ، والأمانة ، وصّدق
 اللّهجة ، وقلة الطمع ، والسلامة من الميل مع الهوى ، والبراءة من الشّحناء ،
 والدّكاء ، والفطنة - جازله ما يجوز للخليفة من تولية وزارة التفويض وغيرها من
 سائر النّيابات ، وجرى على من استوزره أو استنابه أحكام من استوزره الخليفة

(١) بياض بالأصل والتصحيح من الآتى .

أو أستنابه؛ وإن لم يستكمل الصفاتِ المعتبرة في الولاية الصادرة عن اختيار الخليفة،
أستتاب له الخليفة لكل ولاية من تتكامل فيه شروطها .

قلت : وقد كانت ملوك بني بويه وبني ساجوق مع غلبتهم على أمر الخلفاء
ببغداد وأستيلائهم يقتصرون في تصرفهم على متعلقات الملك في الجهاد والتصرف
في الأموال ، ويكفون أمر الولايات إلى الخليفة يباشرها بنفسه ، وتكتب عنه
العهود والتقاليد على ما تشهد به نسخها الموجودة من إنشاء الصابي وغيره . وكذلك
الخلفاء الفاطميون بمصر عند غلبة وزراءهم على الأمر من لدن خلافة المستنصر
وإلى انقراض خلافتهم من الديار المصرية ، كالصالح طلائع بن رزيك في وزارته^(١)
للفائز والعاقد ، ونحو ذلك : فإن الخليفة هو الذي كانت الولايات تصدر عنه
تارة بإشارة الوزير ، وتارة بغير إشارته ، على ما تشهد به نسخ السجلات المكتتبة
في دولتهم ، على ما تقدم بيانه في الفصل الأول من هذا الباب . على أن أصحابنا
الشافعية وغيرهم من أئمة الفقهاء - رحمهم الله - قد صححوا الإمامة بغلبة الشوكة
والأستيلاء على الأمر بالقهر دون استكمال شروط الإمامة ، تصحيحاً للأحكام
الشرعية الصادرة عن المستولى بالشوكة : من العقود والفسوخ وإقامة الحدود
وغيرها ، على ما هو مذکور في باب الإمامة . وحينئذ فتكون جميع الولايات الصادرة
عن السلطان صحيحة شرعاً وإن لم يستنبه عنه الخليفة ؛ وكذلك ما يترتب عليها ،
على ما الأمر جارٍ عليه الآن .

(١) ضبطه المجد في قاموسه فقال « كقيط » . ونقل عن الحافظ ابن حجر ضبطه بكسر الزاي و صوبه
شارح القاموس و به ضبطه ابن خلدان في تاريخه .

المهية الثاني

(فيما يجب على الكاتب مراعاته فى كتابة هذه الولايات)

وأعلم أنه يجب على الكاتب فى ذلك مراعاة أمور .

الأمر الأول - براعة الاستهلال بذكر اسم المولى أو نعتيه أو لقبه أو الوظيفة ،
أحوال الولاية ، مع استصحاب براعة الاستهلال إلى آخر الخطبة ونحوها من
الافتتاحات ، كما أشار إليه الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله فى كتابه "حُسن
التوسل" كما تقدم ذكره فى الكلام على البيعات والعهود .

الأمر الثانى - مراعاة قطع الورق فى الجملة لكل ما يكتب من ديوان الإنشاء
من المكاتب والولايات وغيرها . والذى يختص بهذا المكان ذكر مقادير قطع
الورق فيما يتعلق بهذه الولايات خاصة ، وهى خمسة مقادير : - أحدها قطع الثلثين ،
ويختص فى الولايات بكبار التقاليد دون غيرها - وثانيها قطع النصف ، وفيه تُكتب
صغار التقاليد ، والمراسيم المكبرة ، والتفويض ، وكبار التواقيع - وثالثها قطع
الثث ، وفيه تُكتب صغار المراسيم المكبرة ، والتواقيع المتوسطة - ورابعها قطع
العادة المنصوري ، وفيه تُكتب صغار التواقيع والمراسيم التى لأصحابها بعض ميزة
لا تنتهى بهم إلى رتبة قطع الثث - وخامسها قطع العادة الصغير ، وفيه تُكتب
صغار التواقيع والمراسيم التى هى فى الرتبة الأخيرة .

الأمر الثالث - معرفة ما يناسب كل قطع من هذه المقادير من الأقلام .
وقد تقدم فى المقالة الثالثة تقلا عن "التعريف" ما لكل مقدار من الأقلام . والمتعلق
بهذا الموضوع من ذلك أن لقطع الثلثين قلم الثلث الثقيل ، ولقطع النصف قلم الثلث
الخفيف ، ولقطع الثلث قلم التوقيعات ، ولقطع العادة مطلقاً قلم الرقاع .

الأمر الرابع — معرفة اللَّقب المطابق لرتبة كل ولاية وصاحبها من الألقاب
الأصول المتقدم ذكرها في الكلام على الألقاب من المقالة الثالثة . وهي المَقَرَّ،
والجَناب، والمجلس، ومجلس كذا على الإضافة؛ وما يُناسب كل لقب من هذه
الألقاب من الفروع المرتبة عليها، كوصف المَقَرَّ بالكريم العالی، ووصف الجناب
تارةً بالكريم العالی، وتارةً بالعالی مجرداً عن الكريم، ووصف المجلس تارةً بالعالی،
وتارةً بالسامی، وإضافة مجلس في حق أرباب السيوف إلى الأمير فيقال : مجلس
الأمير، وفي حق أرباب الأقلام من العلماء وأصحاب الدواوين إلى القاضي فيقال :
مجلس القاضي ، وفي حق الصلحاء إلى الشيخ فيقال مجلس الشيخ؛ وإن لمن دون
هؤلاء الصِّدْر ويوصف بالأجل فيقال الصِّدْر الأجل؛ وأن لكل أصل من هذه
الأصول فروعا شتى ترتب عليه . وتقدم أيضا في المقالة الرابعة في الكلام على
المكتبات الصادرة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية في زماننا إلى أهل المملكة
مكتبة كل واحد ممن جرت العادة بالمكتبة إليه، وما يختص به من الألقاب
الأصول والفروع .

وَأعلم أن الولايات أعم من المكتبات : فقد يكون للشخص ولاية من الأبواب
السلطانية وليس له مكتبة، إذ المكتبات إنما تكون لقوم مخصوصين من أرباب
الولايات . إذا علم ذلك فكل من له مكتبة عن الأبواب السلطانية من أرباب
السيوف والأقلام ممن تقدم ذكره في الكلام على المكتبات إذا كتبت له ولاية
نعت بألقابه ونعوتها التي بها يكتب عن الأبواب السلطانية، إلا أن الدعاء المصدَّر به
المكتبة يجعل في الآخر دون الأول : فإذا كانت المكتبة إلى أحد « أعزَّ الله تعالى
انصار المَقَرَّ الكريم » قيل في ألقابه في الولاية « المَقَرَّ الكريم » إلى آخر ما يقتضيه
الحال، ثم يقال : فلان أعزَّ الله تعالى أنصاره؛ وكذلك في البواقي . أمَّا من لم تجر

العادة بمكاتبة إليه عن الأبواب السلطانية ممن يُولى عنها فإن لكل طبقة ألقاباً تخصهم . ونحن نذكر الألقاب الأصول وما يتفرع عليها لكل طبقة من كل طائفة على الوضع الذى تقتضيه الولايات دون المكاتبات، ليُجرى كل من أرباب الولايات على ما يناسبه من الألقاب .

وقد علمت فيما تقدم فى الكلام على الألقاب فى المقالة الثالثة أن الألقاب على خمسة أنواع^(١) :

النوع الأول - ألقاب أرباب السيوف

والمستعمل منها بديوان الإنشاء تسع مراتب :

المرتبة الأولى - المقر الكريم مع الدعاء بعز الأنصار، وهى : المقر الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العونى، الغيائى، المتأخرى، المرابطى، المهمدى، المشيدى، الظهيرى، العابدى، الناسكى، الأتابكى، الكفيلى، الفلانى، معز الإسلام والمسلمين، سيد أمراء العالمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، ممد الدول، مشيد الممالك، عماد الملة، عون الأمة، ظهير الملوك والسلاطين، عضد أمير المؤمنين، فلان (باسمه) الفلانى (بلقب الإضافة إلى لقب السلطان) أعز الله تعالى أنصاره .

المرتبة الثانية - الجنب الكريم مع الدعاء بعز النصرة، وهى : الجنب الكريم، العالى، الأميرى الكبيرى العالمى، العادلى، المؤيدى، الزعيمى، العونى، الغيائى، المتأخرى، المرابطى، المهمدى، المشيدى، الظهيرى، الكافلى، الفلانى، معز الإسلام والمسلمين، سيد الأمراء فى العالمين، نصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش

(١) المعدود ستة فتنه .

الموحدين ، مقدّم العساكر ، مُمهد الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ،
 ظهير الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلاني (بلقب
 الإضافة إلى لقب السلطان) أعز الله تعالى نصرته .

المرتبة الثالثة — الجناب العالى مع الدعاء بمضاعفة النعمة ، وهى : الجناب
 العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادى ، المؤيدى ، العونى ، الزعيمى ،
 المهدي ، المشيدى ، الظهيرى ، الكافى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ،
 سيد الأمراء فى العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مُمهد
 الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، ظهير الملوك والسلاطين ، سيف
 أمير المؤمنين ، فلان (باسمه) الفلاني (بلقب الإضافة إلى السلطان) ضاعف الله
 تعالى نعمته .

المرتبة الرابعة — الجناب العالى مع الدعاء بدوام النعمة ، وهى : الجناب العالى
 الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المؤيدى ، الأوحدى ، النصيرى ، العونى ،
 الهمامى ، المقدمى ، الظهيرى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء
 فى العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ، مقدّم العساكر ، كهف الملة ، زخر الدولة ،
 عماد المملكة ، ظهير الملوك والسلاطين ، حسام أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ،
 أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة الخامسة — المجلس العالى والدعاء بدوام النعمة ، وهى : المجلس العالى
 الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، العونى ، الأوحدى ، النصيرى ،
 الهمامى ، المقدمى ، الظهيرى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء
 فى العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ، مقدّم العساكر ، كهف الملة ، زخر الدولة ،
 ظهير الملوك والسلاطين ، حسام أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله تعالى نعمته .

المرتبة السادسة — المجلس السامى بالياء، والدعاء بدوام التأييد ونحوه، وهى :
المجلس السامى ، الأميرى ، الكبيرى ، الذخرى ، النصيرى ، الأوحدى ،
المؤيدى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمراء ، ذخر المجاهدين ،
عمد الملوك والسلاطين ، فلان الفلانى ، أدام الله تأييده .

المرتبة السابعة — السامى بغير ياء ، والدعاء أدام الله رفعتة ونحو ذلك ، وهى :
المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحى ،
المرتضى ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، نحر الأمراء ، زين المجاهدين ،
عمدة الملوك والسلاطين ، أدام الله رفعتة .

المرتبة الثامنة — مجلس الأمير ، والدعاء أدام الله سعده ونحوه ، وهى : مجلس
الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحى ، المرتضى ، فلان
الدين ، مجد الأمراء ، زين المجاهدين ، عمدة الملوك والسلاطين ، فلان الفلانى ،
أدام الله سعده .

المرتبة التاسعة — الأمير مجزدا عن المضاف إليه ، وهى : الأمير ، الأجل ،
وربما زيد فيه فقيل الكبير ، المحترم ، ونحو ذلك .

النوع الثانى

(ألقابُ أرباب الوظائف الديوانية ، وهى على ست مراتب)

المرتبة الأولى — الجناب العالى مع الدعاء بمضاعفة النعمة . وفيها أسلوبان :
الأسلوب الأول — ألقاب الوزير وهى : الجناب العالى ، الصحابى ،
الكبرى ، العالمى ، العادلى ، الأوحدى ، الأكلى ، القوامى ، النظامى ، الأثيرى ،

البليغي، المنقذى، المسددي، المتصرفي، الممهدي، العوني، المدبري، المشيري،
الوزير، الفلاني، صلاح الإسلام والمسلمين، سيد الوزراء في العالمين، رئيس
الكبراء، كبير الرؤساء، أوجد الأصحاب، ملاذ الكُتاب، قوام الدول، نظام الملك،
مفيد المناجح، معتمد المصالح، مرتب الجيوش، عماد الملة، عون الأمة، مشير
الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، فلان الفلاني، ضاعف الله تعالى نعمته .

الأسلوب الثاني — ألقاب كاتب السر، عند ما استقر ما يكتب له تقليدا
في قطع الثلثين، وهي: الجنب العالی، القاضوي، الكبير، العالی، العادلي،
العلامي، الأفضلي، الأكلبي، البليغي، المسددي، المنقذی، المشيدي، العوني،
المشيري، اليميني، السفيري، الأصيل، العريق، الفلاني، صلاح الإسلام
والمسلمين، سيد الرؤساء في العالمين، قدوة العلماء العاملين، جمال البلغاء، أوجد
الفضلاء، جلال الأصحاب، كهف الكُتاب، يمين المملكة، لسان السلطنة، سفير
الأمة، سليل الأكارم، مشير الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، فلان الفلاني،
ضاعف الله تعالى نعمته .

قلت: وقد كان رتبته: المجلس العالی عند ما كان يكتب له توقيع في قطع
النصف .

المرتبة الثانية — المجلس العالی مع الدعاء بدوام النعمة؛ وفيها أربعة أساليب .

الأسلوب الأول — ألقاب كاتب السر على ما كان الأمر عليه في كتابة توقيع
في قطع النصف، ويدعى له: أدام الله نعمته، وهي: المجلس، العالی، بالألقاب
المتقدمة له مع الجنب العالی، على ما استقر عليه الحال .

الأسلوب الثانى — ألقاب ناظر الخاص ، وهى : المجلس العالى القاضى ،
الكبرى ، العالمى ، الفاضلى ، الأوحدى ، الأكلى ، الرئيسى ، البليغى ، البارعى ،
القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأثيرى ، المنفذى ، المسددى ، المتصرفى ،
الفلانى ؛ جمال الإسلام والمسلمين ، سيد الرؤساء فى العالمين ، قوام المصالح ، نظام
المنابع ، جلال الأكابر ، قدوة الكُتاب ، رئيس الأصحاب ، عماد الملة ، صفوة
الدولة ، خالصة الملوك والسلطين ، ولى أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله
تعالى نعمته .

الأسلوب الثالث — ألقاب وزير دمشق إذا صرح له بالوزارة ، وهى :
المجلس العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الأجلى ، الكبرى ، العالمى ، العادى ،
المؤيدى ، الأوحدى ، القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأثيرى ، المشيرى ،
الفلانى ؛ صلاح الإسلام والمسلمين ، سيد الوزراء فى العالمين ؛ رئيس الكبراء ، كبير
الرؤساء ؛ بقية الأصحاب ، ملاذ الكُتاب ، عماد الملة ، خالصة الدولة ؛ مشير الملوك
والسلطين ، خالصة أمير المؤمنين ؛ فلان الفلانى ، أدام الله تعالى نعمته .

الأسلوب الرابع — ألقاب ناظر النظار بالشام ، إذا لم يكن وزيرا ، وهى :
المجلس العالى ، القضاى ، الكبرى ، العالمى ، العالمى ، الأوحدى ، الرئيسى ،
الأثيرى ، القوامى ، النظامى ، المنفذى ، المتصرفى ، الفلانى : مجد الإسلام
والمسلمين ، شرف الرؤساء فى العالمين ؛ أوجد الفضلاء ، جلال الكبراء ؛ حجة
الكُتاب ، صفوة الملوك والسلطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان الفلانى ، أدام الله
تعالى نعمته .

المرتبة الثالثة — المجلس السامى بالياء مع الدعاء بدوام الرفعة وما فى معناها ،
وهى : المجلس السامى ، القَضَائى ، الأَجَلِّ ، الكَبِيرى ، العَالِمى ، الفاضلى ،
الكاملى ، الرئيسى ، الأَوْحَدى ، الأَصِيلى ، الأَثِيرى ، البَلِغى ، الفلانى ، مجد
الإسلام ، شرف الرؤساء فى الأنام ؛ زين البلغاء ، جمال الفضلاء ؛ أوحد الكُتَّاب ،
نحر الحُساب ؛ صفوة الملوك والسلاطين ، أدام الله تعالى رفعتَه .

فإن كان من كتاب الإنشاء ، أسقط منه « نحر الحُساب » .

المرتبة الرابعة — السامى بغير ياء ، مع الدعاء بدوام الرفعة ونحوه أيضا ، وهى :
المجلس السامى ، القاضى ، الأَجَلُّ ، الكَبِيرُ ، الصَّدْرُ ، الرئيسُ ، الأَوْحَدُ ، البارِعُ ،
الكاملُ ، الأَصِيلُ ، الفاضلُ ، فلان الدين ؛ جمال الإسلام ، بهاء الأنام ؛ شرفُ
الأكابر ، زين الرؤساء ، أوحد الفضلاء ؛ زين الكُتَّاب ، صفوة الملوك والسلاطين ،
أدام الله تعالى رفعتَه .

المرتبة الخامسة — مجلسُ القاضى ، وهى : مجلسُ القاضى ، الأَجَلُّ ، الكَبِيرُ ،
الفاضلُ ، الأَوْحَدُ ، الأَثِيرُ ، الرئيسُ ، البليغُ ، العريقُ ، الأَصِيلُ ، فلان الدين ؛ مجد
الإسلام ، بهاء الأنام ؛ شرفُ الرؤساء ، زين الكُتَّاب ، مُرتضى الملوك والسلاطين ،
أدام الله رفعتَه .

المرتبة السادسة — القاضى ، وهى : القاضى الأَجَلُّ . وربما زيد فى التعظيم
الصَّدْرُ ، الرئيسُ ، الكَبِيرُ ، ونحو ذلك .

النوع الثالث

(ألقابُ أربابِ الوظائفِ الدينية - وهى أيضا على ستِّ مراتب)

المرتبة الأولى - الجنابُ العالى - وهى لمن أستقرَ له كتابةُ تقليدٍ فى قطعِ
الثلاثين من قضاة القضاة بالديارِ المصرية وهو الشافعيّ ، وهى : الجنابُ العالى ،
القاضويّ ، الشّيخيّ ، الكيبرىّ ، العالميّ ، العالميّ ، الأفضليّ ، الأكلبيّ ، الأوحدىّ ،
البليغىّ ، الفريدىّ ، المفيدىّ ، النّجيدىّ ، القُدوىّ ، الحُجّيّ ، المحقّقىّ ، الورعىّ ،
الحاشعىّ ، النباسكىّ ، الإماميّ ، العلاميّ ، الأصيليّ ، العريقيّ ، الحاكبيّ ، الفلانىّ ؛
جمالُ الإسلامِ والمسلمين ، شرفُ العلماءِ العاملين ، أوحُدُ الفضلاءِ المفيدين ؛ قُدوةُ
البلغاءِ ، حُجّةُ الأُمَّةِ ؛ عمدةُ المحققين ، نخرُ المدرسين ، مفتىّ المسلمين ؛ جلالُ الحُكّامِ
بركةُ الدولة ، صدرُ مصرَ والشامِ ؛ معزُّ السنّةِ ، مؤيدُ الملةِ ؛ شمسُ الشريعةِ ، رئيسُ
الأصحابِ ، لسانُ المتكلمين ، حَكَمُ الملوكِ والسلطينِ ، ولىُّ أميرِ المؤمنين ؛ فلان
(بنسبه) أعزُّ اللهُ تعالى أحكامه .

وكذلك قاضى القضاة الحنفىّ بالديارِ المصرية عند ما أستقرَّ المكتوبُ له تقليدًا .

المرتبة الثانية - المجلس العالى ؛ وبها كان يكتب لقاضى القضاة الشافعيّ
قبل أن يستقرَّ ما يكتبُ له تقليدًا ، بالألقاب والنّعوت السابقة له مع الجناب ؛
وكذلك الثلاثةُ الباقون باختصارٍ فى الألقاب والنّعوت ؛ وهى : المجلس العالى ،
القاضويّ ، الكيبرىّ ، العالميّ ، العالميّ ، الأفضليّ ، الأكلبيّ ، الأوحدى ، البليغىّ ،
الفريدىّ ، المفيدىّ ، النّجيدى ، القُدوىّ ، الحُجّيّ ، المحقّقىّ ، الإماميّ ، الأصيليّ ،
العريقيّ ، الحاكبيّ ، الفلانىّ ؛ جمالُ الإسلامِ والمسلمين ، سيّدُ العلماءِ العاملين ،
أوحُدُ الفضلاءِ المفيدين ؛ قُدوةُ البُلاءِ ، حُجّةُ الأُمَّةِ ، عمدةُ المحدّثين ، نخرُ المدرسين ،

مفتي المسلمين؛ جلال الحُكَّام، حَكَمَ الملوك والسلاطين، فلان الفلاني (بنسبه)
أعزَّ الله تعالى أحكامه .

المرتبة الثالثة — المجلس السامي بالياء، وهي : المجلس السامي، القضاة،
الكبير، العالمي، الفاضل، الأوحدي، الرئيسي، المفيد، البليغ، القدوي،
الآثري، مجد الإسلام والمسلمين، جمال العلماء العاملين، أوجد الفضلاء، صدر
المدرسين، عمدة المفتين، خالصة الملوك والسلاطين، فلان الفلاني : أدام الله
تعالى تأييده .

المرتبة الرابعة — السامي بغير ياء، وهي : المجلس السامي، القاضي، الأجل،
الكبير، الصدر، الرئيس، العالم، الفاضل، الكامل، فلان الدين، مجد الصدور،
زين الأعيان، مرتضى الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعة .

المرتبة الخامسة — مرتبة مجلس القاضي، وهي : مجلس القاضي، الأجل،
الكبير، العالم، الفاضل، الأوحدي، الصدر، الرئيس، مجد الإسلام، بهاء الأنام،
زين الأعيان، نجر الصدور، مرتضى الملوك والسلاطين، فلان : أعزَّه الله تعالى .

المرتبة السادسة — مرتبة القاضي، وهي : القاضي، الأجل . وربما زيد
في التعظيم نحو الكبير، الصدر، الرئيس، ونحو ذلك .

النوع الرابع

(ألقاب مشايخ الصوفية - وهي على خمس مراتب)

المرتبة الأولى — المجلس العالی . وبها يكتب لشيخ الشيوخ بالديار المصرية،
وهي : المجلس العالی، الشيخ، الكبير العالی، العالی، السالكي، الأوحدي،

الزاهدى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، المقيدى، القدوى، الإمامى، النظامى،
الملاذى، جلال الإسلام والمسلمين، شرف الصلحاء فى العالمين، شيخ شيوخ
الإسلام، أوجد العلماء فى الأنام، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين، فلان،
أعاد الله تعالى من بركاته .

المرتبة الثانية — المجلس السامى بالياء، وهى : المجلس السامى، الشيخى،
الكبرى، الأوحدى، الأكملى، العابدى، الخاشعى، الناسكى، جمال الإسلام،
زين الأنام، صفوة الصلحاء، نحر العباد، بركة الملوك والسلاطين : أعاد الله تعالى
من بركاته .

المرتبة الثالثة — المجلس السامى بغيرياء، وهى : المجلس السامى، الشيخ،
الصالح، الزاهد، العابد، الورع، الخاشع، الناسك، السالك، فلان الدين،
مجد الصلحاء، زين المشايخ، قدوة السالكين، بركة الملوك والسلاطين : نفع الله
تعالى ببركته .

المرتبة الرابعة — مجلس الشيخ، وهى : مجلس الشيخ، الصالح، الزاهد،
العابد، الناسك، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، بركة الملوك
والسلاطين : أدام الله تعالى بركته .

المرتبة الخامسة — مرتبة الشيخ، وهى : الشيخ، الصالح، الورع، الزاهد،
ونحو ذلك : نفع الله تعالى به .

النوع الخامس

(ألقاب مَنْ قد يُكتب له بولاية من رؤساء العامة من التجّار وغيرهم)

وفيها أربع مراتب :

المرتبة الأولى — المجلس السامى بالياء ، وهى : المجلس السامى ، الصدرى ، الأجلّ ، الكبيرى ، الرئيسى ، الفلانى .

المرتبة الثانية — المجلس السامى بغيرياء ، وهى : المجلس السامى ، الصدر ، الأجلّ ، الكبير ، الرئيس ، المحترم .

المرتبة الثالثة — مجلس الصدر ، وهى : مجلس الصدر ، الأجلّ ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ، فلان الدين . ويقال فى ألقاب المهتارية ونحوهم : الحاج فلان .

المرتبة الرابعة — مرتبة الصدر ، وهى : الصدر ، الأجلّ . فإن زيد فى تكريمه قيل بعد ذلك : الكبير ، المحترم .

النوع السادس

(ألقابُ زعماء أهل الذمّة ، وهم ثلاثة)

الأول — بطرك النصارى اليعاقبة ، وهى : الحضرة السامية ، الشيخ ، الرئيس ، المبعجل ، المكرّم ، الكافى ، المعزز ، المفخر ، القديس ، شمس الرياسة ، عماد بنى المعمودية ، كنز الطائفة الصليبية .

الثانى — بطرك الملائكية ، وتختصر ألقابه عمّا يكتب به لبطرك اليعاقبة بعض الاختصار .

الثالث - رئيس اليهود، وهى : الرئيس الأوحُد، الأجل، الأعز، الأخص،
الكبير، شرف الداوديين، فلان أبو فلان : سده الله فى أقواله، وثبته
فى أفعاله .

قلت : ومما يجب التنبه له أن ماتقدم من الألقاب والنعوت المفرعة على
الألقاب الأصول ليست مما يوقف عند حد، بل محتملة للزيادة والنقص بحسب
ما تقتضيه الحال، ويحتمله المقال . بل ربما ولى بعض المناصب من فيه صفات
تستحق ألقابا ونعوتا خاصة، فيكتب له بذلك مراعاة لما يقتضيه حاله، ويستوجبه
مقامه، ثم يلى ذلك المنصب بعده من لا يستحق الوصف بالألقاب والنعوت التى
يخص المتقدم، فيؤتى بها للثانى : كما اتفق فيما كتب به فى نيابة الشام حين وليها
الأمير بيدمر الخوارزمي رحمه الله، وكان من الديانة على ما لا يوجد فى غيره .
فكتب فى ألقابه حينئذ : العايدى، الناسكى، الخاشعى . فلزمت فيمن بعده
وصارت مما يكتب به إلى الآن، سواء أنصف نائبا بدين أم لا - وكما اتفق
فى الصحاح علم الدين بن زنبور حين اجتمع له الوزارة ونظر الخاص والجيش،
فكتب له بألقاب ونعوت جامعة لألقاب تلك الوظائف ونعوتها، فاستمر ذلك فيما
يكتب به لكل من ولى الوزارة بعده إلى الآن، حتى إنه يكتب فى ألقاب الوزير
الآن « مرتب الجيوش » وهو من الألقاب الخاصة بناظر الجيش استطرادا لما
كتب به لابن زنبور : لأنضمام نظر الجيش إليه على ماتقدم - وكما اتفق فيما كتب به
للشيخ تقي الدين السبكي من الألقاب الجليلة المقدر، الرفيعة المكانة، فى قضاء
الشام لرفعة مقامه، واتساع باعه فى العلم، وعلو مكانته فى الخاصة والعامة فلزم
كتابة ذلك لقاضى قضاة الشافعية بالديار المصرية، من حيث إنه لا يليق بالحال

أن يكون قاضي الشام أعلى رتبةً من قاضي الديار المصرية . ثم سرى ذلك في كل من ولي المنصب بعد ذلك ، وهلمَّ جرًّا إلى زماننا .

ومما يلتحق بذلك أنه قد جرت العادة في الزمن المتقدم وهلمَّ جرًّا إلى زماننا أنه كان يكتب في الطرة لأرباب السيوف بعد الأُميري « الكبيرى الفلانى » بلقب الإضافة إلى لقب السلطان كالناصرى ونحوه ، بخلاف أرباب الأقلام فإنه لم تجر العادة بأن يكتب لهم ذلك في شيء من طرة تقاليدهم ولا تواقعهم ، إلى أن لبس القاضى سعدُ الدين بنُ غرابِ الكُوتة ، وأستقر إستادارا في الدولة الناصرية فرج ابن برقوق ، ثم أستقر مشيرا وكتب له تقليدًا بالإشارة كتب له في طرة تقليده بعد الكبيرى « الناصرى » لجمعه بين السيف والقلم . ثم جرى بعض الكُتاب على مثل ذلك في غيره من أرباب الأقلام الأكارب : كالوزير ، وكاتب السر ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، ومن في معناهم من أرباب الوظائف الديوانية . والحجة فيه ظاهرة من حيث إن كلاً من المذكورين إذا كُتب عنه كتاب ، كُتب في أعلاه تحت البسملة « الملكى الناصرى » وإذا كتب عنه قصة ، كتب فيها تحت البسملة « الملكى الفلانى » . ومقتضى ذلك أن يكتب لقب الإضافة إلى لقب الساطنة في تقليده أو توقيعه على ما تقدمت الإشارة إليه من فعل بعض الكُتاب .

الأمر الخامس — مما يجب على الكاتب مراعاته معرفة الوصف اللائق بصاحب الوظيفة .

فيجب عليه مراعاة مايناسبه من الأوصاف التى يقع بها تقرظه ومدحه :

فإن كان نائب سلطنة وصفه بالشجاعة، والنجدة، وقوة العزم، والشهامة،
 وشدة الشكيمة، ونصرة الدين، وكف [الأيدى] العادية، وإرهاب العدو، وقمع
 المفسدين، وإرغام أهل العُدوان، وحماية الثغور - إن كان في نغر - ووفور الهيبة،
 وبعد الصيت، وطيران السمعة، مع بسط المعذلة والرفق بالرعية، والرافة بخلق الله
 تعالى، والشفقة عليهم، والإحسان إلى الكافة، والأخذ بقلوبهم، والوقوف مع
 أحكام الشريعة، وبذل الطاعة، والمناصحة، والمخالصة، وقدم هجرته في الدولة - إن
 كان قديم هجرة - ومرور الدول عليه - إن كان قد مرت عليه دول - ، وأنه نشأ
 الدولة - إن كان ابتداء أمره فيها - ، ونحو ذلك .

وإن كان نائب قلعة وصفه بالحدق، واليقظة، وقوة الحزم، وشدة
 التحرز، والمعرفة بأحوال الحصار وضروب القتال وطرق التحصين والمدافعة،
 ونحو ذلك .

وإن كان وزيراً وصفه بحسن التدبير، وجرأة الرأي، والإحتياط في الأمور،
 والقيام بمصالح الإسلام، وعمارة البلاد، والنهوض في المهمات، وكف الأيدى
 العادية، والأخذ على يد المتعدى، وتمية الأموال وتثمينها، وتسهيل ما يجرى من
 الأرزاق على يده، وبذل الجهود في معاضدة الشريعة، وشبه ذلك مما يجرى
 هذا المجرى .

وإن كان كاتب سر وصفه بالفصاحة والبلاغة، وقيام أقالمه في التأثير
 في العدو مقام السيف والرمح، وكثيبه في تفريق الكتاب مقام الجيوش
 والعساكر، وسداد الرأي، وكتم الأسرار، وحماية المالک بنتائج أفكاره،
 وما شا كل ذلك .

وإن كان ناظر جيش وصفه بالمعرفة بأمر الجيوش وترتيبها ، وأصناف
الأمرء ، والجُند ، والمستخدمين ، وترتيب مقاماتهم ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان ناظر الخاص وصفه بالمعرفة بأمر الحساب ، والنهضة في المهمات ،
والمعرفة بأحوال ديوان الخاص وجهاته ، والقدرة على تحصيل الأموال وزيادتها ،
ومعرفة ما يحتاج إليه من أصناف الأقمشة والطرز وغيرها ، مع الأمانة والعفة ،
وما يجري مجرى ذلك .

وإن كان مستوفى الصحبة وصفه بالمعرفة بفنون الكتابة ، ونظم الحسابات ،
والاحتياط في استرفاعها ، مع الضبط والاحتراز والأمانة والعفة وما هو من هذا
القييل .

وإن كان ناظر خزانة الخاص وصفه بالأمانة ، والعفة ، والمعرفة بأصناف
الخزانة : من الأقمشة ، والتشارييف ، والطرز ، ومعرفة مراتب أربابها ، وما يناسب
كل واحد منهم من أنواع التشارييف من عاليها وهابطها ، وما يطابق ذلك .

وإن كان قاضيا وصفه بغزارة العلم ، وسعة الفضل ، ونصرة السنة ، وقمع
البدعة ، والعدل في الأحكام ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، والأخذ للضعيف من
القوي ، والنزاهة عن المطاعم الوخيمة ، والمطامع الرديئة ، والبعد عن الأهواء
في الحكم ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان محتسبا وصفه بعد وصفه بالفضل بالعفة ، والأمانة ، وعلو الهمة ،
وقوة العزم ، والصرامة ، ووفور الهيبة ، والنهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
والنظر في مصالح المسلمين ، وعدم محاباة أهل الدنيا وأرباب الجاه ، وأنه لا يفرق
في الحق بين الجليل والحقير ، وما في معنى ذلك .

وإن كان وكيلاً بيت المال وصفه بعد العلم والديانة بالوقوف مع الحق ،
والثبوت فيه ، ومراعاته المصلحة العامة في كل ما يتعلق به ، والمعرفة بشروط الاعذار
ومواقع ابداء الدافع ونفيه ، وأنه يقدم مصالح المسلمين على مصالح نفسه ،
وما يقارب ذلك .

وإن كان مدرّساً وصفه بسعة العلم ، والتضلع بالفنون ، والأخذ من كل منها
بحظّ وافر ، وطول الباع في البحث والمناظرة ، والوقوف مع الحق فيها ، وعدم
الجدال في الباطل ، وتربية الطلبة ، وتأديبهم ، والتقريب على من عسر على فهمه
شئ من المسائل ، وعدم الترفع عليهم ، وتزليلهم منازلهم في الفضل ، وتقديم من
برع منهم .

وإن كان خطيباً وصفه بالفصاحة ، والبلاغة ، وقوة اللسان ، وشدة الشكيمة
في الكلام ، وتأثير وعظه في القلوب ، وأنسكاب الدموع من وقع عظامه ، وما
أشبه ذلك .

وإن كان شيخ خانقاه وصفه بالورع ، والزهد ، والنسك ، وقطع العلائق من
الدنيا ، وتربية المريدين وتسليكهم ، والوقوف مع طريق السلف الصالح .

وإن كان رئيس الأطباء وصفه بالحدق في الطب ، والمهارة فيه ، وتقديمه على
غيره في الفن ، والمعرفة بالعقاقير وما فيها من نفع وضرر ، والمعرفة بالأمراض والعلل
وطرق العلاج ، وما يجري مجرى ذلك .

وإن كان رئيس الكحالين وصفه بالمعرفة في صنعة الكحل ، والتقدم على أبناء
صنعتهم فيه ، والمعرفة بحال العين وأمراضها ، وأصناف الأكمال ، وما يوافق كل
علة من ذلك ، وما ينخرط في هذا السلك .

وإن كان رئيس اليهود أو بطركا من بطاركة النصارى، وصفه بالمعرفة بأمور ملته، والوقوف مع قوانين شرعته، ومعاونة العدل في جماعته، والتزام شروط الذمة، والوقوف عند حدّها، والدخول تحت الطاعة، والوقوف عند ما حدّ له، ونحو ذلك .

الأمر السادس — مما يجب على الكاتب مراعاته وصية ربّ كل ولاية من الولايات المعتبرة بما يناسبها .

وأعلم أن كل ما حسن وصية المولى به، حسن وصفه به . والوصايا مختلفة باختلاف موضوعاتها، إلا أن الجميع يشترك في الوصية بتقوى الله، فهي الأسس الذي يبنى عليه، والركن الذي يُستند إليه . وهذا الباب هو الذي يطول فيه سيح الكاتب، ويحتاج فيه إلى سعة الباع؛ فإنه ما لم يكن الكاتب حاذقاً بما يلزم ربّ كل ولاية ليوفّيها في الوصية حقّها، وإلا ضلّ عن الطريق، وحاد عن جادة الصنعة . ولذلك يقال للكاتب: « القلم الأكبر » : لأنه بصدد أن يعلم كلّ واحد من أرباب الولايات ما يلزمه في ولايته .

وحيث إن كان المتولّى « نائب سلطنة » وصّى بتفقد العساكر، وعرض الجيوش، وإنهاضها للخدمة ... (١) ... للوظائف من يليق بها، وتنفيذ الأحكام الشرعية، ومعاونة حكام الشرع الشريف، وإجراء الأوقاف على شروط واقفيها، وملاحظة البلاد وعمارتها، وإطابة قلوب أهلها، والشّد من مباشرى الأموال، وتقوية أيديهم، وملازمة العدل، وعدم الانفكاك عنه؛ وتحصين ما لديه من القلاع، وأستطلاع الأخبار والمطالعة بها، والعمل بما يردّ عليه من المراسيم

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة ولعله « وأنتقائه » للوظائف الخ .

السلطانية، وأنَّ ما أشكل عليه يستضىء فيه بالآراء الشريفة، والإحسان إلى الجند،
وتعيين إقطاع مَنْ مات منهم لولده إن كان صالحا، ونحو ذلك .

وإن كان « نائب قلعة » وصى بحفظ تلك القلعة، وعمارة ما دعت الحاجة
إلى عمارة منها، والأخذ بقلوب من فيها، وجمعهم على الطاعة، وأخذ قلوبهم
بالإحسان إليهم، وتحصينها بآلات الحصار، وأدخار آلات الحرب : من المجانيق
والقسيّ وسائر الآلات : من السهام، واللبوس، والسائر، وغير ذلك . وكذلك
آلات أرباب الصنائع، كالآلات الحدادين، وصنّاع القسيّ ومن في معناهم مما
يحتاج إلى عمله في آلات القلعة، والأعتناء بفتح أبواب القلعة وفتحها، وتفقد
متجددات أحوالها في كل مساء وصباح، وإقامة الحرس، وإدامة العسس،
وتعرف أخبار المجاورين لها من الأعداء، وإقامة نوب الحماة بها، والمطالعة بكل
ما يتجدد لديه من الأخبار .

وإن كان «وزيرا» وصى بالعدل وزيادة الأموال وتتميرها، والإقبال على تحصيلها
من جهات الحلّ، واختيار الكفاة الأمانة، وتجنب الخونة، وتطهير باه، وتسهيل
حجابه، والنظر في المصالح، وأنه لا يستبدل إلا بمن ظهر لديه عجزه أو خيائته،
والنظر في أمر الرواتب وإجرائها على أربابها .

وإن كان «كاتب سر» وصى بالأهتمام بتلقى أخبار الممالك وعرضها على المواقف
الشريفة، والإجابة عنها بما تبرز به المراسيم الشريفة، وتعريف التواب في الوصايا
التي تكتب في تقاليدهم عن المواقف الشريفة ما أمهم عليهم، ويبيّن لهم ما يقفون

(١) جرى على اللغة القليلة والكثير الشائع إغلاق فتنه .

عند حدّه ، والنظر في تجهيز البريد والتجّابة ^(١) ، وما يُبعث فيه من المصالح ويتفدّ فيه من المهّمّات والقُصّاد ، ومعرفة حقوق ذوى الخدمة والنصيحة ، وإجرائهم في رسوم الرواتب وعوائد البر والإحسان على أتمّ العوائد ، وتأليف قلوبهم ، والأخذ بجواطرهم ؛ والنظر في أمر الكشّافة والديّاب والناظرة والمنّاور والمحرقات وأبراج الحمام ؛ وصرف نظره إلى رسل الملوك الواردة ، ومعاملتهم بالإكرام ، والأخذ في صون سرّ الملك وكتّانه حتى عن نفسه ، وضبط ألواح البريد ، والاحتراز فيما تؤخّذ عليه العلامة الشريفة ؛ ومرعاة كُتاب ديوان الإنشاء ، والإحسان إليهم ، وأن لا يستكتب في ديوانه إلا من علم صلاحه لذلك وكفايته ، ووثق منه بكتّان السرّ كما يتق به من نفسه .

وإن كان « ناظر جيش » وصّى بالاحتياط في أمر ديوانه ، والوقوف على معالم هذه المباشرة ، وجرائد الجند ، والإقطاعات ، وتحرير الكُشوف والمحاسبات ، وأستيضاح أمر من يموت من أرباب الإقطاعات من ديوان المواريث أو من المقدمين والثقباء ، والاحتراز في أمر المربعات وجهات الإقطاعات وما يترتب عليها من المناشير ، والنظر في أمر المقطعين : من الجند ، والعرب ، والتركان ، والأكراد ، ومن عليه تقدمة أو درك بلاد أو غير ذلك .

وإن كان « ناظر خاص » وصّى بالاحتياط لِدِوانه ، والأخذ في تحصيل أموال جهاته وتتميتها وتثميرها ، وزيادتها وتوفيرها ؛ والتحرّز فيما يرفع من حسباناتها ، والأهتمام بأمر التشاريف والخلع ، وما يختص بكل ولاية وغيرها من التشاريف ،

(١) جرى العامة في هذا الاستعمال .

وما جرت به العادة من الهدايا المحضرة إلى ملوك الأقطار ، والأخذ في ذلك كله بالخطّ الأوفى للديوان السلطانيّ ، وما يجري مجرى ذلك .

وإن كان «مستوفى صحبة» وصى بإلزام الكتاب بما يلزمهم من الأعمال وتحريرها ، وعمل المكلفات وتقدير المساحات ، وتمييز ما بين تسجيل القدن في كل بلد بحسب ما يصلح لها من الزراعة ، وتمييز قيم بعضها على بعض ، ومستجدّ الجرائد ، وما يقابل عليه من ديوان الإقطاعات والأعباس وغير ذلك .

وإن كان «ناظرًا لخزانة الخاص» وصى بتحصيل ما يحتاج إليه لتفصيل الخاصّ وتشاريف أرباب السيوف والأقلام : العرب ، والتركان ، والأكراد ، وغيرهم ؛ وهدايا الملوك وما يجري مجرى ذلك : من العتّابي والأطلس ، والمشرّش ، والمقنّس والمتمّر ، والطرازات على اختلافها : من الزركش ، والباهي ، وأنواع المستعملات ، وما يجمل من دار الطراز ، وما يُبتاع للخزانة العالية ، وما هو مرصّد لها من الجهات التي يجمل إليها متحصّلها : لينفق في أثمان المبيعات ومصرف المستعملات ، والأحتراز فيما يُنفق من الأثمان وقيمة المبتاع ، وشهادات الرسائل المكتتبه إليه بالحمول وما يكتب بها من الرجعات ، وأن يحصل كلّ شيء هو بصدد الحاجة إليه قبل الاحتياج .

وإن كان «قاضيا» وصى بالتروى في أحكامه قبل إمضاءها ، وأن يراجع الأمر مرّة بعد أخرى ، واستشارة أهل العلم ، والرّجوع إليهم فيما أشكل عليه ، واستخارة الله تعالى قبل الإقدام على الحكم ، والقضاء بحق الخصم بعد وضوحه ، والتسجيل له به ، والإشهاد على نفسه بذلك ، والتسوية بين الخصوم حتى في تقسيم النظر إلى الخصمين ، والتحرّي في استيداء الشهادات ، وأن لا يقبل من الشهود الا من عُرف

بالعدالة : من ربّ قلم أو سيف ، والتنقيب عما يصدر من العُقود ، ولا يعول من شهود القيمة إلا على كل عارف بالقيم خبير بها ، والنظر في أمر الرُّسل والوكلاء ، والنظر في أمور أهل مذهبهم ، والأعتناء بشأنهم .

ويُزاد « الشافعي » التوصية بالنظر في دعاوى بيت المال ومُحَاكِمَتِهِ ، والاحتراز في قضاياها ولا يُقبلُ فيها بينةً لو كِلَ بيت المال فيها مدفع ، ولا يُعملُ فيها بمسألة ضعيفة ، والنظر في أمر أموال الأيتام وأمر المتحدّثين فيها بالإحسان إليهم ، وكذلك أموال الصدقات الجارية تحت نظره ، والتيقُّظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها ، وأن لا يعمل في مسألة تفرد بها مذهبهُ إلا بما نصَّ عليه إمامه أو كان عليه أكثر أصحابه ، ولا يعتمد في ذلك مرجوحاً ولا ما تفرد به قائله ، وأن لا يولى في البرّ نائباً إلا من عُرِفَ استحقاقه وأهليته لما يتولاه .

ويُزاد « الحنفي » الوصية بالعمل بما اقتضاه مذهبهُ من الأمور التي فيها صلاح لكثير من الناس : كتزويج المعصرات ، وشُفْعَةُ الجوار ، ونفقة المعتدة البائن ، وعدم سماع بينة الإعسار إلا بعد مضيّ المدة المعبرة في مذهبهِ ، والإحسان إلى من ضمّه نطاق ولايته ممن تزح إليه من أهل الشرق وأقاصي الشمال .

ويُزاد « المالكي » الوصية بالتحري في بينات الدماء ، والإعذار إلى الخضم ليديّ مالدیه من دافع ، والعمل بما تفرد به مذهبهُ مما فيه فسحة للناس : كالشُّبوت بالشهادة على الخط ، وولاية الأوصياء ، وإسقاط الرِّيع في الوقف المستردّ بعد البيع ، والإحسان إلى من لديه من غرباء أهل مذهبهِ ، لاسيما من أتاه من بلاد المغرب .

ويُزاد « الحنبلي » الوصية بالأحتياط في بيع مادّثر من الأوقاف والاستبدال بها ، ورعاية المصلحة في ذلك لأهل الوقف بما أمكن ، والفسخ على من غاب عن زوجته

الغِيبة المستوجبة للفسخ عندهم ، ووقف الإنسان على نفسه ، وأمر الجوائح التي يحصل بها التخفيف عن ضعفاء الناس ، والمعامل على الزرع بالحرث ونحوه ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى ، والوصية بأهل مذهبه الذين هم أقل المذاهب عدّة وأنزرتهم وظائف وأوقافا ، ومعاملتهم بالإحسان .

وإن كان « قاضى عسكر » وصّى بنحو ما يوصى به [القاضى] وأن يتخذ معه كاتبًا يكتب للناس ، وأن يقبل من الجند من كان ظاهره العدالة ، فإنّ الشهود المعدّين لتحمل الشهادة يعزّ وجودهم في العسكر ، وأن يكون له منزل معروف يقصد فيه إذا نصبت الخيام ، وأحسن ما يكون ذلك عن يمين الأعلام السلطانية ؛ وأن يكون مستعدّا للأحكام التي يكثر فضلها في العسكر : كالغنائم ، والشركة ، والقسمة ، والمبيعات ، والردّ بالغيب ، وأن يسرع في فصل القضاء بين الخصوم : لئلا يكون في ذلك تشاغل عن مواقع الحرب ومقدماته ، وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى .

وإن كان « محتسبا » وصّى بالنظر في أمر المكاييل والموازين وسائر المقادير ، والتحذير من الغش في الطعام والشراب ؛ وأن يتعرّف الأسعار ، ويستعلم الأخبار في كل سوق من غير علم أهله ؛ وأن يقيم على الأسواق وأرباب المعاييش من ينوب عنه في النظر في أمورهم من الأمناء المأمونين ؛ وأن لا يمكن أحدًا من العطارين من بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يستتراب به بخط متطبب لمريض ؛ وأن يمنع المتحيلين على أكل أموال الناس بالباطل : من الطرقيّة وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى بنى ساسان من تعاطى ما يتعاطونه من ذلك ، ويقمعهم ويحسم مادّتهم ، والتصدي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمنع من الغش

(١) أى المنجمين الذين يدعون معرفة الغيبات بمقتضى النظر في النجوم .

وإخبار المشتري بأزيد مما اشترى به ، والنظر في أمر فقهاء المكاتب والعالمات من النساء ، ولا يمكن منهم أحدا [أن] يتعاطى ذلك إلا من عرفت أمانته ، وأثرت صيانتته ، وأن لا يستنيب إلا أهل العفة والأمانة والنزاهة ممن بعد عن الطمع ، ونأى عن مطاعم السوء .

وإن كان «وكيل بيت المال» وصى بالعمل بالشرع الشريف في جميع أحكامه ، وأن من مات وله ورثة تستوعب ميراثه لا يكلفهم ثبوتاً فيه تعنت ومدافعة عن حقهم ، والتشديد في أمر من كانت قصته منكراً ، والتحرز من شهود الزور في مثل ذلك ، وأن يرجع في كل ما يساع ويؤجر إلى العوائد ، وأن يتحرز في شهادة شهود القيمة ، ولا يرجع فيها إلا لمن يوثق به ممن يكون عنده معرفة بقيمة الأشياء ، ويذبه على أن له أن يدعى بحق المسلمين حيث شاء عند من يشاء من أصحاب المذاهب ، وأن الدعوى عليه لا تكون إلا في مجلس الحكم العزيز الشافعي ، على ما جرت به العادة القديمة ، والاحتياط في حق بيت المال ، وليختر للاستنباط في الأعمال من يصلح لذلك .

وإن كان «مدرسا» وصى بأن يقبل على جماعة درسه بطلاقة وجه ، وأن يستميلهم إليه جهد استطاعته ، ويربيهم كما يربي الوالد ولده ، ويستحسن نتائج أفكارهم التي يأتون بها في درسه ، ويقدم منهم من يجب تقديمه ، وينزل كل واحد منهم منزلته ، ليهزم ذلك إلى الإكباب على الاشتغال والأزدياد في التحصيل . ثم يأتي [في] كل مدرس بما يناسبه من أمور العلم الذي يدرس فيه إن كان يدرس في علم خاص .

وإن كان «خطيبا» وصى برعاية حق رتبة الخطابة والقيام بحق ازدواجها ، وأن يأتي من المواعظ بما يقرع الأسماع بالوعد والوعيد ، ويلين القلوب القاسية ،

وأن يُعَدَّ لكل مقامٍ يقومه مقالاً يقوله ، وأن يخفف الخطبة ، ويأتى بها بليغةً مفهومة ، إلى غير ذلك من متعلقات الخطابة .

وإن كان «شيخ خانقاه» وصى بالأجتهاد فى العبادة، والمشى على طريق السلف : من الزهد، والورع، والعفاف ؛ وأن يأخذ جماعته بما أخذه فى الأمور؛ وأن يعرف جماعة مكانه حقوقهم الواجبة لهم ويُنزِلهم منازلهم خصوصاً أولى السابقة منهم ، ويأخذ فى الرفق بهم ومداراتهم ، مع ترتيب من استجد منهم ، وإجرائهم على طرائق الصوفية ، وتعريفهم الطريق إلى الله تعالى ، وتدرىح المرئدين على قدر ما تحتمله أفهامهم ، دون أن يهجم عليهم من أحوال الطريق بما لا تحتمله عقولهم . و [اتباع] سبيل الكتاب والسنة اللذين من حاد عنهما ضلَّ ، ومن خرج عن جادتهما زلَّ ، وكفَّهم عن ارتكاب البدع والجرى على منهاجها ؛ ومن أتى ذنبا نخذه بالتوبة والأستغفار ؛ والإنكار على من أخذ فى الشطحات ، والخروج عن قانون ظاهر الشريعة ، ومنع من نحا هذا النحو أو جرى على هذه الجادة ، والإحسان إلى من يقدم عليه من الآفاق ، وحسن التلقى له ، وإكرام نزله بعد أن يعجل له بالإذن ، والأمر بأخذ عكازة ، وفرش سجادة ، وما ينخرط فى سلك ذلك .

وإن كان «رئيس الأطباء» وصى بالنظر فى أمر طائفتيه ، ومعرفة أحوالهم ، ويأمر المعالج أن يعرف أولاً حقيقة المرض وأسبابه وعلاواته ، ثم ينظر إلى السن والفصل والبلد ، وحينئذ يشرع فى تخفيف الحاصل ، وقطع الواصل ، مع حفظ القوة ؛ وأن لا يهاجم الداء ، ولا يستغرب الدواء ، ولا يقدم على الأبدان إلا ما يلائمها ، ولا يخرج عن عادة الأطباء ولو غلب على ظنه الإصابة حتى يتبصر فيه برأى أمثاله ؛ ويتجنب الدواء ، ما أمكنته المعالجة بالغذاء ، والمركب ما أمكنته المعالجة بالمفرد ؛

ويتجنب القياس إلا ما صحَّ بتجريب غيره في مثل من أخذ في علاجه، وما عرض له،
وسنّه، وفصله، وبلده، ودرجة الدواء؛ وأن يحذر التجربة فإنها خطر، مع الاحتراز
في المقادير والكيفيات، وفي الاستعمال والأوقات، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر
عنه؛ ولا يأمر باستعمال دواء ولا ما يستغرب من غذاء حتى يحقق حقيقته، ويعرف
جديده من عتيقه، ليعرف مقدار قوته في الفعل.

وإن كان «رئيس الكهان» وصّى بالنظر في حال جماعته أيضا، ومعرفة
أحوالهم، وأن لا يصرف منهم إلا من عرف بحسن الإدارة والملازمة في العلاج،
ويأمر كلاً منهم أن لا يقدم على مداواة عين حتى يعرف حقيقة المرض، وأن
يلاطفها بما يناسبها من الغذاء، وأن يتخير من الكحل ما فيه شفاء العين وجلاء
البصر، وأن يستشير الأطباء الطبائعية فيما أهم، مما لا يستغنى عن رأى مثلهم فيه،
من تخفيف المادة بالاستفراغ أو نقص دم أو غير ذلك.

وإن كان «رئيس اليهود» وصّى بضم جماعته، ولمّ شملهم، والحكم فيهم بقواعد
ملائته، والنظر في أمور النكحة عندهم، وما يعتبر عندهم فيها على الإطلاق، وما يفتقر
إلى الرضا من الجانبين في العقد والطلاق، والنظر فيمن أوجب حكم دينه عليه
التحریم، والتوجه في صلاتهم تلقاء بيت المقدس إلى جهة قبلتهم، وإقامة حدود
التوراة على ما أنزل الله تعالى من غير تحريف ولا تبديل للكلمة بتأويل ولا غيره،
وأتباع ما أعطوا عليه العهد مع إزامه لهم [ما الترموه] من حكم أمثالهم من أهل الذمة
الذين أقروا في دار الإسلام على الصغار والإذعان لأهل الإسلام، وعدم مضايقتهم
للمسلمين في الطرق، وتميزهم بشعارهم في الحمام، كي لا يحصل اللبس بالمسلمين، وحمل
شعار الذمة على رؤوسهم: وهى العمام الصفرة؛ يأخذهم بتجديد صبغه في كل حين،
وعدم التظاهر بما يقتضى المناقضة: من ذكر الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم

بسوء، أو إظهار الخمر أو معتقدهم في العزير عليه السلام . وله أن يرتب طبقاتهم على ما تقتضيه مراتبهم عنده، وكذلك له التحدث في كئاس اليهود المستمرة إلى الآن بأيديهم، من حين عقد الذمة، من غير تجديد متخرب، ولا فعل مالم تُعقد عليه الذمة ويقرهم عليه السلف الأول .

وإن كان « بطرك النصارى المملكانية » وصى بما عليه بناء شرعته من المسامحة والأحتمال والصبر على الأذى، وعدم الأكرات به، وأخذ نفسه بهذه الآداب، وأنه يقدم المصالحة بين المتحاربين إليه قبل فصلها على البت فإنه قاعدة دينه المسيحى، ولم تخالف فيه الملة الإسلامية، وأنه ينقى صدور إخوانه من الغل، ويخلق بكل خلق جميل، ولا يستكثر من الدنيا، ويتتره عن أموال جماعته والتوسل إلى أخذها، وأن إليه أمر الكئاس والبيع، وعليه أن يتفقدتها في كل وقت، ويرفع مافيهما من الشبهات، ويحذر رهبان الديارات من جعلها مصيدة للال، وأن يتجنبوا فيها الخلوة بالنساء، ولا يؤوى إليه أحدا من الغرباء القادمين عليه يكون فيه ريبة، ولا يكتم ما أطلع عليه من ذلك عن المسامع الشريفة السلطانية، ولا يخفى كتابا يرد عليه من أحد من الملوك، أو يكتب له جوابا، ويتجنب البحر وما يرد منه من مظان الريب .

وإن كان « بطرك اليعاقبة » قيل في وصيته نحو ما تقدم في وصية بطرك المملانيين، إلا أنه لا يقال : وأعلم أنك في المدخل إلى شريعتك طريق الباب، بل يقال : وأعلم أنك في المدخل إلى شريعتك قسيم الباب، ومساو له في الأمر والنهى والتحليل والتحریم . ويقال بدل قوله « وليتجنب البحر » : « وليتوق ما يأتيه سرا من تلقاء الحبشة » .

قلت : وهذه الوصايا مدخل إلى ما يرضى به أصحاب الولايات ممن تقدم ذكره والأمر في الزيادة والنقص في ذلك بحسب المناسبة راجع إلى نظر الكاتب . على أن المقتر الشمهاني ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر في "التعريف" عدة وصايا ليست مما يكتب الآن ، فأضربنا عن ذكر مقاصدها هنا : لتورد برمتها في الكلام على ما يكتب في متن التقاليد والتواقيع ونحوها ، مع النسخ التي تورد هناك على صورة ما أوردها ، لينسخ على منوالها إن أمر بكتابة شيء منها .

المقصد الثاني

(في بيان مقاصد ما يكتب في الولايات ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في بيان الرسوم في ذلك ، ومقادير قطع الورق لكل صنف منها)

على سبيل الإجمال

وهي على أربعة أنواع :

النوع الأول

(التقاليد)

جمع تقايد . يقال : قلدته أمر كذا إذا وليته إياه . قال الجوهري : وهو مأخوذ من القلادة في العنق ، يقال قلدت المرأة فتقلدت ، قال : ومنه التقليد في الدين أيضا .

ثم التقاليد تستعمل على طرة ومتن ، فأما الطرة فقد أشار إليها في "التعريف" بقوله : وعنوانها «تقليد شريف لفلان بكذا» . وأوضح ذلك في "التثقيف" فقال :

وصورته : أن يكتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقتّر الكريم، أو إلى الجناب الكريم ، أو إلى الجناب العالى الأميرى الكبيرى ، الكافى ، الفلانى ، أعز الله تعالى أنصاره ، أو نصرته ، أو ضاعف الله تعالى نعمته ، نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، أو بحبّ المحروسة ، أو بطرابؤس المحروسة ، أو نحوها ، على أجمال العوائد فى ذلك وأكمل القواعد على ما شرح فيه .

قلت : وتفصيل هذا الإجمال : إن كان المكتوب له التقليد هو النائب الكافل ، كتب فى طرة تقليده : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقتّر الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكفيلى ، الفلانى ، فلان الفلانى ، بلقب الإضافة إلى لقب السلطان ، كالناصرى مثلا ، كقالة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية ، أعلاها الله تعالى على أجمال العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى المقتّر الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكفيلى ، فلان الناصرى ، مثلا كقالة السلطنة بالشام المحروس على أتمّ العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بـ"نيابة" السلطنة بحبّ ، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجناب الكريم العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكافى ، الفلانى ، فلان الناصرى ، أعز الله تعالى نصرته ، نيابة السلطنة الشريفة بحبّ المحروسة ، على أجمال العوائد فى ذلك وأكمل القواعد ، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بـ"نيابة" طرابؤس ، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجناب العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الكافى ، الفلانى ، فلان الناصرى : ضاعف الله

تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة، على أجمل العوائد في ذلك
وأكل القواعد، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بِنِياة السلطنة بجماعة، أُبدل لفظ طرابلس بجماعة .

وإن كان بِنِياة السلطنة بصفد، أُبدل لفظ طرابلس وجماعة بصفد، والباقي على
ما ذكر في طرابلس .

وإن كان التقليد بِنِياة السلطنة بغزة - حيث جعلت نيابة - كتب : تقليد
شريف بأن يفوض إلى الجنب العالى، الأميرى، الكبيرى، الكافى، الفلافى،
فلافى الناصرى : أدام الله تعالى نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بغزة المحروسة، على
أجمل العوائد، وأكل القواعد، على ما شرح فيه .

فإن كان مُقدّم العسكر كما هو الآن، أُبدل لفظ نيابة السلطنة الشريفة بلفظ
« تقديم العسكر المنصور » والباقي على ما ذكر .

وإن كان التقليد بِنِياة السلطنة بالكرك، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى
المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلافى، فلافى الناصرى : أدام الله تعالى
نعمته، نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس، على أجمل العوائد، وأكل القواعد،
على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بالوزارة، كتب : تقليد شريف بأن يفوض إلى الجنب العالى
الصاحبى، الفلافى، فلافى الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته، الوزارة الشريفة
بالمالك الإسلامية أعلاها الله تعالى، على أجمل العوائد، وأكل القواعد، بالمعلوم
الشاهد به الديوان المعمور، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بكتابة السرِّ، كُتِبَ : تقليدُ شريفٍ بأن يفوض إلى الجنب العالى، القاضوى، الكبيرى، اليمينى، الفلانى، فلانٍ الناصرى : ضاعف الله تعالى نعمته، صحابة دواوين الإنشاء الشريفة بالممالك الإسلامية، أعلاها الله تعالى، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، كُتِبَ : تقليدُ شريفٍ بأن يفوض إلى الجنب العالى، القاضوى، الكبيرى، الفلانى، فلان : أعز الله تعالى أحكامه، قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور، على ما شرح فيه .

وإن كان التقليد بقضاء قضاة الحنفية، كتب كذلك، إلا أنه يُبدل لفظ الشافعية بلفظ الحنفية .

وإن كان التقليد لأمر مكة، كتب : تقليدُ شريفٍ بأن يفوض إلى المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الشريفى، فلانٍ الفلانى : أدام الله تعالى نعمته إمرة مكة المشرفة، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شرح فيه .

وإن كان بإمرة المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، والتحية والإكرام، كتب كذلك إلا أنه يُبدل لفظ مكة المشرفة بلفظ المدينة الشريفة .

وإن كان بإمرة آل فضل، كتب : تقليدُ شريفٍ بأن يفوض إلى المجلس العالى، الأميرى، الكبيرى، الفلانى : أدام الله تعالى نعمته إمرة آل فضل، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شرح فيه .

هذه جملة ما عُهدت كُتبتُه من التقاليد المكتتبة من ديوان الانشاء بالأبواب الشريفة، فإن حدث كتابة ما يستحق أن يكتب له تقليدٌ، كالأتابكية ونحوها، كتب بالألقاب اللائقة بصاحبه .

ثم وراء ذلك أمران : أحدهما - أنه قد تقدم نقلا عن "التعريف" أنه يكتب في العنوان الذي هو الطرة : «تقليدُ شريفٍ لفلان بكذا» فإن كتب تقليدُ بكفالة السلطنة مثلا، كتب : «تقليدُ شريفٍ للمقرِّ الكريم، العالى، الأميرى، الكبيرى»، الفلانى، بكفالة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية، على أجمل العوائد، وأكمل القواعد، على ما شرح فيه .

الثانى - أنه اقتصر في "التثقيف" على قوله في آخر الطرة، على أجمل العوائد في ذلك وأكمل القواعد، وليس الأمر منحصرًا في ذلك، بل لو عكس بأن قيل : تقليدُ شريفٍ بأن يفوض إلى فلان كذا، أو تقليدُ شريفٍ لفلان بكذا على أكمل القواعد واجمل العوائد على ما شرح فيه، لكان سائغًا .

فإن كان صاحبُ التقليد على الرتبة : كالنائب الكافل، ونائب الشام، ونائب حلب، والوزير، وكاتب السر، ونحوهم، كتب على أجمل العوائد وأتمها، وأكمل القواعد وأعمها، أو بالعكس : بأن يكتب على أجمل العوائد وأعمها، وأكمل القواعد وأتمها، على ما شرح فيه .

وأما متن التقليد، فقد قال في "التعريف" إن التقاليد كلها لا تُفتتح إلا بالحمد لله وليس إلا، ثم يقال بعدها: أما بعد، ثم يذكر ما سنج من حال الولاية وحال المولى، وحسن الفكر فيمن يصلح، وأنه لم يراحق من ذلك المولى ويسمى؛ ثم يقال ما يفهم أنه

هو المقدم الوصف أو المتقدم إليه بالإشارة؛ ثم يقال: رُسِم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى (ويدعى له) أن يقَلَّد كذا، أو أن يفوض إليه كذا، والأوّل أجل؛ ثم يُوصى بما يناسب تلك الولاية مما لا بد منه تارةً جُملياً وتارةً تفصيلاً، وينبّه فيه على تقوى الله تعالى؛ ثم يُختم بالدعاء للمولوى، ثم يقال: وسبيل كل واقف عليه العمل به بعد الخطّ الشريف أعلاه .

قال: ولقضاء الكُتّاب في هذا أساليب، وتفنن كثير الأعاجيب، وكل مالوف غريب، ومن طالع كلامهم في هذا وجد ما قلناه، ونجلى له ما أبهمناه .

وذكره في "التثقيف" بأوضح معنى وأبين، فقال: ويكتب بعد الصدر بحُطبة مناسبة أولها الحمد لله إلى آخرها، ثم أما بعد، ويذكر ما يرى ذكره من حال الولاية والمولوى، ويذكر اسمه، وهو أن يقال: ولما كان المقر، أو الجناّب، وألقابه ونعوته إلى آخرها، ويدعى له: أعز الله أنصاره أو نصرته، أو نحوه، على ما جرت به عادته، ولا يُزاد على دعوة واحدة؛ ثم يقال ما يفهم أنه المراد بهذه الأوصاف، أو المعنى بهذه الإشارة أو نحو ذلك؛ ثم يقال: اقتضى حُسن رأينا الشريف، ويذكر ما يقتضى تكريمه وتعظيمه؛ ثم يقال: فلذلك رُسِم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى (ويدعى له بما يناسب الحال ثلاث دعوات أو أربعا) أن يفوض إلى المشار إليه كذا؛ ثم يقال: فليقلّد ذلك، أو فليقلّد هذا التفويض، أو نحو هذا؛ ثم يُوصى بما يناسب تلك الولاية مما لا بد منه، ويحرص أن ينبّه فيه على العمل بالتقوى؛ ثم يُختم بالدعاء للمولوى بالإعانة والتأييد ونحو ذلك ثلاث دعوات، وأقلها آثنتان؛ ثم يقال: بعد الخطّ الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه أعلاه إن شاء الله تعالى؛ ثم التاريخ

والمستند، والحمدلة، والحسبة على العادة. ولم يقل فيه: وسبيل كل واقف عليه، كما قال في "التعريف".

وأعلم أن التقاليد على اختلافها لا تخرج في مقادير قطع الورق عن مقدارين: الأول - قطع الثلثين بقلم الثلث الثقيل. وفيه يكتب لنواب السلطنة بمصر والشام مطلقا، وكذلك الوزير، والمشير، وكاتب السر، وقاضي قضاة الشافعية والحنفية بالديار المصرية.

الثاني - قطع النصف بقلم الثلث الخفيف. وفيه يكتب لذوي التقاليد من أمراء العرب: وهم أمير مكة المشرفة، وأمير المدينة الشريفة، وأمير آل فضل من عرب الشام على ما تقدم ذكره. ولا يكتب من التقاليد شيء فيما دون هذا المقدار من قطع الورق بحال. وسيأتي الكلام على نسخ التقاليد فيما بعد، إن شاء الله تعالى.

النوع الثاني

(مما يكتب في الولايات السلطانية المراسيم)

جمع مرسوم، أخذًا من قولهم: رسمت له كذا فارتسمه إذا أمثله، أو من قولهم: رسم على كذا إذا كتب، ويحتمل أن يكون منهما جميعا.

وهي على ضربين:

الضرب الأول

(المراسيم المكبّرة)

ولم يتعرض لها المقتر الشهابي ابن فضل الله في "التعريف" لأنها لم تكن مستعملة في زمنه وإنما حدثت بعده.

قال فى "التثقيف" : وهى على نمط التقاليد ليس بينهما اختلافٌ إلا فى أمرين : أحدهما - أنه لا يكتب شىء من المراسيم فى قطع الثلثين بل فى قطع النصف أو الثلث . الثانى - أنه لا يقال فيها «تقليد شريف» بل «مرسوم شريف» .

قلت : ويفترقان من أربعة وجوه . أحدها - أنه يقتصر فى طرة المرسوم على «الأميرى» دون «الكبرى» بخلاف التقاليد فإنه يقال فيها «الأميرى الكبرى» . الثانى - أنه يقال فى المرسوم : «أن يستقر» ولا يقال : «أن يفوض» ولا : «أن يُقلد» . الثالث - أنه لا يقال : «على أجمل العوائد وأتم القواعد» بل يقال : «على عادة من تقدمه وقاعدته» . الرابع - أنه لا يقال فى الصدر : «أما بعد» بل «وبعد» .

قال : وهى تخص بنواب القلاع المنصورة بالممالك الإسلامية ، وأمراء العربان أو من بالشام وحلب ، وشاذى مراكز البريد وغيرهم .

ثم هى على طبقتين :

الطبقة الأولى - ما يكتب فى قطع النصف بقلم خفيف الثلث . وذلك للنواب بالقلاع : من مقدّمى الألوفا والطبلخانات : كتاب حصص ، والرحبة ، والبيرة ، وقلعة المسلمين ، وملطية ، وطرسوس ، وأذنة ، وبهسنى ، والفتوحات الجاهانية وغيرها من يكتب له المجلس العالى والسامى بالياء أو بغير ياء على ما تقدم بيانه فى المكاتبات إليهم . وكذلك بعض أمراء العربان وهم أمير آل على ، وأمير آل مرا ، وأمير بنى عقببة . قال فى "التثقيف" : وصورة ما يكتب فى الطرة أن يكتب :

(١) لعله من بالشام الخ . تأمل .

« مرسومٌ شريفٌ بأن يستقرَّ المجلسُ العالى أو السامى الأميرى ، الفلانى ، فلان (ويدعى له بما يناسبه) فى النيابة فى الجهة الفلانية على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه » .

فإن كانت النيابة مقدمةً ألف : كنيابة الرّحبة ونحوها ، كُتِبَ فى طرّة مرسومٍ نائبها : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقرَّ المجلسُ العالى الأميرى الفلانى فلان ، أدام الله تعالى نعمته ، فى المكان الفلانى على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كانت النيابة طلبًا طَبْلَخَانَه كُتِبَ : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقرَّ المجلسُ السامى الأمير فلان ، أدام الله تعالى تأييده فى النيابة بمكان كذا ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » ، أو كُتِبَ : « مرسومٌ شريفٌ أن يستقرَّ المجلسُ السامى الأمير فلان الدين فلان ، أدام الله تعالى تأييده فى النيابة بمكان كذا ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كانت نيابة قلعة دِمَشْقَ ، كُتِبَ : « مرسومٌ شريفٌ بأن يستقرَّ المجلسُ العالى ، الأميرى ، فلان ، أدام الله تعالى نعمته فى النيابة بالقاعة المنصورة بدمشق المحروسة ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته ، على ما شرح فيه » . وكذلك كلُّ قلعة بحسب ألقاب نائبها التى يُكاتبُ بها .

ثم يُكْتَبُ فى الصّدر بعد البسملة خُطْبَةً مَفْتَحَةً بِالْحَمْدِ لِلَّهِ ، ثم يقول : وبعد ، ويأتى بنحو ما تقدّم ذكره فى التقاليد ، ثم يقال : ولما كان المجلسُ العالى أو السامى إلى آخر ألقابه ، ثم يقال : فلان ، ويدعى له بما جرت به عادته ، ويقال ما يفهم منه أنه المقصود بما تقدّم ذكره من المدح والأوصاف السابقة ؛ ثم يقال : فلذلك رُسم

بالأمر الشريف إلى آخره أن يستقر المشار إليه في كذا على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته، فليتناق ذلك ونحوه . ثم يوصى بما يناسب وظيفته التي تولّاها، ويختم بنظير ما تقدم ذكره في ختم التقاليد .

الطبقة الثانية — من المراسيم المكبرة ما يكتب في قطع الثلث بقلم التوقيعات . قال في "التثقيف" : وصورته في الطرة والصدر على ما تقدم في الطبقة الأولى، إلا أن خطبته تفتح بأما بعد حمد الله، وتختتم بما تقدم ذكره . قال : وقد تكتب لنواب القلاع من أمراء العشرات : مثل نائب بغراس، ونائب الدر بساك، ونائب كركر، ونائب الكختا، ونحوها . قال : وكذلك أرباب الوظائف غير النيابات، مثل شادّ الدواوين بالشام وحلب، وشادّ مراكر البريد بهما، ونحو ذلك، وبعض أمراء العرب : كأمر بنى مهدي، ومقدم عرب جرم، ومقدم عرب زبيد على نذرة فيه . فإن كان المرسوم بناية من النيابات المذكورة وغيرها، كتب : «مرسوم كريم بأن يستقر المجلس السامى، الأمير فلان الدين أعزه الله تعالى، فى النيابة ببغراس، أو بالدر بساك، أو بكركر، وما أشبه ذلك على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بشدّ بالشام أو بحلب، كتب : «مرسوم كريم أن يستقر المجلس السامى، الأمير، فلان الدين : أعزه الله تعالى فى شدّ الدواوين بالمكان الفلانى، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته على ما شرح فيه» . وإن كان بشدّ مراكر البريد، أبدل لفظ «شدّ الدواوين» بلفظ «شدّ مراكر البريد بالمكان الفلانى» . وإن كان بإمرة بنى مهدي، كتب : «فى إمرة بنى مهدي، على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب جرم، كتب : «فى مقدمة عرب جرم، على عادة من تقدمه وقاعدته» . وإن كان بتقدمة عرب زبيد، أبدل لفظ جرم بزبيد، وعلى ذلك .

الضرب الثاني

(من المراسيم التي تكتب بالولايات المراسيم المصغرة)

وهي ما يكتب في قطع العادة، وبها يكتب لأرباب السيوف بالولايات الصغيرة مثل نظير الأوقاف ونحوه . وهي صنفان :

الصنف الأول — ما يُترك فيه أوصال بياض بين الطرة والبسمة ، وهي أعلاها ، ويكتب بالسامى بغيرياء أو مجلس الأمير :

وصورتها أن يكتب في الطرة : « مرسوم شريف أن يستقر المجلس السامى الأمير فلان الدين ، أو مجلس الأمير فلان في كذا وكذا بما لذلك من المعلوم الشاهد به ديوان الوقف ، أو نحو ذلك ، على ما شرح فيه » ثم يكتب في الصدر بعد البسمة ماصورته : « رسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى » (باللقب الخاص ولقب السلطنة) ويدعى له بما فيه براءة الاستهلال بذكر الوظيفة أو اسم صاحبها أو لقبه ونحو ذلك ، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد « أن يستقر المجلس السامى ، الأمير ، الأجل » (إلى آخر ألقابه) ، أو أن يستقر مجلس الأمير ، الأجل (إلى آخر الألقاب) لما له من كذا وكذا (ويأتى من صفات المدح بما يناسب المقام) ثم يقال : فليباشر ذلك ، أو فليتلق ذلك ، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة بكذا ونحو ذلك . ثم يوصى بما يليق به ، ويدعى له بدعوتين فقط ، ثم يقال : بعد الخط الشريف العالى أعلاه الله تعالى .

قلت : وهذا الصنف إن روعى صاحبه ، كتب في قطع العادة المنصورى ، وإلا ففي قطع العادة الصغير . قال في "التثقيف" : ومما ينبه عليه أنه لا يكتب

مرسوم شريف في قطع العادة إلا بمثل نيابة الشقيف بصفد وصرخد ومجلون^(١) والصبيبة ، فإنه لا يؤتى فيها إلا مقدم حلقة او جندي ، ومثل هذا لا يكتب عن المواقف الشريفة إلا نادرا ، فإن كفال الممالك يستبدون بالتولية في ذلك .

الصف الثاني — ما يكتب في هيئة ورقة الطريق ، ويكون في ثلاثة أوصال ؛ وصورته أن يكتب في الطرة ماصورته : «مرسوم شريف أن يستقر فلان ، أو أن يرتب فلان في كذا وكذا ، على ما شرح فيه» ويكون ذلك في سطرين ، ولا يكتب في أعلاه الأسم الشريف كما يكتب في غيره : لأن من المعلوم أنه لا يكتب في هذا إلا الأسم الشريف فيستغنى عن ذكره ؛ ثم يكتب في آخر ذلك الوصل : «رسم بالأمر الشريف» على نحو ما تقدم ، إلا أنه لا يحتاج في الدعاء إلى ما يكون فيه براعة أستهلال ، بل يكفي «أعلاه الله وشرفه ، وأنفذه في الآفاق وصرفه» ونحو ذلك «أن يستقر فلان في كذا أو يرتب في كذا ، فليعتمد ذلك ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى» .

النوع الثالث

(مما يكتب في الولايات السلطانية التفاويض)

جمع تفويض ؛ وهو مصدر فوض الأمر إلى زيد إذا رده إليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ أى أرده إليه . قال في «التعريف» : وبه يكتب لعامة القضاة ، يعنى ممن دون أرباب التقاليد ، وهى من نمط التقاليد ، غير أنها يقال في تعريفها «تفويض شريف لفلان بكذا» . ومقتضى ما ذكره أنه إذا

(١) لعله وصدق بواو العطف . تأمل .

كتب « تفويض شريف بقضاء قضاة الديار المصرية مثلاً » يكتب في الطرة :
« تفويض شريف للجلس العالي ، القاضوي ، الكيروي ، بقضاء قضاة المالكية
بالديار المصرية ، علي أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان
المعمور علي ما شرح فيه » ثم يأتي بنحو ما تقدم ترتيبه في التقاليد ، إلا أنه
يكون أخصر .

قلت : ولم أرف علي نسخة تفويض غير نسخة واحدة من إنشاء المقر الشهابي
أبن فضل الله لبعض قضاة دمشق . وقد أنشأت أنا تفويضا بقضاء قضاة المالكية
بالديار المصرية لقاضي القضاة جمال الدين يوسف البساطي ، حين ولي علي أثر
ولاية قاضي القضاة جلال الدين البلقيني^(١) قضاء قضاة الشافعية ، أفتتحه بلفظ :
« الحمد لله الذي شفع جلال الإسلام بجماله » وكتبت له به ، وكتبت في طرته :
« تفويض شريف للجلس العالي ، القاضوي ، الجمالي ، يوسف البساطي المالكي ،
أعز الله تعالى أحكامه بقضاء قضاة المالكية بالديار المصرية ، علي أجمل العوائد ،
وأكمل القواعد ، علي ما شرح فيه » . وقرأته بالمجلس العام بالمدرسة المنصورية .
وسياتي ذكر نسخته في الكلام علي النسخ في المقصد الثاني من هذا الطرف ،
إن شاء الله تعالى .

(١) بلقينية بضم الباء وسكون اللام وكسر القاف كما في المعجم والقاموس .

النوع الرابع (التواقيع ، جمع توقيع)

قد تقدم في مقدمة الكتاب عن ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب : أن التوقيع معناه في اللغة التأثير الخفيف ، ومنه قولهم : ناقةٌ موقَّعةٌ الجنبه إذا أثر فيها الرجل تأثيراً خفيفاً ، وأنه يحتمل غير ذلك . وفي اصطلاح الأقدمين من الكتاب أنه اسم لما يكتب في حواشى القصص نخط الخليفة أو الوزير في الزمن المتقدم ، وخط كاتب السر الآن ؛ ثم غلب حتى صار علماً على نوع خاص مما يكتب في الولايات وغيرها . قال في "التعريف" : وهى على أنموذج التفاويض . قال : وقد يقال : أن يرتب ، وأن يقدم ، ثم قال : وعنوانها « توقيع شريف لفلان بكذا » ولا يقال فيها على اختلافها : « وسبيل كل واقف عليه » كما في التقاليد ، بل يقال : « فليعمد ما رسم به فيه بعد الخط الشريف أعلاه » . وقد ذكر في "التعريف" أنها تكون لعامة أرباب الوظائف جليلها وحقيريها ، وكبيرها وصغيرها ، حتى الطبليخانات اللاحقين بشأو الكبار فمن دونهم . وقال في "التثقيب" : إنها مختصة بالمتعممين من أرباب الوظائف الدينية والديوانية ، ولا يكتب لأرباب السيوف منها إلا القليل : مثل نظر السيارستان ، ونظر الجامع الجديد ، ونظر الحرمين الشريفين ، يعنى حرم القدس وحرم الخليل عليه السلام .

قلت : والجامع بين كلاميهما أنه في زمن صاحب "التعريف" كانت التواقيع يكتب بالوظائف لأرباب السيوف من الثيابات وغيرها قبل أن تُحدث المراسيم المكبرة المقدمة الذكر ؛ ثم خصت التواقيع بعد ذلك بالمتعممين دون أرباب

(١) الجنب والجانب والجنبه محركة شق الانسان . قاموس .

السيوف . ومضى الأمر على ذلك في زمن صاحب "التثقيف" فجرى على حكمه ولم يبق ممن يكتب له توقيع من أرباب السيوف سوى نظار الجهات الثلاث المتقدمة الذكر : من البيارستان المنصوري ، والجامع الجديد الناصري بمصر ، ونظر الحرمين : حرم القدس الشريف ، وحرم الخليل عليه السلام . والحكم باق على ذلك إلى الآن .

ثم التوقيع على اختلافها لا تخرج عن أربع طبقات :

الطبقة الأولى

(ما يفتح بخطبة مفتحة بالحمد لله ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع النصف بقلم خفيف الثلث . قال في "التثقيف" : وصورته يعني ما يكتب به لأرباب الأقلام أن يكتب في الطرة : « توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالي ، القاضوي ، الكبيرى ، الفلانى » (ويدعى له دعوة واحدة) بما جرت به عادته ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخروقت على ما شرح فيه .

قال : فإن كان حاكماً ، كتب له بعد الكبيرى ، الحاكى . وإن كان كاتب السر ، كتب له بعد الكبيرى ، اليمينى ، لا غير . ثم يكتب في الصدر خطبة مفتحة بالحمد لله ثم يقال : أما بعد ، والتتمة على نظير ما ذكر في التقاليد إلا فيما يليق بالوظيفة والمتولى لها مما يناسب الحال . وقد ذكر في "التثقيف" أنه كان يكتب بذلك للقضاة الأربعة بالديار المصرية ، والقضاة الأربعة بالشام ، وكاتب السر بمصر

(١) لم يذكر المقوض به إليه العلم به من نظائره والأصل أن يفوض الى المجلس نظر الجامع الجديد الناصري مثلاً بما جرت به الخ فتنه .

والشام ، وناظر الجيش بهما ، وناظر الدواوين المعمورة والصُّحبة الشريفة ، وهو ناظرُ الدولة .

وحيئنذ فإن كتب بذلك لقاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية على ما كان الأمرُ عليه أولاً ، كتب فى الطرة « توقيع شريف بأن يستقر المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى ، الفلانى ، فلان : أعز الله تعالى أحكامه ، فى قضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية ، على أجمل العوائد وأتمها ، وأكمل القواعد وأعتمها ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور ، على ما شرح فيه » .

وإن كتب به لقاضى القضاة الحنفية ، على ما كان الأمرُ عليه أولاً أيضاً ، كتب له نظير قاضى القضاة الشافعية إلا أنه يبدل لفظ الشافعية بـ «الحنفية» .

وإن كتب لقاضى القضاة المالكية ، على ما الأمر مستقرُّ عليه الآن ، كتب له كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية والحنفية بـ «المالكية» .

وإن كتب لقاضى القضاة الحنابلة فكذلك ، ويقال فيه «الحنابلة» .

وإن كتب به لأحد من القضاة الأربعة بالشام ، فكذلك ، إلا أنه يقال قضاء قضاة الشافعية أو الحنفية أو المالكية أو الحنابلة بالشام المحروس .

وإن كتب به لكاتب السرِّ على ما كان الأمرُ عليه أولاً ، كتب : « توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى ، اليمينى فلان ، ضاعف الله تعالى نعمته ، صحابة دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية أعلاها الله تعالى ، على أجمل العوائد ، وأكمل القواعد ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور ، على ما شرح فيه » .

وإن كُتِبَ به لكاتبِ السرِّ بالشام، أُبدِلَ لفظُ الممالكِ الإسلامية: «الشام المحروس» .

وإن كُتِبَ به لناظر الجيش بالديارِ المصريَّة، كُتِبَ: «توقيع شريفٍ بأن يفوض إلى المجلسِ العالى، القاضى، الكبيرى، الفلانى»: ضاعفَ الله تعالى نعمته، نظرَ الجيوش المنصورةِ بالممالكِ الإسلاميَّة، أعلاها الله تعالى على ما شُرح فيه» .

وإن كُتِبَ به لناظر الجيش بالشام، أُبدِلَ لفظُ الممالكِ الإسلامية: «الشام المحروس» .

وإن كُتِبَ به لناظر الدولة، كُتِبَ: «توقيع شريفٍ بأن يفوض إلى المجلسِ العالى، القاضى، الكبيرى، الفلانى، فلان، ضاعفَ الله تعالى نعمته، نظرَ الدواوين المعمورةِ والصَّحبةُ الشريفةُ، على أجمالِ العوائد، وأكملِ القواعد، بالمعلومِ الشاهدِ به الديوانُ المعمورُ على ما شُرح فيه» .

وإن كُتِبَ به لناظر البيارستان لصاحب سيف^(١)، كُتِبَ: «توقيع شريفٍ أن يفوض إلى المقرِّ الكريم، أو الجنابِ الكريم، أو العالى (على قدر رُتبته) الأميرى، الكبيرى، الفلانى، فلانِ الناصرى مثلاً: أعزَّ الله أنصاره، أو نصرتَه، أو ضاعفَ الله تعالى نعمته (بحسب ما يليق به) نظرَ البيارستانِ المعمورِ المنصورى، على أجمالِ العوائد، وأكملِ القواعد، بما لذلك من المعلومِ الشاهدِ به الديوانِ المعمورِ على ما شُرح فيه» . وكذلك نظرُ الجامعِ الحديدِ ونظرُ الحرمين الشريفين كلُّهما يناسب الألقاب . وعلى ذلك .

(١) لعله وكان صاحب سيف .

المرتبة الثانية من التواقيع — ما يكتب في قَطْعِ الثَلثِ بقلم التوقيعات ، وهو لمن مرتبته السامى بالياء . قال في "التثقيف" : صورته في الطرة والصدر على ما تقدم شرحه لكن بأخصر مما تقدم . قال : وبذلك يكتب لتقيب الأشراف ولقضاة القضاة بحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرک ، وكذلك لقضاة العسكر بالممالك المذكورة والمفتين بدار العدل بها ، ووكلاء بيت المال بها ، والمحتسبين ، ونظار الجيش بها ، وكتاب الدست بمصر والشام ، وناظر البيوت بالديار المصرية . وكذلك ناظر خزانة السلاح ، ومستوفي الصعبة ، وناظر بيت المال ، وناظر الخزانة الكبرى وخزانة الخصاص ، وناظر الأحباس ، ومشايخ الخواص الجبار : كسعيد السعداء ، وبيبرس بالقاهرة ، والشميمصاتيبة بدمشق . وكذلك مقدمة الترتبان بالشام ، وتقديم الأكراد به ، ومشیخة العائد .

فإن كتب بذلك لتقيب الأشراف ، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، الأميرى ، الفلانى» ، فلان : أدام الله تعالى علوه ، في نقابة الأشراف بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه وقاعدته ، على ما شرح فيه .

وإن كتب لقاضى قضاة الشافعية بحلب ، كتب «توقيع شريف أن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى» ، فلان : أيد الله تعالى أحكامه ، في قضاء قضاة الشافعية بحلب المحروسة ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته على ما شرح فيه .

وإن كتب للحنفى بها كتب كذلك ، وأبدل لفظ الشافعية بـ«الحنفية» وكذا فى المالكية والحنابلة .

وإن كتب لأحد قضاة القضاة بغيرها : كطرابلس ، وحماة ، وصفد ، والكرک ، أبدل لفظ حلب بلفظ تلك المدينة ، والباقي على حكمه .

وإن كتب لأحدٍ من قضاة العسكر بالممالك المذكورة ، كتب « توقيع شريف
بأن يستقر المجلس السامى ، القضاى ، فلان الشافعى ، مثلا أو نحو ذلك : أيد الله
تعالى أحكامه ، فى قضاء العسكر المنصور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه
فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب بإفتاء دار العدل بشىء من هذه الممالك ، أبدل لفظ « قضاء العسكر »
بلفظ « إفتاء دار العدل » والباقى على حكمه .

وإن كتب لأحدٍ من وكلاء بيت المال بها ، كتب « توقيع شريف أن يستقر
المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى وكالة بيت
المال المعمور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من المحتسبين بهذه الممالك ، كتب « توقيع شريف أن يستقر
المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى نظر الحسبة
الشريفة بالمكان الفلانى على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من وكلاء بيت المال بها ، كتب « توقيع شريف أن يستقر
المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى وكالة بيت
المال المعمور بالمكان الفلانى ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من نظار الجيش بها ، كتب « توقيع شريف أن يستقر
المجلس السامى ، القضاى ، الفلانى ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، فى نظر الجيوش
المنصورة بالمملكة الفلانية ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كتب لأحدٍ من كُتَّاب الدَّست بالديار المصرية، كتب «توقيع شريفٌ بأن يستقرَّ المجلس السامى، القضاءى، الفلانى، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه، فى كِتابَة الدَّست الشريف بالأبواب الشريفة». • ثم إن كان عن وفاة عيَّنه أو بتزول عيَّنه .

وإن كان بالشام، أُبدل لفظ «بالأبواب الشريفة» بلفظ «بالشام المحروس» .

وإن كتب بذلك فى نظر البيوت بالديار المصرية، كتب «توقيع شريف أن يستقرَّ المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى نظر البيوت المعمورة» .

وإن كُتِبَ لأحدٍ بنظر خزائن السَّلاح بالديار المصرية، كتب «توقيع شريفٌ بأن يستقرَّ المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى خزائن السَّلاح المنصورة، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب باستيفاء الصُّحبة، كتب «توقيع شريفٌ أن يستقرَّ المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى آستيفاء الصُّحبة الشريفة، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب بنظر بيت المال، كتب «توقيع شريفٌ بأن يستقرَّ المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى نظر بيت المال المعمور، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته» .

وإن كتب بنظر الخزانة الكُبرى، كتب «توقيع شريفٌ أن يستقرَّ المجلس السامى، القضاءى، الفلانى : أدام الله رفعتَه، فى نظر الخزانة العالية الكُبرى، على عادة من تقدّمه وقاعدته» .

وإن كتب بنظر خزانة الخاص ، أبدل لفظ الخزانة العالية الكبرى بلفظ خزانة الخاص الشريف ، والباقي على ما تقدم .

وإن كتب بنظر الأحباس ، كتب « توقيع شريف ان يستقر المجلس السامي » ، القضائي ، الفلاني ، فلان : أدام الله تعالى رفعتَه ، في نظر الأحباس المبرورة ، على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته .

وإن كتب بمشيخة الخانقاه الصلاحية (سعيد السعداء) كتب « توقيع شريف أن يستقر المجلس السامي ، الشيخي ، الفلاني : أعاد الله تعالى من بركاته ، في مشيخة الخانقاه الصلاحية ، على عادة من تقدمه وقاعدته .

وإن كتب بمشيخة خانقاه بيبرس ، أبدل لفظ « الخانقاه الصلاحية » بلفظ « الخانقاه الركنية بيبرس » والباقي على ما تقدم .

وإن كتب بمشيخة الشميصاتية بدمشق ، أبدل ذلك بلفظ « الخانقاه الشميصاتية بالشام المحروس » .

وإن كتب بتقدمة التركان بالشام ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامي ، الفلاني : أعزه الله تعالى ، في تقدمه التركان بالشام المحروس ، على عادة من تقدمه وقاعدته .

وإن كتب بتقدمة الأكراد ، أبدل لفظ « التركان » بلفظ « الأكراد » .

وإن كتب بمشيخة العائد ، كتب « توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامي الفلاني : أعزه الله تعالى ، في مشيخة العائد ، على عادة من تقدمه وقاعدته . وعلى ذلك .

الطبقة الثانية

(من التواقيع ما يُفتَح بلفظ « أما بعد حمد الله » وهو لمن رُتِبته

السامى بغيرياء ، وهى على مرتبتين)

المرتبة الأولى - ما يُكْتَب فى قِطْعِ الثلث ، وهو الأَصْلُ فيما يُكْتَب فى الثلث ثم تُرْفَعُ عنه إلى رُتْبَةِ الأَفْتِتاحِ بالحمد . ألا ترى أن المَنَاشِيرَ التى تُكْتَب فى قِطْعِ الثُّلُثِ بقلم التوقيعات تَفْتَحُ كُلُّها بلفظ « أما بعد » على ما سيأتى بيانه فى المقالة السادسة ، فى الكلام على المَنَاشِيرِ ، إن شاء الله تعالى .

وصورته أن يكتب فى الطِّرَّةِ « تَوَقِّعُ شَرِيفٌ بِأَنِ » يستقرُّ المجلس السامى ، القَضائى ، فلان الدين أو الشيخ فلان الدين فى كذا ، على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته ، على ما شَرِحَ فيه « ثم يكتب فى الصدر « أما بعد حمد الله » ويصلّى على النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : « فَإِنَّ أَوْلَى الأُمُورِ بِكُذِّاءٍ مَنْ هُوَ بِصِفَةِ كُذِّاءٍ » أو « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالتَّقْدِيمِ مَنْ هُوَ بِمِثْلِ كُذِّاءٍ » ونحو ذلك ، ثم يقال : « وَمَلَأَ كَانِ المَجْلِسِ » ويؤتى بنحو ما تقدّم فى المَفْتَحِ بالحمد لله .

قلت : وقد قلَّ استعمال هذا الضَّرْبِ بديوان الإنشاء الشريف وإن كان هو الأَصْلُ فيما يكتب فى هذا القِطْعِ ، حتى لا يكاد يُكْتَبُ به إلا فى النادر ، تغالبا فى رِفْعَةِ المكتوب لهم ، مع المسامحة لهم فى مثل ذلك .

المرتبة الثانية - ما يُكْتَب فى قِطْعِ العادة المنصورى .

والأمرُ فيه على ما تقدّم فيما يُكْتَب من هذه الطبقة فى قطع الثلث . قال فى "التثقيف" : وهو قليلٌ جدًّا لا يكون إلا فى تدريس كبير ، أو نظيرٍ وقِفِ

كبير، أو مشيخة الحرم الشريف بالقدس الشريف، إن لم يكن في قطع الثلث؛
أو لرجل كبير قديم الهجرة في الخدمة الشريفة، إلا أن الوظيفة صغيرة لا تقتضى أن
تكون في قطع الثلث .

الطبقة الثالثة

(من التواقيع ما يفتتح بلفظ «رسم بالأمر الشريف» وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع العادة المنصوري بقلم الرقاع، وهو لمن
رتبته السامي بغيرياء ممن لم تبلغ رتبته قطع الثلث . قال في «التثقيف»: وصورته
أن يكتب في الطرة «توقيع شريف بأن يستقر المجلس السامي القاضي فلان الدين؛
أعزه الله تعالى في كذا، أو أن يرتب، أو أن يقدم» ويذكر ما تضمنه الشاهد
من قصة أو قائمة من ديوان الوزارة أو الخاص أو غير ذلك «على ما شرح فيه». قال:
ثم يكتب في الصدر بعد البسملة «رسم بالأمر الشريف العالى، المولوى،
السلطاني، الملكى، الفلاني، الفلاني، باللقب الخاص، ولقب السلطنة»:
مثل الناصري، الزيني، ونحو ذلك (ويدعى للسلطان بأدعية تناسب الوظيفة
والمولوى لها، وأقلها ثلاث فقرات فما زاد) «أن يستقر المجلس السامي، القاضي،
فلان الدين فلان، أو مجلس القاضي فلان الدين فلان: أعزه الله تعالى في كذا،
لما له من صفات هي كذا وكذا (ويأتي من صفات المدح بما يناسب المقام)
ثم يقال: فليباشر ذلك، أو فليتلق هذا الإحسان، أو فليقابل صدقاتنا الشريفة»
ونحو ذلك؛ ثم يوصى بما يليق بتلك الرتبة، ويدعى له بسجعتين فقط . ثم يقال:
«بعد الخط الشريف أعلاه». ثم قال: وبذلك يكتب لكتاب الدرج، ومستوفي

الدولة ، وناظر الأهراء ، وناظر المطابخ ، ومشايخ الخوانق الصغار ، والتدريس الصغار ، وأنظار الأوقاف الصغار ، ونحو ذلك مما لا يأخذه حصر .

وحيث إن كُتِبَ بذلك لكاتب درج ، كتب فى الطرة « توقيع شريف أن يستقر مجلس القاضى فلان الدين فلان : أعزّه الله تعالى فى كتابة الدرج الشريف » .

وإن كتب به لمستوف من مستوفى الدولة ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله نعمته ، فى أستيفاء الدولة الشريفة على عادة من تقدمه » .

وإن كُتِبَ لناظر الأهراء ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله رفعتّه ، فى نظر الأهراء السعيدة » .

وإن كتب بنظر مطابخ السكر ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، القاضى ، فلان الدين فلان : أدام الله تعالى رفعتّه ، فى نظر المطابخ السعيدة » .

وإن كتب بمشيخة خانقاه صغيرة ، كتب « أن يستقر المجلس السامى ، الشيخى ، فلان الدين فلان ، أو مجلس الشيخ فلان الدين فلان : نفع الله تعالى ببركته ، فى مشيخة الخانقاه الفلانية ، على عادة من تقدمه فى ذلك وقاعدته » .

وإن كُتِبَ بتدريس صغير ، كتب « أن يستقر فى تدريس المدرسة الفلانية ، على عادة من تقدمه وقاعدته » .

وإن كتب بنظر وقف ، كتب « أن يستقر فى نظر الوقف الفلانى » ونحو ذلك .

ثم إن كان لشيء من ذلك معلوم يشهد به الديوان السلطاني ككتابة الدرّج وأستيفاء الدولة ، كُتِبَ بعد قوله وقاعدته : « بما لذلك من المعلوم الشاهد به الديوان المعمور » .

وإن كان الشاهد بالمعلوم كتاب وقف ، كتب « بما لذلك من المعلوم الشاهد به كتاب الوقف المبرور » . ويقول في آخر طرّة كل ولاية من التقاليد ، والتفاوت ، والمراسيم ، والتواقيع على اختلافها : « على ما شرح فيه » .

الطبقة الرابعة

(التواقيع الصغار ؛ وهي لأصغر ما يكون من الولايات :

من نظر وقف صغير ونحو ذلك ، وتكون في ثلاثة أوصال ونحوها)

وهي على ضربين

الضرب الأول — ما يكتب على مثال أوراق الطريق .

وصورتها أن يكتب في أعلى الدرّج : « توقيع شريف بأن يستقر فلان في كذا ، على ما شرح فيه » . ويكون ذلك في سطرين ؛ ثم يكتب في آخر ذلك الوصل : « رسم بالأمر الشريف العالی المولوي السلطاني » إلى آخر ما تقدم في الطبقة الثالثة . ويقال في الدعاء : « أعلاه الله وشرفه ، وأنفذه وصرّفه » ونحو ذلك . ثم يقال : « أن يستقر فلان في كذا » ويشرح ما تضمنته الجواب في هامش القصة . ثم يقال : « فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، من غير عدول عنه ولا خروج عن معناه ، بعد الخط الشريف أعلاه » .

الضرب الثانى — ما يُكْتَب على ظُهور القِصَص .

وكيفيته أن تُلصق القِصَّة التي شَمِلها جوابُ كاتب السِّرِّ أو غيره على وَصَلين من ورق العادة الصغير . قال فى "التثقيف" : وصورتها أن يُكْتَب فى ظاهر القِصَّة بغير بَسْمَلَة قبل الوصل الذى وصله بنحو أربعة أصابع ماصورته : « رِيسَم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى » على نحو ما تقدّم . ويُدعى له : « أعلاه الله وشرّفه ، وأنفذه وصرّفه » على ما تقدّم فى الضرب الأول . ثم يقال : « أن يُتأمل ما أنهاه رافعها باطنا ، وليتقدّم بكذا وكذا » ويشرح ماتضمنه الجواب فى هامش القِصَّة . ثم يقال : « فليعتد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه ومقتضاه ، بعد الخطّ الشريف أعلاه » . قال : وإن كان رافع القِصَّة ممن هو متميّز بعض التميّز قيل : « مترجمها » بدل « رافعها » . فإن زيد فى قدره ، قيل : « ما ذكره مجلس القاضى أو المجلس السامى القاضى » إن كان من هذه الرتبة ، وتُدكر بعض ألقابه . ثم يقال : « أدام الله علوه » أو « أعزه الله ، فليتقدّم » ويكفل إلى آخره .

وأعلم أنّ المقرّ الشّهابى ابن فضل الله رحمه الله قد ذكر فى "التعريف" أفتتاحات أخرى للتواقيع بين رتبة «أما بعد حمد الله» ورتبة «رِيسَم بالأمر الشريف» فقال : بعد الأفتتاح بأما بعد حمد الله : وقد تستفتح بقول : «أما بعد فإن أولى ما كان كذا» أو ما هذا معناه ، وقد تستفتح بقول : «من حسنت طرائقه ، وحمدت خلائقه» أو ما هذا معناه ، وجعلها رتبة بعد رتبة .

قلت : وهذه الأفتتاحات كانت مستعملة فى الدولة العباسية ببغداد ، وفى الدولة الفاطمية بالديار المصرية والبلاد الشامية ، ثم فى الدولة التركية إلى زمن المقرّ الشّهابى

المشار إليه في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون؛ ثم رُفِضَتْ بعد ذلك، وتُرك استعمالها بالديار المصرية البتّة، فلم يكن أحدٌ من كُتّاب ديوان الإنشاء يستعمل شيئاً منها .

المُقَصِّد الثالث

(في بيان كيفية وضع ما يُكْتَب في هذه الولايات في الورق ،

ويتعلّق به عشرة أمور)

الأمر الأول — الطّرة، وهي في اصطلاحهم عبارة عن طَرَف الدَّرَج من أعلاه، ثم أطلقوه على ما يُكْتَب في رأس الدَّرَج مجازاً، تسميةً للشيء باسم محلّه .

قلت : وليس صحيحاً من حيث اللغة، فإنه في الأصل مأخوذٌ من طُرة الثوب . وقد ذكر الجوهريّ وغيره أن طُرة الثوب هي طَرَفه الذي لأهدب فيه، والذي لأهدب فيه من الثوب هو حاشيته، بخلاف أعلاه وأسفله . نعم يجوز أن تكون مأخوذةً من الطَّر بمعنى القطع ، لأن الطّرة مقتطعةٌ عن كتابة المتن ، يفصل بينهما بياضٌ ، ومنه سُمِّي الشَّعْر المرسل على الصَّدغ طُرة . وقد جرت العادة في كل ما يُكْتَب له طُرةٌ أن يُكْتَب في أعلى الدَّرَج في الوَسَط بقلم الرِّقاع بكل حالٍ ماصورته « الأسم الشريف » ثم تكتبُ الطّرة تلو ذلك من أوّل عَرْض الدَّرَج إلى آخره ، دون هامشٍ عن يمينٍ ولا شمالٍ : بحيث تكون أطراف المنتصبات من أوّل السطر الأوّل ملاصقةً لأسفل ما كُتِب في أعلى الدَّرَج مما تقدّم ذكره . ويأتي بالطّرة المناسبة : من تقليدٍ ، أو مرسومٍ ، أو تفويضٍ ، أو توقيعٍ ، بالقلم المناسب لمقدار قطع ذلك الورق على ما تقدّم بيانه، ويأتي على ما يُكْتَب في الطّرة على ما تقتضيه

الحال، على ما سبق ذكره إلى أن ينتهى إلى آخره . فإن انتهى فى أثناء سطره، ترك باقىه بياضاً، وكتب فى آخره «على ما شرح فيه» بحيث يوافق آخر ذلك آخر السطر . وإن انتهى ما يكتب فى الطرة فى آخر السطر، كتب تحت ذلك السطر على حىال آخره «على ما شرح فيه» كما تقدم ، لا يختلف الحال فى ذلك فى مكتوب ولاية، إلا فيما يكتب على ظهور القصص : فإن العادة جرت فيه أن لا يكون له طرة، ولا يكتب فى أعلاه الأسم الشريف : لأنه قد علم أنه لا يكتب فيه إلا الأسم الشريف، فلم يحتج إلى تنبيه على ذلك .

الأمر الثانى — البسملة الشريفه . ومن شأنها أن تكتب فى أول كل ولاية لها شأن، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم : « كل أمرى ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجدم » يعنى ناقص البركة . ومحللها من كتب الولايات فى أول الوصل الرابع بعد أوصل البياض . أما مالا بال له من كتب الولايات : كالتواقيع التى على ظهور القصص وما هو منها على صورة أوراق الطريق ، فقد جرى الاصطلاح على أنه لا يكتب فى أولها بسملة أصلاً، بل تفتح «رسم بالأمر الشريف» .

قلت : وقد كان القاضى علاء الدين على الكركى حين ولى كتابة السر الشريف بالديار المصرية فى أول سلطنة الظاهر برقوق الثانية أمر أن تكتب فى أول هذه التواقيع بسملة لطيفة المقدار، طلباً للتبرك؛ ثم ترك ذلك بعد موته وانتقال الوظيفة إلى غيره . ولا يخفى أن ما عليه الاصطلاح هو الوجه : فإن النبى صلى الله عليه وسلم قد قيد ما يبدأ بالبسملة بما يكون له بال من الأمور، ومقتضاه أن مالا بال له لا يبدأ فيه ببسملة . على أنه قد كان أمر أن تجعل البسملة قبل قوله «رسم بالأمر

الشريف» ومقتضى ذلك أن تقع العلامة فوق البسملة، وفيه ما لا يخفى. بخلاف غيره من الولايات الكبار فإن العلامة تكون فيها تحت السطر الثاني من البسملة، على ما سيأتى بيانه.

الأمر الثالث — الأفتتاح الذى يلي البسملة. وقد علمت مما تقدم أن الذى أستقر عليه أفتتاح كتب الولايات على اختلافها من أعلى وأدنى لا يخرج عن ثلاثة أصناف:

أحدها — الأفتتاح بالحمد لله، وهو أعلاها. ثم تختلف رتبته بعد ذلك باختلاف ما يكتب فيه من مقادير قطع الورق: إذ هو تارة تفتتح به التقاليد، وتارة تفتتح به المراسيم المكبرة، وتارة تفتتح به التفاويض، وتارة تفتتح به بأر التواقيع.

الثانى — الأفتتاح بأما بعد حمد الله. وهو المرتبة الثانية من المراسيم المكبرة، والتواقيع الكبار. وتكون فى قطع الثلث تارة، وفى قطع العادة المنصورية أخرى.

الثالث — الأفتتاح برسم بالأمر الشريف. وهو المرتبة الثالثة من المراسيم والتواقيع، وهى أدنى رتبها. وتكون فى قطع العادة الصغير، وربما كتبت بها فى قطع العادة المنصورية.

الأمر الرابع — البعدية فيما يفتتح فيه بالحمد لله، وهو على ضربين.

الأول — أن يقال بعد التحميد والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: أما بعد، وهو الأعلى. وتكون فى التقاليد خاصة.

الثانى — وبعد، وهى دون أما بعد. وتكون فى التفاويض وكبار المراسيم والتواقيع. وقد مرّ القول على ذلك مستوفى فى الكلام على الفواتح فى المقالة الثالثة.

الأمر الخامس — وصف المتولى بما يناسب مقامه ومقام الولاية من المدح والتقريظ . وقد مرّ القول على ذلك فى المقصد الأول من هذا الطرف، فى الكلام على مقدمات الولايات .

الأمر السادس — الألقاب المختصة بصاحب الولاية . قد تقدم أنه يذكر فى الطرة بعض الألقاب التابعة للقب الأصيل : من المقر والجناب وغيرهما، مع التصريح باسم المولى والدعاء له بما يناسبه، على ما تقدم بيانه هناك . أما فى أثناء الولاية، فإنه يستوعب جميع ألقابه ويعاد ذكر الأسم والدعاء المذكور فى الطرة . وقد تقدم ذكر الألقاب مستوفى فى المقصد الأول من هذا الفصل فى الكلام على مقدمات الولايات .

الأمر السابع — وصية صاحب الولاية بما يناسب ولايته . وقد تقدم التنبيه على ذلك فى الكلام على مقدمات الولايات أيضا .

الأمر الثامن — الدعاء لصاحب الولاية بما يناسبه إذا كان مستحقاً لذلك . وقد ذكر فى " التعريف " أن من استصغر من المولين لا يدعى له فى أول ولاية ولا آخرها، وربما قيل بدل الدعاء أو بعده : « والخير يكون » .

الأمر التاسع — الخواتم : من كتابة « إن شاء الله تعالى » والتاريخ، والمستند، والحمدلة، والتصلية، على نحو ما تقدم فى المكاتبات .

فأما المشيئة، فإنه يكتب فى آخر مكتوب كل ولاية : « إن شاء الله تعالى » فى سطر منفرد .

وأما التاريخ، فإنه يكتب فى سطرين كما تقدم فى المكاتبات، فيكتب « كتب فى يوم كذا من شهر كذا » فى سطر، ويكتب « سنة كذا وكذا » فى سطر تحته .

وأما المستند، فإنه يكتب تحت التاريخ، كما تقدم في المكاتبات . فإن كان بتلقّ كاتب السرّ، كُتب في سطرٍ واحد « حسب المرسوم الشريف » . وإن كان برسالة الدوّادار، كتب « حسب المرسوم الشريف » في سطر، ثم كتب في سطر تحته « برسالة الجناب العالى الأميرى، الكبيرى، الفلانى الدوّادار، الناصرى » مثلا . وإن كان بخط السلطان، كتب « حسب الخطّ الشريف » . وإن كان بإشارة النائب الكافل، كتب « بالإشارة العالیه الأميریه الكبيریه الفلانية » في سطر، وكتب « كافل الممالك الشريفه الإسلامیه أعلاها الله تعالى » في سطر تحته . وإن كان بإشارة الوزير، كتب « بالإشارة العالیه الصحابیه الوزيریه الفلانية » في سطر، ثم كتب في السطر الثانى « مدبر الممالك الشريفه الإسلامیه أعلاها الله تعالى » . وإن كان الوزير صاحب سيف، أسقط منها « الصحابیه » . اللهم إلا أن يكون مرسوماً صغيراً أو توقيعاً صغيراً مما كُتب في هيئة ورقة الطریق أو على ظهر القصصه، فإنه إن كان بتلقّ كاتب السرّ، كُتب المستند على حاشية التوقيع على سمت ما بين السطر الأول والثانى . وإن كان بإشارة النائب الكافل كُتب هناك « بالإشارة العالیه » سطرين، على نحو ما تقدم فيما يكتب تحت التاريخ . وإن كان بإشارة الوزير، فالأمر كذلك . وإن كان برسالة الدوّادار، كتب على الحاشية هناك « حسب المرسوم الشريف »، ثم كُتب تحت التاريخ « برسالة الجناب العالى » إلى آخر المستند .

وأما الحمدلة والصلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم، ففي سطر تحت المستند، كما في المكاتبات، يكتب فيها « الحمد لله وحده » ثم يخلى بياضاً، ثم يكتب « وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه » .

وأما الحَسْبَلَةُ ، ففي سطر تحت ذلك يكتب فيه « حَسْبُنَا اللهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ » على ما تقدم في المكاتبات .

الأمر العاشر — البياض الواقع في كُتُب الولايات ، وله ستة مواضع :
الأول — فيما بين الطَّرَّة والبسمة ، وهى ثلاثة أوصال بالوصل الذى فيه الطَّرَّة ، لا يتجاوز ذلك في مقدار قطع كبير ولا صغير . إلا أنه ربما أقتصر على وصلين فيما استصغر شأنه من الرتبة الثالثة من التواقيع .

الثانى — الحاشية فيما على يمين البسمة وما بعدها . وأهل زماننا يعبرون عن ذلك بالهامش ، ولم أجد له أصلاً في اللغة . وقد تقدم القول عليها في المقالة الثالثة ، في الكلام على متعلقات قطع الورق وما ينخرط في سلكه . أما آخر الأسطر فإنه لا بياض فيه ؛ على أن ملوك الروم يجعلون لكتبتهم حاشية من أول الأسطر وحاشية من آخرها ، على ما تقدم القول عليها في الكُتُب الواردة عن صاحب القُسطنطينية .

الثالث — بيت العلامة ؛ وهو فيما بين السطر الأول : وهو الذى يلي البسمة ، وبين السطر الثانى : وهو الذى يكون في آخر وصل البسمة . وقد تقدم في الكلام على مقادير الورق في المقالة الثالثة أن مقداره في الزمن القديم كان قدر شبر ، وقد شاهدناه دون ذلك بقليل فيما كُتِب به في الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" على ما يشهد به الموجود من تواقيعهم ؛ ثم تناقص قليلاً . فلمَّا غلَا الورق وقُصرت الأوصال نقص مقداره حتى صار نحو شبر ، وهو على ذلك إلى الآن .^(١) ويزيد ذلك وينقص باعتبار قطع الورق فإنه في القطع الكبير يكون الوصل أطول منه في القطع الصغير .

(١) لعله نحو "نصف شبر" كما لا يخفى .

الرابع — ما بين الأسطر في متن الولاية . وهو على مقدار النصف من بيت العلامة في القطع الكبير والقطع الصغير ، لا يكاد ذلك يختلف إلا في التواقيع والمراسيم التي هي على هيئة أوراق الطريق ، والتي على ظهور القصص فإن ما بين السطرين منها يكون متضابقاً حتى يكون بقدر ثلاثة أصابع مطبوقه .

الخامس — ما بين أسطر اللواحق فيما بعد «إن شاء الله تعالى» فإنه يكون ما بين كل سطرين من ذلك قدر نصف ما بين السطرين في متن الولاية ، إلا في المستند إذا كان سطرين ، مثل أن يكون برسالة الدوادار ونحوها ، فإن السطرين يكونان متلاصقين .

السادس — ما بعد اللواحق في آخر الكتاب ، وهو قدر يسير يكون قدر إصبعين مطبوقين أو ثلاثة أصابع مطبوقات وما قارب ذلك .

المهيم الثاني

(في ذكر نسخ مما يكتب في متن الولايات من التقاليد والمراسيم المكبرة والتفاويض والتواقيع)

قلت : وقد كنت هممت أن أجعل آتِ التقاليد ، والتفاويض ، والمراسيم ، والتواقيع : من الافتتاح بـ «الحمد لله» أو بـ «أما بعد حمد الله» أو بـ «رسم بالأمر الشريف» في فصل مستقل ، ومقاصدها المتعلقة بالوظيفة ... (١) ... الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب من الابتداء آتِ المناسبة للاسم أو اللقب ونحوهما ثم يبين القصد المتعلق بالوصف . ثم أضربت عن ذلك وأتيت بالنسخ على صورتها لأمر : منها — أن في تضييع النسخة إفساداً لصورتها وضياع فضيلة المنشئين

(١) بياض بالأصل في غير نسخة ولعله «في فصل على حدة ليختار الكاتب الذي لا يحسن الإنشاء ما أحب الخ» .

وإشاعة ذكرهم . ومنها - أن يعرف أن الصورة التي تُورد مما كُتِب به في الزمن السابق ، وأنها مصطلح قد أصطلح عليه أهل ذلك الزمان . ومنها - أن يعرف المنشئ ترتيب من تقدّم لينسج على منواله . وإذا أراد من لأدربة له بالإشياء أخذ تجميداً من تقليد أو توقيع وغيرهما ونقلها إلى مقصد من مقاصد الولاية لم يُعجزه ذلك .

ثم قسمته على ثلاثة أقسام .

القسم الأول

(ولايات وظائف الديار المصرية ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(الولايات بالحضرة ، وهي على ستة أضرب)

الأضرب الأول

(ولايات ارباب السيوف ، وهي على طبقتين)

الطبقة الأولى

(ذوات التقاليد ، وهي ثلاث وظائف)

الوظيفة الأولى

(الكفالة ، وهي نيابة السلطنة بالحضرة)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف المملكة في المقالة الثانية أن الكفالة هي أعلى رتب نيابة السلطنة ، وأن النائب الكافل يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ، ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك ، بخلاف غيره من النواب فإن كل نائب لا يعلم إلا على ما يختص بمخاصة نيابته . وقد تقدّم في مقدمة الولايات أن لقبه «المقرّ الكريم» على ما استقر عليه الحال .

وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة، كُتِبَ بها من إنشاء الشَّهابِ محمودِ الحلبيِّ
رحمه الله، وهي :

الحمدُ لله الذي جعل رُكنَ الدولة في دولتنا القاهرة ثابتَ القواعد، على فَرَقَدِ
الفرَّاقِدِ، راقياً في رُتَبِ العلوِّ الآخذة من أفق التأييد بالمطالع ومن نُطقِ العزِّ بالمعاهد؛
حالياً بعقود المهابة التي لا تزال لرُعبها على الأعداء طلائع خيلٍ في المراقب وورائع
خيالٍ في المراقِدِ، حاوياً من أنواع المفاخر ما لو كاثرت الدارُ غدت وهي
لمجموعه فرَاقِدِ، أو فاخرته الدرر ثقبها الأفكار النواقد، مقلداً من سُيوف الظفر
مالا تنبو في نصرَة الإسلام مضاربه وكيف تنبو وأمرنا لعقود حمائها على عواتق
مجده عواقِدِ .

نحمده على نعمه التي عدتْ أمور دولتنا بمن يرفع بأسه منارها، وعقدتْ قواعد
مملكتنا بمن يوالى فضله أنوارها، وعضدتْ همم أوليائنا بمن إذا تحيلتْ أعداء الدين
مواقع صوارمه كان أمنع صونها إسارها وأنفع سلاحها فرارها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشرق الهمم، بلوامعها، وتُشرق
الكلم، بجوامعها، وتركو الأمم، بما تتقل الألسنة منها عن القلوب إلى مسامعها؛
ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أقامنا الله لنصر دينه، وألهمنا تفويض مصالح
أمتيه إلى كلِّ وليٍّ ما رفعتْ رايه نصر إلا تلقاها عرابه مجده بيمينه؛ وعضدنا
في جهاد أعدائه بأعزِّ صفيٍّ ينوب بأسه للجيش عن طليعته ويقوم رأيه في الحرب
مقام كمينه؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين آخترهم لصحبته وأرتضاهم،
وأرهبهم لإقامة ملته وانتضاهم، فمنهم من فاز بمنزني سببه وتصديقه، ومنهم من
كان الشيطان ينكب عن طريقه، ومنهم من آختر الشهادة على الانتصار بفريقه

ورَفِيقَه، ومنهم مَنْ أقامه بِشَرَفِ الأُخُوَّةِ معه مَقَامَ شَقِيقَه، صَلَاةً يَبْلُغُه إِخْلَاصُ
مُقِيمِهَا، وَيُعْرَضُ عَلَيْهِ إِيمَانُ مَدِيمِهَا، وَسَلْمٌ .

أما بعدُ، فإننا من حين أورشنا الله مُلْكَ الإسلامِ لَاعِنَ كَلَالِه، وَأَلْبَسَنَا فِي مَوَاقِفِ
الدَّبِّ عن دينه حُلَّ العزِّ المُعَلِّمَةِ بِالْحَلَالَةِ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي أَرْضِه، وَأَنْهَضَنَا بِمُسْنُونِ
الجهادِ وفرضه، وَنَشَرَ دَعْوَةَ مُلْكِنَا فِي طُولِ الوجودِ وعرضه - لم نزلْ نرتادُ لِكِفَالَةِ
الممالكِ الإسلاميَّةِ من تَأْوِيٍّ مِنْهُ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، ورأى سَيِّدٍ؛ وَحَزْمٍ يَقْرَبُ من
مَوَاهِبِ النَصْرِ كُلِّ بَعِيدٍ، وَعَزْمٍ إِذَا أَرْهَفَ صَوَارِمَه من أذنى الصَّعِيدِ، وَجَفَّ لهُوْلُ
مَوَاقِعِهَا بِأَبِ الحَديدِ؛ فَهُوَ المَطْوِيُّ فِي أَثْنَاءِ ضَمَائِرِنَا وَإِنْ تَقَلَدْنَا قَبْلَه سِوَاه، وَالمُنْوِيَّ
فِي أَحْنَاءِ سَرَائِرِنَا وَإِنَّمَا لِأَمْرِيٍّ مَا نَوَاه؛ قَدْ حَلَبَ قَدَمُ هِجْرَتِه، الدَّهْرَ أَشْطَرَه، وَكَتَبَ
حُسْنَ خَبْرَتِه، من عُنْوَانِ السَّيْرِ أَشْطَرَه، وَتَمَثَّلَتْ مَرَّآةُ الزَّمَانِ لِفِكْرِهِ فَاجْتَلَى صُورَ
الوقائعِ فِي صَفَائِهَا، وَتَرَدَّدَتْ تَجَارِبُ الأُمَّمِ عَلَى سَمْعِهِ فَعَلِمَ مَا يَأْتِي وَمَا يَدَّرُ فِي تَرْكِيهَا
وَاقْتِفَائِهَا؛ وَاسْتَقْبَلَ دَوْلَةَ أَسْلَافِنَا الشَّرِيفَةَ من فَوَاتِحِهَا: فَكَانَ لِسَانِ مَحَاسِنِهَا، وَبَنَانِ
مِيَامِنِهَا؛ وَخِزَانَةَ سَرِّهَا، وَكِنَانَةَ نَهْيِهَا وَأَمْرِهَا؛ وَطَلِيعَةَ تَأْيِيدِهَا، وَذَرِيعَةَ أَوْلِيَائِهَا إِلَى
عَوَارِفِهَا وَجُودِهَا؛ وَعُنْوَانَ أَخْبَارِهَا، وَعِنَانَ سَوَابِقِهَا الَّتِي لَا تُدْرِكُ مَا تُرْمَى مِنْ سَلَفِ
شَقِّ غُبَارِهَا؛ وَيَمِينَ قَبْضَتِهَا المَصْرُفَةَ بَيْنَ البَاسِ وَالتَّوَدُّدِ، وَأَمِينَ آرَائِهَا المُوَيَّدَةَ
بِالتَّوْفِيقِ اللَّدْنِيِّ عَلَى العَدَا؛ وَرُكْنَها المُشَيَّدَ بِالأَسَلِ وَهُوَ مَا تُبْنَى عَلَيْهِ المَمَالِكُ،
وَحَصْنِهَا المَصْفَحَ بِالصَّفَاحِ فَلَا تَسْتَطِيعُ الأَهْوَاءُ أَنْ نَتَوَقَّلَ إِلَيْهِ تِلْكَ المَسَالِكُ؛ وَزَعِيمَ
جِيوشِهَا الَّتِي آجَتَتْ من قَصَبِ قَوَاضِيهِ ثَمَرَ النَّصْرِ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَمَقَدَّمَ عَسَاكِرِهَا الَّتِي
آجَتَتْ بِهِ وَجُوهَ الظَّفَرِ الحُلُوءِ فِي أَيَّامِ الكَرِيمَةِ المُرَّةِ .

ولما كان المَقَرُّ الكريمُ (الفلائي) هو معنى هذه الصفات المبهمة، ومبنى هذه القواعد المحكمه، وطراز حُلِّ هذه الأحوال المعلمه؛ وسر المقاصد الظاهره، وسلك هذه [النجوم] الزاهية بل فلک هذه الدراري الزاهره؛ تُحَلِّقُ صَوَادِحُ البراعة، فتقع دُونَ أوصافه بمراحل، وتغوص سوابج البراعة، فيلقيها العجز عن استخراج دُرر نعوته بالسواحل، فأوصافه تُذَكِّرُ على وجه الإجمال لضيق نطاق الفصاحة عن تفصيلها، ومناقبه تُشكِّرُ لسان الإجماع لعجز ألسنة الأقلام عن بلوغها إلى غايتها ووصولها؛ فلذلك اقتضت آراؤنا الشريفة أن نفسح مجال الهدى، بتفويض إيالة الممالك إليه، وأن تقطع آمال العدا، بالاعتماد في زعامة الجيوش الإسلامية عليه، وأن نُقَرِّ عيون الرعايا بالقاء مقاليد العدل والإحسان إلى يديه؛ وأن نصون عقائل الممالك من مهايته بما يغدو سورا لعواصمها، وسواراً لمعاصمها؛ وشنباً تقتر تغورها عن بروقه، أو لها يقطع طريق أمل العدا عن تخيل خيالها في طروقه؛ ليعتصد الدين منه بركنه، ويتغلب [على] الشرك في حالتى حربته ووهنه، ويتقلب كل من رعايانا بين وهاد يمينه ومهاد أمينه - رسم بالأمر الشريف - لا زال ملكه على الأركان، راقياً من أفق النصر إلى أعلى مكانة وأرفع مكان - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالديار المصرية، والممالك الإسلامية؛ على أكمل العوائد، وأجمل القواعد؛ تفويضاً تمضى أحكامه في الممالك الإسلامية شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً؛ فلا يخرج منها شئ عن أوامره وأحكامه، ولا يعدل في سلمها وحربها عن حكمى سيوفه وأقلامه .

فليستقر في هذه الرتبة العالية استقرار الأركان الموائم، والأطواد اللوالب؛ والأصول النوابت، والنجوم الثوابت؛ مؤثلاً قواعدها برأيه السديد ورايته، معوذاً كمالها بسيف النصر وآيته، مبتدئاً في إعلاء منارها من العدل بأقصاه

ومن الإحسان بغايته ؛ مكثراً أعداد الجيوش الإسلامية برأيه السعيد ، مقرباً من مطامح النصر النائية كل بعيد ؛ مؤكلاً بحركات العدو وسكاته جفنًا لا يألَفُ^(١) الغرار ، وسيفًا لا يعرف القرار ، وعزماً لا يرضى من عدوه دون اصطلامه الفِرَار ؛ فلا تزال جيوش الإسلام بجميل تعاھده منراحة العوائق ، منزاله العلائق ؛ لامانع لها عن الركوب ، ولا قاطع عن الوثوب ؛ قد أعدتها عزائمها ، فكل زمانها بالتأهب للقاء وقت إمكانه ، وأمدت بأسها صوارمها ، فهي لاتسأل عن عدد عدوها بل عن مكانه ؛ مقيماً منار العدل الذى هو أساس الملك ودعامته ، ورأس الحكم بأمر الله فى خلقه وهامته ، ونور الخصب الكافل بمصالح العباد والبلاد وعامته ، ناشراً له [فى] أقطار الممالك ، ماحياً بنور إقامته آية ليل الظلم الحالك ؛ معاضداً أحكام الشريعة المطهرة بالانقياد إليها ، والاعتماد فى الحلل والعقد عليها ، والاحتفال برفع منارها ؛ فإن ذلك من أفضل ما قدمته الدول الصالحة بين يديها ؛ مقدماً عمارة البلاد على كل مهم .
فإنها الأصل الذى تتفرع عنه المصالح على اقتراحها ، والمادة التى تستطيل الجيوش الإسلامية على العدا بتوسعها فى إنقادها وإنفاقها ، والأسباب التى تُعين الغيوث على نماء ما بسط الله لعباده من أرزاقها ؛ وآكد مصالحتها الرفق الذى ما كان فى شيء إلا زانه ، والعدل الذى ما أتصف به ملك إلا حفظه وصانه ، فقد جعلنا أمره فى ذلك جميعه من أمرنا المطاع ، واقتصرنا عن ذكر الوصايا بما فى خصائصه الكريمة من حسن الاضطلاع وجميل الاطلاع ، واكتفينا بما فى خلائقه الجميلة من محاسن لو تخير نفسه لم يزدنا على ما فيه من كرم الطباع ؛ والله تعالى يؤيده وقد فعل ، ويجعل ركنه من أثبت قواعد الدين وقد جعل ؛ إن شاء الله تعالى .

(١) الغرار النوم القليل أو القليل من كل شيء . انظر اللسان ج ٦ .

(٢) العامة قبض الحصد إذا اجتمعت بعد حصدها وجمعها عام . كذا يؤخذ من اللسان .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة أيضا، وهي :

الحمد لله الذي زان دولتنا القاهرة من حُسامها بتقليده ، وصان حمى ممالكنا الشريفة من أوليائنا بمن تغدو مواقع سيوفه من كل عدو قلائد جيده ، وزاد جلالته الملك بمن إذا ركب في مواكب نيابته أورد جياد رعبه من كل متوج من ملوك العدا مناهل وريده ، وفوض تقدمه جيوشنا المنصورة إلى من تضاعف مهابتة في عيون العدا عدد جنوده ، وتغزوه سرايا خيله في يقظته وتطلع عليه طلائع خياله في هجوده ، وإذا صلت سيوفه في موقف وعى أغرت رأس كل مستكبر لم يعرف الله قبل ركوعه بسجوده ؛ مشرف أقدار أوليائنا من المراتب بما تشرف به أقدار المراتب في نفسها ، ومفضل أيام دولتنا على الدول بما ألفتة من جلاله ملكا في أمسيها ، ومجمل سير أصفينائنا من المعدلة بما إذا غرسته في قلوب الرعايا كان الدعاء الصالح ثمرة غرسها ، ومقلد خواصنا من إيالة الملك ما إذا خطبت به الأقلام على منابر الأنامل نقلت البلاغة في تلك الأوصاف عن قسها ، ومفيض حلل الأنبياء المرقومة بأسنى الرتب على من إذا زانت حبرها اللابس زانها بلبسها ، وإذا أشرفت به هالة المواكب لو عى سقطت فوارس ملوك العدا عن مراكبها واضطربت الأسرة بملوك فرسها ، وإذا كتمته الأعداء أنباءها نطقت ألسنة رياحه بأسرار أهل الشرك ولا يرى أسمع من صمها ولا أفصح من خرسها ، وإذا تطاول أبطال الوقائع للقائه أفتت ثغور سيوفه عن شنب النصر لإلفها بمعانقة الأعناق وأنسها .

نحمده على نعمه التي أعادت شرف أسمائنا إلى أسمع المنابر ، وأنطقت بمضاعفة الأنبياء لأوليائنا ألسنة الأقلام في أفواه المحابر ، وأعادت بسيف النصر حقوق ملكنا الذي تلقيناه مع الأولية والأولية من أسلافنا الكرام كابرًا عن كابر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال سيوفنا بإعلاء منارها
 ناهضة ، وجياد جهادنا لنشر دعوتها فى الآفاق راكضة ، ومواد نعمنا ونعمنا لآمال
 حاملها باسطة ولأرواح جاحديها قابضة ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى
 أیده الله تعالى بنصره ، وآتاه من معجزاته ما يحول البصر دون حصره ، وجعله أمام
 الأنبياء وإمامهم مع تأخر عصره ، ونصره بالرعب الذى زحزح كل ملك عن سريره
 وأنزل كل متوج من قصره ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هجروا فى نصرته ،
 ماؤوف الأوطان والأوطار ، وركبوا فى إقامة ملته ، مخوف الأهوال والأخطار ،
 وفتحوا يمين دعوته ، ما أشتمت عليه المشارق والمغرب من الأرجاء الممتدة والأقطار ؛
 صلاة لا يزال سيف جهادنا لدوامها مقيماً ، وحكم جلالنا لإقامتها مديماً ؛ وسلم
 تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من سمى التقاليد بأوصافه ، وصرفت أمور الممالك بين بأسه
 وإنصافه ؛ وحليت مواقف الخدمة الشريفة من جواهر مهابة ، بما هو جدير بحيا
 السيف ، وزينت مجالس العدل من إياته ، بما هو مبرأ من الميل والهوى منزّه عن
 الظلم والحيف ؛ وملمت القلوب من مخافته ، بما يمنع ذا القوة فى الباطل من توهم
 البطش وذا الصبوة فى الهوى من استتراره (؟) ويحسن لها الفرار ، ويهون عليها
 فى جنب ما تتوقعه من مواقع سيوفه السبي والإسار ، وعُدق به من مصالح الأقاليم
 ما يصرفه بيمين دأبها اليمن ويسار شأنها اليسار ؛ وفوضت زعامة الجيوش منه إلى إمام
 يقوم بأمرها على ما يجب ، وليث لو لم ينهض بألوفها المؤلفة فى الوقائع لكان من
 نفسه وحدها فى بحفل لب ، ومقدام آلاف العدا فى شجاعته آحاد ، وضرغام
 قسور أهل الكفر بين يدي وثباته وثباته وأسودهم تقاد ؛ من لم نزل نعهده فى أركان
 البيت الشريف المنصورى بالخصاص ، ونعده للمواقف التى ليس للدين فيها غير تأييد

اللهِ وَحَدَّ السَّيْفِ نَاصِرًا ، وَنَدَّخِرُهُ مِنْ مَعَادِنِ أَوْلِيَانَا الَّذِينَ تَمَسَّكُوا مِنَ الْإِتِّمَاءِ إِلَيْنَا بِأَمَكْنِ الْأَسْبَابِ وَأَقْوَى الْأَوَاصِرِ ، وَتَقَلَّدَ أَعْطَافَ الْأَوَاصِرِ مِنْهُ سَيْفًا يُرْمَى مِنْهُ بَيْتُ الْعِدَا وَمَعَا قُلُوبَهُمْ بِأَفْتِكِ حَاصِدٍ وَأَفَلِّ حَاصِرٍ ، فَكَمَّ مِنْ مَوَاقِفِ شَفَعِ فِيهَا الشَّجَاعَةَ بِالْخُضُوعِ لِرَبِّهِ ، وَمَوَاطِنَ لَيْسَ فِيهَا قَلْبُهُ عَلَى الدَّرْعِ إِذَا لَيْسَ غَيْرُهُ الدَّرْعَ عَلَى قَلْبِهِ ، وَمَسَالِكَ سَلَكَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِنَا وَالسُّيُوفِ تَنْفِرُ مِنْ قُرْبِهَا ، وَمَشَاهِدَ شَهِدَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِنَا وَالْقُلُوبِ تَفِرُّ مِنْ حُجْبِهَا ، وَلَيْسَ لِقَطْعِهَا فِي خِدْمَتِنَا لَمْ يَصْحَبْ غَيْرَ أَسْنَةِ أَسْنَتِهِ وَأَعْيُنِ شُهَبِهَا ، وَمَقَاصِدَ لِلَّذِينَ بَلَغَهَا وَالسَّهَامُ لَا تَحْمِلُهَا مِنَ الْفَرَقِ قَوَادِمُ النُّسُورِ ، وَسَرَائِيَا وَقَفَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعِدَا فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ مِنْ شَجَاعَتِهِ لِسُورِ ، وَبِحَارِ حَرْبٍ لَمْ تَتَجَسَّرِ السُّوَابِحُ عَلَى قَطْعِهَا حَتَّى مَدَّ عَلَيْهَا مِنْ مُعَوَّجَاتِ سَيْوِفِهِ قَنَاظِرَ وَمِنْ مَقُومَاتِ ذَوَابِلِهِ جُسُورٍ ، وَكَمْ أَنْامَ الرَّعَايَا فِي مِهَادِ عَدْلِهِ فَلَمْ يَطْرُقْهُمْ طَيْفٌ ظَالِمٌ فِي الْكَرَا ، وَلَا رَوَّعَ سِرْبَهُمْ خِيَالٌ مُغِيرٍ أَوْ هَمَّهِمُ السَّرِيِّ ، بَلْ كَانُوا مُحْفُوظِينَ بِمَهَابَتِهِ مُحْفُوفِينَ بِمَوَاهِبِهِ ، وَادْعِينَ فِي ظِلِّهِ الَّذِي مَادَجَا عَلَيْهِمْ لَيْلُ خَطْبٍ إِلَّا أُطْلِعَ لَهُمْ بَدُورَ الْأَمْنِ فِي غِيَاهِهِ .

ولما كان (فلان) هو الذي سار بذكر مهابته المثل ، وصار له في قلوب الأعداء من الرعب ما تشابه فيه القاتلان الوجل والخبجل ، وجمع محاسن الصفات فما أخذ عنه أو نطق به أو نظر إليه إلا وجد (ملء المسامع والأفواه والمقل) ، ولا جرد على العدا سيفًا إلا وودعت أرواحهم الأجساد ، ولا أرهف في مجالس العدل والإحسان قلما إلا وضمنت له الآجام التي نشأ بها (كرم السيول وسطوة الآساد) ، ولا طلع في أفق مواكب إلا وهالت العدا هائلة بذرته ، ودلت على عظم سلطاننا رفعة قدره ، وشهدت له بحسن طاعتنا طاعة أمرائنا لأمره ، وأسلف من خدمة والدنا السلطان الشهيد ما لم تزل له به عندنا حقوق مرعية ، وسوابق مرضية ،

ورتبة تقديم سنيّه ، ومزينة تقريّب جعلته مُشاهدًا بالعيان مقدّمًا في النبيّ - اقتضت
 آراؤنا الشريفة أنّ نُروع العدا بسيفه ، ونُزيهم من تقدّمته على الجيوش يقظةً
 ما كانوا يرونه حُلماً من طيفه ؛ وليعلم الأعداء معاجلة أخذهم بالعنف والحيف ،
 وأننا لا تأخذنا في الله لومة لائم فليس بيننا وبين أعداء الله ورسوله (صلى الله عليه
 وسلم) إلا السيف .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف - لازلّت ممالك الإسلام به مُفترّة المباسم ، عالية
 مدى المهابة إذا طرقتها عواصف رياح العدا وقفت دون بلوغها دامية المناسم -
 أن تُفوّض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية على العادة في ذلك
 والقاعدة تفويضاً يفيض على الممالك حلّ المهابة ، ويسلب أعداء الدين رداء
 الأمان فلا ينفّعهم الخضوع ولا الإنابة ، ويضاعف لنا أدعية الرعايا الصالحة بإجرائهم
 على ما ألقوه من العدل والإحسان فمنهم الدعاء الصالح ومن كرم الله الإجابة .

فليقلد هذه الرتبة الدالة على ارتفاع قدره لدينا ، الشاهدة له باحتفالنا بما أوجبه
 إخلاصه من حقوق الطاعة والولاء علينا ؛ المنبهة على أنه سيفنا الذي نصور الممالك
 بحده ، ونصور على العدا بمضائه الذي تهلّل وجوه النصر كما أسفر من غمده ؛
 وليستقر في ذلك نافذاً في المصالح الإسلامية أمره ، مُغيراً على جيوش الأعداء
 ذكره ، معمّلة في حماية الدين بيضه المرفقة وشممه ، مجلّة بإشراق طلعتة مطالع
 المواقب ، مسيرة نجوم أسنته إلى قلوب أعداء الدين مسير الكواكب ، مُحفّفة
 بحقوق رايته مساعي الكفر الصادرة عن آملهم الكواذب ؛ ليعلم عدو الله أنه أشد
 طلباً له من أجله ، وألزم لعنقه من عمله ؛ وأسبق إليه من رجوع صوته ، وأنزل عليه
 من مفاجاة موته . وليجمل النظر في مصالح الجيوش الإسلامية بما يُضاعف عدتها ،

ويبقى على توالي الأحقاب حدتها وجدتها، ويأخذهم بإدامة التمرن في الحروب، وإطالة عنان التأهب للركوب، ويعين كلاً منهم بملاحظة حاله على أستيدامه قوته وإمكانه، ويجعلهم بالآقتباس من شجاعتِه من القوم الذين لا يسألون عن عدد عدوهم بل عن مكانه. وليكن لكلمة الشريعة الشريفة رافعا، ولشبهه من يمتنع عن الأتقياد إلى الأحكام دافعا، وعلى يد من يتطرق إلى الخروج عن أحكامه آخذا، ولن لم يسلك الأدب بين يدي حكمه بما يقتضيه تعظيم الحكيم العزيز مؤاخذا. وليأمر النواب بإقامة منار العدل الذي يومئ منه خير للأرض من أن تمطر أربعين يوما، ويصرف إلى مصالح الثغور الإسلامية وحمايتها فكرا لم يختردعة ونظرا يأنف أن يألف نوما، وملاك الوصايا تقوى الله وهي من خصائص نفسه الكريمة، وراحة روحه التي هي للفكر في مصالح الإسلام مديمه، فليجتهد في المحافظة عليها ما أستطاع، ويمض بها في مصالح الإسلام أمره الذي جعلناه من أمرنا مطاع.



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة أيضا، كُتِبَ به عن السلطان الملك أبي بكر ابن الناصر محمد بن قلاوون للأمير طغزدمر أمير مجلس، في سنة اثنتين وأربعين وسبعائة، بعد أن بطلت النيابة في دولة أبيه الملك الناصر عدة سنين، وهي:

الحمد لله الذي أصطفى لسلطاننا المنصور من ينوب عنا في رعاية الجمهور أحسن مناب، وأضفى على ملكنا المعمور من رياسته أسر سربال ومن حراسته أجل جلاب، وكفى دولتنا الشريفة بسياسته مهمات الأمور فلتأييدها بقيامه دوام ولتشييدها باهتمامه أستصحاب، وشفى الصدور بصُدور إشارته المباركة التي لها بأوامرنا العالية أقران ومن ضمائرنا الصافية أقراب، وأوفى له من برنا العميم بحقه

الذى [له] بعهدہ أستحقاقاً للتقديم وإيجاب ، وسبقه القديم الذى له من سعيد المصاهرة أكرم أشاج ومن حميد المظاهرة أزم أنتساب .

نحمدہ على أن بصر آراءنا بطرق الوفاق وسبل الصواب ، ونشكره على أن نصر راياتنا فى الآفاق : فلقلوب العدا من خوفها إرهاب وإرهاب .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزهة عن الشك والارتياب ، موجهة إلى قبلتها التى ترضاها الألباب ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أظفر عزمه بالثبات وقهر خصمه بالتباب ، ووفر قسمه من الإنجاد ويسر حربه للإنجاب ، وأظهر اسمه بعد اسمه فخلاً فى الأفواه ذكروه وطاب . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا من بعده فى رعاية عهده أحسن الآداب ، صلاة متصلة الأسباب ، موصلة إلى خير مآل متكفلة بنعم باب (؟) لا يزال لسحب جودها فى الوجود أنصباب ، ولمقترب وفودها ورود إلى مظان الرضوان من غير إغباب ، ما جرد انتقامنا على الأعداء سيف سطا يقدر الرقاب ، وأورد إنعامنا الأولياء بحر ندى زاجر العباب ، وجدد قيامنا بعلم هدى مرت عليه الأعوام وما لمح له أثر ولا فتح له باب ، وأعتمد مقامنا الشريف ، فى الجمع للقلوب والتأليف ، على أعلى ولى وأعلى جناب ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى من اعتمدنا فى الإنجاب والإنجاح على ديانته ، وآنجدنا فيما أردنا من الاستصحاب للصالح بإعانتة ، واعتضدنا فى تقطين الممالك وتأمين المسالك بصيالته وصيانتة ، ورعينا عند الدنا الشهيد - سقى الله عهده صوب الرضوان - على علو مكانه ودنو مكانته ، فاكثفينا فى كفالة الأمة وإيالة النعمة بخصيته من ربه واستكانته - من حمدت سبحاياه ، وتعددت مزاياها ، واستندت

إلى ما أمر الله تعالى به من العدل والإحسان في الأحكام قضاياه ، ووجدت منه
 الزهد والرفق زعاة الإسلام ورعاياه ، فهو الممدوح فعله ، من جميع الألسنة ، الممنوح
 فضله ، في سائر الأزمنة ، الملموح عليه آثار القبول الظاهر من عناية الله لما نواه
 من الخير لخلق الله وأبطنه ، فهو عاضد السلطنة الذي حلل من العلياء موطنه ، وكافل
 المملكة ، الذي سبق إلى كل مجد فأدركه ، وسيف الدولة ، الحامي الحوزة البادية
 الصولة ، ومن له أشتمال على العلياء ، ومن يقارن التحقيق له رأيا ، ولا يباين التوفيق
 له سعيًا ، ويعاون الهدى والنهى على طول المدى له أمرا ونهيا ، ويعاين الورى
 لسلطاننا المنصور منه مهديًا يجبل لدولتنا حفظا ويحسن ملكنا رعيا .

وكان فلان هو الذي لم يزل متعين المحاسن ، متبين الميامن ، متمكن الرياسة في كل
 الأماكن ، فحلمه إذا اضطرت الجبال الرواسي ثابت ساكن ، وعلمه الزائد بأوضاع
 السياسة وأنواع النفاة للوجود من بهجته زائن ، ورأيه الصائب للبلاد والعباد
 صائنا ، ورعيه الخلق بالحق : القوي منه خائف والضعيف إليه راكن ، وبشره هادي
 للرائي وباد للعاين ، وذكره الجميل سائر في الآفاق والأقطار والمدائن ، حتى أظهر
 الله تعالى بإمداد نيرنا الأعظم من إشراق بدره الكامل ما هو في سر الغيب كامل ،
 وشهر سيفه الذي يغدو الإيمان من مهابته في كنف منيع وحرم آمن .

ولما مضت على منصب النيابة الشريفة في أيام والدنا الشهيد يضع سنين ،
 وأنقضت الأيام والليالي والدهر بموهبتها ضنين ، ولا وطيت لها ربوه ، ولا امتطيت
 لها صهوه ، وكانت في سلك ملكه مندرجه ، وبصفو سلطنته ممتزجه ، إلى أن قضى
 عليه الرضوان النجب ، وأفضى من الجنان إلى المحلل الرحب ، رأينا بعده بمن كان
 يتحقق وده أن نستأنس ، وأمضيئا وصيته المباركة في اختيار ثمرة الإخلاص بمن

كان له الاختصاص يَغرس ، وأفضينا إليه بالمناب عنا لما كان من أنوار والدنا الشهيد فى كل تسديد يقتبس ، ومن الأستثنائى مجالسته يفوز فيحوز حكم الحكم لأنه كان أمير ذلك المجلس ، وقضينا باعتماد أمره الكريم بعد أمرنا الشريف : لأنه الخير الذى لا يتبهم عليه شىء من خفايا القضايا ولا يلتبس - أقتضى حُسنُ الرأى الشريف إلقاء ما فى أيدينا من مقاليد الممالك إلى يده ، وإبقاء ودعة هذا الأمر العظيم إلى صونه وعونه وتشدده ، وإبقاء جنابه إلى حميد هذه الغاية التى هى للناسبة مناسبة لسؤدده .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازل يجمع شمل الإسلام بتعيينه وتفردده ، ويرجع أمر الأنام منه إلى مأمون الرأى رشيد سَفاح السيف مهتده ، منصور العزم مؤيده ، ويوسع الخليفة إذا وليهم بالرفقة والرحمة ومن أولى من أبى بكر بأن يخص أصحاب مجد عند الخليفة بإعذاب مهل الجود ومورده - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الإسلامية - أعلاها الله تعالى - نيابة شاملة تحيطه ، كاملة بَسِيطة ، تعنى كل أمير ومأمور ، وتُدنى أمرها الذى يعامل بالإجلال ويقابل بالسُرور ، برًا وبحرا ، وسهلا ووعرا ، غورا ونجدا ، بعدا وقربا ، شرقا وغربا ، وما منحه الله تعالى لوالدنا الناصر من الممالك ويدخر لسلطاننا المنصور ويُنحى : تستوعب أمر ما نأى من هذه الأقاليم ودنا ، وتجب طاعته فيها على كل من كان مؤمنا ، ويمتثل فى ذلك كله أمره ، وتعمل فيه الروية فيجمل فكره ، ويؤمل فيه فتحه ونصره ، وينقل به مدحه وشكره ، ولا ينفصل منحه وبره ، ناظرا فى هذه النيابة الشريفة بفكره التام ، سائرا فيها السير الجميل من الدربة والإلهام ، ناشرا ظلال المعدلة على من سار أو أقام ، مظاهرا بجنابه منا أجل مقام . ونحن وإن كنا نتحقق من خلاله الحُسنى ، كل وصف يُسنى ، وثيق منه بذى الصدر السليم الذى هو على

المقاصد يُعان وبالحماد يُعنى ، فليست نُحِلُّ بالوصية التي نعلم أنَّ له عنها آستغنا ،
ولكننا لا نترك بها التبرُّك ولا ندع ما سنَّ الله تعالى منها وشرع ، ولا نُغفل ، ما يجب به
أن يحتفل ، فقد وصَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأمضى أمره
المسموع كل ذى رجوع إلى الله تعالى منهم وإنابه ، فقد أولاه الله تعالى كل جميل
قبل أن ولَّاه ، وحلَّاه بالسَّمت والمنكرات قبل أن رفع علاه ، وأعطاه ما أُرهب
الغدا من سَطاه ، وهداه إلى كل رُشد تأتم به الهداه .

فأهم ذلك تقوى الله تعالى وهو عليها مجبول ، وأمرها عنده متلقٍ بالقبول .
والعدل فهو منه مأمول ، والاتصاف بالإنصاف فهو دأبه فيما يفعل ويقول ،
والجهاد : فغزاه في ميدانه تجول ، وصورته بها من قراع فرسانه فلول . والزعماء
والأكابر فلهم من محافظته اعتناءً وبملاحظته شمول . والعساكر الإسلامية فتأبده
تبش أيديهم بالعدا وتصول . وزعماء البلاد فلهم إلى ظل رحمة إيواءً وبكنف
نعمته ظلول . وممالك الإسلام فما منها لإمعمور بما أوتته كفالتة مأهول ، وثغوره
فكها بسام بفتكاته التي ألقى رعبها في البحر فهو بين كل فاجر وبين البحر يحول ،
وما هو بذلك من حميد المسالك موصول ، ومحله المقدم لأنه أهم الأصول : من إكرام
الحكام ، وإبرام الأحكام ، واستيفاء الحدود ، واقتفاء السنن المعهود : من إنجاز
الوعد ، وإحراز السعود ، والإجهاز على كل كفور وجمود ، والأحترار من فظاظة
الناس بإفاضة الجود ؛ فكل ذلك على خاطره مسرود ، ولما آثره مورود ؛ وفي ذخائره
موجود ، ومن خبرته معلوم معهود ، وعن فكرته مشهور ومن فطرته مشهود ، فليسع
أمرنا هذا جميع الأمراء والجنود ، وليرجع إليه كل من هو من جملة الملة معدود ؛
وليقابل مرسومنا بالسمع والطاعة ، أهل السنة والجماعة ؛ ساعة الوقوف عليه وحالة
الورود ؛ والله تعالى يصلح ببقائه الوجود ، ويمنح باهتمامه المقصود ، ويفتح المعقل

باعترامه الذى ليس بمردود عن مراده ولا مصدود ، بل يصبح الكفر من خوفه محصورا ويمسى وهو بسيفه محصود ؛ والعلامة الشريفة أعلاه ، حجة بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لنائب سلطنة ، أوردها فى "التعريف" قال :

يُوصى بتقوى الله تعالى وتنفيذ الأحكام الشرعية ، ومعاوضة حكامها ، واستخدام السيف لمساعدة أقاليمها ؛ وتفقد العساكر المنصورة وعرضها ، وإنهاضهم لنوافل الخدمة وفرضها ؛ والتخير للوظائف ، وإجراء الأوقاف على شرط كل واقف ؛ والملاحظة الحسنى للبلاد وعمارة أوطانها ، وإطابة قلوب سكانها ، ومعاوضة مباشرى الأموال مع عدم الخروج عما ألف من عدل هذه الأيام الشريفة وإحسانها ؛ وتحسين مالىه ، وتحسين كل ما أمره إليه ؛ وأستطلاع الأخبار والمطالعة بها ، والعمل بما يرد عليه من المراسيم المطاعة والتمسك بسببها ؛ وأنه مهما أشكل عليه يستضىء فيه ، بنور آرائنا العالية فهو يكفيه ، ومن قتل من الجند أو مات وحلف ولدا يصلح لإقطاعه يعين له ليقوم بخلفيه ، ويقال من هذا ما يقوم بتمام الغرض ويوفيه .

الوظيفة الثانية

(الوزارة لصاحب سيف)

وأعلم أن أول من أطلق عليه لقب الوزارة فى الإسلام "أبو حفص الخلال" وزير أبى العباس السفاح أول خلفائهم كما ذكره القضاعى^(١) فى "عيون المعارف فى أخبار الخلائف" ثم صارت الوزارة بعد ذلك للخلفاء والملوك دائرة بين أرباب السيف

(١) أى خلفاء العباسيين .

والأقلام ، تارةً يليها صاحبُ سيف وتارةً يليها صاحبُ قلم ، إلا أنها في أرباب الأقلام أكثر. وعلى ذلك جرى عُرف الديار المصرية من ابتداء الأمر وإلى الآن. ومما ينبه عليه أن الوزير إذا كان صاحبَ سيف ، كان في مجلس السلطان قائماً في جملة الأمراء القائمين . وإذا كان صاحبَ قلم ، كان جالساً كما يجلس أرباب الأقلام : من كاتب السر وغيره .

وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كتب به للأمير سيف الدين بكتمر . وهى :
الحمد لله الذى شدَّ أزر دولتنا القاهرة ، من أوليائنا بأمضى سيف ، وعضد أيامنا الزاهرة ، من أصفينائنا بأعدل ولي لا يوجد فى حكمه حيف ، وعدق تدير أمور ممالكنا الشريفة بمن تحجب مهابته ذوى الأطماع الطامحة عما لا يجب فلا يلم بهم فيها خاطر [ولا] يطرفهم بها طيف ؛ جاعل التأييد لآرائنا مصاحباً ، والتوفيق موافقاً لأوامرنا التى لا تهمل من مصالح الإسلام مندوباً ولا تدع من مهمات الملك واجباً ، والإقبال تالياً لمراسمينا فى ارتياد من يغدو قلب الحق من حيفه ساكناً وقلب المبطل من خوفه واجباً ، واليمن تابعا لاستخارتنا فى انتخاب من لم يزل فى خدمتنا الشريفة للأدعية الصالحة جالياً ، ولمنافع الإسلام والمملك طالبا ، ولمضارهما حاجباً .

نحمده على نعمه التى عضدت أيامنا بمن جمعت أدواته ، رتبتى السيف والقلم ، وعدقت تدير ممالكنا بمن أحرزت [صفاته] ، مزيتى العلم والعلم ، وشدَّ أزر دولتنا بمن يبيض بمعدلتة من صحائف أيامنا ما هو أحب إليها من حمر النعم .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نعددها للقائه ، ونتيمن بها فى افتقاد من نعتضد به فى مصالح أهلها وانتقائه ، ونقدمها أمام كل أمر ندخره لأعتلاء ولينا بالنق وأرتقائه ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أرسله إلى الأمم

طُرّاً، وخصّه بالأمة التى جعلَ أمارَةً سبقها إلى الخيرات أنْ غَدَتْ مَجَلَّةً غُرّاً ،
وأيدّه بنصره وبالمؤمنين الذين ما منهم إلا مَنْ أعرَضَ عن زُخْرَفِ الدنيا وإنْ كان
حُلُوا وقال الحقَّ وإنْ كان مُرّاً ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصَحْبِهِ الذين وَلَوْ أُمَّتَهُ
فَعَدَلُوا، والذين تَمَسَّكُوا بِسُنَنِ سُنَّتِهِ فَمَا حَادُوا عَنْهَا وَلَا عَدَلُوا ؛ صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَلْسُنُ
لِإِقَامَتِهَا مَدِيْمَةً ، وَالْقُلُوبُ لِإِدَامَتِهَا مُقِيْمَةً ؛ وَسَلْمًا تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنْ أَوْلَى مِنْ أْبْرَزَتِ الضَّمَائِرُ ، فِي الْأَعْتِضَادِ بِهِ مَكْنُونٌ طَوِيَّتِهَا ، وَأَعْتَمَدَتِ
الْخَوَاطِرُ ، فِي تَصْرِيحِ عَلَائِيَّتِهَا بِأَوْلَوِيَّتِهِ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ عَلَى نِيَّتِهَا ، وَتَشَوُّفِ الْبَلَاغَةِ
لِرَقْمِ مَفَآخِرِهِ ، وَتَنَافُسِ الْمَعَانِي فِي تَحْلِيدِ مَا ثَرَهُ ؛ وَهَنَاتِ الْمَعْدَلَةِ نَفْسَهَا ، بِرَافِعِ لَوَائِهَا ،
وَأَبَدَتِ الدَّوْلَةَ أَنْسَهَا ، بِنَاشِرِ بَرِّهَا فِي الْأَفْطَارِ وَالْآلِيَاءِ ؛ وَأَفْتَرَّتْ نَعْوَرُ الْإِقَالِيمِ الْحُرُوسَةَ
بِمَنْ تَلْهَجُ بِمَصَالِحِهَا أَلْسِنَةُ أَقْلَامِهِ ، وَأَخْضَرَّتْ رَبِيَّ آمَالَ الْأَوْلِيَاءِ بِمَا يُسْفِرُ عَنْهُ مِنْ
تَهَلُّلِ بَهَاءِ غُرَّرِ أَيَامِهِ ؛ مَنْ هَزَزْنَا مِنْهُ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ سَيْفًا يَصِلُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ ، وَيَفْصَلَ مِنْ مَهَمَّاتِ الْمَمَالِكِ مَا يَقْتَضِي الْحَقُّ أَنْ يُفْصَلَ ؛ وَيُبْرَزُ مِنْ مَعَادِنِ
الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا هُوَ فِي سِرِّ خَلَائِقِهِ كَامِنٌ ، وَيُنْزِلُ مِنْ أَسْتِقَامَتِ سِيرَتِهِ فِي الْحِمَى
الْمُخْصَبِ وَالْحَرَمِ الْأَمْنِ ؛ وَيَصُونُ الْأَمْوَالَ بِمَهَابَتِهِ فَلَا تَمْتَدُّ إِلَيْهَا هَوَاجِسُ الْأَطْعَامِ ،
وَلَا تَتَجَسَّرُ أَبْصَارُ غَيْرِ الْأَمْنَاءِ أَنْ تَقْصَّ نَبَأَ رُؤْيَيْهَا عَلَى الْأَسْمَاعِ ؛ وَيُضَاعَفُهَا بِخَبْرَتِهِ
الَّتِي تَهْدِيهَا الْأَمَانَةُ إِلَى مَعَادِنِهَا ، وَتُدْشُّهَا النَّزَاهَةَ عَلَى مَوَاطِنِهَا ، وَتُبْدِي لَهَا ظَوَاهِرَ
الْأَعْمَالِ أَسْرَارَ بَوَاطِنِهَا ، وَيُعَمَّرُ بِيوتِ الْأَمْوَالِ بَعَادَةَ الْبِلَادِ ، وَيَتَمَرَّرُ فِرْعَانَ الطَّوَارِفِ
مِنْ مَصَالِحِهَا بِحِفْظِ أَصُولِ التَّلَادِ ؛ وَيُكْفُّ أَوْ كُفَّ الظُّلْمِ عَنِ الرِّعَايَا فَلَا يَحْشَى مُحِقُّ
عَلَى حَقِّهِ ، وَلَا يَخَافُ مُسْتَقِيمٌ عَلَى مَا قَسَمَ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ ؛ وَلَا يَطْمَحُ قَوِيٌّ إِلَى مَنْ
يَسْتَضَعِفُ جَانِبَهُ ، وَلَا يَطْمَعُ بَاغٌ فِي الْحَيْفِ عَلَى أَحَدٍ مَخَالِطَهُ فِي نَسَبِ كَانٍ أَوْ مُجَانِبَهُ .

ولما كان الجناب العالى (الفلانى) هو الذى أشير إلى مناقبه ، وأعتضد منه بمطيع لله فى السرِّ والعلنِّ ومراقبهِ ؛ وفوض تدير الممالك منه إلى من لا تأخذه فى الحق لومة لائم ، وأعتمدت أيماننا الزاهرة منه على من طامأ سرى فى مصالحها على جيات العزائم ؛ وشهد أزر الملك من موازرتة بمن يكسو دست الوزارة أمةً وجلالاً ، ويُدس منصبها سناً لو ملكته الشمس مارامت عن بروج شرفها أنتقلاً ؛ ويمد على الرعايا لواء عدل لا يقلص له هجير الظلم كما تتقلص الظلال ظلالاً ؛ وتطلع به شمس الأرزاق على أولياء دولتنا لكن لا ترهب كالشموس غرباً ولا زوالاً ؛ مع مهابة تُخيف الأسد فى أجماتها ، ومعدلة تُعين الغيوث على رفع محول البلاد ودفع أزماتها ؛ وديانة زانها التقي ، وخبرة صانها الورع وهما أفضل ما به يرتقى .

وكانت الوزارة الشريفة نظام المملكة وقوامها ، وذروة الدولة وسنامها ؛ وتاج المراتب وإكليلها ، وعناد الخزائن الجامع دقيق المصالح الإسلامية وجليلها - اقتضت آراؤنا الشريفة أن تُزين هذه الرتبة بجوهر فِرندة ، وأن يصدر منصبها عن مناقب لا تصدر إلا عن جهته ومفانح لا ترد إلا من عنده ؛ وأن يطلق فى مصالحها قلمه ، ويمضى فى قواعدها إشاراته وكلمه ؛ ويطلع فى أفقها شمس تديره ، ويُعَدِّق به ما يراه فى أمورها من صغير الأمر وكبيره ؛ وأن نجعل مسامع الأقاليم على سعتها إلى أوامره ونواهيهِ مُصغية ، وأن نصدِّ بسْمْعته عن بعد عوارض الإهمال الملهية ومواقع الإهمال المُطغية .

فذلك رَسِم بالأمر الشريف - لازالت سحائب بره مستهله ، وركائب المحامد إلى حرم نعمه مهله - أن تفوض إليه الوزارة الشريفة بالممالك الإسلامية على أكمل القواعد ، وأجمل العوائد ؛ تفويضاً يعلى مرامه ، ويمضى مضاء السنة الأسنة أعلامه ،

ويبسط في مصالح الأقاليم المحروسة يده ولسانه ، ويلقى إليه من مهمات كل قطر
أزمته ليصرف على ما يراه من المصالح عيناه .

فليستقر في هذه الرتبة السنوية استقرار الدرر في أسلاكها ، والدرارى في أفلاكها ،
نافذ الأمر في مصالح شرقها وغربها ، مطاع القول في بُعد أماكنها منه وقربها ،
ناشراً كلمة العدل في أرجائها ، محققاً بالإحسان آمال أمم قصرت على كرمنا ممدود
رجائها ، معلماً منار الشرع الشريف بمعاودة حكامه ، والوقوف عند أوامره المطاعة
وأحكامه ، حافظاً أقدار الرتب بأكفائها ، معتمداً على ذوى البيوت المحافظين على
اتباع سير أسلافهم وأقتفائها ، معولاً على ذوى الخبرة التامة مع الديان ، مراعيماً
مع ظهور المعرفة جانب العفة والتراثة والصيانة ، موكلاً بمصالح بيوت الأموال
والخزائن المعمورة مواد الأموال ومعينها ، صارفاً إلى عمارة البلاد جميل تدير تعضد
البحار والسحب منه بمساعدتها على رى الأرض ومعينها ، ميسراً مواد أرزاق خدام
دولتنا القاهرة وأوليائها بجميل بشره وحسن روائه ، مسهلاً مطالب أرباب الرواتب
والصدقات بطلاقة وجه لو تأمله أمرؤ صادى الجوانح لأرتوى من مائه ، ليتوفر
أهل الوظائف على خدمهم بقلوب منبسطة الآمال ، ويُنَاضِلَ عنها الفقراء بسهم^(١)
الليل التي لا تطيش إذا طاشت النبال ، فقد جعلنا أمره في ذلك جميعه من أمرنا
فليكتب يمتثل ، وليقل في مصالحننا بما يراه يسر كلامه سرى الرياح ويسر قوله
سير المثل ، ولا يمض عقد ولا حل ، ولا ولاية ولا عزل ، ولا رفع ولا خفض ،
ولا إبرام ولا نقض ، إلا عن رأيه وإشارته ، وبنص خطه وعبارته .

وفى سيرته السريه ، وديانته التي هى من أسباب الهوى عريه ، ما يغنى عن وصايا
ثملى على فكره ، وقواعد مجلى على ذكره ، وملاكها تقوى الله : وهى من أخص

(١) المراد دعوات السحر كما لا يخفى .

أوصافه ، ونشر العدل والإحسان وهما من نتائج إنصاته لأموال الرعايا وإنصافه ؛
 لكن على سبيل الذكرى التي تنفع المؤمنين ، وترفع درجات المتقين ؛ فليجعلها نجى
 خاطره ، وقبلة ناظره ؛ والله تعالى يُعَلِّي قدره وقد فعل ، ويجعله من عباده المتقين
 وقد جعل ؛ بمنه وكرمه . والاعتماد [على الخط الشريف أعلاه] إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(الإشارة ، وهي وظيفة قد حدثت كتابتها ولم يُعهد بها كتابةً في الزمن القديم)
 وهذه نسخة تقليد أنشأته بالإشارة للأمير جمال الدين يوسف البشاشي إستاندار
 في الدولة الناصرية فرج ، حين فُوِّضت إليه الإشارة مضافةً إلى الإستاندارية ،
 وكتب له به المقر الشمسي العمريّ كاتب الدست الشريف ، في شعبان سنة تسع
 وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جدد للديار المصرية بالمحاسن اليوسفية رونق جمالها ، وأعز جانبها
 بأجل عزيز ملأت هيبته الوافرة فسبح مجالها ، وأسعد جدّها بأسعد مشير أدارت
 آراؤه الصائبة متعاسس الأمور ما بين يمينها وشمالها ، وأكرم مآبها بأمثل كاف عاد
 حسن تديره بضروب من المصالح أنام الخلق في ظلالها ، وأجاب سُؤلها بأكمل
 لم تعدل عن خطبتها له وإن أطال في مطالها .

نحمده على أن أغاثت الدولة القاهرة بمن أخصب به بعد الإحمال ربّعها ، وطال
 بطوله بعد القصور فرّعها ، وحسن في المناظر بحسن تأتبه لدى التأمل ينّعها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي شرع المشورة وحث عليها ،
 وصدق أمور السيف والقلم بها فردهما عند اختلاف الرأي إليها ، شهادةً ترفع قائلها إلى
 أسنى المراتب وتعليه ، وتقرب المخلص في آتجالها من مقام الاستخلاص وتدنيه .

ونشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله الذى وردَ وارِدُ الأمة من منهلِ شرعته المطهَّرة ماعذب مشرعه وردا وصَدَرا ، وألثقتِ السَّيِّرةُ أحاديثَ فضله فصيرتُها للرفاق سمرا ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تقيلوا مساحِبَ أذْياله فى العدلِ فعَدلُوا ، ولزِمُوا منْهجِ سُنَّتهِ الواضِحِ فما حادُوا عن سِواءِ السبيلِ ولا عدلُوا ؛ صلاةً تفوقِ العَدَّ حَصْرا ، وترَفَعَ بركاتُها عن الأمة حَصْرا وتبدلَ العُسرُ سُرُرا ، فتُعِيدُ عَجافَ الزمانِ سِمانا وسُنبلاتِ الوقتِ بعد اليُسِّ حُصْرا ؛ وسَلَّمَ تسليما كثيرا .

أما بعدُ ، فإنَّ للمملكةِ قواعدَ تُبنى عليها ، وأركاناً تستندُ إليها ؛ ودعائمٌ يُشَدُّ بالأعتضادِ بها بُنيانُها ، وعمدًا يعتمدُ عليها فى المهمَّاتِ سلطانُها ؛ وهذه المَباني وإنَّ أَسْعَ نطاقُها ، وأمْتَدَّ بامتدادِ المملكةِ رُواقُها ؛ فإنَّ بالسيفِ والقلمِ قوامُها ، وبالتعلُّقِ بجبالها بقاءها ودوامُها ؛ إذ كانا قُطْبينِ عليهما مدارُ فلَكِها ، ونقطتينِ عنهما ينشأُ الخَطُّ المستقيمُ فى تدبيرِ مُلكِها ؛ وزعيمينِ يترافَعُ إليهما عندَ التخاصُمِ ، وحكَّمينِ يرجَعُ إلى حُكْمِهما عندَ التَّحاكُمِ ؛ إلا أنَّهما لا يَسْتَقِلَّانِ بأنفسِهما عندَ التَّحالُفِ ، ولا يقومُ أحدهما برأسِهِ لدى التَّخالُفِ ؛ بل لهما إمامٌ يرجعانُ إليه ، ويعولانِ عندَ اضطرابِ الأمورِ عليه ؛ وهو الرأى الذى لا يُقْطَعُ أمرٌ دونَ حكمِهِ ، ولا يهْتَدَى سارٍ فى مهامِهِ المهمَّاتِ إلا بِنَجْمِهِ ؛ إذ كانَ على الشجاعةِ مُقدِّما ، ودليلاً من المعقولِ والمنقولِ مسامًا ، والمتَّسِمَ به لا يزالُ عندَ المُلوكِ مَبْجَلًا معظَّمًا ؛ لا يقدِّمونَ عليه ولدا ولا والدا ، ولا يُؤثِّرونَ على مُعاضدتهِ عَضداً ولا ساعداً ؛ إنَّ أشارَ برأى تمسكِ المَلِكِ منه بالحبلِ المَبِينِ ، أو مُحَضِّهِ كَلامِ نصحِ قال : (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ آمِينَ) .

ولما كانَ الجَنابُ العالى ، الاميرى ، الكبيرى (إلى آخرِ ألقابه) يوسُفُ الناصرى : ضاعفَ اللهُ تعالى نِعْمَتَهُ ، هو الذى حَنَّكَتهِ التَّجاربُ و«حَلَبَ الدَّهْرَ

أشطره»، وعرف بتقليب الأمور على ممر الزمان مخبره؛ مع ما أشتمل عليه من الرأي الصائب، والفكر الذى إذا أبدت قريحته فى الارتباء عجباً أتت فطرته السليمة بالعجائب.

هذا وقد علا فى الدولة القاهرة مقامه، ورشقت أغراض مقاصدها بانقضاء الآجال فى الوقائع سهامه؛ وساس العساكر فأحسن فى سياستها التدبير، وبذل فى نفقاتها الأموال فال فيها إلى الإسراف دون التقدير، وأستجلب الخواطر فأخذ منها بجامع القلوب، وأقتاد النفوس الأبيسة قهراً فأطاعه من بين الشمال والجنوب؛ وقام من المهمات الشريفة بما لم يسبقه إليه سابق، وأتى من خوارق العادات فى التنفيذ بما لم يلحقه فيه لاحق، وبادر إلى ترتيب المصالح فرتبها ولم يعقه فى انتهاز الفرصة عن دفع المفاسد عائق؛ وأخذ فى حط الأسعار فوراً منهنلاً من المعروف صافياً، وأمر بإبطال المعاملين فكان له عملاً على توالى الأزمان باقياً؛ ولازم بعد رضا الله تعالى رضا ملكه ففاز بأشرف المآثر فى الحديث والقديم، وتأسى فى تعريفه بنفسه بيوسف عليه السلام فقال: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ - أقتضى حسن الرأي الشريف تنوينا بذكره، وتقديمه على غيره ممن رام هذه الرتبة فحجب دونها (والله غالب على أمره).

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الناصرى، الزينى - لا زال يجمع لأوليائه شمل المعالى، ويرقى أصفياه فى درجات العز على ممر الأيام والليالى - أن تفوض إلى المشار إليه الإشارة الشريفة التى هى أسنى المقامات وأعلاها، وأقصى المرادات لدينا وأغياها؛ مع ما أنضم إلى ذلك من النظر فى الوزارة الشريفة التى جل قدرها، وعلا فى المناصب ذكرها؛ والخاص الذى أختص بمهماتنا

الشريفة، والديوان المفرد الذى غمّر من ممالكنا السعيدة ذا الوظيفة وغير ذى الوظيفة، وتعلقات المملكة شرقاً وغرباً، ولوازمها المفترقة بعداً وقرباً .

فلتلق ما فوّض إليه بيمينه التى طالما ربحت فى الطاعة صَفْقَتُهَا، ويقابله بالقبول الذى محلّه من القلوب مُهَجَّتُهَا، مقدّماً تقوى الله تعالى فيما خفى من مقاصده وظهراً، مؤثراً رضاه فى كل ما يأتى ويذّر، معتمداً فى المصالح اعتماداً ذى اليقظة الساهر، آتياً من غرائب الرغائب بما يحقق قول القائل: «كَمْ تَرَكُ الْأَوَّلُ لِلآخِرِ» .

والوصايا كثيرة ومن بجره نُسْتَخْرَجُ دُرُّهَا، ومن سوابق آرائه نُسْتَوْصَحُ أَوْضَاحُهَا وَغُرُرُهَا، والله تعالى يُدِيمُ عَلَيْهِ نِعَمَ إِقْبَالِنَا الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ، ويتولاه من العناية بما يحقق له دائم قوله: «أَنْتَ وَلِيِّى فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ» . والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه، إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثانية

(من يكتب له من أرباب السيوف ذوات التواقيع، وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(نظر البيارستان لصاحب سيف)

(١)

الحمد لله رافع قدر من كان فى خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ كَرِيمِ الْخِلَالِ ، ومُعَلِّيِ دَرَجَةٍ مِنْ أَضْفَى عَلَيْهِ الْإِحْلَاصُ فِي طَاعَتِنَا الْعَلِيَّةِ مَدِيدِ الظَّلَالِ ، ومَجْدِدِ نِعَمٍ مِنْ لَمْ يُحْصِصَهُ اعْتِنَاؤُنَا بِغَايَةِ إِلْرَقَّتِهِ هَمَمُهُ فِيهَا إِلَى أَسْنَى رُتَبِ الْكَمَالِ ، ومَقْوُوضِ النُّظْرِ فِي قُرْبِ

(١) فى بعض نسخ الأصل بياض ولعله كان متروكاً لنسبة القول الى منشته كما يأتى فى نظيره بعد .

الملوك السالفة إلا من لم يلاحظ من خواصنا أمرا إلا سرنا ما تُشاهد فيه من الأحوال الحوال .

نحمده على نعمه التي لا تزال تسرى إلى الأولياء عوارفها ، ومنهاهله التي لا تَبْرَحْ تشتمل على الأصفياء عواطفها ، وآلائه التي تُسدّد آراءنا في تفويض القرب إلى من إذا باشرها سرّ بسيرته السريّة مستحقها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص لواءها ، وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضياءها ، ووالى الايقان إعادة أداها بمواقف الحق وإبداءها .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بعموم الشفاعة العظمى ، المقصود في السنته ذكر حوضه الذي من شرب منه شربة فإنه بعدها لا يظما ، المنصوص على نبوته في الصحف المنزلة وبشّرت به الهواتف نثرا ونظما ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالرّب الفاعر ، وحازوا بالإخلاص في محبته ، سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظوظهم من رضا الله ورضاه فلم يلووا على خدع الدنيا الساحر ؛ صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس دولتها من الغروب والزوال ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الأمور بالنظر في مصالحها ، وأحقها بتوفير الفكر على اعتبار مناهجها وأعتاد مناهجها ، أمر جهات البر التي تقرب بها السلطان الشهيد الملك المنصور (قدس الله روحه) إلى من أفاض نعمه عليه ، وتتوع في إنشائها فأحسن فيها كما أحسن الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله : لعلمه أن ذلك من أنفس الذخائر التي أعدها بين يديه ؛ وحل منها في أكرم بقعة نقله الله بها عن سريره إلى مقعد صدق عند ربه ،

وعمَرُ بها موَاطِنَ العبادةِ فى يومِ سَامِهِ بعد أن عَفَى بها معاقِلَ الكفرِ فى يومِ حَرْبِهِ ؛
وأقامَ بها منارَ العلومِ فعَلاً مَنالَها ، وأعدَّ للضعفاءِ بها من موادِّ البرِّ والإِطافِ مالو
تعاطتُه الأغنياءُ قَصُرَتْ عن التطاؤُلِ إليه أموالُها ؛ وأن نرتادَ لها من إذا فَوْضنا إليه
أمرًا تحقَّقنا صَلاحه ، وتيقَّننا نَجاحه ، وأعتقَدنا تَمِيمَةَ أمواله ، وأعتَمَدنا فى مضاعفةِ
أرتفاعه وَاِنْتفاعِهِ على أقوالِهِ وأفعاله ، وعَلِمنا من ذلك ما لا نحتاجُ فيه إلى آخْتِبار
ولا أعتِبارة ، ولا يُحتاجُ فى بيانِ الخِيرةِ فيه إلى دليلٍ إلا إذا احتَاجَ إليه النَّهارُ ،
لنكونَ فى ذلكَ بِمَثابَةٍ من ضاعَفَ هذه القُربَ أسبابَ ثوابها ، أو جَدَدَ لها وَقفاً :
لكونه أُنَى بيوتِ الإِحسانِ فى أرتيادِ أَكفِفاءِ النَّظَرِ لها من أبوابها .

ولما كانَ فلانُ هو الذى نَهَتْ أوصافُهُ على أَنه ماوَى أمرًا إلا وكانَ فوقَ ذلكَ
قَدراً ، ولا أعتَمِدَ عليه فيما تَضيقُ عنه هِمُّ الأولياءِ إلا رَحَبَ به صَدْرًا ، ولا طلعَ
فى أَفقِ رُتبةِ هلالا إلا وتَأَمَّتْهُ العيونُ لأَجَلِ رَبِّ الكمالِ بَدْرًا ؛ يدركُ مانأى من مصالحِ
ما يليه بأذنى نَظَرٍ ، ويسبِقُ فى سَدادِ ما يباشره على ما يَجِبُ سَدادِ الآراءِ ومواقِعِ
الفِكرِ . ونحن نزدادُ غِبطَةً بتدبيره ، ونَتَحَقَّقُ أَنَّ كل ما عَدَقنا به إليه من أمرٍ جليلٍ فقد
أَسَدَناهُ إلى عارفِهِ وفَوْضناه إلى خبيرِهِ - أَقتَضَتْ آراؤنا الشريفةُ أن نَعِدُقَ بِجَميلِ نظره
هذا المُهِمِّ المَقَدَّمِ لَدِينا ، وأن نُفَوِّضَ إليه نَظَرَ هذه الأوقافِ التى النَّظَرُ فى مصالحها
من أَكْثَرِ الأُمورِ المتعِينَةِ علينا .

فُرِسمَ بالأمرِ الشريفِ - لا زالَ فضلُهُ عَمِيماً ، وِرهَ يقدِّمُ فى الرَّتبِ من كانَ من
خواصِّ الأولياءِ كَرِيماً - أن يُفَوِّضَ إليه كَيْتَ وكَيْتَ .

فَليِلِ هذه الرتبةُ التى أريدُ بها وجهُ الله وما كانَ لله فهو أَهمُّ ، وقُصِدَ بها النفعُ
المتعدى إلى العُلَماءِ والفُقراءِ والضعفاءِ ومراعاةُ ذلكَ من أَخصِّ المصالحِ وأعمِّ .

ولينظر في عموم مصالحها وخصوصها نظراً يسد خللها ، ويزيح عائلها ، ويعمر أصولها ، ويثمر محصولها ، ويحفظ في أماكنها أموالها ، ويقم بها معالم العلوم في أرجائها ، ويستنزل بها مواد الرحمة لساكنها باللسنة قرائها ، ويستعيد صحة من بها من الضعفاء بإعداد الدخائر لملاطفة أسقامها ومعالجة أدوائها ، ويحافظ على شروط الواقف في إقامة وظائفها ، وأعتبر مصارفها ، وتقديم ما قدمه مع ملاءة تدبيره باستكمال ذلك على أكمل ما يجب ، وتميز حواصلها بما يستدعي إليها من الأصناف التي يعز وجودها ويحتب ، وضبط تلك الحواصل التي لا خزائن لها أوثق ، من أيدي أمنائه وثقاته ، ولا مودع لها أوفق ، من أمانة من يتقى الله حق ثقاته ، فلذلك وكنهه في الوصايا إلى حسن معرفته وأطلاعه ، ويمن نهوضه بمصالحنا وأضطلاعه ، إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظر الجامع الطولوني)

من إنشاء المقرّ البدرىّ ابن المقرّ العلاءى بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء الشريف ، في الدولة الظاهرية برقوق ، كتب به المقرّ الشمسى العمريّ كاتب الدست الشريف لأبي يزيد الدوادار ، وهي :

الحمد لله الذى أقام من أوليائنا خير ناظر ، يقتر به كل ناظر ، وأدام بنا بناء المعروف الزاهر وحسنه الباهر ، وأنام الأنام في مهاد الأمن بانتقاء ولي لسان الكون حامد له ومدح وشاكر ، وفتح أبواب السعادة باصطفاء صفيّ طاب بسفارته كل خاطر من مقيم خاطر ، ومنح أسباب السيادة بأوفى وفى عمر بوجوده

الوجودَ وغمَّرَ بجوده كلِّ بادٍ وحاضرٍ ، وأبصرَ بالدينِ المتينِ والفضلِ المبينِ فأقمناه
للنظرِ على بيوتِ الله تعالى لأولوِيَّتهِ بذلك : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

نجمده على نعيمه التي ظهرت ^(١) بالمزيد فسرت السرائر، وظهرت بنور الرشد المديد
فأشرق بها الباطنُ والظاهر . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيزُ
القادر، شهادة صدقت في الإخلاص بها الألسنة والضمائر . ونشهد أن سيدنا محمدا
عبده ورسوله معدن الأسرار، وبحر الجود الزاخر، ومنبع الأنوار، صاحب الآيات
الظاهرة والمعجزات الباهرة والمفاخر، الذي يبعثه الله مقاما محمودا يحمد الأوائل
والأواخر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه النجوم الزواهر ، الذين جاهدوا في الله
حق جهاده فكان كلٌّ منهم للدين الحنيف أعظم مجتهد ومؤيد وناصر، وسلم
تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من أُنقِيت إليه مقاليد الأمور، وصرّفناه في جميع مصالح
الجمهور، وفوضنا إليه النظر في بيوتِ الله تعالى ليعمرها بنظره السعيد وتضاعف له
الأجور، ومكّأ له في دولتنا الشريفة حتى صار قُطبَ فلَكها عليه تدور، وبسطنا
يده ولسانه فهو ينطق عنا ويأمر بالقضاء والقدر في الورود والصدور، وقيدنا
الأرزاق بقلبه، والمهمات بكلمه، فلا فضل إلا من فيضه المنشور - من أمتاز
على غيره بفضيلتي السيف والقلم، وتقدم في الطاعة الشريفة بأثبت قدم، كان بها
من السابقين الأوّلين من القدام، وأتصف بالشجاعة والشهامة والمعرفة التامة والحلم
والعدل والحكم، فهو التّرجمان عنا الناطق بفصل الخطاب في السر للترك والعرب
والعجم، وعرف بالرأى السديد، والنظر السعيد، والتدبير الحميد، والقول المفيد،

(١) ظهرت بالمزيد قويت به وظهرت بنور الرشد وضحت وبان .

والجُود والكَرم ، وطَبِعَ على الخَيْرِ الجَزِيلِ ، والدِّينِ الجَمِيلِ ، عُمره في الحقِّ قائمٌ ،
لا تَأخُذُه في الحقِّ لومَةٌ لأئمٍّ ، طالماً أحيَا بِجُسُنِ السَّفارةِ من العَدَمِ .

هو واحدٌ في الفضلِ والنظرِ السعيدِ لأبى سعيدِ .

فمن الذي يَحْكِيه في الشَّرَفِ العَتِيدِ بطلِ الوغى أبو يزيدِ .

قد تفرَّد في العِفَّةِ والدِّيانَةِ ، والثَّقَّةِ والأمانَةِ ، وألْتَحَفَ بالصِّفا ، وتردَّى بالوفا ،
وشفى بالخيرِ والخبيرِ مَنْ كان بالفقرِ على شفا فحصل له الشِّفا ، ووفى بالعهودِ والمواثيقِ
وذلك أمرٌ ماخفى^(١) ، وخلق في الجُودِ والدِّينِ بِسَمِيهِ أبى يزيدِ البِسطامى الولىّ :

قالوا : الوليُّ أبو يزيدٍ قد مَضَى * وهو الفَرِيدُ بِفضلهِ والصادِقُ !

قلتُ : الأميرُ أبو يزيدٍ مثلهُ * هُذاك سابقُه وهذا اللاحِقُ !

ولما كان فلان هو المشار إليه بهذه الصِّفاتِ الحَسَنَةِ ، والمناقبِ التي تتوعَّتُ
في مدائحها الألسِنَةِ ، وعُرفَ بالجُودِ فَمَلَك حُبُّهُ الأفتدَةَ فارتفعتِ الأصواتُ بالدعاءِ
له مُعلِنَةً ، طالماً أنالَ النِّعمَ ، وأزالَ النِّقمَ ، وجَبَرَ القلوبَ ، وكشَفَ الكُرُوبَ ، وجَلَّ
ظلامَ الخُطُوبِ ، ونَشَرَ المعروفِ ، وأغاثَ الملهُوفَ ، وأنقَذَ من المَهالِكِ ، وعمَرَ
بتدبيره الممالكَ ، ووصلَ الأرزاقَ ، وأجرى الأطلاقَ على الإطلاقِ - أَقْتَضَتْ
آراؤنا الشريفةُ أن نعتَمِدَ في جميعِ الأشياءِ عليه ، ونُلقيَ مقاليدَ الأمورِ إليه ، وننوطَ
به المهمَّاتِ وغيرها : ليكونَ العِلمُ بالكَلِّياتِ والجزئياتِ لديه .

فلذلك رُسمَ بالأمرِ الشريفِ - لازالَ يتَحَفُّ بالمزيدِ من كَرَمِهِ ، ويُسبِّغُ جلايبَ
نِعَمِهِ ، ويمجى بجرِّ فضلهِ الواسِعِ ، ويعمُّ بنظرِهِ المقترينِ من أوليائه كلَّ جامعٍ للخيرِ
جامعٍ ، أن يستقرَّ^(٢)

(١) جرى على لغة طيء نظر اللسج فتنبه .

(٢) بياض بالأصل والمراد "في نظر الجامع الطولوني" الخ وكثيرا ما يفعل ذلك في مثل هذه المواضع .

فليتلق هذا التفويضَ الجليلَ بقبوله ، ويبلغ الجامعَ المذكورَ ما يرتقبه من عمارته
التي هي غايةُ مأموله . ومنه تؤخذ الوصايا لأنه لساننا الناطق ، وسفيرُ مملكتنا العالمِ
بالحقائق والدقائق ، فلا يحتاج أن يُوصى ولا أن نفتح معه في الوصية باباً ، وما يصلح
ان يقال لغيره لا يجوز أن يكون له خطاباً :

ومثلك لا يدلُّ على صوابٍ * وأنت تعلمُّ الناسَ الصواباً!

والله تعالى يؤيده في القول والعمل ، ويعمُّ بوجوده وجوده الوجود وقد فعل ؛
ويُقيمه مدى الدهر ، ويستخدم لسعوده الساعة واليوم والجمعة والشهر ؛ ويجعل
بابه الطاهرَ مفتوحاً للقاصدين على الدوام ، ويُقيمه واسطةً عقد الملك فإنه مبارك
أيضاً كان ورحمةً للأنام ؛ والاعتمادُ على الخطِّ الشريف أعلاه حجةً بمقتضاه ،
إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(تقابة الأشراف)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية في المقالة الثانية أن
موضوعها التحدثُ على الأشراف ، وهم أولادُ أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى
الله عنه ، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد جرت العادة أن الذى يتولى هذه الوظيفة يكون من رؤوس
الأشراف ، وأن يكون من أرباب الأقلام ، وإنما أوردته مع أرباب السيف
لأن المقرَّ الشهابى بن فضل الله قد ذكر في بعض دساتيره الشامية أنه يكتب
لنقيب الأشراف « الأميرى » ولا يكتب له « القضاى » ولو كان صاحب قلم .

وقد رأيت له عدّة توقيع على ذلك مكتتبه من الأبواب السلطانية وعن نايب الشام
وحلب وغيرهما، معبراً عنه فيها بـ «الأميرى» وتوقيع في قطع الثلث مفتوح بحُطبة
مفتحة بـ «الحمد لله» .

(١)
وهذه نسخة [توقيع] بنقابة الأشراف، وهي :

الحمد لله مشرف الأنساب، وموفى الأحساب، حقوق ملاحظتهم بغير حساب،
وجاعل أيامنا الشريفة تحمد الأكتساب .

نحمده بحامد حسنة الإيجاد والإيجاب . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة لا شك في مقالها ولا أرتياب . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبه
الذي أنزل عليه الكتاب، وشرف به الدرارى من شجرته المباركة الأعقاب،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تتوارى شمسها بحجاب .

وبعد، فإن خير ما صرفت الهمم إلى تشييد مبانيه، وتقييد مهمل رواعيه
وملاحظة قاصيه ودانيه، المحافظة على كل ما يرفع قدر الآل ويعليه، ويرد إليهم
عنان الاعتناء ويثنيه .

ولما كانت الغرة الطاهرة النبوية وراث الوحي الذين آل إليهم ميزاته، وأهل
البيت الذين حصل لهم من السؤدد آياته؛ وقد سأل الله وهو المسئول لهم القربى،
وخصهم بمزايا حقيق بمثل متصرفهم أنه بها يُجبي وأنما لهم تُجبي : لما في ذلك من
بركات تُرضى سيد المرسلين وتُعجبه، ويُسطر الله [الأجر] لفاعله ويكتبه؛ وكان لابد
لهم من رئيس ينضد سلكهم وينظمه، ويعظم نفرهم ويفخّمه؛ ويحفظ أنسابهم،

(١) بياض بالأصل والتصحيح من المقام .

ويصقل بمكارمه أحسابهم ؛ ويمى بتديره ريعهم ، ويتابع تحت ظل هذه الشجرة
الزكية ما زكى ينعمهم ؛ ويحفظهم فى ودائع النسل ، ويصد عن شرف أرومتهم من
الأدعياء المدعين بكل بسل^(١) ؛ ويحرس نظامهم ، ويوالى إكرامهم ؛ يأخذهم بمكارم
الأخلاق ، ويمدحهم بأنواع الإرفاد والإرفاق ؛ ويتولى ردع جانبيهم إذا لم يسمع ،
ويتدبر فيه قوله : « أنفك منك وإن كان أجدع » .

ولما كان فلان هو المشار إليه من بنى هذه السلالة ، وله من بينهم ميزة باطنة
وظاهرة وإن كانوا كلهم شيئاً واحداً فى الإجلال والإعظام ، فقد تميزت من بين
الأنامل السبابة على الخنصر والبصر والوسطى والإبهام ، ومم ثمر جنى فضل بعضه
على بعض فى الأكل وهو يسقى بماء واحد ، وقد أمتاز على بنى هاشم سيد المرسلين
عليه أفضل الصلاة والسلام - أقتضى حسن الرأى المنيف ، أن رسم بالأمر
الشريف - لا برح يختار وينتقى ، ويحتبى من يخشى الله ويتقى - أن تقوض إليه
نقابة الأشراف الطالبيين على عادة من تقدمه من الثقباء السادة .

فليجمع لهم من الخير ما يهيج الزهراء البتول فعله ، ويفعل مع أهله وقربته
منهم ما هو أهله ؛ وليحفظ مواليدهم ، ويحزر أسانيدهم ؛ ويضبط أوقافهم ،
ويتمد إنصافهم ؛ ويتمر متحصلاتهم ، ويكثر بالتدبير غلاتهم ؛ يأخذ نفسه
بمسواتهم ، فى جميع حالاتهم ؛ وليأخذهم بالتجمع عن كل ما يشين ، والعمل بما
يزين ؛ حتى يضيفوا إلى السؤدد حسن الشيم ، وإلى المفاخر فإخرا القيم ، وكل ما يفعله
معهم من خير أو غيره هو له وعليه ، ومنه وإليه ، والله يحفظه من خلفه ومن بين
يديه ، بمنه وكرمه ! .

(١) البسل الشدة كما فى اللسان . وقع فى الأصل « نسك » بالنون والكاف وهو تصحيف .



وهذه نسخة وصية لنتيب الأشراف أوردتها في "التعريف" فقال :

ونحن نُجِلُّكَ عن الوصايا إلا ما نَتَبَّرَكَ بِذِكْرِهِ ، وَيُسْرِكَ إِذَا أَشْتَمَلْتَ عَلَى سِرِّهِ ؛
فَأَهْلَكَ [أَهْلَكَ ؛ رَاقِبٌ]^(١) اللَّهُ وَرَسُولَهُ جَدَّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا أَنْتَ عَنْهُ مِنْ
أُمُورِهِمْ مُسْئُولٌ ، وَأَرْفُقُ بِهِمْ فَهَمُّ أَوْلَادِ أُمَّكَ وَأَبِيكَ حَيْدَرَةَ وَالبَتُولِ ؛ وَكَفَّ يَدَ مَنْ
عَلِمْتَ أَنَّهُ [قَدْ]^(١) اسْتَطَالَ بَشْرَفَهُ فَمدَّ إِلَى العِنَادِ يَدَا ، وَأَعْلَمَ أَنَّ الشَّرِيفَ وَالْمَشْرُوفَ
سَوَاءٌ فِي الإِسْلَامِ إِلا مِنْ أَعْتَدَى ؛ وَأَنَّ الأَعْمَالَ مُحْفُوظَةٌ ثُمَّ مَعْرُوضَةٌ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ
فَقَدِّمُ فِي اليَوْمِ مَا تَفَرَّحَ بِهِ غَدَا ؛ وَأَزِلِ البِدْعَ الَّتِي يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَهْلُ العُلُوِّ فِي وَلائِهِمْ ،
وَالعُلُوِّ فِيمَا يُوجِبُ الطَّعْنَ عَلَى آبَائِهِمْ ، : لِأَنَّهُ يُعْلَمُ أَنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
كَانُوا مَرْهُونِينَ عَمَّا يَدَّعِيهِ خَلْفُ السُّوءِ مِنْ أَفْتِرَاقِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، وَبِتَعَرُّضِ مَنْهُمْ أَقْوَامٌ
إِلَى مَا يُجْرِّهُمُ إِلَى مَصَارِعِ حَيْنِهِمْ ؛ فَاللَّشِيعةُ عَثْرَاتٌ لَا تُقَالُ ، مِنْ أَقْوَالٍ تُقَالُ ؛ فَسُدِّ
هَذَا البَابَ سَدًّا لِيَبِ ، وَأَعْمَلْ فِي حَسْمِ مَوَادِّهِمْ عَمَلَ أَرِيْبٍ ؛ وَقُمْ فِي نَهْيِهِمْ وَالسَّيْفِ
فِي يَدِكَ قِيَامَ خَطِيبٍ ، وَخَوْفِهِمْ مِنْ قَوَارِعِ [مَوَاقِعِ]^(١) كُلِّ سَهْمٍ مُصِيبٍ ؛ فَمَا دُعِيَ
« بِحُجِّي عَلَى خَيْرِ العَمَلِ » إِلَى خَيْرٍ مِنْ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ [فَانظُرْ فِي نَادِي
قَوْمِكَ عَلَيْهَا عُقُودَ الأَجْتِمَاعِ]^(١) . وَمَنْ أَعْتَرَى إِلَى أَعْتِرَالِ ، أَوْ مَالٍ إِلَى الزَّيْدِيَّةِ فِي زِيَادَةِ
مَقَالِ ؛ أَوْ ادَّعَى فِي الأئِمَّةِ المَاضِينَ مَا لَمْ يَدَّعُوهُ ، أَوْ اقْتَفَى فِي طُرُقِ الإِمَامِيَّةِ بَعْضَ
مَا أَبْتَدَعُوهُ ؛ أَوْ كَذَبَ فِي قَوْلِ عَلَى صَادِقِهِمْ ، أَوْ تَكَلَّمَ بِمَا أَرَادَ عَلَى لِسَانِ نَاطِقِهِمْ ؛
أَوْ قَالَ : إِنَّهُ تَلَقَّى عَنْهُمْ سِرًّا ضَنْبُوا عَلَى الأُمَّةِ بِبَلَغِهِ ، وَذَادُوهُمْ عَنْ لَدَّةٍ [مَسَاغِهِ]^(١) ،
أَوْ رَوَى عَنْ يَوْمِ السَّقِيْفَةِ وَالجَمَلِ غَيْرَ مَا وَرَدَ أَخْبَارًا ، [أَوْ تَمَثَّلَ بِقَوْلٍ مِنْ يَقُولُ :
عَبْدَ شَمْسٍ قَدْ أَوْقَدْتُ لَبْنِي هَاشِمِ نَارًا]^(١) أَوْ تَمَسَّكَ مِنْ عَتَائِدِ البَاطِنِ بِظَاهِرِ ، أَوْ قَالَ

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٣٠ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

إِنَّ الذَاتَ الْقَائِمَةَ بِالْمَعْنَى تَخْتَلِفُ فِي مَظَاهِرٍ ؛ أَوْ تَعَلَّقَ لَهُ بِأُمَّةِ السُّرَّرِجَاءِ ، أَوْ أَنْتَظِرَ مُقِيمًا بَرَضَوِيٍّ عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ ، أَوْ رَبَطَ عَلَى السُّرْدَابِ فَرَسَهُ لِمَنْ يَقُودُ الْخَيْلَ يَقْدِمُهَا اللَّوَاءَ ؛ أَوْ تَلَفَّتْ بِوَجْهِهِ يُظَنَّ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ فِي الْغَمَامِ ، أَوْ تَفَلَّتْ مِنْ عِقَالِ الْعَقْلِ فِي أَشْتِرَاطِ الْعِصْمَةِ فِي الْإِمَامِ . فَعَرَفْتَهُمْ أَجْمَعِينَ أَنَّ هَذَا مِنْ فِسَادِ أَذْهَانِهِمْ ، وَسُوءِ عَقَائِدِ أَدْيَانِهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ عَدَلُوا فِي التَّقَرُّبِ بِأَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ عَنْ مَطْلُوبِهِمْ ، وَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُمْ طَلَبُوا فَقُلْ لَهُ : (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) .

وَأَنْظُرْ فِي أُمُورِ أَنْسَابِهِمْ نَظْرًا لَا يَدَعُ مَجَالًا لِلرَّيْبِ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ مَعَهُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِمْ بِغَيْرِ نَسَبٍ ، وَلَا يَخْرُجَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ سَبَبٍ ، وَسَاوِقِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي أُمُورِهِمْ فِي كُلِّ حِسَابٍ وَأَحْفَظْ لَهُمْ كُلَّ حَسَبٍ . وَأَنْتَ أَوْلَى مِنْ أَحْسَنَ لِمَنْ طَعَنَ فِي أَسَانِيدِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَوْ تَأَوَّلَ فِيهِ عَلَى غَيْرِ مُرَادِ قَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأْدِيبًا ، وَأَرَاهُمْ مِمَّا يُوَصِّلُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ طَرِيقًا قَرِيبًا . وَنَكَّلَ بَيْنَ عِلْمَتِ أَنَّهُ قَدْ مَالَ عَلَى الْحَقِّ أَوْ مَالَ إِلَى فَرِيقِ الْبَاطِلِ فَرَقًا ، وَطَوَى صَدْرَهُ عَلَى الْغِلِّ وَظَلَبَ مِنْ أَجْلِهِ عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَقْدِيمِ مَنْ تَقَدَّمَ حَقًّا ؛ [وَجَارَ وَقَدْ]^(١) أَوْصَحَّتْ لَهُمُ الطَّرِيقَةُ الْمُثَلِّي طُرُقًا ؛ وَأَرَدَعَهُمْ إِنْ تَعَرَّضُوا فِي الْقَدْحِ إِلَى نِضَالِ نِضَالٍ ، وَأَمْنَعَهُمْ فَإِنْ رَقَّهِمْ كُلُّهَا وَإِنْ كَثُرَتْ خَابِطَةٌ فِي ظِلَامِ ضَلَالٍ ؛ وَقَدَّمَ تَقْوَى اللَّهِ فِي كُلِّ عَقْدٍ وَحَلٍّ ، وَأَعْمَلَ بِالشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ فَإِنَّهَا النَّسَبُ الْمَوْصُولُ الْحَبْلُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُقَرَّرَ الشَّهَابِيَّ بْنَ فَضْلِ اللَّهِ قَدْ ذَكَرَ فِي "التعريف" عِدَّةَ وَصَايَا لِمَجَاعَةِ مَنْ أَرَبَابِ السُّيُوفِ ، لَمْ يُكْتَبْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي زَمَانِنَا ، بَلْ رُفِضَ اسْتِعْمَالُهَا وَأَهْمَلُ . وَنَحْنُ نَذْكُرُهَا حِفْظًا لِذِكْرِهَا ، وَأَحْتِيَاطًا أَنْ يَقْتَضِيَ الْحَالُ فِي زَمَنِ كِتَابَةِ شَيْءٍ مِنْهَا .

(١) بياض بالأصل والتصحيح من التعريف ص ١٣٢ .

إحداها - وصية أتابك المجاهدين

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن أصله أطابك بالطاء^(١) المهملة ومعناه الأب الأمير ، وأن أول من لقب بذلك زنكي أطابك صاحب الموصل ، ثم غلبت فيه التاء المثناة بدل الطاء ، وهي :

وأنت ابن ذلك الأب حقيقه ، وولد ذلك الوالد الذي لم تعمل له إلا من دماء الأعداء عقيقه ؛ وقد عرفت مثله بثبات الجنان ، وصلت بيدك ووصلت إلى ما لم يصل إليه رُح ولا قدر عليه سنان ؛ ولم يراحمك عدو إلا قال له : أيها البادى المقاتل كيف تراحم الحديد ، ولا تسمى أسمك لجبار إلا قال له : ((وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)) . وأنت أولى من قام بهذه الوظيفة ، وألف قلوب هذه الطائفة التي ما حلم بها حالم إلا وبات يرعد خيفه ؛ فليأخذ هذا الأمر بزمامه ، ويعمل لله وإمامه ؛ وليرم في حبّ البقاء الدائم بنفسه على المنية ، ولينادم على معاقره الدماء زهور سكاينه الحنية ؛ وأطبع منهم زبرا تطاول السيوف بسكاينها ، وتأخذ بها الأسود في عمرينها ؛ وتمتد كأنها آمال ، لما تريد ، وترسل كأنها آجال ، ولهذا هي إلى كل عدو أقرب من جبل الوريد ؛ وأذك منهم شعلا إذا دعيت بأحسابها لا تجد إلا متحاميا ، وأرم منهم سهاما إذا دعيت (؟) بأناسيها الاسماعيلية فقد جاء أن إسماعيل كان راميا ؛ وفرج بهم عن الإسلام كل مضيق ، وأقلع عن المسلمين من العوانية كل حجر في الطريق ؛ وصرف رجالك الميامين ، وتصيّد بهم فإنهم صقور ومناسرهم السكاكين ؛ وأخطف بهم الأبصار فبايمانهم كل سكينه كأنها البرق الخاطف ، وأقطف الرؤوس فإنها ثمرات أينعت لقاطف ؛ وأعرف لهم حقهم وضاعف لهم

(١) هو بفتح الباء الموحدة كما ضبطه ابن بطوطة في رحلته ص ٢٥٨ ج ٢ .

تكريماً، وأدبهم بنا برأ عمياً، وقدم أهل النفع منهم فقد قدمهم الله ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ
الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

وَأَعْلَمَ أَنَّهُمْ مِثْلُ الْوُحُوشِ فِزِدْ فِي تَأْنِيْسِهِمْ ، وَأَشْكُرْ إِقْدَامَهُمْ فَطَالَمَا أَقْتَحَمُوا عَلَى
الْمُلُوكِ وَمَا هَابُوا يَقِظَةَ حَرْسِهِمْ ، وَأَرْفَعُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضِ دَرَجَاتٍ فِي نَقَقَاتِ تَسَاْفِيهِمْ
وَقُعُودِ مَجْلِسِهِمْ ، وَلَا تُسَوِّ بَيْنَهُمْ فَمَا هُمْ سَوَاءٌ وَ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ . وَأَصْلُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ
مَا زَالَتْ تَنْتَقِلُ بِالْمَوَارِيثِ حَتَّى آتَيْتْ إِلَيْنَا حَقُّوقَهَا ، وَأَوْمَضَتْ بِنَا حَيْثُ خَلَعَتْ
هِيَآ كَلَهَا بِجِرْعَاءِ الْحَمَى بُرُوقَهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُوَفِّقُهُ وَيُرْشِدُهُ ، وَيُطَوِّلُ بَاعَهُ لِمَا قَصُرَتْ
عَنْهُ سَوَاعِدُ الرَّمَا حِ وَوَصَلَتْ إِلَيْهِ يَدُهُ .



الثانية - وصية أستاذ الدار .

وَلْيَتَفَقَّدْ أَحْوَالَ الْحَاشِيَةِ عَلَى اأخْتِلَافِ طَوَائِفِهَا ، وَأَنْوَاعِ وِظَائِفِهَا ، وَلِيَرْتَبِّهَا
فِي الخِدْمَةِ عَلَى مَا يَجِبُ ، وَيَنْظُرُ فِي أُمُورِهِمْ نَظْرًا لَا يَخْفَى مَعَهُ شَيْءٌ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ
وَلَا يَحْتَجِبُ ، وَلِيُبْدَأَ بِهِمُ السَّمَا طِ الْمَقْدَمِ الَّذِي يُقَدِّمُ ، وَمَا يَنْتَوِعُ فِيهِ مِنْ كُلِّ مَطْعَمٍ ،
وَمَا يُمَدُّ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بُكْرَةً وَالْعَصْرَ ، وَمَا يُسْتَدْعَى مَعَهُ مِنَ الطَّوَارِيءِ الَّتِي لَا يَجِدُهَا
الْحَدُّ وَلَا يَحْضُرُهَا الْحَصْرُ ، وَأَحْوَالَ الْمَطْبِخِ الْكَرِيمِ الَّذِي مِنْهُ ظُهُورُ تِلْكَ الْمَخَافِي ،
وَوَفَاءُ ذَلِكَ الْكَرِيمِ الْوَافِي ، وَالتَّقَدُّمُ إِلَى الْأَمْنَاءِ وَالْمَشْرِفِينَ فِيهِ بِأَمَانَةِ الْإِنْفَاقِ ، وَصِيَانَةِ
الْمَالِ كُلِّ مِمَّا يُعَابُ عَلَى الْإِطْلَاقِ . ثُمَّ أَمْرُ الْمَشْرُوبِ وَمَا تُغْلَقُ عَلَيْهِ أَبْوَابُ الشَّرَابِ خَانَاهُ
السَّعِيدَةِ مِنْ لَطَائِفِ مَأْكُولٍ وَمَشْرُوبٍ ، وَشَيْءٍ عَزِيزٍ لَا يَوْجَدُ إِلَّا فِيهَا إِذَا

عزَّ المطلوب ؛ ومراجعة الأطباء فيما تجرى عليه قوانينها ، وتُسبَّب لطبخه من حمر
اليواقيت كواينها ؛ وإفراز ما هو للخاص الشريف منها وما هو للتفرقة ، وما لا يصرف
إلا بخط الطيب ولا يسلم إلا إلى ثقته . ثم الطشت خاناه السعيدة التي هي خزانة
اللباس ، وموضع ما يبرز به من الزينة للناس ؛ وما يحتاج إليه من آلات التطيب ،
وما يعين لها من الصابون وماء الورد والطيب ، وغير ذلك من بقية ما هي مستقره ،
ويؤخذ منها مستدره ؛ ومن يُستخدَم بها ممن برئ من الريب ، وعُرف بالعفاف
والأدب ؛ وعلم أنه من أهل الصيانة ، وعلى ما سلم إليه ومن خالطه الأمانة .
ثم الفراش خاناه وما ينصب فيها من الخيام ، وما يكون فيها من فرش سفر ومقام ،
وشمع يفضض كأفور كآفوريته أنوس الظلام . ثم غلمان الإصطبل السعيد والتجابة
وإن كان إلى سواه استخدماهم ، ولدى غيره مستقرهم ومقامهم ، لكنهم ما خرجوا
من عديده ، ولا يروفهم ويروعههم إلا حسن وعده وخشن وعيده . ثم المناخات
السلطانية وما بها من جمال ، وما يسرح فيها من مال وجمال ؛ ومن يُستخدَم فيها
من سيروان ومهمرد ، وما فيها من قطار مزدوج وفرد ؛ فيوفر لهذه الجهة نصيباً
من النظر يشاهد أمورها وقد غابت في الأقطار ، وتفرقت كالسحب يلزمها القطار
القطار ؛ وليكونوا على باله فإنهم يسرقون الذرة ^(١) من العين ومعهم الذهب العين مجملاً
بالقنطار ؛ فليحسن منهم الأرتياد ، وليتخير أرقهم أفئدة فإنهم بكثرة ملازمتهم للإبل
مثلها حتى في غلظ الأجداد . وطوائف المعاملين ، والأبقار ومن عليها من العاملين ،
وزرائب الغنم وخولها ورعاها ، وأصناف البيوت الكريمة وما تطلبه في استدعائها ؛
ونفقات الأمراء المماليك السلطانية في إهلال كل هلال ، وما يُصرف في كساهم

(١) في "التعريف" « ذرة الكحل » .

على جارى عادتهم أو إذا دعت إليه ضرورة الحال ؛ وما يؤخذ عليه خطه من
 وصولات تكتب ، وأستدعات تُحسب من لوازمه وهى للكثرة لا تُحسب ؛ فليكن
 لهذا كله مراعىا ، ولأموره وإعيا ، ولما يجب فيه دون ما لا يجب مستدعياً وإليه
 داعياً ؛ وهو كبير البيت وإليه يرجع أمر كل مملوك ومستخدم ، وبأمره يؤخر
 من يؤخر ويقدم من يقدم ، ومثله يتعلم منه ولا يعلم ؛ وعصاه على الكل محمولة
 على الرقاب ، مبسوطة في العفو والعقاب ، ومكانه بين يدينا حيث نراه ويرانا ولدينا
 قاب قوسين أو أدنى من قاب .

وعليه بتقوى الله فيها تمام الوصايا وكمال الشروط ، والأمر بها فعصاه محكمة
 وأمره مبسوط ، وكل ما يناط بنا : من خاصة أمورنا في بيتنا - عمره الله ببقائنا وزاد
 تعميره - بتديره منوط .

الثالثة - وصية أمير اخور .

وقد تقدم في الكلام على الألقاب في المقالة الثالثة أنه مرَّكب من لفظين :
 عربى وهو أمير ومعناه معروف ، وأخور فارسى ومعناه العلف ، والمعنى أمير العلف .
 وكأنه في الأصل كان هو المتولى لعلوفة الخيل ، ثم ارتفعت وظيفته حتى صار صاحبها
 من أكابر الأمراء المقدمين ، وهو يتحدث في الإصطبلات السلطانية وما حوته
 من خيل وبغال ودواب وجمال وأثاث ، وغير ذلك .

وهذه نسخة وصيته :

وليكن على أكل ما يكون من إزاحة الأعدار ، والتأهب لحركاتنا الشريفة في ليل
 كان أونها ، مقدماً الأهم فالأهم من الأمور ، والأبدأ فالأبدأ من [تقديم]^(١) مراكبنا

(١) الزيادة عن "التعريف" وهى لازمة كما لا يخفى .

السعيدة وتهيئة موكبنا المنصور؛ وترتيب ذلك كله على ما جرت به العوائد، وتحصيل ما تدعو الحاجة إليه على قدر الكفاية والزوائد؛ والنظر في جميع اصطبلاتنا الشريفة، والحشرات السعيدة؛ وخيل البريد، والركائب المعدة لقطع كل مدى بعيد؛ وما يجتمع في ذلك وينقسم، وما يركب منها ويجنب مما يسم الأرض بالبدور والأهله من كل حافر ومنسم؛ وما هو برسم الإطلاق، وما يعد للمالك الطباق؛ وخيل التلاد، وما يجلب من قود كل قبيلة من القبائل ويحيى من كل بلد من البلاد؛ والمشتري مما يباع من الموايرث ويستعرض من الأسواق، وما يعد للواكب وللسباق؛ وليجل رأيه في ترتيب ذلك كله في مراتبه على ما تقتضيه المهمات، والاحتراز في التلاد مما لعله يبدل ويقال هو هذا أو يؤخذ بحجة أنه مات؛ وليجتهد في تحقيق ما نفق، [وليحرره على حكم ما يتحقق عنده لا على ما أتفق^(٢)] وكذلك فليكن فضه ممن يستخدم عنده من الغلمان، ولا يهمل أمورهم مع معاملتهم بالإحسان؛ ولا يستخدم إلا من تُشكر سيرته في أحواله، وتُعرف خبرته فيما يراد من أمثاله؛ وكذلك الركابة الذين تملك أيديهم أئنة هذه الكرائم، والتحرز في أمرهم ممن لعله يأوى إليهم من أرباب الجرائم؛ والأوشاقيّة الذين هم مثل مالكه وهم في الحقيقة إخوانه، وجماعة المباشرين الذين هم في مباشرة الإصطبلات السعيدة ديوانه؛ وكل هؤلاء يلزمهم بما يلزم أمثالهم من السلوك، ويعلمهم بما يجب عليهم أن يتعلموه من خدمة الملوك؛ ولا يسمح لأحد منهم في أمر يقضى إلى إخلال، ولا يقتضى فرط إذلال، وليقيم أودهم بالأدب فإن الأدب مافيه إذلال؛ وكل هؤلاء الطوائف ممن يتجنب العامة مخالطتهم لما طار في أيام من تقدم عن أمثالهم من سوء السمع،

(١) في اللسان من معاني "القود الخيل" وهو المناسب هنا .

(٢) الزيادة عن "التعريف" (ص ١٠٠) وهي لازمة كما لا يخفى .

وَيُتَخَوَّفُ مِنْهُمْ الشَّرْعَهُ ؛ فَلْيَكُنْ لَهُمْ مِنْكَ أَعْظَمُ زَاجِرٌ ، وَمَنْ شُكِيَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ فَسَارِعْ إِلَى التَّنْكِيلِ بِهِ وَبَادِرْ ؛ وَأَشْهَرُ مِنْ فَعْلِكَ بِهِمْ مَا يُوجِبُ مِنْهُمْ الطَّمَأْنِينَةَ ، وَلَا يَعُودُ أَحَدٌ بَعْدَهُ يَكْذِبُ يَقِينَةً ؛ وَأَمْرَاءُ أَخُورِيَةِ الَّذِينَ هُمْ أَتْبَاعُكَ ، وَبِهِمْ يَمْتَدُّ بَاعُكَ ، هُمْ بِحَسَبِ مَا تَجْعَلُهُمْ بِصَدَدِهِ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَقْدِرُ [أَنْ] يَتَعَدَّى حَدَّهُ فِي مَقَامِ قَدَمِهِ وَبَسْطِ يَدِهِ ؛ فَاجْعَلْ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَقَامًا مَعْلُومًا ، وَشَيْئًا تَجْعَلُ لَهُ فِيهِ تَحْكِيمًا . وَتَمَيِّنِ الْخِيُولَ الْمَشْتَرَاةَ وَالتَّقَادِمَ قَوْمَهَا بِأَهْلِ الْخِبْرَةِ تَقْوِيمَ عَدْلٍ ، وَقُلِ الْحَقُّ وَلَا يَأْخُذُكَ فِيهِ لَوْمٌ وَلَا عَدْلٌ ؛ وَمَا يُصْرَفُ مِنَ الْعَلِيقِ بِرِسْمِ الْخِيُولِ السُّلْطَانِيَّةِ وَمَنْ لَهُ مِنْ صَدَقَاتِنَا الشَّرِيفَةِ عَلَيْكَ ، مُرَّ بِصَرْفِهِ عِنْدَ الْأَسْتَحْقَاقِ وَأَضْبِطْهُ بِالتَّعْلِيقِ ؛ وَتَصْرَفْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَلَا تَتَصْرَفْ إِلَّا تَصْرَفَ شَفِيقٍ ، وَصُنْهُ بِأَقْلَامِ جَمَاعَةِ الدِّيَّانِ وَلَا تَقْنَعْ فِي غَيْرِ أَوْقَاتِ الضَّرُورَةِ بِرَفِيقٍ عَنِ رَفِيقٍ ؛ وَكَذَلِكَ الْبِرَاسِمُ السُّلْطَانِيَّةُ أَصْلًا وَزِيَادَةً ، وَلَا تَصْرَفْ إِلَّا مَا نَأْمُرُ بِهِ وَإِلَّا فَلَا تَخْرُجْ فِيهِ عَنِ الْعَادَةِ ؛ وَزَلَاؤُكَ مِنْ أَمْرَاءِ الْعُرْبَانِ عَامِلُهُمْ بِالْجَمِيلِ ، وَزِدْ فِي أَخْذِ خَوَاطِرِهِمْ وَلَوْ بَسْطَ بِسَاطِ الْأُنْسِ لَهُمْ فَمَا هُوَ قَلِيلٌ ، : لَتَضَاعَفَ رَغْبَتُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَلَيْسَتْ دُلُوبُهُمْ بِشَاشَةٍ وَجْهَكَ لَهُمْ عَلَى مَا بَعْدَهُ مِنَ الْإِنْعَامِ ؛ وَبِغَالِ الْكُؤُوسَاتِ السَّعِيدَةِ وَالْأَعْلَامِ الْمَنْصُورَةِ ، وَأَنْتِقَالَ الْخِزَانَةِ الْعَالِيَةِ الْمَعْمُورَةِ ؛ أَجْعَلْهَا مِنْ الْمَهْمَاتِ الْمَقْدَمَةِ ، وَالْمَقْدَمَاتِ لَتَأْتِجَ أَيَّامَ النُّصْرِ الْمُعْلَمَةِ ؛ وَرَتَّبْهَا فِي مَوَاقِفِهَا ، وَأَتَمِّمْهَا أَيْمًا مَا يَكُونُ مِنْ وُظَائِفِهَا ؛ فَبِهَا تُثَبِّتُ مَوَاقِفُ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ ، وَإِلَيْهَا يَأْوِي كُلُّ مُسْتَضِلٍّ وَرَحَى الْحَرْبِ تَدُورُ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ قُشَاشِ الْإِضْطِبَالَاتِ السَّعِيدَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَرِيرِ ، وَكُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ ؛ بَاشِرُهُ مَبَاشِرَةٌ مِنْ لَا يَتَخَلَّى ، وَأَحْصِيهِ نَحْرًا وَدَخْلًا ؛ وَإِيَّاكَ وَالْأَخْذَ بِالرَّخْصِ ، أَوْ إِهْمَالَ الْفُرْصِ ، أَوْ طَلَبَ فَائِثِ جُرْمِ أَهْمَانَتِهِ حَتَّى نَكْصَ .

الرابعة - وصية مُقدّم الممالك .

وقد تقدّم في الكلام على أرباب الوظائف أنه يتحدّث في أمر الممالك السلطانية والحكم بينهم ، ويركب خلفهم إذا ركب السلطان كأنه يحفظهم . والوصية هي :

وليُحسِن إليهم ، وليُعلم أنه واحد منهم ولكنه مقدّم عليهم ، وليأخذ بقلوبهم مع إقامة المهابة التي يُحِيل إليهم بها أنه معهم وخلفهم وبين يديهم ، وليُزِم مقدّم كل طبقة بما يلزمه عند تقسيم صدقاتنا الجارية عليهم : من ترتيب الطباق ، وإجراء ساقية جارية من إحساننا إليهم ولا ينس السواق ؛ وليكن لأحوالهم متعهداً ، ولأمورهم متفقداً ؛ وليستعلم أخبارهم حتى لا يزال منها على بصيره ، وليعرف ما هم عليه مما لا يخفى عليه فإنهم وإن لم يكونوا له أهلاً فإنهم جيره ؛ وليأمر كلاً منهم ومن مقدميهم والسواقين لهم بما يلزمهم من الخدمة ، وليرتبهم على حكم مكاتبتهم منّا فإن تساووا فليقدّم من له قدمه ؛ وليعدل في كل تفرقه ، وليحسن في كل عرض ونفقة ، وليفرق فيهم ما لهم من الكساوى ويسبيل عليهم رداء الشفقة ؛ وليعدّ منهم لغاينا المحمي سباعا تفترس العاديه ، وليجعل النظر في أمر الصغار منهم والجبّار أصحاب الطبقات العاليه ؛ وليأخذهم بالركوب في الأيام المعتاده ، والدخول إلى مكان الخدمة الشريفة والخروج على العاده ، وليدبرهم في أوقات البيا كير والأسفار نطاقاً دائراً الدهليز المنصور ، وليأمرهم أمراً عاماً بأن لا يركب أحد منهم إلا بدستور ولا ينزل إلا بدستور ؛ وليحترز عليهم من طوائف الغلمان ، ولا يستخدم منهم إلا معروفا بالخير ويقيم عليهم الضمان ؛ وليحرر على من دخل عليهم وخرج ، ولا يفتح لأحد منهم إلا من علم أنه ليس في مثله حرج ؛ ولا يدع للريبة بينهم مجالاً للأضطراب ، وليوص مقدميهم بتفقد ما يدخل إليهم فإن الغش أكثره من الدعاء والشراب ؛ وليدبم مراجعتنا في أمرهم فإن بها يعرف الصواب ، وليعمل بما أمره به ولا يجد جوى في جواب .

الضرب الثانى

(ممن يُكتب له بالولايات بالديار المصرية أربابُ الوظائف الدينية،

وهو على طبقتين)

الطبقة الأولى

(أصحابُ التقاليد ممن يُكتب له بالجناب العالى)

وتشتمل على عدّة وظائف

الوظيفة الأولى

(القضاء)

قد تقدّم فى المقالة الثانية فى الكلام على ترتيب الوظائف أنّ الديار المصرية كان يليها قاض واحد ، إلى أن كانت الدولة الظاهرية «بيبرس» فى أوائل الدولة التركية ، وقاضى القضاة يومئذ القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعزّ الشافعى ، فاضطرب الأمر لاختلاف المذاهب ، فاقتضى رأى السلطان تقرير أربعة قضاة من كل مذهب قاض ، وقرّر القاضى تاج الدين ابن بنت الأعزّ فى قضاء قضاة الشافعية على حاله ، وكتب لكلّ منهم تقليدٌ بذلك ؛ ثم خصّ قاضى القضاة الشافعية بالتولية فى بلاد الريف دون غيره من القضاة الثلاثة ، واستمرّ الأمر على ذلك إلى الآن . إلا أنه لما حدث بديوان الإنشاء تنوع ما يكتب لأرباب الأقلام إلى تقاليد ، فى قطع الثلثين ، وتفاويض ، وتواقيع ، فى قطع النصف ، تقرّر الحال على أن يكتب للقضاة الأربعة تواقيع فى قطع النصف بـ«المجلس العالى» ، ولم ينز الأمر على ذلك إلى أن ولى القاضى عماد الدين احمد الكركى الأزرقى قضاء قضاة

الشافعية في أول سلطنة الظاهر « برقوق » الثانية ، وأخوه القاضي علاء الدين عليّ كاتب السرّ ، فعني بأخيه عماد الدين المذكور ، فكتب له تقليدا في قطع الثلثين «الجناب العالي» . وبقى الثلاثة على ما كانوا عليه من كتابة التواقيع إلى أن وليّ القاضي جمال الدين محمود ألبى القيسريّ المعروف بالعجميّ رحمه الله قضاء قضاة الحنفية في الدولة الظاهرية أيضا ، مضافا إلى نظر الجيش ، فكتب له تقليد في قطع الثلثين بالجناب العالي أيضا ، وبقى المالكيّ والحنبليّ على ما كانا عليه من كتابة التواقيع في قطع النصف . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن وليّ قاضي القضاة جمال الدين يوسف البساطيّ قضاء قضاة المالكية في الدولة الناصرية «فوج بن الظاهر برقوق» فأنشأت له تفويضا وكتبت له به ، ولم يكن أحد من عاصرناه كتب له تفويض غيره . ثم لما وليّ الشيخ جمال الدين عبد الله الأقفهسيّ قضاء المالكية ، كتب له توقيع في قطع النصف ، إلا أنه كتب له «الجناب العالي» كما يكتب لأصحاب التقاليد ، وجرى الأمر فيمن بعده على ذلك . ولم يبق من هو على النمط الأوّل سوى قاضي القضاة الحنابلة ، ويوشك أن يكتب لكل من المالكيّ والحنبليّ أيضا تقليد : لمساواتهم بغيرهم من الأربعة . وقد ذكرت ما يكتب لهم من تقاليد وتواقيع هنا جمعا للفتق وتقريرا للمأخذ .

وهنا أذكر ما يكتب للأربعة على الترتيب .

الأوّل (قضاء القضاة الشافعية)

وهذه نسخة تقليد بقضاء القضاة الشافعية ، كتب به لقاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعرز رحمه الله ، حين أسنقر أحد القضاة الأربعة بعد انفراده بالوظيفة على ما تقدّم ، وهي من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى ، وهي :

الحمد لله مجرد سيف الحق على من اعتدى، وموسع مجاله لمن راح إليه واعتدى،
وموضح طريقه لمن اقتاد وأقتدى، ومزين سمائه بنجوم تستمد الأنوار من شمس
الهدى، الذى أعذب لشرعة الشريعة المحمدية ينبوعا، وأقامها أصلا مدينا
الرشد فروعا.

نحمده على نعمه التى ألزمتنا لتشييد مبانيها شروعا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة نعلم بها من القلوب والأفواه ربوعا. ونصلى على سيدنا محمد الذى
أرسله الله إلى الخلائق جميعا، وقام بعبد الأمر يصنع حسنا ويحسن صديعا،
صلى الله عليه وعلى آله صلاة لا يبرح برقها مأموعا، ولا ينفك وترها بالتسليم مشفوعا.

وبعد، فإن أحق من جدد له شرف التقريض، وخلد له إرضاء الأحكام وإمضاء
التفويض، وریش جناحه وإن لم يكن المهيض، وفسح مجاله وإن كان الطويل
العريض، ورُفِع قدره على الأقدار، وتقسمت من سبحانه الأنواء ومن أشعته
الأنوار، من غزر مده بجزت منه فى رياض الحق الأنهار، وغدا تخشع لتقواه القلوب
وتنصت لقوله الأسماع وترنو لحياه الأَبصار؛ قد أوفد من إرشاده للأمة لطفًا فلطفًا،
وأوقد من علمه جدوة لا تحبو وقبسا بالهوى لا يطفى، وفات النظراء والنظار فلا يرسل
أحد معه طرفًا ولا يمد إليه من حياته طرفًا، وأحتوى من علوم الشريعة على ما تفرق
فى غيره، وغدا خير دليل إلى الحق فلا يقتدى فى المشكلات إلا برأى اجتهاده
ولا يهتدى فى المذاهب إلا بسيره؛ وكان لملك الشريعة المحمدية قطبا، وبلجتها
قبا ولسوارها قبا، ولدليلها برهانا، ولإنسانها عينا ولعينها إنسانا؛ فكم أرضى بنى
الأنام عن الأيام، وكم أغضى حياء مع قدرته على الانتقام، وكم أمضى الله حكما
لا انفصال لعروته ولا انفصام، وكم قضى بالجور فى ماله وبالعدل فى الأيتام؛

فلو استعداه الليل على النهار لأنصفه من تعديه، ولم يداجه لما ستره عليه من تعديه في دياجيه، فهو الصادع بما أمر الله به ولو على نفسه، والمسترد الحقوق الذاهبة من غير محاباة حتى لغده من يومه وليومه من أمسه .

ولما كان قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ممن هو في أحسن هذه اللهات قد تصور، وكادت نجوم السماء بأنواره تتكثر، وتجوهر بالعلوم فأصبح حقيقة هو التاج الجوهر، وله مزايا السؤدد التي لا يشك فيها ولا يرتاب، وسجايا الفضل التي إذا دخل [إليه] غيره من باب واحد دخل هو إليه من عدة أبواب، وهو شجرة الأحكام، ومصدر كل الحكم، ومطلع أنجم شرائع الإسلام، ومهبط وحى المقدمات والإرتسام، ومجتمع رفاق القضايا في الحلال والحرام - خرج الأمر الشريف بتجديد هذا التقليد الشريف له بقضاء القضاة بالديار المصرية : فليستصحب من الحق ما هو ملي باستصحابه، وليستمر على إقامة منار الحق الذي هو موثق عراه ومؤكده أسبابه، وليحتلب من أخلاف الإنصاف ما حفله آجهاده ليد احتلابه، عالماً بأن كل إضاءة إنارتها من قبسه، وإن استضاء بها في دياجي المنى، وكل ثمرة من مغترسه، وإن مد إليها يد الاجتينا، وكل جدول هو من بجره وإن بسط إليه راحة الاعتراف، وكل منهج هو من جادته وإن شئ إلى سلوكه عنان الانصراف لا الإتحراف، وهو بحمد الله المجتهد المصيب، والمادة للعناصر وإن كان نصيبه منها أوفر نصيب، وسجاياه يتعلم منها، كيف يوصى ويعلم، ومزاياه تقوم الأود، كيف يقوم، والله الموفق بمنه وكرمه ! .

الثاني - قاضي قضاة الحنفية على ما استقر عليه الحال من لدن القاضي جمال الدين محمود القيسري وإلى آخر وقت . وموضوعها النظر في الأحكام

الشرعية على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، ويختص نظره بمصر والقاهرة خاصة .

وهذه نسخة تقليد بقضاء قضاة الحنفية كُتِبَ به لمن لقبه شمس الدين ، وهى :

الحمد لله الذى أطلع فى أفق الدين الحنيف شمساً منيرة ، ورفع درجة من جعله من العلم على شريعة ومن الحكم على بصيره ، وقلد أمور الأمة لمن يعلم أن بين يديه كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، ووفق لفصل القضاء من مشى على قدم أقدم الأئمة فسار فى مذهبه المذهب أحسن سيره ؛ الذى أدخر للحكم فى أيامنا الشريفة من نفائس العلماء أفضل ذخيره ، وقضى بإرجاء أمره لنختار له من تحلى به بعد العطل وكُلُّ قضاء خيره ، وأيقظ عنايتنا لمن رقد الدهر عن فضله فباتت عين الاستحقاق باستقرار رتبته قريره .

نحمده حمد من توافقت إليه النعم الغزيرة ، وتوالت عليه المنن الكثيرة فى المدد اليسيره ، وأخصبت فى أيامه رياض الفضائل فهى بكل عالم عدم النظير نصيره ؛ وأفتح دولته برفع منار العدل فأمال أهل الظلم عن تعاطيه قاصرة وأيدى أهل الباطل عن الامتداد إليه قصيره ، وخص المناصب فى ممالكة بالأكفاء فإذا تلبست بها همم غيرهم عادت خاسئة أو امتدت إليها أبصار من دونهم رجعت حسيره .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصالح العلى والسريه ، وتصبح بها القلوب موقنة والألسن ناطقة والأصابع مشيره ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعث الله به الرسل محيرة وأنزل الكتب بمبعثه بشيره ؛ وأجتباه فى خير أمة من أكرم أرومة وأشرف عشيره ، وأظهر أنوار ملته إلا لمن أعمى النى بصيرته وهل ينفع العمى شمس الظهير ؛ وخصه بالأئمة الذين وفقهم للاستعانة بالصبر

والصلاة وإنها لكبيره، وجعل علماءهم ورثة الأنبياء فلو أذعيت لأحكامهم العصمة
لكانت بذلك جديره؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً نتقربُ بدوامها إلى الله
فيضاعفها لنا أضعافاً كثيرة، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن أولى الأمور بأن تُشاد قواعده، وتُعهد معاهدته؛ ويعلى مناره،
وتفاض بطلوع شمسه أنواره؛ ويمثل به بعد العطل جيده، وينظم في سلك عقود
الأمة فريده؛ وتكفل به قوى الدين تكملة الأجساد بقوى الطبائع الأربع، وتعمر به
ربوع الملة التي ليس بعدها من مصيف لمة ولا مربع، وثبتت به قوائم الشرع
التي ما للباطل في إمالة بعضها من مطمع؛ وتجلى به عمن ضاق عليه المجال في بعض
المذاهب الغممة، ويستقر به عدد الحكماء على عدد الأئمة المستقر على عدد الخلفاء
الراشدين من خلفاء الأمة؛ ويمد به على الخلق جناح الرحمة وافر القوائد وإرف
الظلال، ويجمع به عليهم ما جمع الله في أقوال أئمتهم من الحق وما ذابعد الحق
إلا الضلال، - أمر القضاء على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله
عنه الذى أشق الله له من الملة الحنيفة نسبة سرت في الآفاق، وأفاض عليه من
مواد القياس الجلى كُنوزاً نمت على الإنفاق، وعضد أيامه بولي عهد قولهما حجة
فيما تفرّدا به من الخلاف أو اجتمعا عليه من الوفاق؛ وعد من التابعين لقدم عهده،
وسمى «سراج الأمة» لإضاءة نوره بهما من بعده.

ولما خلا بانتقال مباشره إلى الله تعالى، توقّف مدّة على آرتياد الأَكفاء،
وأرتياد من هو أهل الأصطفاء؛ واختيار من تكمل به رفعة قدره، ويعيد لدسته
بتصدّره على بساط سلجانه بهجة صدره؛ ويغدو لسر إمامه بعد إماتة هذه الفترة
باعثاً، ويصبح وإن كان واحد عصره لأبى يوسف ثانياً ولمحمد بن الحسن ثالثاً؛

وَيُسَبِّهَ بِهِ الْبَلْخِيَّ زُهْدًا وَعِلْمًا ، وَالطَّحَاوِيَّ تَمَسُّكًا بِالسَّنَةِ وَفَهْمًا ، وَيُعْتَرِفُ الْقُدُورِيَّ
 مِنْ بَجْرِهِ ، وَيُعْتَرِفُ الْحُصْرِيَّ بِالْحَصْرِ عَنْ إِحْصَاءِ فَضْلِهِ وَحَصْرِهِ ، وَيَقِفُ مِنْ
 مَذْهَبِ ابْنِ ثَابِتٍ ، عَلَى أُثْبِتِ قَدَمٍ وَيَنْتَمِي مِنْ فِقْهِ النَّعْمَانِ إِلَى فِرْعَ زَاكِ وَأَصْلٍ
 ثَابِتٍ ، وَيُنْشُرُ مِنْ أَحْكَامِهِ مَا إِنْ وَافَقَ الْأُمَّةَ فَهُوَ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ وَمُحْجَّةٌ سَاطِعَةٌ ،
 أَوْ خَالِفُهُمْ بِمَذْهَبِهِ فَهُوَ رَحْمَةٌ وَسِعَتْ ، وَنِعْمَةٌ [و] إِنْ كَانَتْ بَيْنَ الطَّرِيقِ فَارِقَةٌ فَإِنَّهَا عَلَى
 الْحَقِّ جَامِعَةٌ .

وَمَا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الْمُنْتَظَرُ لِهَذِهِ الرَّتْبَةِ أَنْتَظَرَ الشَّمْسُ بَعْدَ الْغَسَقِ ، وَالْمُرْتَقِبُ
 لِبُلُوغِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ إِلَيْهَا بِوَادِرٍ أَسْتَحْقَاقِهِ فِي السَّبْقِ ، وَالْمَعْطُوفُ عَلَى مَنْ
 وَصِفَ مِنَ الْأُمَّةِ وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْ زَمَانِهِ عَطَفَ النَّسَقِ ، وَهُوَ الَّذِي مَادَامَ يَعْدِلُ دَمَ
 الشَّهْدَاءِ مَدَادُ أَقْلَامِهِ ، وَتَضَعُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ مِنْ نَقْلِ خَطَوَاتِهِ
 فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَسَعَى أَقْدَامِهِ ، وَدَخَلَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُمْرَةِ مَنْ حُصِرَ بِإِقْتِمَاءِ^(١)
 وَهَجَرَ الْمُضَاجِعَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَلَوْ عُدَّتْ هَجْعَاتُهُ لِقَلَمًا ، وَهَجَّرَ فِي إِحْرَازِ
 الْفَضَائِلِ قَيْدَ أَوْبَادِهَا ، وَأَحْرَزَ شَوَارِدَهَا ، وَوَلَّجَ فِي بِحَارِ الْمَعَانِي فِغَاصَ عَلَى
 جَوَاهِرِهَا ، وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي نُجُومِ الْعُلُومِ فَاحْتَوَى عَلَى زُهْرِهَا وَرَادَ نَحْمَائِلَ الْفَضَائِلِ
 فَاسْتَوْلَى عَلَى أَزَاهِرِهَا ، وَأَتَمَّى إِلَيْهِ عِلْمُ مَذْهَبِهِ فَبَرَزَ عَلَى مَنْ سَلَفَ ، وَجَارَى عِلْمَاءَ
 عَصْرِهِ فَوَقَفَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْ رُؤْيَا غُبَارِهِ وَمَا وَقَفَ ، وَنَحَا نَحْوَ إِمَامِهِ فَلَوْ قَابَلَهُ
 يَعْقُوبُ مَعَ مَعْرِفَتِهِ فِي بَحْثٍ لَأَنْصَرَفَ ، وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَإِنْ كَانَ فَرَضَ كِفَايَةَ
 لَا فَرَضَ عَيْنَ ، وَقَدَّمَ التَّرْجِيحَ الَّذِي جَعَلَ رُتْبَتَهُ هَمَزَةً أَسْتَفْهَامٍ وَرُتْبَةَ غَيْرِهِ بَيْنَ
 بَيْنَ - أَقْتَضَى رَأْيُنَا الشَّرِيفَ اخْتِصَاصَهُ بِهَذَا التَّمْيِيزِ ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ الْبَسِيطِ بِهَذَا
 اللَّفْظِ الْوَجِيزِ .

(١) يريد الإشارة إلى قوله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

فذلك رُسم أن يفوض إليه كيت وكيت . فليتولَّ هذه الرتبة التي أصبح فيها عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نائبا وبشرعه قائما ، ويتقلدها تقلدًا من يعلم أنه قد أصبح على حكم الله مُقدِّما وعلى الله قادِما ، ويتثبت تثبُّت من يعتصم بالله في حكمه فإنَّ أحدَ الخصمين قد يكونُ ألحنَ بحجته وإن كان ظالما ، ويلبس لهذا المنصب حلة تمنع المبطّل من الإقدام عليه ، وتدفع الظالم عن التطاول إلى أمرٍ تزعه الشرع من يديه ، وتؤمن الحق من امتداد يدي الجور والحيف إليه ؛ وليسويين الخصمين في مجلسه ولحظه ، ويعدِل بينهما في إنصاته ولفظه ؛ ليعلم ذو الجاه أنه مساوٍ في الحق لخصمه ، مكفوفٌ باستماع حجته عن الطمع في ظلمه ؛ ولا ينقض حكما لم يخالف نصا ولا سنة ولا إجماعا ، وليشارك فيما لا يجهله من القضايا غيره من العلماء ليرتد بذلك مع اطلاعه اطلاعا ، وليغتنم في ذلك الاستعانة بأرائهم فإنَّ الله تعالى لا يترع هذا العلم انتزاعا ؛ وليسد مسالك الهوى عن فكره ، ويصرف دواعي الغضب لغير الله عن المرور بذكره ؛ وليجعل العمل لوجه الله نتيجة علمه ، وليحكم بما أراه الله (والله يحكم لا معقب لحكمه) ؛ إن شاء الله تعالى .

الثالث — قاضي قضاة المالكية :

وهذه نسخة تقليد بقضاء قضاة المالكية ، لقاضي القضاة جمال الدين يوسف البساطي المقدم ذكره ، في العشر الأخير من رجب الفرد سنة أربع وثمانمائة ، وهو :

الحمد لله الذي شفع جلال الإسلام بجماله ، وناط أحكامه الشرعية بمن أقرن بحميد مقاله جميل فعاله ، وخص مذهب عالم المدينة بخير حاكم ما جرى حديثه

(١) الذكر والذكر أي بالضم والكسر التذکر .

الحسن يوماً إلا وكان معدوداً من رجاله ، وعدق النظر في أحكامه بأجل عالم لو طلب له في الفضل مثل لعجز الزمان أن يأتي بمثاله .

نحمده على أن أخلف من النبعة الزكية صنواً زاكياً ، وأدال من الأخ الصالح أخاً للعلوم شافياً ، ولمنصبه العليّ والله الحمد وإيّا . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مجرّد سيف الحق على كل مبطل معاند ، ومرهف حده القاضى لكل ملحد عن سؤاء السبيل حائد ، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل نبيّ فاق الأنام بفضله وعم البرية بعذله ، وسد باب التوبة على متمتصه فلم تكن لتقبل توبة مثله ، وكان إلى مالك مصيره فلا جرم قضى بإهدار دمه وتحتم قتله ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ذبوا عن حمى الدين وذادوا ، وسلوكوا سبيل المعدلة إذ حكموا فاضلوا عن سنن الطريق ولا حادوا ؛ صلاة تبقى بقاء الدهور ، ولا تزول بهجةً جمالها بتوالى الأعوام والشهور ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى ما أقصر عليه النظر ، وأسغرقت فيه الفكر وعرا العيون فيه السهر ، وصرفت إليه الهمم ، ورغبت في البراءة من تحلّفه الدم - النظر في أمر منصب الشرع الشريف الذى يأوى الملهوف إلى ظلّه ، ويأجأ المستجير إلى عدله ، ويتعاق العفافة بوثيق عروته وميتين حبله ؛ وبرهنته يكف الظالم عن ظلمه ، وينتصف الخصم من خصمه ، ويذعن العاصى إلى طاعته ويتقاد الأبيّ إلى حكمه ، ويأتم به الخائر في دجى الجهل فيستضيء بنوره ويهتدى بنجمه ؛ لاسيما مذهب مالك الذى لم ينزل للدين من أهل الإلحاد مثراً ، وللقصاص من أهل العناد مبتدراً ، وبسل سيف الحق على الطغاة المتمردين مشتهداً ؛ ففاز من سطوات الإرهاب بأرفع المراتب ، وعلا رقاب الملحدين بأرهم القواضب ، وخص من

سَفَكَ دِمَاءَ الْمُبْطِلِينَ عَلَى الْبَتِّ بِمَا لَمْ يَشَارِكْهُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمَذَاهِبِ ؛ فَوَجِبَ أَنْ يُخْتَارَ لَهُ مِنْ يَنْصُ الْأَخْتِبَارَ عَلَى أَنَّهُ أَهْلٌ لِلْإِخْتِيَارِ ، وَيَقْطَعُ الْمُنَافِسُ أَنَّهُ الرَّاجِحُ وَزَنَا عِنْدَ الْأَعْتِبَارِ ، وَتَأْخُذُ مَنَاقِبُهُ الْبَسِيطَةَ فِي الْبَسْطِ فَلَا تَنْفَعُ إِذَا نَفِدَتْ مَنَاقِبُ غَيْرِهِ الْمُرَكَّبَةُ عِنْدَ الْأَخْتِصَارِ ؛ وَيَشْهَدُ لَهُ ضِدُّهُ بِالْتَقَدُّمِ فِي الْفَضْلِ وَإِنْ لَمْ تَتَقَدَّمْ مِنْهُ دَعْوَى ، وَيَعْتَرِفُ لَهُ بِالْأَسْتِحْقَاقِ خِصْمُهُ فَيَتَمَسَّكَ مِنْ عَدَمِ الدَّافِعِ فِيهِ بِالسَّبَبِ الْأَقْوَى ، وَيُحْكَمُ لَهُ بَعْلُو الرُّتْبَةِ مُنَاوِنُهُ فَيَرْتَفِعُ الْخِلَافُ وَتَقْطَعُ النَّجْوَى ، وَيَسْجَلُ لَهُ حَاسِدُهُ بَثْوَتِ الْمَفَاحِرِ الْمَحْكُومِ بِصِحَّتِهَا فَلَا يَنْقُضُهَا حَاكِمٌ وَإِنْ بَلَغَ مِنْ تَدْقِيقِ النَّظْرِ الْغَايَةَ الْقُصْوَى ؛ وَتَنْفَعُ أَحْكَامُهُ فِي الْبَرِيَّةِ فَلَا يُوجَدُ لَهَا مُخَالِفٌ ، وَتَحَذَرُ شَيْعَةُ الْبَاطِلِ سَطْوَتَهُ فَلَا يَرَى لِبَاطِلِ مُخَالِفٍ ، وَيَشْتَهَرُ عَنْهُ مِنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ مَا يَأْمَنُ مَعَهُ الْمُسْتَضْعَفُ الْخَائِفُ ، وَيَتَحَقَّقُ فِيهِ مِنْ قِيَامِ الْعَدْلِ مَا يَرْتَدِعُ بِهِ الظَّالِمَ الْخَائِفَ ؛ وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ فِي لزومِ الْحَقِّ الْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ؛ وَلَا يُفَرِّقُ فِي لَازِمِهِ بَيْنَ الْمَشْرُوفِ وَالشَّرِيفِ ؛ وَلَا يَمِيزُ فِي حَمْلِ الْأَعْبَاءِ الشَّرِيعَةِ بَيْنَ الشَّقِاقِ وَغَيْرِهِ وَلَا بَيْنَ الثَّقِيلِ وَالْخَفِيفِ ؛ وَلَا يُجَابِي قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ ، وَلَا جَدِيلًا لِحِلَالَتِهِ ، وَلَا ظَالِمًا خَوْفَ ظَلَمِهِ وَلَاذَا أَسْتَطَالَةَ لِأَسْتَطَالَتِهِ ، وَلَا يَسْتَرِلُهُ ذُو لِسَنِ لِلسَّنَةِ وَلَا بَلِغٌ لِبَلَغَتِهِ ، وَلَا يُجَالِفُ بَيْنَ الصِّدِّيقِ الْمَلَاطِيفِ وَغَيْرِهِ إِلَّا فِي مَنَعِ قَبُولِ شَهَادَتِهِ .

ولما كان المجلس العالی القاضوی ، الکبیری ، الإمایی ، العالی ، الصّدری ،
الرئيسی ، الأوحدي ، العلامی ، الکاملی ، الفاضلی ، المفیدی ، الفريدي ، الحجّي ،
القُدوی ، الخاشعی الناسکی ، الحاکمی ، الجمالی ، جمال الإسلام ، شرف الأنام ،
حاکم الحُکام ، أوحْدُ الأئمّه ، مفید الأئمّه ، مؤيد الملّه ، معز السنّه ، شمس الشریعه .
سیف المناظرین ، لسان المتکلمین ، حکم الملوک والسلاطین ، خالصة أمير المؤمنین ،

أبو المحاسن «يوسف البساطى» المالكى - أدام الله تعالى نعمته - هو المراد من هذه الصفات، التى وقعت من محله الكريم موقعها، والمقصود من هذه السمات، التى ألفت من سيرته الفاضلة موضعها؛ وقارع صفة هذه الذروة التى ما كان ينبغى لغيره أن يقرعها؛ وشمس الفضل الحقيقى بمثلها أن لا يتوارى جملها بحجاب الغروب، وفاصل مشكلات القضايا إذا اشتد إشكالها وعظمت فى فصلها الخطوب، ومتعين الولاية التى إذا كانت فى حق غيره على الإباحة كانت فى حقه على الوجوب؛ وقد درّب الأحكام وخبرها، وعرف على التحقيق حالها وخبرها، وورد من مشاربها الرائقة أصفى المناهل فأحسن ورددتها وصدورها؛ ونفست جواهر فوائده ففاقت جواهر المعادن، وغطت محاسن فضله فضائل غيره ولا تُشكر المحاسن «يوسف» وهو «أبو المحاسن»، فعلموه المدونة بالبيان والتحصيل كإفله، ومقدمات تنبيهاته بنتائج النواذر الحسنة متواصله؛ وتهذيب ألفاظه المنقحة تؤذن بالتحجير، وعيون مسأله المتواردة لا تدخل تحت حصر ولا تقدير؛ فلوراه «مالك» لقال: ما أعظم هذه الهمة، أو أدركه «أبن القاسم» لوقر من الثناء عليه قسمه، أو عاصره «أبن عبدالحكم» لحكم له بأن سهمه قد أصاب الغرض وغيره أطاش الريح سهمه؛ أو عاينه «أشهب» لقال قد ركب هذا الشبهاء أى يُلحق، أو سمع «أبن وهب» كلامه لقطع بأنه هبة ربانية وبمثلها لم يسبق؛ أو بلغ «أبن حبيب» خبره لأحب لقاءه، أو بصر به «سُخنون» لتحقق أنه عالم المذهب ما وراءه؛ أو استشعر بقدمه «أبن سيرين» لبشر به، أو جاوره «أبن عوف» لعاف مجاورة غيره أو مجاوزة طنبه؛ أو جالس به «أبن يونس» لتأنس بجالسته، أو حاضره «أبو الحسن بن القصار» لأشجى قلبه بحسن محاضرتيه؛ أو جاره «القاضى عبد الوهاب» لقضى بعلو مكانته، أو اتصل ذكره «بالمزرى» لزرى على «مازرا» لبُعدها عن دار إقامته؛ أو أطلع

«القاضي عياض» على تحقيقاته لاستحسن تلك المدارك، أو ناظره «أبن عبدالسلام» لسلم أنه ليس له في المناظرة نظير ولا في تدقيق البحث مشارك؛ أو مر به «أبن الجلاب» لجلب فوائده إلى بلاده، أو حضره «أبن الحاجب» لتحقق أنه جامع الأمهات على أنفراده .

هذا وقد حُفَّ بجلال لا عهد لأحد بمثله ، ولا طاقة لفاضل بمقاومة فضله ، ولا يَسْمَحُ الزمان بنظيره من بعده كما لم يَسْمَحْ به من قبله ؛ فاجتمع من جمال الجلال ، وجمال الجمال ، ما لم يكن ليُدْخِلَ تحت الإمكان ، وعُزِّزَ عددُهُما من أعلام الأئمة بثالثٍ ورابع فقام بناء الدين من المذاهب الأربعة على أربعة أركان ؛ ولا عبرة بما يذهب إليه الذاهبون من كراهة التربع تبعاً للنجمين في اعتقادهم الفاسد ، فقد ورد أن زوايا الحوض على التربع وذلك فيه أعظم دليل وأقوم شاهد .

وكان مذهب مالك رحمه الله هو المراد من هذه الولاية بالتخصيص ، والمجلس الجمالي المشار إليه هو المقصود بهذا التفويض بالتنصيب - آقتضى حسن الرأي الشريف أن نوفي مرتبته السنينة حقها ، ونبوي النعم مستحقها ، ونملك رقاب المعالي مسترقها ، ونقدم على طائفة المالكية من أضحى لهم جمالا ، ونثقفهم بمن أسى لعزهم كمالا ، ونفوض قضاء مذهبهم إلى من إذا جرى في ميدان حكمه قالت محاسن قضاياه : (هكذا هكذا وإلا فلا) . ونسند الأحكام الشرعية إلى من هو بها أعرف ، ونقفها على من عرف أنه على الحقائق ماض وعند السنة يتوقف ، ونعديق أمرها بمن ألف النزاهة فنكرة المطامع عنده لا تتعرف ؛ ونكل النظر فيها إلى من أسى لشروط الاستيجاب جامعا ، ونقدم في ولاية هذا المنصب من شفع له استحقاقه وكفى بالاستحقاق شافعا .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لازل يَسْطُ لأوليائه من سِاط الأُنس ما كان
مَؤوياً ، ويُنبِلهم من رغائب الآمل ما كان عنهم فى سالف الأزمانِ مزوياً -
أن يُفوضَ إليه قضاءُ قضاةِ مذهبِ عالمِ المدينة ، وإمامِ دارِ الهجرة ، مالكِ بنِ أنسِ
الأصبِحيِّ : قدسَ اللهُ تعالى رُوحَه . فليتلَقَ ما فُوضَ إليه بأفضلِ تلقٍ يليقُ بمثلِه ،
ويتقبَّلَه تقبلاً يناسبُ رفعةَ محلِّه ، ويتبرَّجَ بأجلِّ تفويضٍ لم يُسمحَ بتمنيِه لآخر
من قبَله .

ومن أهمِّ ما نُوصِيه به ، ونوجِّه القولَ إليه بسببِه ؛ تقوى اللهُ تعالى التى هى مِلاكُ
الأمرِ كُلِّه ، وقوامُ الدينِ من أصلِه ؛ والأشتمالُ عليها فى سرِّه وجهره والعملُ بها
فى قوله وفعلِه ، ثم يرُّ الخلقَ والإحسانُ إليهم ، والتجاوُزُ عنهم إلا فيما أوجبَه الشرعُ
من الحقوقِ عليهم ؛ ففى التقوى رضا اللهُ وفى البرِّ رضا الخلقِ وناهيكُ بجمعهما
من رتبةِ فخرِه ، إذ لا شكَّ أنَّ من حصلَ رضا اللهُ ورضا الخلقِ فقد حصلَ على
خيرِ الدنيا والآخرة ؛ ووراءَ ذلكِ قاعدةٌ فى الوصايا جامعُه ، وتذكُّرُ لذوى الذكْرِ
نافِعُه ؛ وهى أن يتأمَّلَ أحوالَ غيره تأمُّلَ من جعلها لنفسِه مثلاً ، ولنسجِه منوالاً ؛
فما استحسنَه منها أتى مثله ، وما استقبجِه تجنَّب فعلَه ؛ واقفاً فى ذلكِ عند
ما وردتْ به الشريعةُ المطهَّرة بنصِ صريحٍ أو تأويلِ صحيحٍ ، معرِّضاً عن العقلياتِ
المحضةِ فلا مجالَ للعقلِ فى تحسينٍ ولا تقييحٍ .

وأما أدبُ القضاءِ الجارى ذكْرُ مثله فى العهودِ ، والنظرُ فى أمرِ الثوابِ وكُتابِ
الحكمِ والشُّهودِ ؛ فهو به أدربُ وأدرى ، وبمعرفةِ ذلكِ لهم وعليهم أحقُّ وأحرى ؛
غيرَ أنَّنا نُوصِيه بالتثبتِ فى أمرِ الدماءِ وعلاقتها ، وتحقُّقِ حكمها قبلَ الحكمِ بإراتيها ؛
فإنَّ ذلكَ لمادةُ القلقِ فيها أحسمُ ، ومن تبعاتها فى الدارينِ أسلمُ ؛ والوصايا كثيرةٌ

ولكنها منه تُستفاد، وعنه تؤخذ وإليه تُعاد؛ والله تعالى يتولاه، ويحوطه فيما
ولاه، ويديم عليه هذه النعمة فما فوق منصبه منصبٌ يمتناه^(١)، والأعتادُ ...
إن شاء الله تعالى .

وكتب لست إن بقيت من شهر رجب الفرد عام أربع وثمانمائة، حسب
المرسوم الشريف، بمقتضى الخط الشريف .



وهذه نسخة توقيع بقضاء القضاة الحنفية بدمشق، من إنشاء القاضي ناصر الدين
آبن النشائي، وهي :

الحمد لله الذى جعل منار الشرع الشريف مستمرا على الدوام، وشمل منصب
الحكم العزيز للعالم بعد العالم على ممر الأيام، وأجمل انتخاب من يقوم بأعباء القضايا،
ومن تدوم به مزايا السجايا، فيتخير لذلك الإمام بعد الإمام، وأقبل بوجه اجتهابه
على ولى نتأكد بإنصاته وإنصافه إحكام الأحكام، وعدل باعتنائه إلى تعيين من
ترتفع به فى العلوم أعلام الإعلام، ومن يتأيّد به الحق فى كل تقضى وإبرام .

نحمده على نعمه الوافرة الأقسام، السافرة [الشم] عن وجوه الزيادة الوسام،
ونشكره على مننه الحسام، ومواهبه التى لا تبرح ثغور إحسانها لذوى الاستحقاق
واضحة الأيتسام .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كفيلاً بالمرام، مئيلة للإكرام،
جميلة التلقظ والإلتئام، جزيلة الكنف والإعتصام؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله
الذى أقام الله به شعائر الإسلام، وأظهر شرائع الدين الحنيف بحسام نصره الحسام،

(١) أى إلى آخر ما يكتب فى مثله، وحذفه من باب الاختصار .

وأورث من أهله من أمته كنوز العلوم التي لا تتقد فوائدها مع كثرة الإنفاق مدى
السنين والأعوام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هدوا المؤمنين بإلهام الكلام،
وعدوا على المشركين بسهام الكلام، وأبدوا من إرشادهم إلى خفايا القضايا ما يظهر
بتهديهم ظهور بدر النمام، صلاة دائمة باقية تجزل لقائلها الأجر التام، وترسل إليه
سحاب المواهب هائلة الغمام، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من تذهب به مذهبه، وتحلى به محل الشرح الشريف ومنصبه،
وأنا بنور إرشاده ليل الشك وغيبه، وسهل بتقريبه على فهم الطالب مطلبه، وهمي
به وإبل العلم وصييه، وأتيح به لاستفيد كنز الفوائد التي يدنو بها أربه، وشيم من
برق شيمه بالشام ما وجد في الجود صادقته وفقد خبئه - من علا في العلوم نسبه،
وتأكد في الدين سببه، وشيد منبى المعالى معربه، وصقل مرايا الأفهام مهديه،
وزاحم منكب الجوزاء في ارتفاع القدر منكبته، وجمل مواكب المباحث في الأصول
والفروع موكبه، وسحت بدقائق الحقائق سحبه، وأشتاق إلى قربه موطن الحكم
العزیز فما زال يرتقبه، وأرتاح الزمان إلى عفافه وإنصافه فأرشد حيث نختاره
لذلك ونتخبه .

(١)

ولما كان المجلس العالى أيد الله أحكامه هو الذى أرشد الطالبين
في البداية ، وأفاد المنتهين درجات النهايه ، وأفهم المستفدين صواب الهدايه ،
وغدا سابقا [في] حلبة العلماء إلى أقصى غايه . كم قرب إلى الأذهان غامض المشكل
وأوضح مفهومه ، وكم أشاع فرائد فوائده التي طبقت الأرض بها علومه ، وكم أباح لقط
ألفاظه المشحونه بالحكم فتحلى الناس بدررها المنثورة والمنظومه ، مع ماله من دين

(١) بياض بالأصل متروك لتكلمة الألقاب المعلومة كالأميرى الكبيرى الخ .

(٢) فى المصباح مانصه : "والبداية بالياء مكان الهمز عاى نص عليه ابن برى وجماعة" .

متين ، وأستحقاق للتقدم مبين ، وصلاحي بلغ به درجات المتقين المرتقين ، وأتباع
لسن الحق في الحكم بين الخلق عن يقين - أقتضى حسن الرأي الشريف أن يُقرن
منصب القضاء بحاله ، وأن يُعوض عن إمامه المفقود بإمامه الموجود ليستمر
الأمر على حاله .

فلذلك رسم ... - لا زالت أئمة العلم الشريف في أيامه يخلف بعضهم بعضا ،
وأقدارهم تدوم رفعها مدى المدد فلا تجد نقصا ولا نقضا - أن يُفوض ...
فليباشر ذلك بعلمه المأثور، وحكمه المشهور، وإنصافه الذي يعدل فيه، وأنصافه
بالحق الذي ما برح يوفيه ، قاضيا بين الخصوم بما أمر الله عز وجل ، مراقبا
لخشية الله على عادته ، مديعا لليلة الحنيفة أنواع إفادته ، قاطعا بنصل نصه مشكل
الإلباس ، جامعا في أحكامه المسددة بمقتضى مذهبه بين الكتاب والسنة والقياس .
والوصايا كثيرة وملا كما التقوى وهي مادته ، وطريقه المستقيم وجدته ، وما زالت
عمدته التي يعتمد عليها ، وعدته التي يستند في إسناد أمره إليها ، والله تعالى يجمل
الأيام بأحكامه ، ويبلغه من خير الدنيا والآخرة غاية مراده ومرامه ، إن شاء الله
تعالى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية أيضا ، أنشأته لقاضي القضاة جمال الدين
البساطي المذكور عند عودته إلى الوظيفة ، لأربع بقين من ذى القعدة سنة
سبع وثمانائة . وقد وافق عودته عود شيخ الإسلام جلال الدين عبدالرحمن البلقيني
إلى قضاء قضاة الشافعية أيضا ، وهي :

(١) بياض في الأصل والمراد واضح مما تقدم .

الحمد لله الذى أعاد لرُبَّةِ القضاء رَوْقَ « جَمَاهَا » وأسعدَ جَدَّهَا بأسعدِ قرآنٍ
 ظهرت آثارُ يَمِينِهِ بما آثرته من ظهور « جَلَالِهَا » ، وأجاب سُؤْلَهَا بأجلِّ حاكمٍ
 لم تعدل عنه يوماً فى سؤَالِهَا ، وأسعدَ طَلِبَتَهَا بأكملِ كُفٍّ لم تنفك عن خُطْبَتِهِ وإن
 أطال فى مَطَالِهَا ، وأكرم مآبَهَا بأكرمِ كَافٍ ما فاتها منألٍ ما ض إلا أدركته به
 فى مآلِهَا .

نحمده على أن أعطيت القوس باربيها ، وأعيدت مياه الاستحقاق إلى مجاريها ،
 وردت الشاردة إلى مالك اللفت منه بالآخرة ما ألفت من خيره فى مبادئها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يحق بالإخلاص مناطها ،
 ويزداد مع طول الأمد نشاطها ، ولا ينطوى على ممر الأيام - إن شاء الله تعالى -
 بساطها . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل نبي رفع قواعد الدين وشاد ،
 وقام فى الله حق القيام خسم بسيف الشرع مادة الفساد ، وأحكم بسد الذرائع
 سدّ الأمور فجرت أحكام شريعته المطهرة على السداد ، صلى الله عليه وعلى آله
 وصحبه الذين استنشق من معدلتهم أطيب عرف ، وخصوا من صفات الكمال بأحسن
 حلية وأكمل وصف ، صلاة توهي عمرا الإلحاد ، وتفصمها ، وتبك أعناق أهل
 العناد ، وتفصمها ، وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد ، فلاخفاء فى أن الأبصار تتشوف لرؤية الهلال مع قرب الغيبة للأخذ منه
 بنصيبها ، والشمس يترقب طلوعها فى كل يوم وإن قرب زمان مغيبها ، والمسافر
 يسرُّ بإبابه وإن تكرر قدومه من بعيد المسافة وقربها ، والسهران يتطلع من ليلته
 الطويلة إلى طلوع فجرها ، والمناصب السنية تارز إلى مستحقها كما تارز الحياة
 إلى مجرّها .

ولما كان المجلس العالى، القاضوى، (إلى آخر ألقابه) أعز الله تعالى أحكامه هو الذى حُمدت فى القضاء آثاره، وسارت بحسن السيرة فى الآفاق أخباره، وحسن بحسن تآتیه فى الورد والصدور إيراده وإصداره، وتنافس فى جمیل وصفه الطرس والقلم، وظهرت فضائله (ظهور نار القرى ليلاً على علم)؛ ونشرت الأيام من علومه ما تطوى إليه المراحل، وجادت مواطر فكره بما يُحصب به جناب المربع الساحل؛ وعمرت من منصب القضاء بولايته معاهده، وجرت بقضايا الخير فى البدء والعود عوائده؛ ونفذت بنفاد أوامره فى الوجود أحكامه، ورقيم فى صحائف الأيام على توالى الدهور نقضه وإبرامه؛ وسجل بثبوت أحقيته فانقطعت دون بلوغ شأوه الأطماع، وحكيم بموجب فضله فانعقد على صحة تقدمه الإجماع؛ ففرائد فوائده المدونة تؤذن بالبيان والتحصیل، ومقدمات تنبيهاته المحققة، تكفى نتائج إفضاها عن الإجمال والتفصيل؛ وجراهر أفاضه الرائقة، نعم الذخيرة التى تُقنى، ومدارك معانيه الفائقة، حسبك من ثمرة فكر تجتنى؛ وتهذيب إيراداته الواضحة تُغنى فى إدراكها عن الوسائل، وتحقيق مسائله الدقيقة تُحقق فيها أنها عيون المسائل - وكانت وظيفة قضاء قضاة المالكية بالديار المصرية فى رفيع رتبها، ووافر حرمتها، قد ألفت إليه مقاليدها، ورفعت بالانتماء إلى مجلسه العالى أسانيدها، وعمرت محله الرفيع فتعلقت منه بأعز منال، وحظيت بجماله اليوسفى المرة بعد الأخرى فقالت: لا براح لى عن هذا الجمال؛ وعجمت بتكرار العود عوده فأعرضت عن السوى، وقرت بالإياب إليه عينا «فألفت عصاها وأستقر بها النوى» - أقتضى حسن الراى الشريف أن نعيد الوظيفة المذكورة إليه، ونعول فى استكشاف مشكلات الأحكام على ما لديه، إقراراً للأمر فى نصابه، ورداً له بعد الشراد إلى مثابه، وإسعافاً لمنصب بطليته وإن أعب غيره نفسه فى طلابه.

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُبدى المعروف ويُعيدُه ، ويُوفَّر نصيبَ
الأولياء ويَزيدُه - أن يفوض إلى المجلس العالى المشار إليه قضاء القضاة بمذهب عالم
المدينة وإمام دار الهجرة «مَالِكِ بْنِ أَنَسِ الْأَصْبَحِيَّ» رضى الله عنه ، على جارى
عاداته المتقدمة فى ذلك . وأن يُضاف إليه تدریس قُبَّة الصالح والأنظارُ الشاهد بها
توقيع الشريف ، وأن لا يقرَّر أحدٌ فى دروس المالكية من مدرِّس ومُعید
إلا بتعيينه ، على أتم العوائد وأجملها ، وأعم القواعد وأكملها .

فليعد إلى رُتبته السنية برفیع قدره وعلى همته ، ويقابل إحساننا بالشكر نُحْفَه
بمزيد الإقبال إذ لا زيادة فى العلو على رُتبته . ثم أول ما نُؤمِّر به ، ونؤكِّد القول
عليه بسببه ، تقوى الله التى هى مِلاك الأمور كلها ، وأولى المفترضات فى عقد
الأمور وحلها ، فهى العِصمة التى من لجأ إليها نجأ ، والوقاية التى ليس لمن حاد
عنها من لحاق قوارع الله مُلتجأ . ونُتبع ذلك بالتلويح إلى الاحتياط فى المسائل
التي تفرَّد بها مذهب الشريف ضيقاً وسعة ، وأختص بها إمامه الأصبحيِّ دون
غيره من الأئمة الأربعة ؛ وهى مسائل قليلة ، آثارها فى الورى كثيرة جليله ؛ منها
سَفْكُ دِمِ المُنْتَقِصِ والسَابِّ ، وتَحْتَمُّ قَتْلِهِ عَلَى البَتِّ وإن تاب ؛ فعليه أن يأخذ
فى ذلك بالإهتمام ، ولا يُعطى رُخصة فى حقِّ أحدٍ من الأنبياء والملائكة عليهم السلام ،
ليكون ذلك وسيلة إلى الخلوص عن القذى ، وذريعة إلى سلامة الشرف الرفيع
من الأذى ؛ إلا أنا نُوصيه بالتثبت فى الثبوت ، وأن لا يعجل بالحكم بإراقة الدم
فإنه لا يمكن تداركه بعد أن يفوت . ومنها : الشهادة على الخط وإحياء مامات
من كُتِبَ الأوقاف والأملاك ، وتقريب ماشطٍ فلا يقبل فيه إلا اليقظ الواقف مع
تحققه دون حدسه ، ولا يطلق عنان الشهود فإن الكاتب ربما اشتبه عليه خطُّ

نفسه - ومنها : ثبوت الولاية للأوصياء، فيجربها على اعتقاده، ولكن إذا ظهرت المصلحة في ذلك على وفق مراده - ومنها : إسقاط غلة الوقف إذا استرد بعد بيعه مدة بقائه في يد المشتري، تحذيرا من الإقدام على بيع الوقف وعقوبة رادعة لبائعه المجترى . إلى غير ذلك من مسائل الأفراد، وما شاركه فيه غيره من المذاهب لموافقة الاعتقاد، فيمضي الحكم فيه بأقوى العزائم، ويلزم فيها بما استبان له من الحق ولا تأخذه في الله لومة لائم .

وأما غير ذلك من الوصايا الراجعة إلى أدب القضاء فلديه منها الخبر والخبر، ومنه تستملى فوصيته بها كنقل التمر إلى هجر، والله تعالى يعامله بلطفه الجميل، ويحفظه بالعناية بمقام والرحيل؛ إن شاء الله تعالى؛ والاعتماد



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الحنابلة، وهي :

الحمد لله الذي أطلع في أفق الدين القيم^(١) شمساً منيره، ورفع درجة من جعله من العلم على شريعة ومن الحكم على بصيره، وقد أمور الأمة بمن يعلم أن بين يديه كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ووفق لفصل القضاء من مشى على قدم إمامه الذي أدخر منه للحكم في أيامنا الشريفة من نفائس العلماء أفضل ذخيره، وقضى بإرجاء أمره لنختار له من تحلى به بعد العطل وكل قضاء خيره، وأيقظ عنايتنا لمن رقد الدهر عن فضله فباتت عين الاستحقاق باستقرار رتبته قريه .

نحمده حمد من توافت إليه النعم الغزيرة، وتوالت عليه المنن الكثيرة في الممدد اليسيره، وأخصبت في أيامه رياض الفضائل فهي بكل عالم عدم النظر نضيره،

(١) تقدمت في تقليد حنفى بأطول من هذا وبعض تغيير .

وأفتتح دولته برفع منار العدل فأمال أهل الظلم عن تماطيه قاصرة وأيدى أهل الباطل عن الأمتداد إليه قبيره ، وخص المناصب في ممالكه بالأكفاء فإذا تلبست بها همم غيرهم عادت خاسئة أو أمتدت إليها أبصار من دونهم رجعت حسيه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُصليح العنان والسريه ، وتُصليح بها القلوب موقنة والألسن ناطقة والأصابع مُشيره . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى بعث الله به الرسل خيرة وأنزل الكتب بمبعثه بشيره ، وأجابه في خير أمة من أكرم أرومة وأشرف عشييره ، وأظهر أنوار مائه إلا لمن أعمى الغي بصيرته وهل تنفع العمى شمس الظهيره ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة نتقرب بدوامها إلى الله فيضاعفها لنا أضعافا كثيرة ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الأمور بأن تُشاد قواعده ، وتُعهد معاهده ، ويعلى مناره ، وتفاض بطلوع شمسه أنواره ، وتكفل به قوى الدين تكلة الأجساد بقوى الطباع الأربع ، وتعمر به ربوع الملة التى ليس بعدها من مصيف لمة ولا مربع ، وتثبت به قوائم الشرع التى ما للباطل فى إمالة بعضها من مطمع ، أمر القضاء على مذهب الإمام الربانى « أحمد بن حنبل » رضى الله عنه ، وكان قد خلا بانتقال مباشره إلى الله تعالى ، وتوقف مدة على ارتياد الأكفاء ، والإرشاد إلى من هو أهل الأصطناء ، واختيار من تكفل به رفعة قدره ، ويعيد لدسته على إساط سليمانيه بهجة صدره .

ولما كان فلان هو المنتظر لهذه الرتبة أنتظار الشمس بعد الغسق ، والمرتبب لبوغ هذه المنزلة التى تقدمت إليها بوادر استحقاقه فى السبق ، والمعطوف على الأئمة من أصحاب إمامه - وإن تأخر زمانه - عطف النسق ، وهو الذى ما زال

يعدّل دم الشهداء مداد أعلامه ، وتضع الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع من نقل
خطواته في طلب العلم وسعى أقدامه ، ودخل من خشية الله تعالى في زمرة من
حُصر بآئمه ، وهجر المضاجع في طاعة الله لتحصيل العلم فلو عدت هجعاته لقلما ؛
وهجر في إحراز الفضائل فقيده أو أباها ، وأحرز شواردها ، وبلج في بحار المعاني
فغاص على جواهرها ، ونظر نظرة في نجوم العلوم ناخوى على زهرها وزار نمائل
الفضائل [فاستوى] على أزاهيرها ؛ وآتته إلى علم مذهبه فبرز على من سلف ،
وجارى علماء عصره فوفقت أبصارهم عن رؤية غباره وما وقف ؛ وتبين عليه
القضاء وإن كان فرض كفاية لا فرض دين ، وقدمه الترجيح الذى جعل رتبته همزة
استفهام ورتبة غيره بين بين - اقتضى رأيا الشريف اختصاصه بهذا التمييز ،
والتنبيه على فضله البسيط بهذا اللفظ الوجيز .

فلذلك رسم أن يفوض إليه كيت وكيت . فليتول هذه الرتبة التى أصبح فيها
عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نائبا وبشرعه قائما ، ويتقلدها تقلد من يعلم
أنه قد أصبح على حكم الله تعالى مقدما وعلى الله قادما ، ويتثبت تثبت من يعتصم
بجبل الله فى حكمه فإن أحد الخصمين قد يكون ألحن بحجته وإن كان ظالما ،
ويابس لهذا المنصب حلة تمنع المبطل من الإقدام عليه ، وتدفع الظالم عن التناول
إلى أمر نزع الشرع الشريف من يديه ، ويؤمن الحق من امتداد يد الجور والحيف
إليه ؛ وليسوّ بين الخصمين فى مجلسه ولحظه ، ويعدّل بينهما فى إنصاته ولفظه :
ليعلم ذو الجاه أنه مساو فى الحق لخصمه ، مكفوف باستماع حجته عن الطمع
فى ظلمه ؛ ولا يتفرض حكما لم يخالف نصا ولا سنة ولا إجماعا ، وليشارك فيما لا يجهله
من القضايا غيره من العلماء ليريد بذلك مع اطلاعه أطلاعا ، وليغتنم فى ذلك الاستماعة

بآرائهم : فإنَّ الله تعالى لا يترع هذا العلم أتزاعاً ، وليسد مسالك الهوى عن فكره ،
ويصرف دواعى الغضب لغير الله عن المرور بذكره ؛ وليجعل العمل لوجه الله
نتيجة علمه ، وليحكم بما أراه الله (والله يحكم لا معقب لحكمه) .



وهذه نسخة وصية أوردتها في " التعريف " تشمل القضاة الأربعة ، قال :
وصية جامعة [لقاض] ^(١) من أى مذهب كان ، وهى :

وهذه الرتبة التى جعل الله إليها منتهى القضايا ، وإنهاء الشكايا ؛ ولا يكون
صاحبها إلا من العلماء ، الذين هم ورثة الأنبياء ؛ ومتولى الأحكام الشرعية بها
كما ورث عن نبي الله صلى الله عليه وسلم علمه ، كذلك ورث حكمه ؛ وقد أصبح بيده
زمام الأحكام ، وفصل القضاء الذى يعرض [بعضه] ^(١) بعده على غيره من الحكماء ؛
وما منهم إلا من ينقد نقد الصيرفي ، وينفذ حكمه نفاذ المشرفي ؛ فليتروا فى أحكامه
[قبل إمضائها ، وفى المحاكمات إليه] قبل فصل قضائها ؛ وليراجع الأمر مرة بعد
مرة حتى يزول عنه الالتباس ، ويعاود فيه بعد التأمل كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم والإجماع والقياس ؛ وما أشكل عليه بعد ذلك فليجئ ظلمه
بالاستخاره ، وليجئ مشكله بالاستشارة ، ولا يرتقضا عليه إذا استشار فقد أمر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم بالشورى ، ومر من أول السلف من جعلها بينه وبين
خطا الاجتهاد سورا ؛ فقد يسنح للراء ما أعيأ غيره وقد أكثر فيه الدأب ، ويتفطن
الصغير لما لم يفطن إليه الكبير كما فطن ابن عمر رضى الله عنهما للنخلة [و] مامنعه
أن يتكلم إلا صغرسنه ولزوما مع من هو أكبر منه للأدب ؛ ثم إذا وصح له الحق

(١) الزائد من " التعريف " ص ١١٦ .

قضى به لمستحقه ، وسجل له به وأشهد على نفسه بثبوت حقه ؛ وحكم له به حكما
يسره يوم القيامة أن يراه ، وإذا كتب له به ، ذكر بخير إذا بلى وبقي الدهر ما كتبت
يداه . وليس بين الخُصوم حتى في تقسيم النظر ، ويجعل كل عمله على الحق فيما
أباح وما حظر ؛ وليجد النظر في أمر الشهود حتى لا يدخل عليه زيف ، وليتحر
في استيلاء الشهادات فرب قاض ذبح بغير سكين وشاهد قتل بغير سيف ؛ ولا يقبل
منهم إلا من عرف بالعدالة ، وألف منه أن يرى أوامر النفس أشد العدا له - وغير
هؤلاء ممن لم تجر له بالشهادة عادة ، ولا تصدى للارتزاق بسختها ومات وهو حى
على الشهادة ، فليقبل منهم من لا يكون في قبول مثله ملامه ، فرب عدل بين منطقة
وسيف وفاسق في فرجية وعمامة - ولينقب على ما يصدر من العقود التي يؤسس
أكثرها على شفا جرف هار ، ويوقع في مثل السفاح إلا أن الحدود تدرأ بالشبهات
ويبقى العار - وشهود القيمة الذين يقطع بقولهم في حق كل مستحق ومال كل يتيم ،
ويقلد شهاداتهم على كل أمر عظيم ؛ فلا يعول منهم إلا على كل رب مال عاريف
لا تخفى عليه القيم ، ولا يخاف معه خطأ الحدس وقد صقل التجريب مرآة فهمه
على طول القدم . ولينان في ذلك كله أناة لا تقضى بإضاعة الحق ، ولا إلى المطاولة
التي تقضى إلى ملل من استحق . ولينهذ لرمسه ، ولا يتعلل بأن القاضى أسير الشهود
وهو كذلك وإنما يسعى لخلاص نفسه - والوكلاء هم البلاء المبرم ، والشياطين
المسؤولون لمن توكؤوا له الباطل ليقضى لهم به وإنما تقطع لهم قطعة من جهنم ،
فليكنف بهابته وساوس أفكارهم ، ومساوى جفأهم ؛ ولا يدع لجنى أحد منهم
ثمرة إلا ممنوعه ، ولا يد اعتداء تمتد إلا مغلولة إلى عنقه أو مقطوعه . وليطهر بابه
من دنس الرسل الذين يمشون على غير الطريق ، وإذا رأى واحد منهم درهما ودلو
حصل في يده ووقع في نار الحريق ؛ وغير هذا مما لا يحتاج به مثله أن يوصى ،

ولا أن يُحصى عليه منه أفراد عمّله وهو لا يُحصى ، ومنها النظر في أمور أوقف أهل
مذهبه نظر العموم ، فليعمرها بجميل نظره فربّ نظرة أنفع من مواقع الغيوم ، وليأخذ
بقلوب طائفته الذين خصّ من بينهم بالقديم ، وتفاوت بعد ما بينه وبينهم حتى
صار يُزيل دارض الرجل منهم النظرة [منه] ويأسو جراحه منه التكليم . وهذه الوصايا
إنما ذكرت على سبيل الذّكرى ، وفيه - بحمد الله - أضعافها ولهذا وليّاه والحمد لله
شكراً ، وقد جعلنا له أن يستنيب من يكون بمثل أوصائه أو قريباً من هذه المثابه ،
ومن يرضى له أن يحمل عنه الكلّ ويتاسمه ثوابه ، وتقوى الله تعالى هي جماع الخير
ولا سيماً لصاحب هذه الوظيفة ، ولمن وليها أصلاً وفرنّاً لا يستغنى عنها ربّ حكم
مطلق التصرف ولا خليفه .

ويُزاد الشافعى :

وليعلم أنه صدر المجلس ، وأنه أدنى القوم وإن كانوا أشباهه منا حيث نجّس ،
وأنه ذو الطيلسان^(١) الذى يخضع له ربّ كلّ سيف ونباس ، وليتحقق أنه إنما رفعه
علمه وثقاه ، وأنّ سبب دينه لادّنياه هو الذى رّفاه ، فليقدر حق هذه النعم ، وليقف
عند حدّ منصبه الذى يودّ لو اشترى سواد مداده بجمهر النعم .

ويقال فى وصيته : وأمر دعاوى بيت المال المعمور ، ومحاكماته التى فيها حق
كل فرد فرد من الجمهور ، فليحترز فى قضاياها غاية الاحتراز ، وليعمل بما يقتضيه
لها الحق من الصيانة والإحراز ، ولا يقبل فيها كلّ بنية للوكيل عن المسلمين فيها
مدفع ، ولا يعمل فيها بمسألة ضعيفة يظن أنها ما تضر عند الله فإنها ما تنفع ، وله
حقوق فلا يجيد من يسعى فى تملك شيء منها بالباطل منه إلا الياس ، ولا يلتفت إلى
من رخص لنفسه وقال : (هو مال الساطان) فإنه مالنا فيه إلا ما لواحد من الناس .

(١) ذكر فى "القاموس" أن لام الطيلسان مثبته .

وأموال الأيتام الذين حذر الله من أكل مالهم إلا بالمعروف لا بالشبهات، وقد مات
 أبائهم ومنهم صغار لا يهتدون إلى غير الثدي للرضاع ومنهم حمل في بطون الأمهات؛
 فليأمر المتحدين لهم بالإحسان إليهم، وليعرفهم بأنهم سيجزون في بينهم بمثل
 ما يعملون معهم إذا ماتوا وتركوا ما في أيديهم، وليحذر منهم من لا ولد له :
 ﴿ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ﴾ . وليتصص عليهم
 في مثل ذلك أبناء من سآف تذكيرا، ويمتل عليهم القرآن ويذكرهم بقوله تعالى :
 ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ .
 والصدقات الموكولة إلى تصريف قلمه، المأكولة بعمد أمانة المباشرين وهي
 في ذممه ، يتقظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها ، والعمل بما
 لا يجب سواه في أخذها وإنفاقها . والمسائل التي تفرد بها مذهبها وترجح عنده بها
 العمل ، وأعد عنها الجواب لله إذا سأل ، لا يعمل فيها بمرجوح إلا إذا كان نص
 مذهب إمامه أو عليه أكثر الأصحاب ، وراه قد حكم به أهل العلم ممن تقدمه لرُجحانه
 عنده وللاستصحاب . ونواب البر لا يقلد منهم إلا من تحقق استحقاقه ، فإنه إنما
 يوليه على مسلمين لا علم لأكثرهم فهم إلى ذى العلم أشد فاقه ؛ هذا إلى ما يتعرف
 من ديانتهم ومن عقافتهم الذي يتبرع المرء منهم به مرارة الصبر من الفاقة وهو به
 يتحلى ، ثم لا يزال له عين عليهم فإن الرجال كالصناديق المقللة لا يعرف الرجل ما هو
 حتى يتولى .

ويزاد الحنفى :

وليعلم أن إمامه أول من دون الفقه وجمعه ، وتقدم وأسبق العلماء من تبعه ؛
 وفي مذهبه ومذاهب أصحابه أقوال في المذهب ، ومسائل مالحة فيها مالك وهو أول

مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ وَمَنْ يُعَدُّ مِنْ سَوَابِقِهِ أَشْهَبُ ؛ وَمِنْ أَهْمِهَا تَرْوِجُ الصَّغَائِرَ ، وَتُحْصِنُهُنَّ
بِالْأَكْفَاءِ مِنَ الْأَزْوَاجِ خَوْفًا عَلَيْهِنَ مِنَ الْكِبَائِرِ ؛ وَشُفْعَةُ الْحَوَارِ الثِّى لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ
رَأْيِهِمْ لَمَا أَمِنَ جَارُ السُّوءِ عَلَى رَعْمِ الْأَنْوْفِ ، وَلَا قَامَ الرَّجُلُ الدَّهْرَ سَاكِنًا فِي دَارِهِ
بَيْنَ أَهْلِهِ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَخُوفَ ؛ وَكَذَلِكَ نَفَقَةُ الْمُعْتَدَةِ الَّتِي هِيَ فِي أَسْرٍ مِنْ طَلَّقَهَا وَإِنْ
بُنَّتْ مِنْ حِبَالِهِ ، وَبَقِيَتْ لَا هُوَ بِالَّذِي يُنْفِقُ عَلَيْهَا وَلَا هِيَ بِالَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَرَوَّجَ
مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَيْهَا مِنْ مَالِهِ ؛ وَمَنْ آسْتَدَانَ مَالًا فَأَكَلَهُ وَادَّعَى الْإِعْسَارَ ، وَلَفَّقَ لَهُ
بَيْنَةً أَرَادَ أَنْ تُسْمَعَ لَهُ وَلَمْ يَدْخُلِ الْحَبْسَ وَلَا أَرْهَقَ مِنْ أَمْرِهِ الْإِعْسَارَ ، وَأَهْلُ
مَذْهَبِهِ عَلَى أَنَّهُ يُسَجَنُ وَيَمُكَّتُ مُدَّةً ، ثُمَّ إِذَا ادَّعَى أَنَّ لَهُ بَيْنَةً أُحْضِرَتْ ثُمَّ هَلْ تُقْبَلُ
أَوْ لَا . فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا فِيهِ عَمُومٌ صَالِحٌ ، وَعَظِيمٌ نَفْعٌ مَا فِيهِ جُنَاحٌ ؛ فَلْيَقْضِ فِي هَذَا
كَلِمَةً إِذَا رَأَى بِمَقْتَضَى مَذْهَبِهِ ، وَلِيَهْتَدِ فِي هَذِهِ الْآرَاءِ وَسِوَاهَا بِقَمَرِ إِمَامِهِ الطَّالِعِ أَبِي حَنِيفَةَ
وَشِبْهِهِ ؛ وَلِيُحْسِنَ إِلَى فُقَهَاءِ أَهْلِ مَذْهَبِهِ الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ أَكْثَرُهُمُ الْإِعْتِرَابُ ، وَحَاقَّ
بِهِمْ إِلَيْهِ طَائِرُ النَّهَارِ حَيْثُ لَا يَحْتَقُّ الْبَازِيُّ وَجِنَاحُ اللَّيْلِ حَيْثُ لَا يَطِيرُ الْغُرَابُ ؛ وَقَدْ
تَرَكَوْا وَرَاءَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ الشَّاسِعَةِ ، وَالْأَمْدَادِ الْوَاسِعَةِ ؛ مَا يُرَاعَى لَهُمْ حَقُّهُ إِذَا عُدَّتْ
الْحَقُوقُ ، وَيَجْمَعُهُ وَإِيَّاهُمْ بِهِ أَبُوهُ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَا مِثْلُهُ مِنْ يُنْسَبُ إِلَى الْعُقُوقِ .

ويزاد المالكي :

وَمَذْهَبُهُ لَهُ السُّيْفُ الْمُصَلَّتْ عَلَى مَنْ كَفَرَ ، وَالْمَذْهَبُ بَدَمٍ مِنْ طُلَّ دَمُهُ وَحَصَلَ
بِهِ الظَّفَرُ ؛ وَمَنْ عَدَا قَدْرَهُ الْوَضِيعَ ، وَتَعَرَّضَ إِلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِالْقَوْلِ
السُّدِيعِ ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُقْتَلُ بِسُيْفِهِ الْمَجْرَدِ ، وَيُرَاقُ دَمُهُ تَعْزِيرًا بِقَوْلِهِ الَّذِي بِهِ تَفَرَّدَ ؛ وَلَمْ
يَزَلْ سَيْفٌ مَذْهَبِهِ لَهُمْ بَارِزَ الصَّفْحَةِ ، مَسْلَمًا لَهُمْ إِلَى مَالِكِ خَازِنِ النَّارِ مِنْ مَذْهَبِ
مَالِكٍ الَّذِي مَا فِيهِ فُسْحَةٌ ؛ وَفِي هَذَا مَا يُصْرَحُ غُدْرُ الدِّينِ مِنَ الْقَدْيِ ، وَمَا لَمْ تُطَلَّ دِمَاءُ

هؤلاء (لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى)؛ وإنما نوصيه بالتحري في الثبوت ،
 [والبينة التي لا يستدرك بها ما يفوت،] ^(١) وإنما هو رجل يحيا أو يموت ، فليتمهل
 قبل بت القضاء ، وليعذر إليهم لاحتمال ثبوت تفسيق الشهود أو بغضاء ، حتى
 لا يعجل تلافًا ، ولا يعجل بما لا يتلافى ، فكما أننا نوصيه أن لا ينقض في شد الوثاق
 عليهم إرأما ، فهكذا نوصيه أن لا يصيب بغير حقه دمًا حرامًا ، وكذلك قبول الشهادة
 على الخط ، وإحياء مامات من الكتب وإدناء ما شط ، فهذا مما فيه فسحة للناس ،
 وراحة ما فيها باس ؛ إلا أنه يكون الثبوت بهذه البينة للاتصال ، لا لتزع يد ولا لإزام
 بجردها بمال ؛ وهكذا ما يراه من ولاية الأوصياء وهو مما تفرد به هو دون البقية ، وفيه
 مصلحة وإلا فما معنى الوصية ؛ وهو زيادة احتراز ما تضر مراعاة مثلها في الأمور
 الشرعية ؛ وسوى هذا مثل إسقاط الربيع في وقف أسترّد وقد بيع ، وعطل المشتري
 من التكسب بذلك المال مدة لا يشتري ولا يبيع ؛ وهذا مما يبت قضاءه في مثله ،
 ويجعل عقاب من أقدم على بيع الوقف إحرامه مدة البيع من مغله ؛ وسوى ذلك
 مما عليه العمل ، ومما إذا قال فيه قال بحق وإذا حكم عدل . وفقهاء مذهبه في هذه
 البلاد قليل ما هم ، وهم غرباء فليحسن ما وأهم ، وليكرم بكرمه متواهم ؛ وليستقر بهم
 النوى في كنفه فقد ملأوا طول الدرب ، ومعاناة السفر الذي هو أشد الحرب ،
 ولينسهم أوطانهم برّه ولا يدع في مآقيهم دمعا يفيض على الغرب .

ويُزاد الحنبلي :

والمهمّ المقدم - وهو يعلم ما حدث على أهل مذهبه من الشناعة ، وما رُموا به
 من الأقوال التي نتركها لما فيها من البشاعة ؛ ونكتفي به في تعفية آثارها ، وإماطة

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٢١ .

أذاها عن طريق مذهبه لتأمن السالكة عليه من عثارها؛ فتعالى الله أن يعرف
بكيف، أو يجاب السائل عنه بهذا إلا بالسيف؛ والانضمام إلى الجماعة والحد من
الانفراد، وإقرار آيات الصفات على ما جاءت عليه من الاعتقاد، وأن الظاهر غير
المراد، والخروج بهم إلى النور من الظلماء، وتأويل ما لا بد من تأويله مثل حديث
الامة التي سئلت عن ربها: أين هو فقالت في السماء؛ وإلا ففي البلية بإثبات الجهة
ما فيها من الكوارث، ويلزم منها الحدوث والله سبحانه وتعالى قديم ليس بجادث
ولا محلاً للحوادث؛ وكذلك القول في القرآن ونحن نُحَدِّثُ مَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ بِصَوْتٍ
أَوْ حَرْفٍ، فما جزء من قال بالصوت إلا سوط وبال حرف إلا حنط؛ ثم بعد هذا
الذى يزعم به الجهال، ويرد دون غايته الفكر الجوال، ينظر في أمور مذهبه ويعمل
بكل ما صح نقله عن إمامه وأصحابه: من كان منهم في زمانه ومن تخلف عن أيامه؛
فقد كان رحمه الله إمام حق نهض وقد قعد الناس تلك المدة، وقام نوبة المحنة مقام
سيد تيم - رضى الله عنه - نوبة الردة؛ ولم تهب به زعازع المرئسي وقد هبت
مريسا، ولا ابن أبي دواد وقد جمع له كل ذود وساق إليه من كل فطر عيسا؛
ولا نكت عهدته ما قدم له المأمون في وصية أخيه من المواتق. [ولا روعه سوط
^(١) المعتصم وقد صب عليه عذابه ولا سيف الواتق].

فليقف على أثره، وليقف بمسنده [على مذهبه] كله أو أكثره، وليقض بمفرداته
وما اختاره أصحابه الأخيار، وليقلدهم إذا لم تختلف عليه الأخبار؛ وليحترز لدينه
في بيع ما دثر من الأوقاف وصرف ثمنه في مثله، والاستبدال بما فيه المصلحة
لأهله؛ والفسخ على من غاب مدة يسوغ في مثلها الفسخ، وترك زوجة لم يترك لها

(١) الزيادة من «التعريف» (ص ١٢٢).

نفقة وخلاها وهي مع بقائها في زوجيته كالمعلقة ، وإطلاق سراحها لتتزوج بعد
ثبوت الفسخ بشروطه التي يبقى حكمها به حكم المطلقه ، وفيما يمنع مضارة الجار ،
وما يتفرع على قوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » ، وأمر وقف الإنسان
على نفسه وإن رآه سوى أهل مذهبه ، وطلعت به أهلة علماء لولاهم لما جلا
الزمان جنح غيبه ، وكذلك الجوائح التي يخفف بها عن الضعفاء وإن كان لا يرى
بها الإلزام ، ولا تجرى لديه إلا مجرى المصلحة دليل الإلتزام ، وكذلك المعاملة التي
لولا الرخصة عندهم فيها لما أكل أكثر الناس إلا الحرام المحض ، ولا أخذ قسم
الغلال والمعامل هو الذي يزرع البدور ويحرث الأرض ، وغير ذلك مما هو من
مفرداته التي هي للرفق جامع ، وللردايا في أكثر معاشهم وأسبابهم نافع ، فإذا
استقرت الفروع كانت الأصول لها جامع ^(١) . وفقهاء مذهبه هم الفقراء لقلّة الحصول
وضعف الأوقاف ، وهم على الرقة كالرماح المعدّة للثقاف ، نخد بخواطرهم ، ومد
آمالهم في غائب وقتهم وحاضرهم ، وأشملهم بالإحسان الذي يرغبهم ، ويقل به طلبهم
لوجوه الغنى ويكثر طلبهم .

(١) عبارة "التعريف" « وإذا استقرت الاصول كانت الفروع لها تابعه » .

الطبقة الثانية

(من أرباب الوظائف الدينية أصحاب التواقيع ، وتشتمل على مراتب)

المرتبة الأولى

(ما كان يكتب فى النصف بـ«المجلس العالى» كما كان يكتب

للقضاة الأربعة أولاً ، وقد تقدم)

المرتبة الثانية

(ما يكتب فى قطع الثلث بـ«السامى» بالياء)

وأعلم أنّ الأصل فيما يكتب من التواقيع أن يفتح بـ«أما بعد» إلا أن الكُتّاب تسامحوا فيه فافتتحوا لمن علت رتبته حيث اقتضى الحال الكتابة له فى الثلث بـ«الحمد لله» ، وأبقوا من انحطت رتبته عن ذلك على ما كان عليه من الأفتتاح بـ«أما بعد» وهأنا أورد ما سنع من ذلك مما أنشأه الكُتّاب فى ذلك من الأفتتاحين جميعاً . ويشتمل على وظائف .

الوظيفة الأولى

(قضاء العسكر)

وقد تقدم فى المقالة الثانية أنّ موضوعها التحدث فى الأحكام فى الأسفار السلطانية وأنّ له مجلساً يحضره بدار العدل فى الحضر . وقد جرت العادة أن يكون قضاء العسكر أربعة : من كلّ مذهب قاض .

وهذه نسخة توقيع شريف بقضاء العسكر المنصور بالحضرة السلطانية ، وهى :

الحمد الذي رفع للعالم الشريف في أيامنا الزاهرة منارا ، وزاد بإعلاء رتب أهله
دولتنا القاهرة رفعةً وفخارا ، وزان أحكامه الشريفة بحكامه الذين طلعوا في غياهب
مشكلاته بدورا وتدفقوا في إفاضته في الأحكام الشرعية بحارا .

نحمده على نعمه التي حلت فحلت ، ومنه التي أهلت الجود فاستهلت .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لقائلها ذخرا ، وتعلي
للمسك بها في الملا الأعلى ذكرا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي هو أسبق
الأنبياء رتبة وإن كان آخرهم عصرا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أضخوا
للقسدين بهم شمساً منيرة وللمهتدين بعلمهم نجوما زهرا ، صلاة لا تزال الألسن
تقيمها ، والأسماع تستدعيها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من نوهنا بذكره ، ونهنا على رفعة قدره ، وأطلقنا ألسنة الأقلام
في وصف مفاخره وشكره ، وأثنا قواعد مجده التي لورام بنان البيان استقصاءها حال
الحصر دون حصره ، ونقدنا كلام حكمه ورفعنا في أندية الفضائل ألوية فنونه وأعلام
نصره ؛ من لم يزل دم الشهداء يعيدل مداد أقلامه ، وتقيم منار الهدى أدلة فضائله
وشواهد أحكامه ، وتوضح الحق حتى يكاد المتأمل يلحظ الحكم لوضوحه ويبصره ،
وينصر الشرع بأمداد علمه وينصرن الله من ينصره ؛ وشيّد مذهب إمامه الإمام
الفلاني فأصبح فسيح الأرجاء وإن لم يكن فيه فسحة ، وجدّد قواعد العدل في قضايا
عسا كرنا المنصورة فهو مشاهد من كلمه ومن نظره في لّمحه ملحه .

ولما كان فلان هو الذي نعنتنا بما تقدم من الخطاب خلافة الحسنى ، وأثنينا
على ما هو عليه من الإقبال على جوهر العلم دون التعرض إلى العرض الأدنى ؛ مع
ما حواه من مواد فضائل تزكو على كثرة الإنفاق ، وفرائد فوائد تجلب على أيدي

الطَّلبة إلى الآفاق ؛ وقُوَّة في الحق ، الذى لا تأخذه فيه لومة لائم ، وعندل أحكام
في الخلق ، ألدَّ من سِنَّة الكرى في جَفْن نائم - آقتضى حُسنُ الرأى الشريف أن نوطد
في عساكرنا المنصورة قواعد أحكامه ، ونوطن كلاً منهم على أنه تحت ما يُمضيه
في أفضيته النافذة من نقضه وإبرامه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه قضاء العساكر المنصورة
الشريفة : على أجمال العوائد ، وأكل القواعد ؛ وأن تُبسط كلمته في كل ما يتعلق
بذلك من أحكام الشرع الشريف . فليحكم في ذلك كله بما أراه الله من علمه ،
وآتاه من حكمه وحكمه ، وبين له من سبيل الهدى ، وعينه لبصيرته من سنن نبيه
صلى الله عليه وسلم التي من حاد عنها فقد جار وأعدى ؛ وليقف من الأحكام عند
ماقررت الشريعة المطهرة من أحكام الله التي لا يعقلها إلا العالمين ، ويأمر كلاً من
المتقاضين بالوقوف عند ما حد له : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظالمون ﴾ .
والوصايا وإن كثرت فن مثله تُفاد ، وإن جلت فسمعه في غنى عما يُبدأ له منها
ويُعاد ؛ وملاكها تقوى الله تعالى التي هي شعار أنسه ، وحلية يومه وأمسه ؛ والله
تعالى يسأده في القول والعمل ، ويوفقه لما يرضاه ويصونه من الخطأ والخطل .



وهذه وصية لقاضى العسكر، أوردتها في "التعريف" وهي أن يُقال :

وهو الحاكم حيث لا تُفد إلا أفضية السيوف ، ولا تردحُ الغرما الا في مواقف
الصنوف ؛ والماضى قلبه وكل خطى يمتد بالدماء ، والمضى سجله وقد طوى
العجاج كالكتاب سجل السماء ؛ وأكثر ما يُتخاكم إليه في الغنائم التي لم تجل لأحد قبل
هذه الأئمة ، وفي الشركة وما تُطلب فيه القسمة ؛ وفي المبيعات وما يرد منها بعيب ،

وفي الديون المؤجلة وما يُحكّم فيها بغيّب؛ وكلّ هذا مما لا يَحتمل طول الأناة في القضاء،
 وأشتغال الجند المنصور عن مواقف الجهاد بالتردد إليه بالإمضاء؛ فليكن مستحضرا
 لهذه المسائل ليبتّ الحكم في وقته، ويُسارع السيف المُصلت في ذلك الموقف بتهته؛
 وليعلم أن العسكر المنصور هم في ذلك الموطن أهل الشهادة، وفيهم من يكون جرحه
 تعديلا له وزيادة؛ فليقبل منهم من لا تخفى عليه سيبا القبول، ولا يردّ منهم من
 لا يضره أن يردّه هو وهو عند الله مقبول؛ وليجعل له مستقرا معروفا في المعسكر يقصد
 فيه إذا نصبت الخيام، وموضعا يمشى فيه ليقتضى فيه وهو سائر وأشهر ما كان
 على يمين الأعلام؛ وليلزم ذلك طول سفره وفي مُدد المقام، ولا يخالفه ليهم على
 ذوى الحوائج فما هو بالصالحية بمصر ولا بالعادية بالشام، وليتخذ معه كتابا تكتب
 للناس وإلا فمن أين يوجد مركز الشهود، وليسجل لذي الحق بحقه وإلا فما آتت
 باب الجحود؛ وتقوى الله هي التي بها تُنصر الجنود، وما لم تكن أعلى ما يكون على
 أعلام الحرب والا فما الحاجة إلى نشر البنود.

الوظيفة الثانية

(إفتاء دار العدل)

وموضوعها الجلوس بدار العدل حيث يجاس السلطان لفصل الحكومات،
 والإفتاء فيما لعله يطرأ من الأحكام بدار العدل. وهي وظيفة جليّة، لصاحبها
 مجلس بدار العدل يجلسه مع القضاة الأربعة ومن في معانهم.

وهذه نسخة توقيع لمن لقبه «جمال الدين» ينسج على منوالها، وهي:

الحمد لله جاعل العلم للدين جمالا، وللدنيا عصمة وثمّالا، ولأسباب النجاة
 والنجاح شارة إذا تحلّى بها ذو التمييز كان أحسن ذوى المراتب حالا، وأجلّهم

في الدارين مبدءاً ومآلاً ، وأحقهم برتبة التفضيل التي ضربت لها السنة المطهرة
فضل البدر على الكواكب مثلاً .

نحمده على نعمه التي خصت دار عدلنا الشريف من العلماء بأكفائها ، وأصطفت
لما قرب من مجلسنا المعظم من دل على أن التأيد قرين اصطفاها .

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة يفتر عن شنب الصواب ،
تغرها ، ويتفتح عن فصل الخطاب ، زهرها ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
المخصوص بحكم التنزيل ، المنصوص في الصحف المنزلة على ذكر أمته الذين
علمواهم كأنبيا بنى إسرائيل ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هم كالنجوم
المشرقة ، من اقتدى بهم آتدى ، وكالرجوم المحرقة ، من آتدى وجد منها شهابا
رصدا ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى ما أردنا له من رياض العلم من سما فيه فرعه ، ورحب بتلقى أنواع
العلوم ذرعه ، وبسقت في فنون الفضائل أفنائه ، ونسقت فرائد الفوائد في سلك
الطروس بنائه - فتيها دار عدلنا الشريف التي أحكامنا لها تابعه ، وأغصان العدل
بثمار فتاويها مورقة يانعه ، وأعيننا إلى أفواه مفتيها رامقة وأذنانا لمقالاتهم سامعه .

ولما كان فلان هو ثمره هذا الارتياح ، ونجبة هذا الانتقاد ، المعقود عليه في اختيار
العلماء بالخصر ، والعريق في أصالة العلوم بأصالة ثابتة الأواصر ، والذي إذا أجب
تدفقت أنواء الفوائد ، وتألفت أضواء الفرائد ، وأتخذت مسائل فقهاء قواعده
تترتب الأحكام الشرعية عليها ومصادر وحيه موارد - اقتضت آراؤنا الشريفة
أن نزين بهجة هذه الوظيفة بجماله ، وننزه إشراقها بنور فضائله التي لو قابلها بدر الأفق
نازعت حلة كماله .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت أحكامه مع أوامر الشرع الشريف
واقفه ، ومعديته الشريفة باقتفاء آثار الحق لمُشْتَكَاة الظلم كاشفه - أن يفوض
إليه كذا : فليباشر هذه الوظيفة السنينة مفجراً يبايع العلوم في أرجائها ، محققاً
للفتاوى بتسهيل مواردها وتقريب أوحائها ؛ موضحاً طرقها بإقامة براهينه وأدلته ،
مبدياً دقائقها التي يُشْرِقُ بها أفقُ الفكر إشراق السماء بنجومها والأفقُ بأهلته ؛ مظهرها
من غوامضها ما يُقَرِّبُ على الأفهام مناله ، ويُفَسِّحُ لحياد القرائح مجاله ، وينقح
لكل ذى تروويته ولكل مرتجل بديته وأرتجاله ؛ فإنه الكامل الذى قطع
إلى بلوغ الغاية مسالك اللبالي ، والإمام الذى غاص فكره من كل بحر بلجج المعاني
فاستخرج منها مكنون الآلى ؛ مع أن علمه المهذب غنى عن تنبيه الوصايا ،
ملي بما يلزم هذه الوظيفة من الخصاص والمزايا ؛ فإن البحر يأبى إلا تدفقاً ،
والبدر إلا تألقاً ؛ والله تعالى يزيد من فضله ، ويزين به أفق العلم ويزيد منادئها
قرب محله .

الوظيفة الثالثة

(الحسبة)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث على أرباب المعاش والصنائع ، والأخذ على يد
الخارج عن طريق الصلاح فى معيشته وصناعته . وحاضرة الديار المصرية تشتمل
على حسبتين :

(١) الأولى - حسبة القاهرة : وهى أعلاهما قدراً ، وأخفهما رتبة ؛ ولصاحبها
مجلس بدار العدل مع القضاة الأربعة وقضاة العسكر ومفتى دار العدل وغيرهم . وهو
يتحدث فى الوجه البحرى من الديار المصرية فى ولاية النواب وعزلهم .

(١) أى والثانية حسبة الفسطاط التى سيأتى لها توقيع بعد صفحات

قلت : ولم تزل الحسبة تُؤتى للتعميمين وأرباب الأقاليم إلى الدولة المؤيدية شيخ ،
فولّاهم للأمر سيف الدين منكل بغا الفقيه أمير حاجب مضافة إلى الجُويّة . على
أنّ في سِجِّلات الفاطميين ما يشهد لها في الزمن المتقدم . وربما أُسندت حِسبةُ
القاهرة إلى والى القاهرة ، وحِسبةُ مصر إلى والى مصر .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهى :

الحمد لله مجدد عوائد الإحسان ، ومجرى أولياء دولتنا القاهرة ، فى أيامنا الزاهرة ،
على ما ألقوه من الرتب الحسان ، ومضاعف نعمنا على من آجتى لنا بحسن سيرته
الدعاء الصالح من كل لسان .

نحمده على نعمه التى لا تُحصى بعدها ، ولا تُحصَر بحدّها ، ولا تُستردُّ بغير شكر الآءِ
المنعم وحمدها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُقيمها فى كلِّ حُكم ، وتحاولُ
سيوفنا جاحديها فتنهض فتنتطق بالجمعة عليهم وهم بكم ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
أشرف من أئمة العدل والإحسان ، وأعدل أمم أمته بالوزن بالقسط وأن لا يُخسروا
الميزان ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أحسبوا فى سبيل الله جلّ عتادهم ،
وأحتسبوا أنفسهم فى مقاطعة أهل الكُفر وجهادهم ؛ فلا تُنتهب جنائبها فى الوجود ،
وتسرى نجائبها فى التهايم والنجود ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنّ أولى من دعاه إحساننا لرفع قدره ، وإنارة بدره ؛ وإعلاء رُتبته ،
وإدناء منزلته ؛ وإعلام مُحاص الأولياء بمضاعفة الإحسان إليه أن الله لا يُضيع أجر
من أحسن عملا ، وأنّ كرمنا لا يُحيب لمن أسلف سوابق طاعته فى أيامنا الشريفة
أملا ؛ من لم تزل خدمته السابقة إلى الله مقربّه ، وعن طرق الهوى منكبه ، وباللّهِ

مَدَّكَرَهُ، وَعَلَى الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ مَوْفَرَهُ؛ مَعَ مَا أَضَافَهُ إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرٍ
بِمَعْرُوفٍ، وَإِغَاثَةِ مَلْهُوفٍ؛ وَنَهْيٍ عَنِ مَنَكِرٍ، وَأَحْتِسَابٍ فِي الْحَقِّ أَتَى فِيهِ بِكُلِّ مَا تُنْمَدُ
خِلَافَتُهُ وَتُشْكِرُ، وَأَجْتِنَابٍ لِأَعْرَاضِ الدُّنْيَا الدِّينِيَّةِ، وَأَجْتِهَادٍ لِمَا يُرِضِي اللَّهَ وَيَرْضِينَا
مِنْ أَتْبَاعِ سِيرَتِنَا السَّرِيَّةِ؛ وَشِدَّةٍ فِي الْحَقِّ حَتَّى يُقَالَ بِهِ وَيُقَامَ، وَرِفْقٍ بِالْخَلْقِ
إِلَّا فِي يَدِّعِ تُنْتَهَكَ بِهَا حَرْمَةُ الْإِسْلَامِ، أَوْ غَشَّ إِنْ لَمْ يُحْصَ ضَرَرُهُ الْخَاصَّ فَإِنَّ ذَلِكَ
يَعْمُ الْعَامَ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أَخْتَصَّ مِنْ خِدْمَتِنَا، بِمَا رَفَعَهُ لَدَيْنَا، وَأَسْلَفَ مِنْ
طَاعَتِنَا، مَا اقْتَضَى تَقْرِيْبَهُ مِنَّا وَاسْتِدْعَاؤَهُ إِلَيْنَا، وَنَهَضَ فِيهَا عَدَقْنَاهُ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ
الرِّعَايَا وَكَانَ مَشْكُورَ الْمَسَاعِي فِي كُلِّ مَا عَرِضَ مِنْ أَعْمَالِهِ فِي ذَلِكَ عَلَيْنَا - اقْتَضَى رَأْيُنَا
الشَّرِيفِ أَنْ يَفْوُضَ إِلَيْهِ كَذَا، فَلَيْسَتْ تَقَرَّرُ فِي ذَلِكَ مَجْتَهِدًا فِي كُلِّ مَا يُعْمُ الْبَرَايَا نَفْعُهُ،
وَيُجْمَلُ لَدَيْهِمْ وَقَعَهُ؛ وَيَمْنَعُ مِنْ يَتَعَرَّضُ بِالْيَسَارِ، إِلَى مَا لَمْ يَبْغِرْ حَقَّ، أَوْ يَضِيقَ
بِالْإِحْتِكَارِ، عَلَى ضَعْفَائِهِمْ مَا بَسَطَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ رِزْقٍ؛ وَيَذُبُّ عَنْهُمْ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ شُبَهَ
تَعْطِيلِهَا، وَيَعْرِفُهُمْ بِالمَحَافِظَةِ عَلَى الْحَقِّ فِي الْمَعَامَلَاتِ قَوَاعِدَ تَحْرِيْمِهَا وَتَحْلِيلِهَا؛ وَيُرِيهِمْ
بِالْإِنْصَافِ مَنَارَ الْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ، وَيُؤَدَّبُ مِنْ يَجِدُ فِيهِمْ مِنْ
الْمُطَفِّفِينَ: (الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)
وَيَأْمُرُ أَهْلَ الْأَسْوَاقِ بِإِقَامَةِ الْجَمَاعَاتِ وَالْجَمْعِ، وَيُقَابِلُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ بِالتَّأْدِيبِ
الَّذِي يَرْدَعُ مِنْ أَصْرَفِيَّةٍ عَلَى الْخَالَفَةِ وَيَزَعُ؛ وَيُلْزِمُ ذَوِي الْهَيْئَاتِ بِالصِّيَانَةِ الَّتِي تُنَاسِبُ
مَنَاصِبَهُمْ، وَتُؤَافِقُ مَرَآتِيَهُمْ، وَتَنْتَرِهُ عَنِ الْأَدْنَسِ مَكَاسِبِهِمْ، وَتَصُونُ عَنِ الشَّوَابِ
شَاهِدَهُمْ وَغَائِبِهِمْ؛ وَلَا يَمَكِّنُ ذَوِي الْبِیُوعِ أَنْ يَغْبِنُوا ضُعَفَاءَ الرِّعَايَا وَأَغْيَاءَهُمْ،
وَلَا يُفْسِحَ لَهُمْ أَنْ يَرْفَعُوا عَلَى الْحَقِّ أَسْعَارَهُمْ وَيَخْسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ .

وليحمل كلاً منهم على المعاملات الصحيحة ، والعقود التي غدت لها الشريعة الشريفة مبيحة ، ويحنبهم العقود الفاسده ، والحيل التي تغر بتدليس السلع الكاسده ، وهو أخبر بالبيوع المنصوص على فسادها في الشرع الشريف ، وأدرى بما في عدم تحريرهم المكاييل والموازين من الإخسار والتطفيف ، فليفعل ذلك في كل ما يجب ، ويحتسب فيه ما يدخره عند الله ويحتسب ، ولتكن كلمته في ذلك مبسوطه ، ويد تصرفه في جميع ذلك حبيطة وبما يستند إليه من أوامره محوطة ، ولئوص نوابه بمثل ذلك ، ويوضح لهم بإنارة طريقتة كل حال حالك ، ويقدم تقوى الله على كل أمر ، ويتبع فيه رضا الله تعالى لارضاه زيد وعمرو ، والخط الشريف أعلاه .



وهذه نسخة توقيع من ذلك بحسبة الفسطاط المعبر عنه الآن بمصر عوداً إليها ، وهي :

الحمد لله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشاهد بالعدل الذي تقوى به كلمة الإيمان وتصر ، والغامر بالجوود الذي لا يحصى والفضل الذي لا يحصر، العامر ربوع ذوى البيوت بتقديم من أنعدت الخناصر على فضله الذي لا يجحد ولا ينكر .

نحمده على نعمه التي لا تزال السنة الأقلام ترقم لها في صحف الإنعام ذكراً ، وتجدد لها بإصابة مواقع الإحسان العام شكراً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدع بنورها ليل الشرك فيؤول جراً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي قمع الله به من أغتر بالمعاصي وغرر ، وأقام بشريعتة لواء الحق الأطهر ومنازل العدل الأطهر ، وعلى آله وصحبه

الذين سلكوا من الهداية بإرشاده مَنَهِجَ الحق الأَنُور ، وَأَحْتَبَسُوا نفوسهم في نُصرتِه ففازوا من رضاه بالحظ الأَوْفَى والنصيب الأَوْفَر .

وبعدُ، فإن الله تعالى لما جعل كلمتنا المبسوطة على العدل والإحسان مقصُوره ، وأوامرنا الشريفة بإقامة منار المعروف مؤيِّدةً منصُوره ، وأحكامنا المشهورة بالإينصاف في صحائف الدَّهر بالمحاسن مَسْطُوره ، وأهملنا من اتَّبَعَ الشرع الشريف ما غَدَّتْ به قلوبُ الرعايا أمانةً مسرُوره - قصدنا أن نختارَ لمراتب الدِّيانة والعَفَافِ مَنْ لم يزل بيته بالصِّدَارَةِ عَلياً ، ووصفه بأنواع الحماد والممدوح مَلياً .

ولما كان فلان هو الَّذِي ورثَ السِّيَادَةَ ، عن سَلَفِ طاهر ، وتلقَّى السَّعَادَةَ ، عن بَيْتِ فُروعِ التَّقْوَى فَأزْرَتْ بالروض الزَّاهِي الزَّاهِرُ ، وسرَتْ سرَّاءُهُ بحسن سيرته وسَيْرِهِ ، وأبطن من الدِّيانة ما أظهرته أدلَّةٌ خيره ، ونقَّلَ في المراتب الدِّينية فأرْبَى في حُسْنِ السلوك على غيره ؛ وسلك من الأمانة الطريق المثلَى ، وأَعْتَمَدَ ما عَدِمَ به مُضاهياً ومِثْلاً ؛ وجنى ما نطق بإِنْصافه فَضَّلَ البِكيلَ والمِيزانَ ، ورجاه من أهل الخير كلُّ ذى إحسان وخشية أهل الزَّيغِ والبُهْتانِ ؛ وكانت الحِسْبَةُ المباركة بمصر المحروسة قد أَلْفَتْ قضاياه وأحكامه ، وعرَفَتْ بالخبر معروفه وشكرت نقضه وإبرامه ؛ وفارَقَها على رَعْمِها منه آخِياراً ، وعادتْ له خاطبةً عَقِيلَةً نَزَاهتِه التي لا تُجَارَى .

فلذلك رَسِمَ بالأمر الشريف العالى أن يفوض إليه كذا . فليَقَدِّم خيرة الله في مباشرة هذه الوظيفة ، وليَقِمْ منارها بإقامة حدودها الشريفه ؛ وليُنظِرْ في البِكيلَ والمِيزانَ اللذين هما لسانُ الحق الناطق ، وليُنشِرْ لواءَ العَدْلِ الذى طالما خَفَقَتْ بُنُودُهُ في أيامنا حتى غدا قلبُ المجرم وهو خافق ؛ وليُحْسِنِ النظرَ في المطاعم

والمشارب ، وليردع أهل البدع ممن هو مستخف بالليل وسارب ؛ وفيه - بحمد الله تعالى - من حسن الأئمة ما يغني عن الإسهاب في الوصايا ، ويعين على السداد في نفاذ الأحكام وفصل القضايا ؛ وكيف لا وهو الحسير بما يأتي ويذر ، والصدر الذى لا يعدو الصواب إن ورد أو صدر ؛ والله تعالى يعمر به للعدل معلما ، ويكسوه بالإقبال فى أيامنا الشريفة ثوبا بالثواب معلما ، والخط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه .



وهذه وصية محتسب أوردتها فى "التعريف" وهى :

وقد ولى أمر هذه الرتبة ، ووكل بعينه النظر فى مصالح المسلمين لله حسبه ؛ فلينظر فى الدقيق والجليل ، والكثير والقليل ؛ وما يخصر بالمقادير وما لا يخصر ، وما يؤمر فيه بمعروف أو ينهى عن منكر ؛ وما يشتري ويبيع ، وما يقرب بتخيره إلى الجنة ويبعد من النار ولو لم يكن قد بقي بينه وبينها إلا قدر باع أو ذراع ؛ وكل ما يعمل من المعاش فى نهار أو ليل ، وما لا يعرف قدره إلا إذا نطق لسان الميزان أو تكلم فم الكيل . ويعمل لديه معدلا لكل عمل ، وعيارا إذا عرضت عليه المعايير يعرف من جار ومن عدل ؛ ولينفق أكثر هذه الأسباب ، ويحذر من الغش فإن الداء أكثره من الطعام أو الشراب ؛ وليتعرف الأسعار ويستعلم الأخبار ، فى كل سوق من غير إعلام لأهله ولا إشعار ، وليقيم عليهم من الأمانة من ينوب عنه فى النظر ، ويطمئن به وإن غاب إذا حضر ؛ ويأمره بإعلامه بما أعضل ، ومراجعتيه مهما أمكن فإن رأى مثله أفضل . ودار الضرب والتفود التى منها تنبت ، وقد يكون فيها من الزيف ما لا يظهر إلا بعد طول اللبث ؛ فليصد لمهماتهما بصدرة الذى لا يخرج ،

وليعرض منها على المحك من رأيه مالا يجوز عليه بهرج ؛ وما يعلق من الذهب
المكسور ويروبص من الفضة ويخرج ، وما أكلت النار كل لحامه أو بعضه فيقيم
عليه من جهته الرقباء ، وليقيم على شميس ذهبه من يرقب منه ما ترقب من الشمس
الحرباء ؛ وليقيم الضمان على العطارين والطرقية من يبع غرائب العقاقير إلا ممن
لا يستراب فيه وهو معروف ، وبخط متطبب ماهر لمريض معين في دواء موصوف .
والطرقية وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى ساسان ، ومن يأخذ أموال
الرجال بالحيلة ويأكلهم باللسان ، وكل إنسان سوء من هذا القليل هو في الحقيقة
شيطان لا إنسان ؛ امنعهم كل المنع ، وأصدعهم مثل الزجاج حتى لا يجبر لهم
صدع ، وضب عليهم النكال وإلا فما يجدي في تأديبهم ذات التأديب والصفع ؛
وأحسم كل هذه المواد الخبيثة ، وأقطع ما يجدد ضعفاء الناس من هذه الأسباب
الرثيثة ؛ ومن وجدته قد غش مسلما ، أو أكل بباطل درهما ؛ أو أخبر مشترايا
بزائد ، أو خرج عن معهود العوائد ؛ أشهره في البلد ، وأركب تلك الآلة قفاه حتى
يضعف منه الجسد ؛ وغير هؤلاء من فقهاء المكاتب وعالمات النساء وغيرهما من
الأنواع ممن يخاف من ذنبه العائث في سرب الأطباء والجاذر ، ومن يقدم على ذلك
ومثله وما يجادر ، أرشقهم بسهامك ، وزلز أقدامهم بإقدامك ؛ ولا تدع منهم
إلا من آخبرت أمانته ، وآخرت صيانتته . والنواب لا ترص منهم إلا من يحسن
نفاذا ، ويحسب لك أجر استنابته إذا قيل لك من استنبت فقلت هذا ؛ وتقوى
الله هي نعم المسالك ، وما لك في كل ما ذكرناه بل أكثره إلا إذا عملت فيه
بمذهب مالك .

الوظيفة الرابعة

(وَكَالَةُ بَيْتِ الْمَالِ)

وهى وظيفة عظيمة الشأن رفيعة المقدار ، وقد تقدم أن موضوعها التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترواته ^(١) : من أرض وأدر وغير ذلك مما يجرى هذا الجرى ، وأن متوليها لا يكون إلا من أهل العلم والديانة ، وأن له مجلساً بدار العدل : تارة يكون دون مجلس المحتسب ، وتارة فوق مجلسه ، بحسب رتبة قدر كل منهما فى نفسه . وقد أضيف إليها فى المباشرة نظر كسوة الكعبة الشريفة وصاروا كالوظيفة الواحدة .

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال :

الحمد لله جامع المناصب الدينية ، لمن خطبته لها ربتان : العلم والعمل ، ومكمل الرتب السنينة ، لمن وجدت فيه أهبتان : الورع والتقوى وعدمت منه خلتان : الحرص والأمل ؛ جاعل اختصاص الرتب بكفائها حلية الدول ، والنظر فى مصالحها الخاصة والعامّة زينة أيامنا التى نتلفت إلى محاسنها أجياد الأيام الأول .

نحمده على نعمه التى عصمت آراءنا من اعتراض الخلل ، وأمضت أوامرنا من مصالح الأمة بما تسرى به المحامد سريّ النجوم ويسير به الشكر سير المثل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لم نزل نستنطق بها فى الجهاد ، السنة الأسل ، ونوقظ لإقامتها عيون جلاذ ، لها الغمود جفون والسهم أهداب والسيوف مقل ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أظهر الله دينه على الأديان وشرف ملته على الملل ، وأسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى سدره

(١) جرى على اللغة العامية والافصواب العربية مشترياته بالياء .

المنتهى وعاد ولم يكمل الليل بين السَّير والقفل ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هَجَرُوا في المهاجر إليه الأحياء والحلل ، وشفَّوا بأسنة سنته العِلل والغُلل ، وتفردوا بكلم المفاخر فإذا خلعت الأقلام على أوصافهم حلَّلا غدت منها في أبي من الحلل ، صلاة تتوالى بالعشى والإبكار وتتواتر في الإشراق والطفل ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى الرتب بإنعام النظر في آرتياد أكَفائها ، وانتقاد فرائد الأعيان لها وانتقائها ، وأستخارة الله تعالى في اختيار من يكون أمر دينه هو المهيم المقدم لديه ، وأستنارة التوفيق في اصطفاء من يكون مهم آخرته هو المرئي المصور بين عينيه ؛ مع ما أتصف به من محاسن سبجياً جُبلت عليها طباعه ، وخصَّ به من سوابق مزايا رَحَبَ بها في تلقى المصالح الدينية صدره وباعه ، رتبتان يُعم نفعهما ويخصَّ ، ويحسن وقعهما بما يبيديه من أوصافه ويقصَّ ؛ ويتعلق كلُّ منهما بجماعة الأمة فرداً فرداً ، ويشتملان على منافعهم على اختلافها بدأً وإعادةً وعكسا وطرداً ؛ ويكون المتصدى لها مناقشاً على حقوقهم وهم ساهون ، ومفتشاً عن مصالحهم وهم عنها لاهون ؛ ومناضلاً عنهم وهم غافلون ، ومشمراً للسعي في مصالحهم وهم في حبر الدعة رافلون ، ومتكلفاً لأستماع الدعوى عنهم جوب فلوات الجواب ، ومتكفلاً بالتحري في المحاورة عنهم وإصابة شاكلة الصواب ، ومؤدياً في نصحتهم جهده تقرُّبا إلى مرأضينا وله عندنا الرضا وأبتغاء ثواب الله : (والله عنده حسن الثواب) وهما وكالة بيت المال المعمور والحسبة الشريفة بالقاهرة المحروسة : فإن منافع وكالة بيت مال المسلمين عائدة عليهم ، آئلة بأحكام الشريعة المطهرة إليهم ؛ راجعة إلى ما يعمهم مساره ، معدة لما تُدفع به عنهم من حيث لا يشعرون مضاره ؛ صائنة حقوقهم من تعدي الأيدي الغاصبه ، حافظة بيوت أموالهم من اعتراض الآمال

العاملة الناصبه ؛ وكذلك نظر الحسبة : فإنه من أخص مصالح الخلق وأعمها ،
 وأكد الوظائف العامة وأكملها استقصائية للصالح الدينية والدنيوية وأتمها ، يحفظ
 على ذوى الهيئات أقدارهم ، ويبين بتجنب الهنات فى الصدر مقدارهم ، ويصون
 بتوقى الشبهات إيرادهم وإصدارهم ؛ وينزه معاملاتهم عن فساد يعارضها ، أو شبهة
 تنافى كمال الصحة وتناقضها ، ويحفظ أقواتهم من غش متلف ، أو غلو مجحف ؛
 إلى غير ذلك من أدوية لا بد من الوقوف على صحة ترتيبها وتركيبتها ، وتتبع الأقوال
 التى تجرى بها الثقة إلى غاية تجريبها ؛ ولذلك لا تُجمعان إلا لمن أوقفه علمه على جادة
 العمل ، واقتصر به ورعه على مادة الحق فليس له فى التعرض إلى غيره أمل ؛
 وسمت به أوصافه إلى معالم الأمور فوجد التقي أفضل ما يرتقى ، وعرضت عليه
 أدواته جوهر الذخائر فوجد العمل الصالح أكمل ما ينتقد منها وما يلتقى ؛ وتحلى
 بالأمانة ، فصارت له خلقا وسجية ، وأنس بالنزاهة ، فكانت له فى سائر الأحوال للنجاة
 نجيته ؛ وأرته فضائله الحق حيث هو فتمسك بأسبابه ، وتثبت بأهدائه ، وأنصف
 به فى سائر أحواله فإن أخذ أخذ بحكمه وإن أعطى أعطى به ؛ واحترز لدينه
 فهو به ضنين ، وأستوثق لأمانته وإن لم يكن فيها بحمد الله متهما ولا عليها بظنين ،
 وأجتنب ثمار المحامد الحلوة من كيام الأمانة المره ، وعلم أن رضا الله تعالى فى الوقوف
 مع الحق فوقف معه فى كل ماساءه للخلق وسره .

ولما كان فلان هو الذى أمسكت الفضائل بما كملها من آداب نفسه ونفاسه
 آدابه ، وتجاوزته الرتب للتحلى بمكانته فلم تكن هذه الرتبة بأحق به من مجالس العلم
 ولا أولى به ؛ وشهدت له فضائله معنى بما شهدت له به الأئمة الأعلام لفظا ،
 ونوهت بذكره العلوم الدينية التى أتقنها بحثا وأكملها دراية وأثبتها حفظا ؛ فأوصائه
 كالأعلام المشتقة من طباعه ، الدالة بدوامها على انحصار سبب الاستحقاق فيه

وأجتماعه ؛ المنبهة على أنه هو المقصود بهذه الإشارات التي وراءها كل ما يجمد من
أضطلاحه بقواعد هذه الرتب وأطلاعه ؛ فهو سرُّ ما ذكر من نعوت وأوصاف ،
ومعنى ما شهر من معدلة وإنصاف ، ورُقُومٌ ما حبر من حُلل أبيضت منه على أجمل
أعطاف - رُسم ^(١) أن يفوض ^(١) تفويضاً يقع به الأمر في أحسن
مواقعه ، ونضع به الحكم في أحمد مواضعه ؛ ويحلُّ من أجياد هذه المناصب محلَّ
الفرائد من القلائد ، ويقع من رياض هذه المراتب وقوع الحيا الذي سَعِد به
رأى الرائد .

فليباشر هاتين الوظيفتين مُرهفاً في مصالحتها همةً غير همة ، مجتهداً من قواعدهما ^(٢)
فيا تبرأ به عند الله منّا ومنه الذمّه ، محاققا على حقوق بيت المال حيث كانت
محاqqة من يعلم أنه مطلوبٌ بذلك من جميع الأمم ؛ متحرّياً للحق فلا يغدو لما يجب
له مُهملاً ، ولا لما يجب عليه مُمطلاً ، واقفاً مع حكم الله تعالى الجليّ في الأخذ
والعطاء فإنه سيان من ترك حقاً أو أخذ باطلاً ؛ مجرّياً عوائد الحسبة على ما ألف من
تدييره ، وعُرف من إتقانه وتحريره ، وشهر من أعتاده للواجب في سائر أمورهِ ؛
مكتفياً بما أطلع عليه قديماً من مصالحتها ، منتهياً إلى ما سبقت معرفته به من
أسبابها ومناجحتها ؛ والله تعالى يوققه في اجتهاده ، ويُعينه على ما يدخره لمعادهِ ،
إن شاء الله تعالى .



وهذه وصيةٌ ويكل بيت المال أوردتها في "التعريف" :

وهو الوكيل في جميع حقوق المسلمين وماله معهم إلا حق رجلٍ واحد ، والمكلف
بالخاصة عنهم حتى يُقرّ الجاحد ؛ وهو القائم للدعوى لهم وعليهم ، والمطلوب من الله

(١) بياض في الموضوعين والغرض منه الاختصار والمبيض له مفهوم مما تقدّم مراراً . (٢) أى غير ضعيفه .

ومناً بما يُؤخذ لهم أو يُؤخذ من يديهم ؛ والمعدّ لتصحيح العقود ، وترجيح جهة بيت المال فى العقار المبيع والتمن المنقود ؛ والمتكلم بكتاب الوكالة الشرعية الثابتة ، والثابت القدم والأقدام غير ثابتة ؛ والمفسوح المجال فى مجالس الحكام ، والمجادل بلسان الحق فى الأحكام ؛ والموقوفة كل دعوى لم تُسمع فى وجهه أو فى وجه من أذن له فى سماعها ، والمرجوع إليه فى إماتة كل مخاصمة حصل الضجر من طول نزاعها ؛ وإبداء الدوافع ، ما لم يجد بدا من الإشهاد عليه بعدم الدافع ، والانتهاى إلى الحق كان له أو عليه ولا يقف عند تثقيل مثقل ولا شفاعاة شافع ، وبوقوفه تُحدد الحدود [وتمتحن الشهود] ويمشى على الطرق المستقيمة ، وتُحفظ لأصحابها الحقوق القديمة ؛ وبه يتم عقد كل بيع وإيجار إذا كانت المصلحة فيها لعامة المسلمين ظاهره ، ولهم فيما يوكل عنهم فيه الحظ والغبطة بحسب الأوقات الحاضره .

ونحن نُوصيه فى ذلك كله بالعمل بما علم ، والانتهاى فى مقتضى قولنا إلى ما فهم ؛ وتقديم تقوى الله فإنه متى قدمها بين يديه سلم ، والوقوف مع رضا الله تعالى فإنه متى وقف معه غم ؛ والعمل بالشرع الشريف كيفما توجهت به أحكامه ، والحدّر من الوقوف فى طريقه إذا نفذت سهامه ؛ ومن مات وله ورثة معروفة تستكمل بحققها ميراثه ، وتحوز بحظها ثرائه ؛ لا يكلفهم ثبوتاً يكون من باب العنت ، والمدافعة بحق لا يحتاج [مستحقه]^(١) إلى زيادة ثبت ؛ وإنما أنت ومن كانت قضيتته منكروه ، والمعروف من مستحق ميراثه نكروه ؛ فأولئك شدد فى أمرهم ، وأوط شهادتهم فى الاستفسار منهم على جمرهم ؛ وتنع باطن الحال لعله عنك لا يتستر ، ولا يمشى عليك فيه الباطل ويمشى شاهد الزور بكيمه ويتختر ؛ فإن تحققت صحة شهاداتهم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٣٢ .

وإلا فأشهرهم في الدنيا ودعهم في الآخرة لا يُخفف عنهم العذاب ولا يفتّر؛ وكل ما يُباع أو يُؤجر أرجع فيه إلى العوائد، وتقلد أمر الصغير، وجدد لك أمرا منا في الكبير، وذلك بعد مراعاة ما تجب مراعاته، والتأني كل التأني حتى يثبت ما ينبغي إثباته؛ وشهود القيمة عليهم المدار، وبشهادتهم يُقدر المقدار؛ وما لم يكونوا من ذوى الأقدار، ومن أهل الخبرة بالبر والحدار، ومن أشتري العقار وأستغله وبني الدار؛ وإلا فاعلم أن مثله لا يرجع إليه، ولا يعول ولا سميّا في حق بيت المال عليه؛ فاتفق^(١) مع ولاة الأمور من أهل الأحكام، على تعيين من تعين لتقليد مثل هذه الشهادة، وتعرف منهم من له كل الخبرة حتى تعرف أنه من أهل الزهادة؛ ولك أن تدعى بحق المسلمين حيث شئت ممن ترى أن حقه عنده يترجح، وأن بيتهم تكون عنده أوضح؛ فأما الدعوى عليك فمن عاداتها أن لا تُسمع إلا في مجلس الحكم العزيز الشافعي - أجله الله تعالى - ونحن لانغير العوائد، ولا ننقض ما بنت الدول السالفة عليه القواعد؛ فليكن في ذلك المجلس سماعها إذا تعينت، وإقامة البيئات عليها إذا تيننت؛ والله الله في حق بيت المال، ثم الله الله في الوقت الحاضر والمآل؛ ومن تستينبهم عنك بالأعمال لا تقرّ منهم إلا من تقرّ به عينك، ويوقّ به عند الله لا بما تحصله من الدنيا دينك؛ ومن كان عمله مصلحا، ولأمّله منجحا، لا تغبرّ عليه فيما هو فيه، ودعه حتى يتبين لك خافيه؛ ولتستقص في كل وقت عنهم الأخبار، ولتستعلم حقائق ما هم عليه بمن تستصحبه من الأخيار، ولا تزال منهم على يقين، وعمل بما فيه خلاص دنيا ودين.

(١) كذا في التعريف أيضا والمراد أن المقومين يشترط فيهم أن يكونوا بتلك الصفات والا فلا يؤخذ

بتقويمهم ولا يعول على كلامهم.

الوظيفة الخامسة

(الخطابة)

وهى من أجل الوظائف وأعلىها رتبةً فى نفس الأمر . وموضوعها معروف .
وتختص هذه الطبقة من التواقيع بخطابة الجوامع .

وهذه نسخة توقيع بخطابة الجامع بقلعة الجبل المحروسة ، حيث مُصلى السلطان ،
من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

الحمد لله الذى أنار بالذِّكر قلوب أوليائه ، وكشف بالذِّكرى بصائر أصفِيائه ،
وأنال أهل العلم بالإبلاغ عنه إلى خلقه وراثته أنبيائه ، وأختار لإذكارنا بالآلاء الله
من فرسان المنابر من يُجاهد الأعداء بدعائه ، ويُجاهر الأوداء من مواعظه بما يعلم
كل منهم أن فى مؤلم صَوادعه دواء دائه ، فإذا أفتتح بحمد الله أنبى عليه بمواد علمه
حق ثنائه ، ونزهه بما ينبغى لسُبُحات وجهه وجلالِ قُدسه وتقدُّس أسمائه ، وأثنى
كما يجب على نبيه صلى الله عليه وسلم الذى آدم ومن بعده من الرسل تحت لوائه ،
وإذا تليت على خيل الله خطبته تشوقت بقاء أعداء الله إلى لقاءه ، وخطبت الحنان
من بذل نفوسها ونفائسها بما أقتته فى سبيل الله لا تقائه .

نحمده على أن جعلنا لذكره مستمعين ، ولأمره ونهيه متبعين ، وعلى حمده فى كل
ملا من الأولياء مجتمعين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال تختال بذكرها أعطاف
المنابر ، وتتطرأ لِسنة الأقلام بما تنقله منها عن أفواه المحابر ؛ ونشهد أن محمداً
عبده ورسوله الذى هدى الله من تقدم من الأمة بحُبره ومن تأخر بحُبره ، وجعل
روضة من رياض الجنة بين قبره ومببره ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين هم

أول من عُقدت بهم من الجمع صلواتها، وأكرم من زُهِيت به من الجهاد والمنابر
صهواتها؛ صلاة لا تزال تُقيمها عند كل مسجد، وتُديمها في كل مُتهم في الآفاق
ومُنجد، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى المنابر أن يُتادَ له من أئمة العلماء علامةُ عصره، ورحلةُ مضره؛
وإمامُ وقته الذي يصدع بالحق وإن صدع، وعالمُ زمانه الذي يقوم في كل مقام
بما يناسبه مما يأخذ في الموعظة الحسنة وما يدع، منبرٌ نذركر بالآلاء الله على أعباده
وإن لم تنزل لها من الدّاكرين، وتنبه فيه على شكر الله بالرافة على خلقه وإن لم نبرح
لها بذلك وغيره من الشاكرين، وتُسوّق عليه إلى الجهاد في سبيل الله بما أعد الله لنا
على ذلك من النصر والأجر وإن كُنّا على الأبد إليه مُبادرين، وإلى إقامة دعوة
الحق به مُباكرين .

ولما كان فلان هو الذي تعين لرقى هذه الرتبة فخطب خطابتها، وتبين أنه
كفوها الذي تتشوّق النفوس إلى مواعظه فتربُّ في إطالته لإطالته - اقتضت
أراؤنا الشريفة أن نحلى بفضائله أعطاف هذا المنبر الكريم، وأن نختص نحن وأوليانا
بسماع مواعظه التي تُرغب فيما عند الله بجهاد أعداء الله (والله عنده أجر عظيم) .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُطلع في أفق المنابر من الأولياء شمساً
مُنيره، ويُقيم شعائر الدين من الأئمة الأعلام بكلّ مُشرق العلانية طاهر السريه -
أن يفوض إليه كذا: فليحل هذه الرتبة التي لم تُقرب لغيره جيادها، ويحل هذه
العقيلة التي لا تُزان بسوى العلم والعمل أجيادها، ويرق هذه الهضبة التي يطول
إلا على مثله صعودها، ويلق تلك العصبية التي تجتمع للأولياء به (؟) حشودها. وهو
يعلم أنه في موقف الإبلاغ عن الله لعباده، والإعلام بما أعد الله في دار كرامته لمن

جاهد في الله حق جهاده ، والإندار لمن قصر في إعداد الأهبة ليوم معاده ؛ وهو
 محض من حماة الإسلام ، ومشهد من قلدناه أمر أمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة
 والسلام ؛ فليقصر خطبه على طاعة الله يحض عليها ، وعزيمة في سبيل الله يشوق
 إليها ، ومعدلة يصف ما أعد الله لولاة أمر قدمتها بين يديها ؛ وتوبة بيعت الهيم ، على
 تعجيلها ، وأوقات مكرمة ينبه الأمم ، على احترامها بتقوى الله وتبجيلها ؛ ودنيا ينذر من
 خداعها ، ويبيِّن للغيرتها ما عرف من خلائقها المذمومة وألف من طباعها ؛ وأخرى
 يوضح للعرض عنها وشك قُدومها ، ويحذر المقصر في طلابها من عذابها ويبشر المشمر
 لها بتعيمها . وليعلم أن الموعدة إذا خرجت من الألسنة لم تعد الأسماع ، ولم
 يحصل منها على غير تعقل القرائن والأشجاع ؛ وإذا خرجت من القلوب وقعت
 في مثلها ، وأثمرت في الحال بالمحافظة على فرض الطاعة ونفليها ؛ وسكنت في السرائر
 طباع طاعة تآبى على محاوئ نفلها ، وقدحت في البصائر من أنواع المعرفة ما لم يعهد
 من قبلها . وليجعل خطبه في كل وقت مناسبة لأحوال مستمعها ، متناسبة
 في وضوح المقاصد بين إدراك من يعي غوامض الكلام ومن لا يعيها ؛ نخير الكلام
 ما قل ودل ، وإذا كان قصر خطبة الرجل وطول صلاته منبئين عن فقهه فما قصر
 من حافظ على ذلك ولا أخل ؛ وليوشح خطبه من الدعاء لنا وللمسلمين بما يرجو
 أن يوافق ساعة الإجابة ، وإذا توخى الغرض بدعائه لعموم الأمة فقد تعينت
 - إن شاء الله - الإصابه ؛ وهذه الوصايا على سبيل الذكرى التي تنفع المؤمنين ،
 وترفع المحسنين ، والله تعالى يجعله - وقد فعل - من أوليائه المتقين ؛ بمنه وكرمه ! ،
 إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية خطيب أوردتها في "التعريف" :

وليرق هذه الرتبة التي رُفِعَتْ له ذُرا أعوادِها ، وقُدِّمَتْ له من المنابر مُقَرَّبَاتُ جِياذِها ؛ وليصعد منها على أعلى درجته ، وليسعد منها بصهوة كأنما كانت له من بكرة يومه المُشْرِقِ مُسْرَجِه ؛ وليرع حق هذه الرتبة الشريفه ، والذروة التي ما أعدت إلا لإمامٍ فردٍ مثله أو خليفه ؛ وليقف حيث تحفُّق على رأسه الأعلام ، ويتكلم فتخرس الألسنة وتُحْفُّ في فم الذرأ الأعلام ، وليقرع المسامع بالوعد والوعيد ، ويُذكّر بأيام الله من (كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد) .
وليكن القلوب القاسية وإن كان منها ما هو أشد قسوة من الحجارة والحديد ؛ وليكن قد قدم لنفسه قبل أن يتقدم ، وليسبل عليه درع التوبة قبل أن يتكلم ، وليجعل لكل مقام مقالا يقوم به على رءوس الأشهاد ، ويفوق منه سهما لا يخطئ موقعه كل فؤاد ؛ وليقم في المحراب مقام من يخشى ربه ، ويخاف أن يخطف الوجل قلبه ؛ وليعلم أن صدفة ذلك المحراب ما أنفلقت عن مثل دُرته المكنونه ، وصناديق الصدور ما أطبقت على مثل جوهرته المخزونه ؛ وليؤم بذلك الجم الغفير ، وليتقدم بين أيديهم فإنه السفير ؛ وليؤد هذه الفريضة التي هي من أعظم الأركان ، وأول الأعمال التي توضع في الميزان ، وأقرب القرب التي يجمع إليها داعي كل أذان ؛ وليقم بالصلاة في أوقاتها ، وليرخ بها الناس في أول ميقاتها ؛ وليخفف مع الإتمام ، وليتحمل عمن وراءه فإنه هو الإمام ؛ وعليه بالتقوى في عقد كل نية ، وأمام كل قضية ؛ والله تعالى يجعله ممن ينقلب إلى أهله وهو مسرور ، وينصب له مع الأئمة المُسْطَين يوم القيامة عن يمين الرحمن مناير من نور ؛ بمنه وكرمه .

الوظيفة السادسة

(الإمامة بالجوامع ، والمساجد ، والمدارس الجكار التى تصدر التولية
عن السلطان فى مثلها)

وهذه نسخة توقيع بالإمامة :

أما بعد حمد الله على نعمه التى جعلت أيماننا الشريفة تزيد أهل الفضائل إكراما ،
وتخص بالسيادة والتقديم من أنساه الله تعالى قرة أعين وجعله للتقين إماما ، وقدمه
على أهل الطاعة الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما .

والشهادة له بالوحدانية التى تكسو محاصها جلالا وساما ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد الذى أم الناس وعلمهم الصلاة وأظهر فى إقامة الدين مقالا مجودا
ومقاما ، وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بسنته توثقا واعتصاما - فإن خير الرتب
فى هذا العصر وفيما تقدم ، رتبة الإمامة حيث تقدم سيد البشر فى محرابها على الأمة
وأم ؛ فاخترها من أتبع الطريق المحمدية وشرعها ، وعلم سناءها ورفعها ؛ فزاد بذلك
سُموا إلى سموه ، وحصل على تضاعف الأجر ومُموه ؛ وهو فلان .

رسم - لازلت أيامه الشريفة تشمل ذوى الأصالة والصدارة بجزيل فضيلها ،
وعوائد إنعامه تجرى بإتمام المعروف فتبقى الرتب الدينية بيد مستحقها وتسارع
إلى تخليد النعم عند أهلها - أن يستمر فلان فى كذا جاريا فيه على أجمال العادات ،
إعانة له على اكتساب الأجور بما يعتمده من تأهيل معهد العبادات ؛ ورعاية
لتكثير المبتاز ، وترجيحا لما أشتمل عليه من حسن النظر فى كل إيراد وإصدار ،
وتوفيرا للمناجح التى عرفت من بيته الذى كم ألف منه فعل جميل وعمل باز ، ووثوقا

بأنه يعتَمِد في عمارة مساجد الله سبحانه وتعالى أنه تشهد به الملائكة المتعاقبون بالليل والنهار، والله تعالى يجعل النعم عنده مؤبدة الأستقرار؛ إن شاء الله تعالى .

الوظيفة السابعة

(التدريس ، وموضوعه إلقاء المسائل العلمية للطلبة)

وهذه نسخة توقيع بتدريس كتب به للقاضي عز الدين ابن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، عوضاً عن والده ، في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعائة ، وهي :

الحمد لله متم فضله على كل أحد ، ومقر النعمة على كل والد وولد ؛ الذي خص أوليائنا ببلوغ الغايات في أقرب المدد ، وأستصحاب المعروف فما ينزع منهم خاتم من يد إلا ليد .

نحمده بأفضل ما يحمده به من حمد ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة باقية على الأبد ؛ ونصلي على سيدنا محمد نبيه الذي جعل شريعته واضحة الجدد ، قائمة بأعلام العلماء قيام الأمد ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين شبههم في الهدى بالنجوم وهم مثلها في كثرة العدد ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن نعمنا الشريفة لا تتحول ، ومواهبنا الجزيلة ... (١) ... تتحول ، وكرمنا يمهّد منازل السعود لكل بدر يتنقل ؛ وشيئنا الشريفة ترعى الدّم لكل من أنفق عمره في ولائها ، وتحفظ ماها من المآثر القديمة بإبقائها في نجباء أبنائها ؛ مع ما نلاحظه في أستحقاق التقديم ، وانتخاب من ترقى منهم بين العلم والتعليم ؛ وحصل

(١) بياض بالأصل ولعله لا ترال لأوليائنا نتحول . وفي اللسان "التحول التعهد وحسن الرعاية" .

فى الزمن القليل العلم الكثير، واستمد من نور والده وهو البدر المنير، وعلم بأنه فى الفضائل سر أبيه الذى شاع، وخليفته الذى لو لم ينص عليه لما انعقد [إلا] عليه الإجماع، والواحد الذى ساد فى رتبة ابيه وما خلت من مثله - لا أخلى الله منه البقاع ! .

وكان المجلس السامى، القضائى، الفلانى، هو المراد بما قدمنا من صفاته الجميله، وتوسمنا أنه لمعة البدر وهى لا تخفى لأنها لا ترد العيون كليله؛ ورأى والده المشار إليه من استحقاقه ما اقتضى أن يتوه بذكره، وينبئه على المعرفة بحق قدره، فأثر التزول له عما باسمه من تدريس الزاوية بجامع مصر المحروسة ليقيم مقامه؛ ويقرر فوائده وينشر أعلامه، ويعلم أنه قد حلق فى العلياء حتى لحق البدر وبلغ تمامه؛ فعلمنا أن البركة فيما أشار، وأن الأيمن بحمد الله فيما رجحه من الاختيار .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - زاد الله فى شرفه، وجعل أقطار الأرض فى تصرفه - أن يرتب فى هذا التدريس عوضاً عن والده، أطال الله بقاءه على عادته وقاعدته إلى آخر وقتٍ لأنه أحق من استحق قدره الرفيع التميز، وأولى بمصر ممن سواه لما عرفت به مصر من العزيز ثم من عبد العزيز .

ونحن نوصيك أيها العالم - وفقك الله - بالمداومة على ما أنت بصدده، والمذاكرة للعلم فإنك لا تكاثر العلماء إلا بمدده؛ والعمل بتقوى الله تعالى فى كل قصد وتصدير، وتقريب وتقرير؛ وتأثيل وتأثير، وتقليل وتكثير؛ ونص وتأويل، وترتيب وترتيب؛ وفى كل ما ترداد به رفعتك، وتطير به سمعتك؛ ويحسن به الشناء على دينك المتين، ويقوم به الدليل على ما وضع من فضلك المبين .

وَأَعْلَمَ بِأَنَّكَ قَدْ أَدْرَكْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِكْرَمَانَا وَبِأَيْبِكَ وَبِاسْتِحْقَاقِكَ مَا أَرْتَدُّ
 بِهِ كَثِيرٌ عَنْ مَقَامِكَ ، وَوَصَلْتَ فِي الْبِدَايَةِ إِلَى الْمَشِيخَةِ فِي زَاوِيَةِ إِمَامِكَ ؛ فَاعْمَلْ
 فِي إِفَادَةِ الطَّلَبَةِ بِمَا يَرْفَعُ الرَّافِعِيُّ لَكَ بِهِ الرَّايَةَ ، وَيَأْتُمُّ بِكَ إِمَامَ الْحَرَمَيْنِ فِي النَّهَايَةِ ؛ فَقَدْ
 أَمْسَيْتَ جَارَ الْبَحْرِ فَاسْتَخْرِجْ جَمَانَهُ ، وَاجْتَهِدْ لِتُصِيبَ فِي فِتَاوَيْكَ فَإِنَّ أَوْلِيكَ سِهَامَ
 رَمِيهَا مِنْ كِنَانِهِ ؛ وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِمَقْتَضَاهُ وَالْإِعْتِمَادُ ^(١) .



وهذه نسخة توقيع بتدريس زاوية الشافعي بالجامع العتيق أيضا ، من إنشاء
 المولى زين الدين بن الخضر موقّع الدست ، كُتِبَ بِهِ لِنَاجِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْإِخْنَائِيِّ شَاهِدِ
 نِزَانَةِ الْخِصَامِ ، بِالنِّيَابَةِ عَنْ عَمِّهِ قَاضِي الْقِضَاةِ تَقِيِّ الدِّينِ الْمَالِكِيِّ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ ،
 مُسْتَقْبَلًا بَعْدَ وَفَاتِهِ ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنْ زَانَ مَجَالِسَ الْمَدَارِسِ فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ بِتَاجِهَا ، وَأَقْرَبَهَا
 مِنْ ذَوِي الْإِنَابَةِ مِنْ يَسْتَحِقُّ النِّيَابَةَ عَنْ تَقِيِّ قَوَى الْأَحْكَامِ بِإِحْكَامِهَا وَإِتْجَاهِهَا ،
 وَرَفَعَ قَدْرَ بَيْتِ مَبَارِكِ طَالِمَا أَشْتَهَرَ عِلْمُ عِلْمِهِ وَصَدَرَ عَنْ صَدْرِهِ فَكَانَ مَادَّةَ مَسْرَةِ
 النَّفْسِ وَأَبْتِهَاجِهَا ، وَجَعَلَ عَوَارِفَنَا تَرْعَى الدُّرِّيَّةَ الصَّالِحَةَ فِي عَقِبِهَا وَتُوَلَّى كُلَّ رُتْبَةٍ
 مَنْ أَوْضَحَى لِأَهْلِهَا بَوَاجِهَتِهِ مُوَاجِهَا ؛ وَالشَّهَادَةَ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ الَّتِي تَنْفِي شِرْكَ الطَّائِفَةِ
 الْكَافِرَةِ وَمَعْلُولِ أَحْتِجَاجِهَا ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي اسْتَقَامَتْ بِهِ أُمُورُ
 هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ أَعْوَجَاجِهَا ، وَتَشَرَّفَتْ بِهِ عِلْمًا وَهِيَ حَتَّى صَارَتْ كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 بِحُسْنِ اسْتِنْبَاطِهَا لِلْجَمَلِ وَجَمِيلِ اسْتِخْرَاجِهَا ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَلِمُوا وَعَمِلُوا
 وَأَوْضَحُوا لِهَذِهِ الْمِلَّةِ قَوِيمَ مَنِهَاجِهَا - فَإِنَّ أَوْلَى الْأَوْلِيَاءِ بِلُغْوِ الْأَمَلِ ، وَتَعَاهُدِ

(١) أى الى آخر ما يقال في مثله .

مدارس العلم بصالح العمل ؛ وإظهار سرّ الفوائد للطالبيين ، وحلّ عقود مُشكّلها
بجميل الأطلاع وحسن اليقين ، من حوى معرفة الفروع والأصول ، وحاز من
مذهبه المذهب خير محصّل ؛ ونشأ في حجر الفضائل ، وأقتدى بحكام بيته الذين لهم
في العلوم بمصر والشام أوضح البراهين وأقوى الدلائل ؛ وله في الآباء والأبوة ،
الديانة التي بلغ بها من الإقبال مرجوه ؛ طالما سارت أحكام عمه - أجله الله -
في الأقطار، وحكم فأبدى الحكم بين أيدينا أوفى الأمصار، وله العفاف والتقى والمآثر
الجميلة وجميل الآثار ؛ والفتاوى التي أوضح بها مشكلا ، وفتح مقفلا ، والفصل بين
الخصوم بالحق المجتلى ؛ والبركة التي لدولتنا الشريفة منها نصيب وافر ، والتصميم
الذي أقترن بغزارة العلم والوقار الظاهر ؛ فهو - أعز الله أحكامه - من العلماء
العاملين ، وله البشري بما قاله أصدق القائلين ؛ في النبيا الذي تتم به الزيادة والنماء :
(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) .

ولما كان المجلس السامى هو الذى أستوجب التصدير لإلقاء الدروس ، وأضحى
مالكيا مالكا أزمة الفضائل حائرا من أثوابها أنخر ملبوس ؛ وله بخزانة خاصنا
الشريف وإصطبلاته السعيدة الشهادة البيّنه ، والكثابة التي هي العز الحاضر
فلا يحتاج معها إلى إقامة بيّنه ، والكفالة التي نطقت بها الأفواه مسرة ومعلنه ،
والأمانة التي حدّا فيها حدو أبيه وأتبع سننه .

فلذلك رسم - لا زال يُديم النعم لأهلها ، ويُبقى المراتب الدينية لمن أضحى محلّه
مناسبا لمحلّها ، أن يستقر فلينب عن عمه في هذا التدريس ،
وليَقِف ما يسر النفوس من أثره النفيس ؛ وليُقَد الطلبة على عادته ، وليبسد لهم من

(١) بياض بالأصل ومراده في تدريس زاوية الشافعى الخ .

التقول ما يظهر غزير مادته ؛ وليستنبط المسائل ، وليجب بالأدلة المسائل ؛ وليبرح المباحث ، وليكن لوالده - رحمه الله - أحق وارث ؛ وليستقل بهذه الوظيفة المباركة بعد وفاة عمه أبقاه الله تعالى ، وليتزيد من العلوم ليبلغ من صدقاتنا الشريفة آمالاً ، والله تعالى يسدده له بالتقوى أقوالاً وأفعالاً ؛ بمنه وكرمه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية المجاورة لتربة الإمام الشافعي رضي الله عنه ، كتب به لقاضي القضاة تقي الدين ، ابن قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز . من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ، وهي :

الحمد لله شافعي عي البحت بخير إمام شافعي ، والآتي منه في الزمن الأخير بمن لو كان في الصدر الأول لأثنى على ورعه ودينه كل صحابي وتابعي ، ومفيد الأسماع من وجيز قوله المحرر ما لولا السبق ما عدل إلى شرح وجيز سواه الرافي .

نحمده على نعم ألهمت وضع الأشياء في محلها ، وأستبداعها عند أهلها ، وتأتيها بما يزيل الإشكال بانجذاب من شكله مناسب لشكلها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يترين بها المقال ، ويتين بها الحق من الضلال ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه موصح الطرق إلى الحق المبين ، وناهجها إلى حيث مجتمع الهدى ومرتبغ الدين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تهدي إلى صراط الذين ، ورضى الله عن أصحابه الذين منهم من جاء بالصدق وصدق به فقوى سبب الدين المتين ، ومنهم من فرق بين الحق والباطل وكان إمام المتقين وسمى أمير المؤمنين ، ومنهم من جهز جيش العسرة فثبت جأش المسلمين ،

ومنهم من أعطاه صلى الله عليه وسلم الراية فأخذها منه باليمين ، ورضى الله عن بقية الصحابة أجمعين .

وبعد ، فلما كان مذهب الإمام الشافعى «محمد بن إدريس» رضى الله عنه هو شهدة المتلفظ ، وكفاية المتحفظ ، وبهجة المتلحظ ، وطراز ملبس الهدى ، وميدان الاجتهاد الذى لا تقف أعنة جواده عن إدراك المدى ؛ وقد تجملت ديار مصر من بركة صاحبه بمن تُسَدُّ إليه الرِّحال ، وتفخر جبانة هو فيها حال ، وجيد هو بجواهر علومه حال ؛ ومن يحسن إلى ضريحه المنيّف الأسناد ، وإذا قرئت كتبه لديه قيل ما أبعد هذا المرعى الأسنى ! وما أقرب هذا الإسناد ! وما أسعد حلقة تُجمع بين يدي جدته يتصدّر فيها أجل خبر ، ويتصدّى لنشر العلوم بها من عرف بحسن السيرة عند السبر ، ومن لولا خرق العوائد لأجاب بالشكر والثناء عليه صاحب ذلك القبر كما قال : «قال صاحب هذا القبر» - حسن بهذه المناسبة أن لا ينتصب في هذا المنصب إلا من يحمّد هذا السيد الإمام جواره ، ومن يرضيه منه - رضى الله عنه - حسن العبارة ، ومن يستحق أن يتصدّر بين نجوم العلماء بدارة تلك الخطة فيقال قد جمل الله به دارة هذا البدر وعمر به من هذا المدرّس داره ؛ الذى يفتقر إلى تنويل نعمه ، وتنويه قلمه ، من الأئمة كل غنى ؛ ويعجب ببلاغة خطبه ، وصياغة كتبه ، من يحتلى ومن يحتنى ؛ ومن يهنا المستفيدون من عدوثة ألفاظه وصفاء معانيه بالمورد الهني ، ومن إذا سحّ سخابه الهطال اعترف له بالهمم والهمول المزني ؛ والذى لسعد جدّه من أبيه ليث أكرم به من ليث وأكرم ببنيه من أشبال ! ، وأعزز به من فاتح أبواب إشكالاتٍ عجّز عن فتحها القفال ! ؛ ومن إذا قال سكت الناس ، ومن إذا قام قعد كل ذى شماس ، وإذا أخذ بالنص ذهب الأقياس ، وإذا قاس قيل هذا بحر المذهب المشار إليه بالأصابع فى مِصره جلالته ولا يُنكر لبحر المِصر الإشارة

بالأصابع ولا القياس؛ ومن يزهُو بتقّ قلبه ورقّ جوابه لسان التعويل ولسان التعويد، كما يميس بإحاطته وحياطته قلم الفتوى وقلم التنفيذ، ومن يفخر [به] كلُّ عالم مفيد إذا قال: أنا بين يديه طالب وأنا له تلميذ؛ ومن حينئذٍ التفتت وجدت له سُودداً جمّاً، وكيفما نظرت رأيت له من هنا وزارةً، ومن هنا خطابةً، ومن هنا مشيخةً، ومن هنا تدريساً، ومن هنا حُكماً!!!؛ فهو الأصل ومن سواه فروع، وهم الأئمّة وهو الينبوع؛ وهو مجموع السيادة، المختار منه الإفاده، فما أحسنه من اختيار وما أتمّه من مجموع، وكان قاضي القضاة، سيّد العلماء، رئيس الأصحاب، مقتدى الفرق، قُدوة الطوائف، الصاحب تقّ الدين «عبد الرحمن» ولد الصاحب قاضي القضاة تاج الدين بن [بنت] الأعزّ أدام الله شرفه، ورحم سلفه، هو منتهى رغبة الراغب، ومُشْتَهَى منية الطالب؛ ومن إذا أضاعت ليالي النُقوس بأقمار فتاويه قيل (بياض العطايا في سواد المطالب)، ومن تتفق الآراء على أنه ليس الكهولة شيخ المذاهب؛ ومن عليه يحسن الاتفاق، وبه يجمل الوفاق، وإذا ولي هذا المنصب أبتهج بولايته إياه مالك في المدينة وأبو حنيفة وأحمد رضي الله عنهم في العراق؛ وأهترت به وبجاورة فوائده من ضريح إمامه جوانب ذلك القبر طرباً، وقالت «الأم» لقد أبهجت - رحم الله سلفك - بجدك وإبائك جدّاً وأباً، ولقد استحققت أن يقول لك منصب سلفك رضي الله عنهم: أهلاً وسهلاً ومرحباً، وهذه نسيات صباً، كانت الإفاده هنالك تعرفها منك من الصبا.

فالحمد لله على أن أعطى قوس ذلك المحراب بارياً، وخصّ بشقّ سهامها من لا يزال سعده مبارياً، وجمّل مطلع تلك السماء بيدركم باتت [عليه] الدرر تحسّد درارياً، وألهم حسن الاختيار أن يجري القلم بما يحسن بالتوقيع الشريف موقعه، ويجمّل في أثناء الطروس وضعه وموضعه.

فُرِسِمَ بالأمر الشريف العالى المولوى ، السلطانى : - أجراه الله بالصواب ،
وكشف بارتبائه كل آرتياب ، ولا زال يختار وينتقى للنصاب الدينية كل عالم
بأحكام السنة والكتاب - أن يفوض إليه تدريس المدرسة الصلاحية الناصرية
المجاورة لضريح الإمام الشافعى بالقرافة رضى الله عنه . فليخول ولينول كل
ذى استفاده ، وليجمل منه بذلك العقد الثمين من علماء الدين بأنعم واسطة تفخر بها
تلك القلادة ، وليذكر من الدروس ما يبيح الأسماع ، ويرضى الإلتجاع ، ويجاد به
الإنتفاع ، ويحتلبه من أخلاف الفوائد ارتضاء الارتضاع ، ويتناقل الرواة
فوائده إلى علماء كل أفق من البقاع ، وليقل فإن الأسماع لفوائده منصته ،
والأصوات لمباحته خاشعة والقلوب لمهابته محبته ، ولينهض قوى المسائل بما
يحصل لها أعظم انتعاش ، وليمت ما أماته إمامه من البدع فيقال به له : هذا محمد
أبن إدريس مدقمت أنت عاش ، وليسمع بعلمه من به من الجهل صم ، وليستنطق
من به من الفهاهة بكم ، وليحقق عند الناس بتعبه لهذا الإمام أنه قد قام بالتبويه
به الآن الحاكم أبن الحاكم كما قام به فيما سلف بنوع عبد الحكيم .

وأما غير ذلك من الوصايا فهو بحمد الله صاحب إلهامها ، وجالب أقسامها ،
وجهينة أخبارها ، ومطلع أنوارها ، فلا يعاد ، عليه ما منه يستفاد ، ولا ينثر عليه دُر
هو منظمه في الأجياد ، والله تعالى يعمر بسيادته معالم الدين وأكافه ، ويزين بفضله
المتين أوساط كل مصر وأطرافه ، ويضيف إليه من المستفيدين من بإرفاقه
وإشفاقه يكون عيشه خفضا بتلك الإضافة ، ويجعله لا يخصص حنوه بمعهد دون
معهد ولا بمسافة دون مسافة ، ويثقيه ومنفعته إلى سارية سارية الإطافة واللطافة ،
وأطافه بهذه الولاية تقول لكل طالب في القرافة الق رافه .

قلت : ولما تُوفِّي قاضي القضاة بدر الدين بن أبي البقاء - تغمده الله تعالى برحمته - وكان من جملة وظائفه تدريس هذه المدرسة ، كان السلطان قد سافر إلى الشام في بعض الحركات ، فسافر أبوه أفضى القضاة جلال الدين حتى أدرك السلطان بالطريق ، على القرب من غزّة ، فولاه الوظيفة المذكورة مكان أبيه ، وكان القاضي نور الدين بن هلال الدولة الدمشقيّ حاضرًا هناك ، فأشار إليه القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر الشريف - عامله الله بلطفه الخفيّ - بإنشاء صدر لتوقيعه ، يسطر به للعلامة الشريفة السلطانية ، فأنشأ له سجعيتين ، هما :

الحمد لله الذي أظهر جلال العلماء الشافعية بحضرة إمامهم ، وأقام سادات الأبناء مقام آباءهم في بث علومهم وصلاتهم وصيامهم . ولم يجاوز ذلك إلى غيره ، فسُطر التوقيع بهاتين السجعتين ، وعلم عليه العلامة السلطانية .

وكان من قول نور الدين بن هلال الدولة للقاضي جلال الدين المذكور : إنَّ هذا التوقيع يبقُ أبيض : فإنه ليس بالديار المصرية من ينهض بتكلمته على هذا الأسلوب . فسمع القاضي كاتب السر كلامه ، فكتب لي بتكلمته على ظهره ، وعاد به القاضي جلال الدين فأعطانيه ، وأخبرني بكلام ابن هلال الدولة وما كان من قوله ، فتدكأت عن ذلك ، ثم لم أجِدُ بداً من إكمالهِ وإن لم أكن من فرسان هذا الميدان ، فأنشأت له على تينك السجعتين ما أكلته به ، بخاء منه تلو السجعتين السابقتين اللتين أنشأهما ابن هلال الدولة :

وخصّ برياسة العلم أهل بيتٍ رأَتْ كهولهم في اليقظة ما يمتنّ شيوخ العلماء أن لو رأوه في منامهم .

وجاء من وسطه :

أقتضى حُسنُ الرأى الشريف أن نُتَوَّهَ بذكره، وتقدّمه على غيره ممن رام هذا
المقام فحُجِبَ دُونَهُ (واللهُ غالبٌ على أمرِهِ) .

وجاء فى آخره :

والله تعالى يرقِّيه إلى أرفع الذُرا، وهذه الرتبة وإن كانت بِدأيتِهِ فهى نِهايَةُ غيره
(وإنَّا لنرجو فوق ذلكَ مَظْهراً) .

وقد أعوزنى وَجَدانُ النسخة عند إرادة إثباتها فى هذا التاليف لضَياعِ مُسودَّتِها
ولم يحضرنى منها غيرُ ما ذكرته . وفيما تقدّم من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر
من توقيع القاضى تقى الدين ابن بنت الأعرز مالا ينظر مع وجوده إلى غيره .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية بمصر، المختصّة بالملكية،
المعروفة بالقمحية، بمصر المحروسة، أنشأته لقاضى القضاة جمال الدين الأقفهسى، وهى :
الحمد لله الذى زين معالم المدارس من أعلام العلماء بِجَآلِها، وميز مراتب الحكمة
بإجراء سوابق الأفكار فى ميادين الدروس وفسيح مجآلها، وعمّر معاهد العلم بأجل
عالم إذا ذُكرت وقائع المناظرة كان رأس فُرسانها ورئس رجالها، وناط مقاصد
صَلاح الدين بأكل حَبْرٍ إذا أُورِدَتْ مناقبه الماثورة تمسك أهلُ الدِّيانة منها بوثيق
جِبالها .

نحمده على اختيار الجوهر والإعراض عن العَرَضِ ، والتوفيق لإدراك المرآى
وإصابة العَرَضِ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى خصَّ أهل العلم بكريمِ حَبَّائِهِ ،
وشرف مقامهم فى الخليقة فجعلهم فى حَمْلِ الشريعة ورثة أنبيائه ؛ شهادة تُعَذِبُ
لقائلها بحسن الإيراد وردا ، ويُجَدِّد لمتحليها بمواطن الذكر عهدا فيتخذها عند
الرحمن عهدا ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفضل نبيِّ علم وعلم ، وأكرم
رسولٍ فصل الأحكام إذ شرع ونَدب وأوجب وحلَّ وحرم ؛ صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الذين عنوا بتفسير كتاب الله تعالى فأدرُّكوا دقيق معانيه ، وأهتموا
بالحديث روايةً ودرايةً ففازوا بتأسيسِ فقه الدين وإقامة مبانيه ؛ صلاةٌ تُحِيطُ من
بحار العلم بزائريها ، وتأخذ من الدروس بطرفيها فتقارنُ الحمد فى أولها وتصحَّب
الدعاء فى آخرها ؛ ما تُتَّبَعُ بالمنقول مواقع الأثر ، وعُوقِلَ فى المعقول على إجالته الفكر
وإجادة النظر ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما صرفت النفوس إليه هممها ، وأخلصت فيه نيتهَا وخلصت
من تبعاته ذمَّها ؛ وتبعَتْ فيه آثار من سلف من الملوك الكرام ، وأعارته كُلِّ نظريها
وقامت بواجبه حق القيام - أمر المدارس التى هى مسقط حجر الأشتغال بالعلم
ومستقر قاعدته ، وقُطِبَ فلك تطلابه ومُحِيط دائرته ؛ وميدان فُرسان المشايخ ومدار
رجالها ، وموردِ ظمأ الطلبة ومحط رحالها ؛ لاسيما المدارس الأيوبية التى أسس
على الخير بناؤها ، وكان عن صلاح الدين منشؤها فتألق برُقها وأستطار ضياؤها .

ومن أثبتتها وثيقه ، وأمثلها فى الترتيب طريقه ؛ المدرسة القمحية بالفسطاط
الآخذة من وجوه الخير بنطاقها ، والمخصوصُ بالسادة المالكية امتداد رواقها ؛
إن أُعْتَبِرَتْ رعاية المذاهب قالت : مالك وما مالك ، وإن عُحِلَّتْ حِسْبَةُ المدارس
فى البر ، كانت لها فدالك ؛ قد رُتِبَ بها أربعة دُروس فكانت لها كالأركان الأربعة ،
وجعلت صدقتها الجارية بُرا فكانت أعظم برا وأعم منفعه .

ولما كان المجلس العالى، القاضوى، الشيخى، الكبيرى، العالمى، العالمى، الأفضلى، الاكلى، الأوحدى، البلىغى، الفرىدى، المفىدى، النجىدى، القدوى، المحجى، المحققى، الإمامى، الجمالى: جمال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء العاملين، أوجد الفضلاء المفيدىن، قدوة البلغاء زين الأمة، أوجد الأمم، رحة الطالبين، نحر المدرسين، مقي الفرق لسان المتكلمين، حجة المناظرين، خالصة الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، أبو محمد « عبد الله الأقفهسى » المالكى - ضاعف الله تعالى نعمته - هو عين أعيان الزمان، والحديث بفضله فى الآفاق وليس الخبر كالعيان، ماولى منصباً من المناصب إلا كان له أهلاً، ولا أراد الانصراف من مجلس علم إلا قال له مهلاً، ولا رمى إلى غاية إلا أدركها، ولا أحاط به منقطة طلبة إلا هزها بدقيق نظره للبحث وحررها، إن أطال فى مجلسه أظاب، وإن أوجز قصر محاوره عن الإطالة وأتاب، وإن أورد سؤالاً عجز مناوئه عن جوابه، أوفتح باباً فى المناظرة أجم مناظره عن سد بابيه، وإن ألم ببحث أربى فيه وأناف، وإن أفتى بحكم آندفع عنه المعارض وأرتفع فيه الخلاف، فنوادره المدونة فيها البيان والتحصيل، ومقدماته المبسوطة لإجمالها يغنى عن التفصيل، ومشارفه النيرة لا يأفل طالعها، ومداركة الحسنه لا يسأم سامعها، وتهذيبه المهذب جامع الأمهات، وجواهره الثمينه لا تقاوم فى القيمة ولا تضاهى فى الصفات - أقتضى حسن رأى الشريف أن نتوه بذكره، ونقدمه على غيره، ممن حاول ذلك فامتنع عليه (والله غالب على أمره) .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى، المولى، السلطانى، الملكى، الناصرى، الزينى - لا زالت مقاصده الشريفه فى مذاهب السداد ذاهبه، ولا غراض الحق والاستحقاق صائبه - أن يستقر المجلس العالى المشار إليه فى تدريس المدرسه

الصَّلاحِيَّة بِمصر المحروسة المعروفة بِالقَمَحِيَّةِ عِوَضًا عن فلان الفلاني ، على عادة مَنْ تَقَدَّمه .

فلينقَّ ذلك بِالقَبُول ، وَيَسْطُ في مجالس العلم لسانه فمن كَانَ بِمَثَابته في الفضل حَقَّ له أن يُقُول وَيَطُول ؛ وَمِلاكُ الأمر تقوى الله تعالى فهي خيرُ زاد ، والوصايا كثيرة وعنه تُؤخَذُ ومنه تُستفاد ؛ والله تعالى يبلِّغه من مقاصده الجميلة غاية الأمل ، ويرقيهِ من هِضاب المعالي إلى أعلى مراتب الكمال وقد فعَل ؛ والأعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجةً بمقتضاه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع أيضا بتدريس المدرسة الصلاحية المذكورة ، أنشأته للقاضي شمس الدين محمد بن المرحوم شهاب الدين أحمد الدفري المالكي ، في شعبان سنة خمس وثمانمائة ، وهو :

الحمد لله مُطَّلِع شمس الفضائل في سماء معاليها ، ومبلِّغ درارى الدرارى النبوية الذكر بسعادة الحد غاية غيرها في مبادئها ؛ وجاعل صلاح الدين أفضل قصيد فوقت العناية سهامها بإصابة غرضه في مرامها ، ومجدد معالم المدارس الدارسة بخير نظر يقضى بتشديد قواعدها وإحكام مبانيها .

نحمده على أن صرف إلى القيام بنشر العلم الشريف اهتمامنا ، وجعل بخيرته العائدة إلى التوفيق في حُسن الاختيار اعتصامنا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مفيض نتائج الأفكار من وافر إمداده ، ومخصص أهل التحقيق بدقيق النظر تخصيص العام بقصره على بعض أفراده ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أوفر البرية في الفضل سهما ، والقائل

تتويهاً بفضيلة العلم : « لا بُورِكَ لِي فِي صَيْدِحَةِ يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا » صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حُلُّوا مِنَ الْفَضْلِ جَوَاهِرَهُ الثَّمِينَةَ ، وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَّابِعِينَ الَّذِينَ ضُرِبَتْ آبَاطُ الْإِبِلِ مِنْهُمْ إِلَى عَالِمِ الْمَدِينَةِ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا صُرِفَتْ إِلَيْهِ الْهِمَمُ ، وَبَرِيَتْ بِتَأْدِيَةِ حَقِّهِ الذَّمُّ ، وَغَدَتِ النُّفُوسُ بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِ مَشْتَعِلَةً ، وَالْفِكْرُ لَشَرَفِ مَحَلِّهِ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مُنْتَقِلَةً ، النَّظَرُ فِي أَمْرِ الْمَدَارِسِ الَّتِي جُعِلَتْ لِلْإِسْتِغَالِ بِالْعِلْمِ سَبَبًا مُوَصُولًا ، وَلَطَابَتَهُ رَبْعًا لَا يَزَالُ يَجَالِسُ الذِّكْرَ مَا هُوَ لَا ، لِاسْمِ الْمَدَارِسِ الَّتِي قَدْ قَدِمَ فِي الْإِسْلَامِ عَهْدُهَا ، وَعَدِبَ بِاسْتِمْرَارِ الْمَعْرُوفِ عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَرُدُّهَا .

وَمَا كَانَتْ الْمَدْرَسَةُ الصَّلَاحِيَّةُ بِفُسْطَاطِ مِصْرَ الْمَحْرُوسَةِ قَدْ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى بُنْيَانَهَا ، وَمُهَّدَتْ عَلَى الْخَيْرِ قَوَاعِدُهَا وَأَرْكَانُهَا ، وَأَخْتَصَّتْ طَائِفَةُ الْمَالِكِيَّةِ مِنْهَا بِالْخِصِيصَةِ الَّتِي أَغْنَى عَنْ بَاطِنِ الْأَمْرِ عَنْوَانَهَا ، وَكَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ هُوَ الَّذِي خَطَبَتْهُ الرَّتَبُ الْجَلِيلَةُ لِنَفْسِهَا ، وَعَيْتَتْهُ لِهَذِهِ الْوُضُفِيَّةِ فُضَائِلُهُ الَّتِي قَدْ آتَى اللَّهُ الْحَمْدُ بَزُورِغِ شَمْسِهَا ، وَعَهْدَتْ مِنْهُ الْمَعَاهِدُ الْجَلِيلَةُ حَسْنَ النَّظَرِ فَنَاقَتْ فِي يَوْمِهَا إِلَى مَا أَلْفَتْ مِنْهُ فِي أَمْسِهَا - أَقْتَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نُفَرِّدَهُ بِهَذِهِ الْوُضُفِيَّةِ الَّتِي يَقُومُ إِفْرَادُهُ فِيهَا مَقَامَ الْجَمْعِ ، وَنَجْمَعُ لَهُ مِنْ طَرَفَيْهَا مَا يَتَّفِقُ عَلَى حُسْنِهِ الْبَصَرُ وَيَقْضِي بِطَيْبِ خَبَرِهِ السَّمْعُ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ، الْعَالِي ، الْمَوْلَوِيِّ ، السُّلْطَانِيِّ ، الْمَلِكِيِّ ، النَّاصِرِيِّ ، الزَّيْنِيِّ : - لَا زَالَ يُقِيمُ لِلدِّينِ شِعَارًا ، وَيُرْفَعُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ مِقْدَارًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ فِي الْوُضُفِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ لِمَا أَشْتَهَرَ مِنْ عِلْمِهِ وَدِيَانَتِهِ ، وَبَانَ مِنْ عَقَّتِهِ الْمَشْهُورَةِ وَزَاهَتِهِ ، وَاتَّصَفَ بِهِ مِنَ الْإِفَادَةِ ، وَعُرِفَ [عَنْهُ] مِنْ نَشْرِ الْعُلُومِ فِي الْإِبْدَاءِ

والإعادة ؛ وشاع من طريقته المعروفة في إيضاحه وبيانه ، وذاع من فوائده التي قدّمته على أبناء زمانه ، ورفّعتّه إلى هذه المرتبة باستحقاقه على أقرانه .

فليأشّر تدريسها مظهرًا من فوائده الجليلة ما هو في طيّ ضميره ، مضمرا من حسن بيانه ما يُستغنى بقليله عن كثيره ؛ مقربا إلى أذهان الطلبة بتهديب ألفاظه الرائقة ما يُفِيد ، مُوردا من علومه المدوّنة ما يجمع له بين نواذر المقدمات ومدارك التمهيد ؛ مُوقيا نظرها بحسن التدبير حقّ النظر ، موقرا رزقها بما يُصدّق الخبر فيه الخبر ؛ قاصداً بذلك وجه الله الذي لا يُخيّب لراج أملا ، معاملا فيه الله معاملة من يعلم أنه لا يُضيع أجر من أحسن عملا . وملاك الوصايا تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويخيلها في كل الأحوال أمامه ؛ والله تعالى يستدده في قوله وعمله ، ويبلغه من رضاه نهاية سؤله وغاية أمليه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بالتدريس بقبة الصالح ، أنشأته لقاضي القضاة جمال الدين «يوسف البساطي» بعد أن كُتب له بها مع قضاء القضاة المالكية ، في العشر الأخير من شعبان سنة أربع وثمانمائة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل للعلم جمالا تنهافت على دركه محاسن الفضائل ، وتوارد على ثبوت محامده المتواردة قواطع الدلائل ، وتُحقّق شواهد الحال من فضله ما يتلمح فيه من لوائح الخايل .

نحمده على نعمه التي ما استهلّت على ولى فأقلع عنه عمّامها ، ولا استقرت بيد صنيّ فانتزعت من يده حيث تصرف زمامها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُزهر بمعالم الدين غروسها ، وتينع بثمار الفوائد المتتابعة دروسها ؛

وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً ، وأوطم في دلو المرتبة مكاناً
وإن كان آخراً في الوجود عصراً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الحائزين بقربه
أنخر المناقب ، والفائزين من درجة الفضل بأرفع المراتب ؛ صلاة تكون لخلق الذكر
نظاماً ، ولأولها أفتاحاً ولآخرها ختاماً ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن من شيمنا الشريفه ، وسجايانا الزاكية المنيفه ؛ أنا إذا منحنا منحا
لا نستعيده ، وإذا أعطينا عطاءً لا ننقصه بل نزيده ؛ وإذا قربنا ولياً لا نقصيه ،
وإذا أنعمنا على صفيّ إنعاماً لا نعدّه عليه ولا نحصيه .

ولما كان تدرّيس المدرسة المالكية بقبة الصالح من أعلى دروسهم قدراً ،
وأرفعها لدى التحقيق ذكراً ، وأعظمها إذا ذكرت الدروس فخراً ؛ إذ مجال جداله
تفطر المرائر ، وبميدان مباحثه تشتهر البلق من مضمّرات الضائر ؛ ويسوق
مناظرته يميّز النصار عن الشبه ، ويحكّ مطارحته تبين الحقائق من الشبه ؛ وبمظان
مجلسه يعرف العالى والسافل ، وبمعرفة قرّسائه يعرف من المفضول والفاضل ؛ ومن
ثم لا يليه من علمائهم إلا الفحول ، ولا يتصدى لتدريسه إلا من أمسى بجسام
لسانه على الأقران يصول ؛ ولم يزل في جملة الوظائف المضافة لقضاء القضاة
في الأول والآخر ، تابعاً لمنصب الحكم في الولاية كلّ زمن إلا في القليل النادر ؛
وكان المجلس العالى ، القاضوى ، الكبيرى (إلى آخر ألقابه) أدام الله تعالى
نعمته قد أشمّلت ولايته عليه لابتداء الأمر استحقاقاً ، وحفظه كرمنا عليه فلم
يجد الغير إليه استطرافاً - أقتضى حسن الرأى الشريف أن نثبّع ذلك بولاية
ثانية تؤكّد حكم الولاية الأولى ، ونردفه بتوقيع يجمع له شرف القدمة والجمع
ولو بوجه أولى .

فذلك رُسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الناصرى ، الزينى - لا زال يعتمد في مشاهد الملوك أتم المصالح ، ويخص الصالح منهم بمزيد النظر حتى يقال ما أحسن نظر الناصر في مصالح الصالح ! - أن يستمر المجلس العالى المشار إليه على ما بيده من الولاية الشريفة بالتدريس بقبة الصالح المذكورة ، ومنع المعارض وإبطال ما كتب به وما سيكتب مادام ذلك في يده ، على أتم العوائد وأكملها ، وأحسن القواعد وأجملها .

فلتلق ما فوض إليه بكتنا يديه ، ويشكر إحساننا الشريف على هذه المنحة فإنها نعمة جديدة توجب مزيد الشكر عليه ، ولتصدر بهذا الدرس الذى لم تزل القلوب نتقطع على إدراكه حسرات ، ويتصد لإلقاء فوائده التى إذا سمعها السامع قال : هنا تسكب العبرات ، ويبرز لفرسان الطلبة من ... (١) ... صدره من كمينه ، ويفض على جد أولهم الحافظة ما سخ به فكره من ينابيع معينه ، مستخرجاً لهم من قاموس قريحته دُرر ذلك البحر الزاخر ، مظهرها من مكنون علمه ما لا يعلم لمدته أول ولا يدرك لمداه آخر ، وينفق من ذخائر فضله ما هو بإنفاقه ملي ، متفقدًا بفضل غنائه من هو عن فرائده المربحة غير غنى ، مقررًا للبحث تقريراً يزول معه الإلتباس ، مسنداً فروعه النامية إلى أثبت الأصول من الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، معتمداً لما عليه جادة مذهبه فى الترجيح ، جارياً على ما ذهب إليه جهابذة محققيه من التصحيح ، مقبلاً بطلاقة وجهه فى درسه على جماعته ، باذلاً فى استمالتهم طاقة جهده محسناً إليهم جهد طاقته ، صرياً لهم كما يربى الوالد الولد ، موفياً من حقوقهم [فى] التعليم ما يبقى له ذكره على الأبد ، مميماً ناشئهم بالتدريب الحسن تنمية الغروس ، جاهداً فى ترقيةهم بالتدريج حتى يؤهل من لم يكن تُظن فيه أهلية الطلب لأن يتصدى

(١) بياض بالأصل بقدر كمة .

للفَتَاوَى وإِلقاء الدُّروس ؛ سالكا من مناهج التقوى أحسن المسالك ، مُورِدا من
تحقيقات مذهبه ما إذا لمحَ اللامحُ لم يُشكَّ أنه لِرِمام المذهب مالِك ؛ والله تعالى
يُجْرِيه على ما أَلْفَه من مَوارد إنعامه ، ويمتَع [هذه الرتبة] السنيَّة : تارةً يجالس
دروسه وتارةً يجالس أحكامه ؛ والاعتقاد



وهذه نسخة توقيع بتدريس الحديث بالجامع الحاكِمى ، من إنشاء الشَّهاب
«محمود الحلبيّ» للشيخ قُطب الدين «عبد الكريم» وهى :

الحمدُ لله الذى أطلعَ فى أفقِ السنَّة الشريفة من أعلام علمائها قُطباً ، وأظهر
فى مطالعها من أعيان أئمتِّها نُجوما أضاءَ بهم الوجودُ شرفاً وغرباً ؛ وأقام لحفظها
من أئمة أعلامها أعلاماً أحسنوا عن سندها دفاعاً وأجملوا عن مُتونها ذباً ، وشرفَ بها
أهلها فكلمها بعدت راحلتهم فى طلبها أزدادوا من الله قُرباً ؛ وأختار لجمالها أماناً شغفت
محاسنهم قلوبَ أهل الفرق على اختلافها حباً ، وسلَكوا باتباعها سننَ السنن فأمِنوا
أن تُروِّع لهم الشُّبه سرباً ؛ وألهمنا من تعظيم هذه الطائفة ما مهَّد لهم فى ظل تقربنا
إليه مقاماً كريماً ومنزلاً رحباً ، وعصم آراءنا فى الارتياح له من الخلل فلا نختار
له إلا من تُسرُّ باختياره طلبه وتُغبط بتعيينه أئمةً ونُرضى بأرتياده رباً .

نحمده على نِعَمه التى صانت هذه الرتبة السنيَّة بأكفائها ، وزانت هذه المرتبة
الشريفة بمن لم تَمِل عينه فى تأثيل قواعدها إلى إغفائها ، وجعلت هذه الدرجة العلية
فلكا تُشرق فيه لأئمة الحديث أنوار علوم تفتى الدهور دون إطفائها .

ونشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُجادل عن سُنَّته الشريفة
بالسنة أسنَّته ، مجالِدٍ عن كلمتها العلية بقبض معاقِد سيوفه وإطلاق أعتته ، باعث

بالجهاد دعوتها إلى كل قلب كان عن قبولها في حجب أكتته . ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله الذي أوتي جوامع الكلم ، ولوامع السنة التي من اعتصم بها عصم ومن سلم
بها سلم ؛ فهي مع كتاب الله أصل شرعه القويم ، وحبل حكيه الذي لا يتمكن يد
الباطل من [حل] عقده النظيم ، وكنوز دينه التي لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ؛ صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عضوا على سنته بالنواجذ ، وذبوا عن شريعته بسيف
الجلاد القواطع وسهام الحدال النوافذ ؛ صلاة لا يزال يُقام فرضها ، ويملاؤها طول
البيسة وعرضها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما توجهت الهمم إلى ارتياد أئمتيه ، وتوفرت الدواعي على
التقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفويض مناصبه إلى البررة الكرام من
أئمتيه - علم الحديث النبوي صلوات الله وسلامه على قائله ، وحفظه بدروسه التي
جعلت أواخر زمنه في صحته ثقله ومعرفة أسراره كأوائله ؛ وأن نختار لذلك من نشأ
في طلبه حتى آكتهل ، وسرى في تحصيله سرى الأهلّة حتى آكتمل ؛ وغدّى بلبان
التبحر فيه حتى أمترج بأديمه ، وجدّ في تحصيله وأجهد حتى ساوى [في] الطلب بين
حديث عمره وقديمه ؛ وحفظ من متونه ، ما بمثله يستحق أن يدعى حافظا ، وغلب
على فنونه ، حتى قل أن يرى [بغير] علومه والنظر في أحكامه لافظا ؛ فإنه بعد كتاب
الله العزيز مادة هذا الدين الذي يحكم بنصوصه ، وتتفاوت رتب العلماء في حسن
العمل بمطلقه ومقيده وعمومه وخصوصه ؛ وعنهما تفرعت أحكام الملة فلائ
علومها جميع الآفاق ، وزكت أحكامها الشرعية على كثرة الإنفاق ؛ وسرى الناس منها
على المحجة التي آستوى في الإشراق ليها ونهارها ، وعلا على الملل بالبراهين القاطعة
نورها ومنارها ؛ وكفى أهلها شرفا أنهم يذبون عن سنة نبهم ذب اللبوث ، ويؤدون

(١) لم يتقدم ما يعطف عليه ولعل الأصل « فوجب أن نهتم به أجل اهتمام ، وأن نختار الخ » .

على الأسماع بما ينفع الناس في أمر دينهم ودنياهم منها جود الغيوث ، ويحافظون على ألفاظها محافظة من سمعها منه صلى الله وسلم عليه ، ويعظمون مجالس إيرادها وتقلها حتى كأنهم لحسن الأدب جلوس بين يديه ، ويُغالبون في العلو طلبا للقرب منه وذلك من أسنى المطالب ، ويرحلون لضم شوارده من الآفاق فيأقرب المشارق عندهم من المغارب ! .

ولما كان المجلس السامى الفلانى : هو الذى عني بكل ما ذكر من وصف كريم ، وحديث ورع قديم ، وقدم هجرة في علم الحديث اقتضت له حسن أولوية ووجوب تقديم ، وتلقى هذا العلم كما وصف عن أئمة حتى صار من أعيانهم ، ولقى منهم علماء أضحى باقتنائهم كما كانوا رحلة زمانهم ، ونظر في علومه فأتقنها فكانه ينطق فيها بلسان ابن الصلاح ، وأحرز غايات الكمال ، في أسماء الرجال ، فإلى أطلاعه يرجع في تجريح المجرح وتعديل الصحاح ، وكان منصب تدريس الحديث الشريف النبوى الذى أنشأناه بالجامع الحاكى تكثيراً لنشر أحاديث من لا ينطق عن الهوى ، ونويناه لأرتواء الرواة من بحر هذا العلم الشريف بالإعانة على ذلك وإتمام لكل أمرى ما نوى ، قد استغرقت أوقات مباشرة بتفويضنا الحكم العزيز على مذهبه إليه ، وتوفير زمانه على (١)

قلت : وتختلف أحوال التواقيع التى تكتب بالتدريس باختلاف موضوعاتها : من تدريس التفسير ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والنحو ، وغير ذلك ، فى براعة الاستهلال والوصايا ، وهو فى الوصايا أكد .

(١) ترك هنا بيضا للبقية ولله لم يكفه اتكالا على ما هو معروف ومشهور فى مثله .

وهذه نُسخ وصايا أوردتها في التعريف :

وصية مدرّس - وليطَّلَع في محرابه كالبدر وحوْلُهُ هَالَةٌ تَلِكُ الحَلَقَةَ ،^(١)
وقد وَتَ أهدابُ ذلك السوادِ منه أعظمَ أسوداداً من الحدقة ؛ وليرقَّ سَجَادَتَهُ التي
هي لبنة جواده إذا آسَنَ الحدال في المضمار ، وليخف [أضواء] أولئك العلماء الذين
هم كالنجوم كما تتضاءل الكواكب في مطالع الأقدار ؛ وليبرز لهم من وراء المحراب
كمينه ، وليفرض على جداولهم الحفاة مَعِينَهُ ؛ وليقدِّف لهم من جنبات ما بين جنبيه
دُرر ذلك البحر العجاج ، وليبرِّهم من غرر جواده ما يعلم به أن سوابقه لا يهولها قطع
الفجاج ؛ وليظهِر لهم من مكنون علمه ما كان يُخفيه الوقار ، وليهب من ممنون فضله
ما يهب منه عن ظهر غنى أهل الافتقار ؛ وليقرر تلك البحوث وبين ما يرد عليها ،
وما يرد به من منعها وتطرق بالنقض إليها ؛ حتى لا تنفصل الجماعة إلا بعد ظهور
الترجيح ، والإجماع على كلمة واحدة على الصحيح ؛ وليقبل في الدروس طلق
الوجه على جماعته ، وليستملهم إليه بجهد استطاعته ؛ وليبرِّهم كما يربِّي الوالد الولد ،
وليستحسن ما نجيء به أفكارهم وإلا فكم رجل بالجبنه لينت فكر وأد ؛ هذا
إلى أخذهم بالإشتغال ، وقدح أذهانهم للاشتغال ؛ ولينشئ الطلبة حتى ينمي منهم
الغروس ، ويوهل منهم من كان لا يظنُّ منه أنه يتعلم لأن يعلم ويُلقي الدروس .

وصية مقرئ :

وليُدِّم على ما هو عليه من تلاوة القرآن فإنه مضباح قلبه ، وصلاح قُربه ، وصباح
القبول المؤذن له برضا ربه ؛ وليجعل سُورَه له أسواراً ، وآياته تُظهِر بين عينيه

(١) جرى في تحريك لام الحلقة على ما رواه يونس عن أبي عمرو بن العلاء من كونه لغة في السكون

أنظر "المصباح" .

أنواراً ؛ وليتل القرآن بحروفه وإذا قرأ استعاذ ، وياجمع طرقه وهى التى عليها الجمهور ويترك الشواذ ؛ ولا يرتد دون غاية لإقصار ، ولا يقف فبعد أن أتم لم يبق بحمد الله إحصار ، وليتوسع فى مذاهبه ولا يخرج عن قراءة القراء السبعة أئمة الأمصار ؛ وليبدل للطلبة الرغاب ، وليشبع فإن ذوى النهمة سغاب ، ولير الناس ما وهبه الله من الإقتدار فإنه احتضن السبع ودخل الغاب ؛ وليتم مباني ما أتم « ابن عامر » و« أبو عمرو » له التعمير ، ولفه « الكسائى » فى كسائه ولم يقل جدى « ابن كثير » ؛ وحّم به « لحمزة » أن يعود ذاهب الزمان ، وعلم أنه لا « عاصم » من أمر الله يلجأ معه إليه وهو الطوفان ؛ وطفق يتفجر علماً وقد وقفت السيول الدوافع ، وضراً أكثر قراء الزمان لعدم تفهيمهم وهو « نافع » ؛ وليقبل على ذوى الإقبال على الطلب ، وليأخذهم بالتربية فما منهم إلا من هو إليه قد أنسب ؛ وهو يعلم ما من الله عليه بحفظ كتابه العزيز من النعاء ، ووصل سببه منه بحبل الله الممتد من الأرض إلى السماء ؛ فليقدر حق هذه النعمة بحسن إقباله على التعليم ، والإنصاف إذا سئل فعلم الله ما يتناهى « وفوق كل ذى علم عليم » .

وصية محدث :

وقد أصبح بالسنة النبوية مضطرباً ، وعلى ما جمعت طرق أهل الحديث مطّلعاً ؛ وصحّ [فى] الصحيح أن حديثه الحسن ، وأن المرسل منه فى الطلب مقطوع عنه كل ذى لسن ؛ وأنّ سنده هو المأخوذ عن العوالى ، وسماعه هو المرقص منه طول الليالى ؛ وأنّ مثله لا يوجد فى نسبه المعرق ، ولا يعرف مثله للخافضين « ابن عبد البر » بالمغرب و « خطيب بغداد » بالمشرق ؛ وهو يعلم مقدار طلب الطالب فإنه طالما شد له النطاق ، وسعى له سعيه وتشمّ المشاق ؛ وأرتحل له يشتد به حرصه والمطايا

مُرْزَمَهُ ، وَبِنَبِّهِ لَهُ طَلَبُهُ وَالْجُفُونَ مُقْفَلَةٌ وَالْعُيُونُ مَهْمُومَةٌ ، وَوَقَفَ عَلَى الْأَبْوَابِ لَا يُضَجِرُهُ طَوْلُ الْوُقُوفِ حَتَّى يُؤَدِّنَ لَهُ فِي وُلُوجِهَا ، وَقَعَدَ الْقُرْفُصَاءَ فِي الْمَجَالِسِ لَا تَضِيْقُ بِهِ عَلَى قِصْرِ فُرُوجِهَا .

فَلْيُعَامِلِ الطَّلِبَةَ إِذَا أَتَوْهُ لِلْفَائِدَةِ مَعَامَلَةً مِنْ جَرِّبَ ، وَلْيُنَشِّطِ الْأَقْرَبَاءَ مِنْهُمْ وَيُوَسِّسِ الْغُرَبَاءَ فَمَا هُوَ إِلَّا مَنْ طَلَبَ آوِنَةً مِنْ قَرِيبٍ وَأَوِنَةً تَغْرَبُ ، وَلْيُسْفِرْ لَهُمْ صَبَاحَ قِصْدِهِ عَنِ النَّجَاحِ ، وَلْيُنْتَقِ لَهُمْ مِنْ عُقُودِهِ الصَّحَاحَ ، وَلْيُوضِّحْ لَهُمُ الْحَدِيثَ ، وَلْيُرِخْ خَوَاطِرَهُمْ بِتَقْرِيْبِهِ مَا كَانَ يُسَارِ إِلَيْهِ السَّيْرَ الْحَثِيثَ ، وَلْيُوْتِّهِمْ مِمَّا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيهِ الْمَجَالَ ، وَيُعَلِّمَهُمْ مَا يَجِبُ تَعْلِيمُهُ مِنَ الْمُتُونَ وَالرِّجَالِ ، وَيُبَصِّرُهُمْ بِمَوَاقِعِ الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ ، وَالتَّوْجِيهِ وَالتَّعْلِيلِ ، وَالصَّحِيحِ وَالمَعْتَلِّ الَّذِي تُنْتَاثِرُ أَعْضَاؤُهُ سُقْمًا كَالْعَلِيلِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لِرِجَالِ هَذَا الشَّانِ بِهِ عِنَايَهُ ، وَمَا يُنْتَقَبُ فِيهِ عَنِ دِرَايَةِ أَوْ يُقْنَعُ فِيهِ بِجَزْدِ رَوَايِهِ ، وَمِثْلِهِ مَا يُزَادُ حَلْمًا ، وَلَا يُعْرَفُ بِمَنْ رَخَّصَ فِي حَدِيثٍ مَوْضُوعٍ أَوْ كَتَمَ عِلْمًا .

وصية نحوي :

وهو زيد الزمان، الذي يضرب به المثل، وعمرو الأوان، وقد كثرت من سيبويه المثل، وما زنى الوقت ولكنه الذي لم تستبح منه الإبل، وكسأى الدهر الذي لو تقدم لما اختار غيره الرشيد للآمون، وذو السؤدد، لا أبو الأسود، مع أنه ذو السابقة والأجر الممنون، وهو ذو البر المسأثور، والقدر المرفوع ولواؤه المنصوب ودليل فخاره المجرور، والمعروف بما لا ينكر لمثله من الحزم، والذاهب عمله الصالح بكل العوامل التي لم يبق منها حسوده إلا الحزم، وهو ذو الأبنية التي لا يفصح عن مثلها الإعراب، ولا يعرف أفصح منها فيما أخذ عن الأعراب،

والذى أصبحت أهدأه فوق عمائم الغائم ثلاث ، ولم يزل طول الدهر يُسكّر منه
 أمسه ويومه وعده وإنما الكلمات ثلاث . فليتصد للإفاده ، وليعلمهم مثل
 ما ذكر فيه من علم النحو نحو هذا وزيادة ؛ وليكن للطلبة نجماً به يهتدى ، ويرفع
 بتعليمه قدر كل حبر يكون خيراً له وهو المتبدا ؛ وليقدم منهم كل من صلح
 للتبريز ، وأستحق أن ينصب إماماً بالتميز ؛ ولورد من موارد أهدب النطاف ،
 وليجز إليه كل مضاف إليه ومُضاف ؛ وليوقفهم على حقائق الأسماء ، ويعرفهم
 دقائق البحوث حتى اشتقاق الأسم هل هو من السمو أو من السماء ؛ وليبين لهم
 الأسماء الأعجمية المنقولة والعربية الخالصة ، وليدلمهم على أحسن الأفعال لا ما يُستبته
 فيه بصفات كان وأخواتها من الأفعال الناقصة ؛ وليحفظهم المثل وكلمات
 الشعراء ، ولينصب نفسه لحدّ أذهان بعضهم ببعض نصب الإغراء ؛ ويعامل
 جماعة المستفيدين منه بالعطف ، ومع هذا كله فليرقّب بهم فما بلغ أحدُ علماً بقوة
 ولا غايةً بعسْف .



وهذه وصية لغوى أوردتها في التعريف (١) .

(١) بياض بأصله ، ولم تذكر هذه الوصية في نسخة "التعريف" التى بيدنا .

الوظيفة الثامنة

(التصدير)

وموضوعه الجلوس بصدر المجلس بجامع أو نحوه . ويجلس متكلم أمامه على كرسى كأنه يقرأ عليه ، يفتح بالتفسير ثم بالرفائق والوعظيات ، فإذا انتهى كلامه وسكت ، أخذ المتصدر في الكلام على ما هو في معنى تفسير الآية التي يقع الكلام عليها ، ويستدرج من ذلك إلى ما سنع له من الكلام . وربما أفرد التصدير عن المتكلم على الكرسى .

وهذه نسخة توقيع بتصدير أنشأه للشيخ شهاب الدين « أحمد الأنصارى » الشهير بـ « الشاب التائب » بالجامع الأزهر ، وهي :

(١) رسم ... لا زالت صدقاته الشريفة تُحصى المجالس بمن إذا جلس صدر مجلس كان لرتبته أجمل صدر يجتبي من علماء التفسير، ومن إذا دقق لم يفهم ... عنه وإذا سلك سبيل الإيضاح كان كلامه في الحقيقة تفسير تفسير، وتصطفى من سرة الأماثل من دار نعته بين « الشاب التائب » و « الشيخ الصالح » فكان له أكرم نعت على كل تقدير - أن يستمر المجلس السامى آدم - الله تعالى رفعته - في كذا وكذا ، لأنه الإمام الذى لا تُسامى علومه ولا تُسام، والعلامة الذى لا تُدرك مداركه ولا تُرام ، والحبر الذى تنعقد على فضله الخناصر، وفارس الحلبه الذى يعترف بالقصور عن مجارة جياده المناظر، وآية التفسير التى لا تُنسخ، وعقد حقيقته الذى لا يُفسخ، والماهر الذى أستحق بمهارته التصدير، والجامع لفنونه المتنوعة

(١) أى بالامر الشريف الخ .

(٢) بياض بالأصل ولعله « لم يفهم شرحه إلا عنه » أو نحو ذلك .

جمع سلامة لا جمع تكسير؛ وترجمان معانيه الآتى من غرائب تأويله بالعجب العجاب، والعارف بهدى طريقه الذى إذا قال قال الذى عنده علم من الكتاب؛ وزاهد الوقت الذى زين بالعلم العمل، وناسك الدهر الذى قصر عن مبلغ مداه الأمل .

فليتلق ما ألقى إليه بالقبول، وليستند إلى صدر مجلس يقول فيه ويطول؛ وليبين من معانى كتاب الله ما أجمل، ويوضح من خفى مقاصده ما أشكل، وليسلك فى تفسيره أقوم سنن، ويعلن بأسراره الخفية فسر كتاب الله أجدر أن يكون عن علن، وليجر فيه على ما ألف من تحقیقاته فإنه إذا لم يحقق المناظرة فمن؟، وليأخذ مشايخ أهل مجلسه بالإحسان، كما أحسن الله إليه فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، ويحض شباههم على التوبة ليحبهم الله فيتصل فى المحبة سندهم فإن «الشاب التائب» حبيب الرحمن؛ والله تعالى يرقبه إلى أرفع الذرا، ويرفع مجلسه السامى على محل الثريا (وإنا لَنرجو فوق ذلك مظهرا). إن شاء الله تعالى .

الوظيفة التاسعة

(النظر)

وموضوعه التحدث فى أمور خاصة بإباحة ضروراتها، وعمَل مصالحها، وأستخراج متحصّل جهاتها، وصرفه على الوجه المعتبر، وما يجرى مجرى ذلك .

وتشتمل على عدة أنظار :

منها - نظر الأحباس : جمع حبس^(١) وهو الوقف : فقد تقدّم فى المقالة الثانية أنه كان أصل وضعه أراضى اشتراها (الإمام الليث بن سعد رضى الله عنه)

(١) فى المختار «والحبس كلقفل ماوقف» وهو المراد هنا .

وَوَقَفَهَا عَلَى جِهَاتٍ رُبَّ، ثُمَّ تَبِعَهُ النَّاسُ فِي إِضَافَةِ الْأَوْقَافِ إِلَى ذَلِكَ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ
وِزَارَةَ الصَّاحِبِ بَهَاءِ الدِّينِ ابْنِ حَنَّا فِي سُلْطَنَةِ الظَّاهِرِ بِيْرَسِ البُنْدُقَادِي ، فَأَفْرَدَ
لِلْجَوَامِعِ وَالْمَسَاجِدِ وَالرُّبُطِ وَالزَّوَايَا وَنَحْوِ ذَلِكَ رِزْقًا ، وَقَصَّرَ تَحَدُّثَ نَاضِرِ الْأَجْبَاسِ
وَمُبَاشِرِيهِ عَلَيْهَا ، وَأَفْرَدَتْ الْأَوْقَافُ بِنَاضِرٍ وَمُبَاشِرِينَ كَمَا سَيَأْتِي :

(١)
وهذه نسخة توقيع بتدريس الطب بالبيمارستان المنصوري ، كُتِبَ بِهَا «لْمُهَدَّبِ
الدِّينِ» وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي دَبَّرَ بِحِكْمَتِهِ الْوُجُودَ ، وَعَمَّ بِرَحْمَتِهِ كُلَّ مَوْجُودٍ ، وَحَالَ بِنَفْعِ الدَّوَاءِ
بَيْنَ ضَرِّ الدَّاءِ كَمَا حَالَتْ عَطَايَاهُ دُونَ الْوَعُودِ ؛ نَحْمَدُهُ وَنُشْكِرُهُ وَهُوَ الْمَشْكُورُ الْمَحْمُودُ ،
وَنُثْنِي عَلَيْهِ خَيْرَ الثَّنَاءِ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى الْجُنُوبِ وَفِي السُّجُودِ ، وَنُسْتَرِيدُهُ مِنْ فَضْلِهِ
فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْجُودِ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً اللَّهُ بِهَا وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوْلُو الْعِلْمِ
شُهُودٌ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُبَشِّرُ لِأُمَّتِهِ بِالْجَنَّاتِ وَالْخُلُودِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً دَائِمَةً إِلَى يَوْمِ الْوَعُودِ .

وبعد ، فَإِنَّا لَمَّا أَقَامَ اللَّهُ بِنَا شَعَائِرَ الْإِيمَانِ ، وَأَصْبَحَ دِينُهُ بِحَمْدِ اللَّهِ مَنْصُورًا بِنَا
عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ ، وَجَاهِدْنَا فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ ، وَشَيْدْنَا لِعُلُومِهِ
وَشَرَائِعِهِ كُلَّ بَدِيْعِ الْإِتْقَانِ ، وَرَتَّبْنَا فِيهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْيَانِ كُلَّ رَفِيْعِ الشَّانِ ، وَأَخْتَرْنَا
لَهُ الْأَخْيَارَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالطَّبِّ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ ؛ وَرَأَيْنَا كُلَّ مَنْ تَقَدَّمَ نَا
مِنَ الْمُلُوكِ ، وَإِنْ سَلَكَ فِي سِيَاسَةِ الرَّعِيَةِ أَحْسَنَ سُلُوكٍ ، قَدْ أَهْتَمَّ بِعِلْمِ الْأَدْيَانِ وَأَهْمَلَ

(١) حق هذا التوقيع أن يذكر في تواريخ الوظيفة السابعة الخاصة بالتدريس .

علم الأبدان؛ وأنشأ كل منهم مدرسة ولم يُخْفَل بِبِجَارِستان، وغفل عن قوله صلى الله عليه وسلم: «العِلْمُ علْمَان»؛ ولم يأخذ أحداً من رعيته بالأشتغال بعلم الطب المُضَطَّر إليه، ولا وقف وقفاً على طلبة هذا العلم المنصوص عليه، ولا أعد له مكاناً يحضر من يشتغل بهذا الفن فيه، ولا نصب له شخصاً يمثّل هذا المشتغل لديه - علمنا نحن بحمد الله تعالى من ذلك ما جهلوه، وذكّرنا من هذه القرّبة ما أهملوه، ووصلنا من هذه الأسباب الدنيوية والدنيوية ما فصلوه؛ وأنشأنا بيمارستاننا يهّر العيون بهجه، ويفوق الأبنية بالدليل والحجة، ويحفظ الصحة والعافية على كل مهجه؛ لوحه من أشفى العوجل بالشفاء، أو جاءه من أئمه السقم لاشفى، أو أشرف عليه العمر بلا شفاء لعاد عنه بشفا، ووقفنا عليه من الأوقاف المبرورة ما يملأ العينين، ويطرف سماع جملته الأذنين، ويعيد عنه من أمه مملوء اليدين؛ وأبجنا التداوى فيه لكل شريف ومشروف وأمور وأمير، وساوينا في الانتفاع به بين كل صغير وكبير، وعلمنا أن لانظير لنا في ملكنا ولا نظير له في إبقائه فلم نجعل لوقفه وشرطه من نظير؛ وجعلنا فيه مكاناً للأشتغال بعلم الطب الذى كاد أن يُجهل، وشرعنا للناس إلى ورد بجره أعدب منهل، وسهلنا عليهم من أمره ما كان الحلم به من اليقظة أسهل؛ وأرتدنا له من علماء الطب من يصلح لإلقاء الدروس، وينتفع به الرئيس من أهل الصناعة والمرعوس، ويؤتمن على صحة الأبدان وحفظ النفوس؛ فلم نجد غير رئيس هذه الطائفة أهلاً لهذه المرتبة، ولم نرض لها من لم تكن له هذه المنقبه، وعلمنا أنه متى وليها أمسى بها معجبا وأضحى به معجبه .

ولما كان المجلس السامى «مهدب الدين» هو الرئيس المشار إليه، والوحيد الذى تُعقد الخناصر عليه؛ وكان هو الحكيم «بقراط»، بل الجليل «سقراط»؛ بل الفاضل «جالينوس»، بل الأفضل «ديسقوريدوس» - أقتضت الآراء

الشريفة أن تُزاد جلالته بتولية هذا المنصب الجليل جلاله ، وأن تُزف إليه تجر أذباله ، وأن يقال : (لم يك يصلح إلا لها ولم تك تصلح إلا له) .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال للدين ناصرا ، ولأعلام العلوم ناشرا - أن يفوض إليه تدريس الطب بالبيارستان المبارك المنصوري ، المستجد الإنشاء بالقاهرة المحروسة ، علما بأنه المتمهر في هذا الفن ، وأنه عند الفراسة فيه والظن ، وأنه سقراط الإقليم إذا كان غيره سقراط الدت ، وثقة بأنا للجوهر قد آلتقطنا ، وبالخير قد آغتبطنا ، وعلى الخير قد سقطنا .

فلتلق هذه النعمة بالشكر الجليل ، والحمد الجزيل ، والثناء الذي هو بالتماء والزيادة كفيلا ، ولينتصب لهذا العلم المبارك أنتصاب من يقوم بالقرض منه والسنة ، ويعرف له فيه الفضل ويتقلد له فيه المنه ، ويثني على آثاره الجميلة فيه وتثني إليه الأعنة ، وليبطل بتقويمه الصحة ما ألفه ابن « بطلان » ، وليرنا بتديره جملة البر فإنه « جالينوس » الزمان ، وليبذل النجاة من الأمراض والشفاء من الأسقام فإنه « ابن سينا » الأوان ، وليجمع عنده شمل الطلبة ، وليعط كل طالب منهم ماطلبه ، وليبلغ كل متمر من الأشغال أربه ، وليشرح لهم صدره ، وليبذل لهم من عمره شطره ، وليكشف لهم من هذا العلم الممكنون سره ، وليرهم ماخفي عنهم منه جهره ، وليجعل منهم جماعة طبائعيه ، وطائفة تحالين وجرائحيه ، وقوما مجبرين ، وبالحديد عاملين ، وأخرى بأسماء الحشائش وقوى الأدوية وأوصافها عالمين ، وليأمر كلاً منهم بحفظ مايجب حفظه ، ومعرفة مايزيد به حفظه ، وليأخذ بما يصاح به لسانه ولفظه ، ولا يفتر عنهم في الأشغال لحظه ، وليفرد لكل علم من العلوم طائفه ، ولكل فن من فنونه جماعة بحاسنه عارفه ، وليصرف إليهم من وجوه فضائله كل عارفه ،

وَلْيَكْشِفْ لَهُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ غَوَامِضِهِ فَلَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ إِضْاحِهِ كَاشِفَةٌ ؛
 لِيُنْشَرَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ مِنْ أَرْبَابِ هَذِهِ الْعُلُومِ قَوْمٌ بَعْدَ قَوْمٍ ، وَيُظْهِرَ مِنْهُمْ
 فِي الْغَدِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أَعْضَاءُ مَا هُوَ ظَاهِرٌ مِنْهُمْ الْيَوْمَ ؛ وَلِيُقَالَ لِكُلِّ مَنْ طَلَبْتَهُ
 إِذَا سُرِعَ فِي إِجَازَتِهِ وَتَرْكِيبَتِهِ : لَقَدْ أَحْسَنَ شَيْخُهُ الَّذِي عَلَيْهِ تَأْدَبٌ ، وَإِنَّ مَنْ خَرَجَ
 هَذَا « الْمَهْدَبِ » ؛ عَامِلًا فِي ذَلِكَ بِشُرُوطِ الْوَاقِفِ أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ ، وَاقِفًا عِنْدَ أَمْرِهِ
 أَمْضَى اللَّهُ أَمْرَهُ ؛ وَالْخَيْرُ يَكُونُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الأحماس مفتتحة بـ «أما بعد» وهي :

أما بعد حمد الله الذي أذن أن تُرفع بيوته ويذكر فيها اسمه ، ويكثر فيها قسمه
 ثوابه ويُنزل قسمه ، والصلاة على سيدنا محمد الذي عظم به قطع دابر الكفر وكثر
 حسمه - فإن خير من عول عليه في تأسيس بيوت الله وعمارة ربوعها ، ولم شعثها
 وشعب صدوعها ؛ والقيام بوظائفها ، وتسهيل لطائفها ؛ وتأهيل نواحيها ، لهبوط
 الملائكة لتلقى المصائب فيها ، من كان ذا عزم لا تأخذه في الله لومة لائم ، وحزم لا يلم
 بأفعاله لسم المآثم ؛ ونظير ناقب ، ورغبة في اختيار جميل المآثر والمناقب ، ومباشرة
 ترعى قوانين الأمور وتكتنفها آكتناف مراقب .

ولما كان فلان ممن هذه الأوصاف شعأره ، وإلى هذه الأمور يدأره ؛ وكتم كتب
 الله به للدولة أجر راجع وساجد ، وكتم شكرته وذكرته السنة أعلام الجوامع وأفواه
 محاريب المساجد - أقتضى منيف الملاحظة والمحافظة على كل قريب من بيوت
 الله وشاهد ، أن خرج الأمر الشريف - لا يبرح يكشف الأوجال ، ويدعوله
 في الغدو والآصال رجال - أن يفوض لفلان نظرديون الأحماس والجوامع
 والمساجد المعمورة بذكر الله تعالى .

فليباشرها مباشرة من يُراقب الله [إن] وقع أو توقع ، وإن أطاع أو تطوع ، وإن عزل أو ولى ، وإن أدب من نهى عبدا إذا صلى ، وليجتهد كمال الاجتهاد في [صرف] ريع المساجد والجوامع في مصارفها الشرعية ، وجهاتها المرعية ، وليأخذ أهلها بالملازمة في أحيائها وأوقاتها ، وعمارتها بمصايبها وآلاتها ، وحفظ ما يُحفظون به لأجلها ، ومعاملتهم بالكرامة التي ينبغي أن يعامل مثلهم بمثلها ، وليحترز في إخراج الحالات إذا خرجت وأُخرجت ، وفي مستحقات الأجائر إذا استُحقت وإذا نُججت ، وفي التواقيع إذا أنزلت وإذا نُزلت ، وفي الاستئذارات التي أُهملت وكان ينبغي لو أُهلت ، وإذا باشر [و] ظهر له بالمباشرة خفايا هذا الديوان ، وفهم ما تحتويه جرائد الإحسان ، فليكن إلى مصالحه أول مُبادر ، ويكفيه تدبر قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

قلت : وقد كنت أنشأت توقيعا بنظر الأعباس ، للقاضي « بدر الدين حسن » الشهير بابن الداية ، مفتحا بالحمد لله ، جاء فردا في بابه . إلا أن مسودته غيبت عني ، فلم أجدها لأثبتها هاهنا كما أثبت غيرها مما أنشأته : من البيعات والمهود والتواقيع والرسائل وغير ذلك .

ومنها - نظر الأوقاف بمصر والقاهرة المحروستين ، ويدخل فيه أوقاف الحرمين وغيرهما .

وهذه نسخة توقيع بنظرها ، وهي :

الحمد لله الذي حفظ معالم البر من الدثور ، وأحيا آثار المعروف والأجور ، وصان الأوقاف المحبسة من تبديل الشروط على توالي الأيام والشهور .

نحمده على فضله الموفور ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لها
في القلوب نور على نور ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤيد المنصور ، الطالع
البدور ، المبعوث بالفرقان والنور ، المنعوت في التوراة والإنجيل والزبور ، صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه ما كرت الدهور ، وطلعت كواكب ثم تغور .

وبعد ، فإن أهل الخير من المؤمنين تقربوا إلى الله سبحانه وتعالى من طيبات
أموالهم بأوقاف وقفوها على وجوه البر وعرفوها ، وجعلوا لها شروطا ووصفوها ؛
فتقبل الله لهم ذلك ، ثم ماتوا فما أنقطع عملهم بها وهم في برزخ المهالك ؛ ووليها
بعدهم الأمانة من النظار ، فقاموا بحقوقها وحفظ الآثار ؛ وأجروا برها الدار
في كل دار ، وصانوا معاملها من الأغيار ، وشاركوا واقفيها في الصدقة لأنهم خزان
أمانة أخيار .

ولما كان فلان هو الذى لا يتدنس عرضه بشائبه ، ولا يئسى المصالح وهى عن
فكره غائبه ، ولا تبرح نجوم السعود طالعة عليه غير ذائبه ؛ وهو أهل أن يناط به
التحدث في جهات البر الموقوفة ، وأموال الخير المصروفة ، لأنه نزه نفسه عما ليس له
فلو كانت أموال غيره غنما ما أختص منها بصوفه ؛ فلذلك رسم ... (١) ...

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنة التأثير ، جميلة التثمير ؛ مأمونة التغيير ،
مخصوصة بالتعبير ؛ ولينظر في هذه الأوقاف على اختلافها من رُبوع ومباني ،
ومساكن ومغانى ؛ وخانات مسبله ، وحوانيت مكلمه ؛ ومُسَقَفَات معموره ،
وساحات مأجورة غير مهجورة . وليبدأ بالعمارة فإنها تحفظ العين وتكفي البناء
دُورَه ، وليتبع شروط الواقفين ولا يعدل عنها فإن في ذلك سروره ؛ ويندرج في هذه

(١) بيض له في الاصل لعله من أمثاله السابقة .

الأوقاف ما هو على المساجد ومواطن الذكر : فليقم شعارها، وليحفظ آثارها، وليرفع منارها، والوصايا كثيرة والتقوى ظلها المخطوب، ومراقبة الله أصلها المطلوب ووصلها المحبوب، والله تعالى يجمع على محبته القلوب؛ بمنه وكرمه ! .

ومنها - نظر البيارستان المنصوري بين القصرين لأرباب الأقسام، وهو من أجل الأنظار وأرفعها قدرا، ما زال يتولاه الوزراء وكتاب السر ومن في معناهم .
[وهذه نسخة توقيع] من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي :
(١)

الحمد لله رافع قدر من كان في خدمتنا الشريفة كريم الخلال، ومعلي درجة من أضعف عليه الإخلاص في طاعتنا العلية مديد الظلال، ومجدد نعيم من لم يخصه أعتناؤنا بغاية إلا ورقته همته فيها إلى أسنى رتب الكمال، ومفوض النظر في قرب سلفنا الطاهر إلى من لم يلاحظ من خواصنا امرا إلا سرنا ما نشهد فيه من الأحوال الحوال .

نحمده على نعمه التي لا تزال تسرى إلى الأولياء عوارفها، ومننه التي لا تبرح تشمل الأصفياء عواطفها، وآلائه التي تسد آراءنا في تفويض قربنا إلى من إذا باشرها [سر] بسيرته السرية مستحقها وواقفها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رفع الإخلاص لواءها، وأفاض الإيمان على وجوه حملتها إشراقها وضياءها، ووالى الإيقان إعادة أدائها بمواقف الحق وإبداءها، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المخصوص بعموم الشفاعة العظمى، المقصوص في السنة ذكر حوضه الذي من شرب منه شربة فإنه بعدها لا يظما، المنصوص على نبوته في الصحف المنزلة وبشرت به الهوائف نثرا ونظما؛ صلى الله

(١) تقدمت في وظائف الطبقة الثانية من ذوات التواضع ببعض تغيير واختصار .

عليه وعلى آله وصحبه الذين فازوا من طاعته ، بالرُّتب الفاعره ، وحازوا بالإخلاص
 فى محبته ، سعادة الدنيا والآخرة ، وأقبلوا على حظهم من رضا الله ورضاه فلم يُلوا
 على خدع الدنيا الساحره ، صلاةً دائمةً الاتصال ، أمانةً شمس دولتها من الغروب
 والزوال ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى الأمور بإنعام النظر فى مصالحها ، وأحقها بتوفير الفكر على
 اعتبار مناهجها وأعتاد مناجمها - أمرُ جهات البر التي تقرب والدنا السلطان الشهيد -
 قدس الله روحه - بها إلى من أفاض نعمه عليه ، وتتوع فى إنشائها فأحسن فيها
 كما أحسن الله إليه ، ورغب بها فيما عند الله لعلمه أن ذلك من أنفس الذخائر التي
 أعدها بين يديه ، وحل منها فى أكرم بقعة نقله الله بها عن سريره إلى مقعد صدق
 عند ربه ، وعمر بها مواطن العبادة فى يوم سلمه بعد أن عفى على معاقل الكفر
 فى يوم حرّبه ، وأقام بها منار العلوم فعلا مناهها ، وأعد للضعفاء بها من مواد البر
 والإلطف مالو تعاطته الأغنياء قصرت عن التطاول إليه أموالها ، وأن نرتاد لها
 من إذا فوضنا إليه أمرا تحققنا صلاحه ، وتيقنا نجاحه ، واعتقدنا تمية أمواله ،
 وأعتمدنا فى مضاعفة ارتفاعه وانتفاعه على أقواله وأفعاله ، وعلمنا من ذلك
 مالا نحتاج فيه إلى إخبار ولا اختبار ، ولا يحتاج فى بيان الخيرة فيه إلى دليل إلا إذا
 احتاج إليه النهار ؛ لنكون فى هذا بمثابة من ضاعف لهذه القرب أسباب ثوابها ،
 أو جدد لها وقفا لكونه أتى بيوت الإحسان فى آرتياد الأكفاء لها من أبوابها .

ولذلك لما كان فلان هو الذى صان أموال خواصنا ، وأبان عن يمين الآراء
 فى استئثارنا به لمصالحنا الخاصة واختصاصنا ، واعتدنا بحميل نظره فى أسباب التدبير
 التي تملأ الخزان ، وتدل على أن من الأولياء من هو أوقع على المقاصد من سهام

الكائن ، وتُحَقَّق أنه كما في العناصر الأربعة معادن فكذا في الرجال معادن ، ونهت أوصافه على أنه ما ولي أمرًا إلا وكان فوق ذلك قدرًا ، ولا أعتمد عليه فيما تضييق عنه همم الأولياء إلا رُحِب به صدرًا ، ولا طلع في أفق رتبة هلالا إلا وتأملتة العيون في أجلّ درج الكمال بدرًا ، يُدرك ما نأى من مصالح ما يليه بأدنى نظر ، ويسبق في سداد ما يباشره على ما يجب سداد الآراء ومواقع الفكر ، فنحن نزداد كل يوم غبطة بتدبيره ، ونتحقق أن كل ما عدقنا به إليه : من أمرٍ جليل فقد أسندناه إلى عارفه وفوضناه إلى خبيره - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نُعدق بحمّل نظره أمر هذا المهّم المقدم لدينا ، وأن نفوض إليه نظر هذه الأوقاف التي النظر في مصالحها من آكد الأمور المتعينة علينا .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال فضله عميما ، وبرّه يقدم في الرتب من كان من الأولياء كريما - أن يفوض إليه كَيْت وكَيْت .

فليل هذه الرتبة التي أريد بها وجه الله وما كان لله فهو أهم ، وقصد بها النفع المتعدى إلى العلماء ، والفقراء ، والضعفاء ومراعاة ذلك من أخصّ المصالح وأعمّ ؛ ولينظر في عموم مصالحها وخصوصها نظرا يسدّ خللها ، ويزيح علالها ، ويعمر أصولها ؛ ويتمرر محصولها ، ويحفظ في أمانها أموالها ؛ ويقوم معالم العلوم في أرجائها ، ويستنزل بها مواد الرحمة لساكنها بالسنّة قرآنها ؛ ويستعيد صحّة من بها من الضعفاء بإعداد الذخائر لملاطفة أسقامها ومعالجة أدوائها ؛ ويحافظ على شروط الواقف - قدس الله روحه - في إقامة وظائفها ، وأعتبر مصارفها ؛ وتقديم ما قدمه مع ملاءة تدبيره باستكمال ذلك على أكمل ما يجب ، وتميز حواصلها بما يستدعي إليها من الأصناف التي يعز وجودها ويحتاج ؛ وضبط تلك الحواصل التي لا خزائن لها أوثق من أيدي

أمنائه وثقاته ، ولا مُودِع لها أوفق من أمانة من يتقى الله حقَّ ثقافته ؛ ليفعل في ذلك جميعه ما عرفناه من تديره الجميل خُبراً وخبراً ، وحمدناه في كل ما يليه ورداً في المصالح وصدرًا ؛ فإنه - بحمد الله - الميمونُ نظرًا وتصرفًا ، المأمونُ نزاهةً وتعففًا ؛ الكريمُ سجيَّةً وطبائعًا ، الرحيبُ في تلقى المهمات الخليفة صدرًا وابعاء ؛ فلذلك وكفناه في التوصايا إلى حُسن معرفته وأطلاعه ، ويؤمن نهوضه بمصالحنا وأضطِلاعه ؛ والله تعالى يُسَدِّده في قوله وعمله ، ويحقق بالوقوف مع مراضى الله تعالى ومراضينا غايةً أمله ؛ إن شاء الله تعالى .



ومنها - نظر الجامع الناصرى بقلعة الجبل .

وهذه نسخة توقيع بنظره ، كُتِبَ به للقاضى جلال الدين القزوينى وهو يومئذ قاضى قضاة الشافعية بالديار المصرية ، وهى :

الحمد لله الذى زادنا الدين رفعةً وجلالا ، وجعل لنا على إعلاء منار الإسلام إقبالا ، وأحسن لنظرنا الشريف فى كل اختيار مالا ، ووفق مرامى مرامنا لمن أخلصنا عليه أتكالا .

نحمده حمدا يتواتر ويتوالى ، ويقرب من المنى منالا ، وتثير به معاهد نعمة عندنا وتتلالا ، ونُدِّيمه إدامةً لا تنبغى عنها حولا ولا أنتقالا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً نصدقها نيةً ومقالا ، ونرجو بالتعالى فيها القبول منه تعالى ، ويتراسل عليها القلب واللسان فلا يعتري ذلك سهو ولا يخاف هذا كلالا ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى كرم صحابة وآلا ، ودلهم على الرشد فورثوه من علماء الأمة رجالا ، صلى الله عليه وعليهم صلاةً تسترعى عليها

من الحَفَظَةِ أَكْفَاءً أَكْفَالًا ، وَنَسْتَمَدُّ لِرُفْعِهَا الْمُدْهَبَاتُ بُكْرًا وَأَصَالًا ، وَتَسْمُو إِلَيْهِ
الْأَنْفَاسُ سُمُوً حَبَابَ الْمَاءِ حَالًا فَحَالًا ، مَا مَدَّتِ اللَّيَالِي عَلَى أَيَّامِهَا ظِلَالًا ، وَمَا بَلَغَ
سَوَادُ شَبَابِهَا مِنْ بَيَاضِ صُبْحِ اكْتِهَالَا ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ بَنِي حَقِّ عَلَيْهِ أَنْ يُشِيدَ ، وَمَنْ أَرَادَ [أَنْ] سَنَّتَهُ الْحُسْنَى تَبْقَى فَلْيَتَّخِذْ
مُعِينًا عَلَى مَا يُرِيدُ ، وَمَنْ أَنْشَأَ رَأْفَلًا بَدَّ مِنْ مَبَاشِرٍ عَنْهُ يَضْمَنُ لَهُ التَّجْدِيدَ ، وَيُظَنُّ
بِهِ مَعَ تَأْثِيرِهِ التَّخْلِيدَ ، وَمَنْ تَابَرَ لِلَّهِ بِمَعْرُوفٍ فَمَا يَسْخُو بِالْمُشَارَكَةِ فِيهِ إِلَّا مَنْ يَقُومُ
مَقَامَ نَفْسِهِ أَوْ يَزِيدُ ، وَمَنْ بَدَأَ جَمِيلًا فَشَرَطَ صِلَاحَهُ أَنْ يُسْنِدَهُ إِلَى مَنْ لَهُ بِالْمُرَاقَبَةِ
تَقْيِيدٌ ، فِيمَا يُبْدَى وَيُعِيدُ ، وَأَيُّ إِشَادَةٍ أَقْوَى ، مِنْ التَّأْسِيسِ عَلَى التَّقْوَى ، أَوْ مَعِينِ
أَجَلٌ مِنْ حَاكِمِ اسْتِخْلَاصِنَا لَنَا وَإِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ مَبَاشِرِ أَنْفَعُ ، مِنْ سَيِّدِ آرْتَدَى
بِالْحَمْدِ وَتَلَفَّعَ ، وَتَرَوَى بِالْعُلُومِ وَتَضَلَّعَ ، أَوْ مُشَارِكٍ فِي الْخَيْرِ أَوْلَى مِنْ وَلِيِّ قَلْدَانِهِ دِينَنَا
قَبْلَ الدُّنْيَا ، وَأَعْلَيْنَاهُ بِالْمُنْصِيَيْنِ : الْحُكْمِ وَالْخَطَابَةِ فَتَصَرَّفَ مِنْهُمَا بَيْنَ الْكَلِمَةِ الْعَالِيَةِ
وَالدَّرَجَةِ الْعُلْيَا ، أَوْ أَحْسَنُ مِرَاقَبَةٍ مِنْ حَبْرٍ يَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ ، وَإِمَامٍ يَدْعُو إِلَيْهِ
دُعَاءَ أَوَابٍ أَوْاهُ ، قَدْ أَنْفَرَدَ بِمَجْمُوعِ الْحَاسِنِ يَقِينًا ، وَأَصْبَحَ قَدْرُهُ الْجَلِيَّ الْجَلِيلَ يَعْنِينَا
وَعَنِ الْمَدَائِحِ يُعْنِينَا ، فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِضَاحًا وَتَبْيِينًا ، وَلَكِنْ نَصَّرَحَ بِاسْمِهِ تَتَوَيْهَا
وَتَعِينُنَا ، وَتَحْسِينُنَا لِسِيرَةِ أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ بِعَالِمِ زَمَانِهَا وَتَزِينُنَا ، لَا عُدْرَ لِفِكْرٍ لَمْ يُنْضِدْ
مِنَاقِبِهِ وَقَدِ تَمَثَّلَتْ مَعَالِيهِ جَوَاهِرُ ، وَقَلِمٌ لَمْ يُوشَّ الطُّرُوسَ بِمَعَانِيهِ بَعْدَ مَا زَانَ مِنْ فُنُونِهَا
أَنْوَاعَ الْأَزَاهِرِ ، هُوَ الْمَجْلِسُ الْعَالِي الْقَضَائِيَّ ، الْإِمَامِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْعَامِلِيُّ ، الْعَلَامِيُّ ،
الْبَكَامِيُّ ، الْفَاضِلِيُّ ، الْقُدُويُّ ، الْمَفِيدِيُّ ، الْخَاشِعِيُّ ، النَّاسِكِيُّ ، الْوَرَعِيُّ ، الْحَاكِمِيُّ ،
الْجَلَالِيُّ : حِجَّةُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، قُدُوةُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ فِي الْعَالَمِينَ ، بَرَكَةُ الْأُمَمِ ،

(١) مأخوذ من أشاد بنيانه اذا طوله . انظر اللسان في مادة ش ود — ج ٤ — .

عَلَامَةُ الْأَيْمَةِ ، عِزُّ السُّنَّةِ ، مُؤَيِّدُ الدَّوْلَةِ ، سَيْفُ الشَّرِيعَةِ ، شَمْسُ النُّظَرِ ، مُفْتَى
 الْغُرَرِ ، خَطِيبُ الْخُطَبَاءِ ، إِمَامُ الْبُلْغَاءِ ، لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ ، حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ،
 وَلى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَبُو الْمَعَالَى مُحَمَّدُ بْنُ قَاضِي الْقَضَاةِ سَعِيدِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْقَزْوِينِي قَاضِي الْقَضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ : أَدَامَ اللَّهُ عِزَّةَ الشَّرْعِ
 الشَّرِيفِ بِأَحْكَامِهِ ، وَتَرْفِيَهُ سَيْوْفِ الْجِلَادِ وَأَسْلِهِ بِلِسَانِ جِدَالِهِ وَأَقْلَامِهِ ؛ قَاضٍ
 يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُهْتَرِجِينَ بِرَأْيٍ لَا يَطِيشُ حُكْمَهُ وَلَا يَزِلُّ حُكْمَهُ ، وَيَتَّقِي الشُّبُهَاتِ بَوْرَعِ
 يَتَّبِعُهُ عَمَلُهُ وَيَهْدِيهِ عِلْمُهُ ؛ مَا لَحَظَ جِهَةً إِلَّا حَظِيَّتْ بِبِرْكَةِ دَارَةِ مُزْنِهَا ، سَارِيَةٍ
 مَنَاجِحُهَا سَارٍ مِمَّنْهَا ؛ وَلَا أَقْبَلَ عَلَى بَيْتٍ مِنْ بِيوتِ اللَّهِ إِلَّا حَنَّ مِنْهُ إِلَى سُبُحَاتِ
 الْجِلَالِ ، وَلَا تَكَلَّمَ فِي وَقْفٍ إِلَّا أَجْرَاهُ فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ عَلَى أَقْوَمِ مِثَالٍ ؛ وَنَحْنُ لِهَذِهِ
 الْمَزَايَا نُرَدُّ إِلَى نَظَرِهِ الْكَرِيمِ مَا أَهَمَّنَا مِنْ عِمَارَةِ مَسْجِدٍ وَجَامِعٍ ، وَتُقَلِّدُهُ مِنْ أَوْقَافِنَا
 مَا يَحْتَلِفُنَا فِيهِ خَيْرًا فَإِنَّ الْأَوْقَافَ وَدَائِعَ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيِّ ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، النَّاصِرِي -
 لَا زَالَ يُصِيبُ الصَّوَابَ ، وَلَا يَعْدُو أَوْلَى الْأَلْبَابِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظْرُ الْجَامِعِ
 النَّاصِرِي الْمَعْمُورِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ الْحَرُوسَةِ ، وَأَوْقَافِهِ ، وَالنُّظْرُ عَلَى التَّرْبَةِ
 وَالْمَدْرَسَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ وَأَوْقَافِهِمَا .



ومنها - نظرُ مشهد الإمام الحسين رضي الله عنه بالقاهرة المحروسة .

وقد تقدّم في الكلام على خِطَطِ الْقَاهِرَةِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ الصَّالِحَ طَلَائِعَ
 أَبِي رُزَيْكَ حِينَ قَصَدَ نَقَلَ رَأْسَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، بَنَى لِذَلِكَ جَامِعَهُ

(١) يريد المتخاصمين ولكننا لم نذكر على هذا البناء فيما بأيدينا من كتب اللغة .

خارج بابي زويلة^(١)، فبلغ ذلك الخليفة فأفرد لها هذه القاعة من قاعات القصر وأمر
بنقلها إليها .

وهذه نسخة توقيع بنظره، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي :
الحمد لله الذي جعل مواطن الشرف في أيامنا الزاهرة، محصورة في أكفائها،
ومشاهد السيادة في دولتنا القاهرة، مقصورة على من حبته أوامرنا باعتنائها،
وخصته الأونا بأصطفائها، الذي أجرى حسن النظر في مظان الآباء الطاهرة على يد
من طلع في أفق العلياء من أبنائها، وعمر معاهد القربات بتدبير من بدأ بقواعد دينه
وأجاد إحكام تشييدها وإتقان بنائها .

نحمده على ما خصت به أيامنا من رفع أقدار ذوى السيادة والشرف، وأتصف به
إنعامنا من مزيد بر علم بحسن ظهوره على الأولياء أن الخير في الشرف .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يعرف بها من اعترف،
ويشرف قدر من له بالمحافظة عليها شغف، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى طهر
الله بضعته الزهراء وبنيتها، وخصهم بمزية القربى التى نزهه أن يسأل على الهداية
أجرا إلا المودة فيها، صلى الله عليه وعلى آله الذين هم أجدر بالكرم، وأحق بمحاسن
الشيم، وما منهم إلا من (تعريف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم)؛
وعلى آله وأصحابه الذين أنعم الله به عليهم، وأتبعوه فى ساعة العسرة فمنهم الذين
أخرجوا من ديارهم والذين يحبون من هاجر إليهم؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من زينت به مواطن الشرف، وعقدت به العناية بخدمة من درج
من بيت النبوة وسلف، وعمرت به مشاهد آثارهم التى هى فى الحقيقة لهم عُرف،

(١) بكهينة وسفينة . انظر شرح القاموس فى مادة زول .

[وَنَالَتْ الدَّوْلَةَ] مِنْ تَدْيِيرِهِ الْجَمِيلِ بَعْضَ حَظِّهَا ، وَخَصَّتْ بُقْعَتَهُ الْمُبَارَكَةَ مِنْ نَظَرِهِ بِمَا يَنْبُؤُ فِي خِدْمَةِ مَحَلَّةِ الشَّرِيفِ عَنْ مَوَاقِعِ لِحْظِهَا ؛ وَجَعَلَتْ بِهِ لِابْنِ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ خِدْمَةِ أَبِيهِ مَعَهَا نَصِيْبًا ، وَفَعَلَتْ ذَلِكَ إِذْ خَبِرَتْ خِدْمَتَهُ أَجْنِيْبًا عَلِمَا أَنَّهَا تَنْضَاعِفُ لَهُ إِذَا كَانَ نَسِيْبًا ، وَحَكِمَتْ بِمَا قَامَ عِنْدَهَا مَقَامَ الثَّبُوتِ ، وَأَمْرَتْهُ أَنْ يَبْدَأَ بِخِدْمَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ [فَإِنْ] لَازِمَهَا لَدَيْهَا مَقْدَمٌ عَلَى الْبُيُوتِ - مَنْ طَلَعَ شِهَابٌ فَضْلِهِ مِنَ الشَّرَفِ السَّنِيِّ فِي أَكْرَمِ أَقْفُقٍ ، وَأَحَاطَتْ بِهِ أَسْبَابُ السُّوْدَدِ مِنْ سَائِرِ الْوُجُوهِ إِحَاطَةَ الطُّوقِ بِالْعُنُقِ ؛ وَزَانَ الشَّرَفَ بِالسُّوْدَدِ وَالْعِلْمَ بِالْعَمَلِ ، وَالرِّيَاسَةَ بِاللُّطْفِ فَاخْتَارَتْهُ الْمَنَاصِبُ وَأَخْتَالَتْ بِهِ الدُّوَلُ ، وَتَقَدَّمَ بِنَفْسِهِ وَنَقَاسَةِ أَصْلِهِ فَكَانَ شَوْطٌ مِنْ تَقَدَّمِهِ وَرَاءَ خَطْوِهِ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى مَهَلٍ ؛ وَأَصْطَفَيْتَهُ الدَّوْلَةُ الْقَاهِرَةَ لِنَفْسِهَا فَتَمَسَّكَ مِنَ الْمُوَالَاةِ بِأَوْثِقِ أَسْبَابِهَا ؛ وَأَعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ فِي بَثِّ نِعْمِهَا ، وَبَعَثَتْ كَرَمِهَا ، فَعَرَفَ فِي ذَلِكَ الْأُمُورِ مِنْ وَجْهِهَا وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ؛ وَحَدَّثَتْ وَفُودُ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةَ لِحَسَنِ سَيْرَتِهِ فِي إِكْرَامِهِمُ السَّرِيِّ ، وَأَكْتَفَتْ [حَتَّى] مَعَ تَرْكِ الْكِرَامَةِ إِلَيْهِمْ بِبَشَاشَةٍ وَجْهِهِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنَ الْقِرَى ؛ وَصَانَ الْبُيُوتَ عَنِ الْإِقْوَاءِ بِتَدْيِيرِهِ الَّذِي هُوَ مِنْ مَوَادِّ الْأَرْزَاقِ ، وَزَادَ الْحَوَاصِلَ بِتَشْمِيرِهِ مَعَ كَثْرَةِ الْكُلْفِ الَّتِي لَوْ حَاكَمَهَا الْغَنَائِمُ لَأَمْسَكَتْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تُبْلِيَتْ مَنَاقِبُ بَيْتِهِ الطَّاهِرِ ، وَجُلِيَتْ مَفَاخِرُ أَصْلِهِ الزَّاهِرِ ، وَتَجَلَّتْ بِشَرَفٍ خِلَالِهِ خِلَالَ الشَّرَفِ الَّتِي تَرَكَهَا الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ ؛ وَكَانَ مَشْهَدَ الْإِمَامِ السَّيِّدِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِالْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ بُقْعَةً هِيَ مَتَّجِعَ الرَّحْمَةِ ، وَمَظِنَّةَ إِجَابَةِ الْأُمَّةِ ، وَرَوْضَةً مِنْ شُرَفَاتِ بَانْتِقَالِهِ إِلَيْهَا ، وَتَرَبُّهُ شَهِيدِ الزَّهْرَاءِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَى أَيْبَاهَا وَعَلَيْهَا ؛ وَبِهِ الْآنَ [مِنْ] رَوَاتِبِ الْقُرْبَاتِ وَوِظَائِفِ الْعُلُومِ وَجِهَاتِ الْخَيْرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى اخْتِيَارٍ مِنْ يُجِيلُ النَّظَرَ فِيهِ ،

ويسلك نهج سلفه في الإعراض عن عرض الدنيا ويقتفيه - رأينا أن نختار لذلك من اخترناه لأنفسنا فكان الكفء الكريم ، وأختبرناه لمصالحنا فخرنا منه الحفيظ العليم ، وأن نُقدِّم مُهمَّ ذلك البيتِ على مُهمِّ بيوتنا فإنَّ حقوق آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحقُّ بالتعظيم .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لزالته مكارمه بتقريب ذوى القربى جديره ، ومراسميه على إقدار ذوى الرتب على ما يجب قديره ، - أن يفوض إليه النظر على مشهد الإمام الحسين ابن أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام بالقاهرة المحروسة ، على قاعدة من تقدمه في ذلك ، بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف : لما قدمناه من أسباب رجحته لذلك ، وبيناه من أمور أوضحت في اختيارنا له المسالك ، ومن أولى منه بهذه الرتبة التي شهدت له باستحقاقها مناصبه ومناسبه ، أو أقدَر منه على أمثال هذه الوظيفة وقد أقرت بكاله وكرم خلاله مراتب الباب الشريف ورواتبه .

فليمنع النظر في مباشرة أوقاف هذه البقعة المباركة مظهرًا ثمرة تفويضها إليه ، مبيِّنًا نتيجة تعرضها له وعرضها عليه ، منبها على سر التوفيق فيما وضع أمرنا من مقاليد أمرها في يديه ، مجتهدًا في تمييز أموال الوقف من كل كاتب [حديث] ، موضحًا من شفقة الولد [على] ما نُسب إلى الوالد ما شهدت به في حقها الأحاديث ، سالكا من خدمة ذلك المشهد ما يشهد له به غدا عند جدّه ، ناشرا من ... (١) ... لواء فضل رفعه في الحقيقة رفع لمجده ، وليلاحظ تلك المصالح بنظره الذي يزيد أموالها تمهيرا ، ورباعها تمهيرا ، وحواصلها تمهيرا وتوفيرا ، وأرج أيها السيد الشريف

(١) بياض بالأصل ولعله "من عناية به لواء الخ" .

عند الله تعالى بذلك عن كل حسنة عشرًا إن ذلك [كان] على الله يسيرًا . وصن ما بيديك عن شوائب الأدناس : ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)) . وقد خبرنا من سيرتك وسيرتك ما لا نحتاج أن نزيد به خبرًا ، ولا أن نبلوه بعد ما سلف مرة أخرى ؛ ولكن نذكرك بتقوى الله التي أنت بها متصف ، وبوجودها فيك معروف وبوجودها عليك تعترف ، فقدّمها بين يديك ، وأجعلها العمدة فيما أتمدنا فيه عليك ؛ إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثالثة

(من الوظائف الدينية ما يكتب في قطع العادة الصغير ، مفتتحا

بـ«رسم بالأمر الشريف»)

وهو لمن كانت رتبته مجلس القاضى ، ورُبما كُتِبَ فيه بالسامى بغير ياء لمن قُصِدَ تعظيمه وهو قليل ، وبه يُكْتَبُ لأرباب الوظائف الصغار من الخطباء ، والمدرسين ، ونظار الأوقاف ، وغيرهم ممن لا ينحصر كثرة .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيمارستان العتيق الذى رتبته السلطان صلاح الدين

«يوسف بن أيوب» فى بعض قاعات قصر الفاطميين ، وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه تُفِيدُ عَلاء ، وتستخدم أكفاء ، وتُضْفَى

ملائس النماء على كل على فتكسوه بهجة وبهاء - أن يستقر فلان فى نظر البيمارستان

الصلاحى بالقاهرة المحروسة ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ،

لكفاءته التى أشهر ذكرها ، وأمانته التى صدق خبرها خبرها ؛ ونزاهته التى أضحى بها

على النفس فغدا بكل ثناء ملياً ، ورياسته التي أحلت قدره أسى رتبة فلا غرو أن يكون «علياً» .

فليباشر نظر البيمارستان المذكور مباشرة يظهر بها انتفاعه ، وتميزها أوضاعه ؛ ويضحى عامر الأرجاء والنواحي ، ويقول لسان حاله عند حسن نظره وجميل تصرفه : الآن كما بدأ صلاحى ؛ وليجعل همته مصروفة إلى ضبط مقبوضه ومصروفه ، ويظهر نهضته المعروفة بتثمير ريعه حتى تتضاعف مواد معرفه ؛ ويلاحظ أحوال من فيه ملاحظة تذهب عنهم الباس ، ويراع مصالح حاله في تنميته وتزكيته حتى لا يزال منه شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ؛ وليتناول المعلوم الشاهد به الديوان المعمور من استقبال تاريخه بعد الخط الشريف أعلاه .

وأعلم أن من توابع أرباب الوظائف الدينية ما يكتب في هيئة أوراق الطريق ، أو على ظهور القمص ، وقد تقدم .

وهذه نسخة توقيع بالتحديث في وقف :

رسم بالأمر الشريف العالى المولى السلطانى الملكى الفلانى - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرفه - أن يستقر القاضى فلان الدين فلان فى التحديث فى الوقف الفلانى ، بما لذلك من المعلوم الشاهد به كتاب الوقف . فليعتمد هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ، ويعمل بحسبه وبمقتضاه ، بعد الخط الشريف ، إن شاء الله تعالى .

الضرب الثالث

(من الولايات بالحضرة السلطانية بالديار المصرية - الوظائف الديوانية)

وهى على طبقتين :

الطبقة الأولى

(أرباب التقاليد، فى قطع الثلثين ممن يكتب له «الجناب العالى»

وفىها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(الوزارة، إذا كان متولياً من أرباب الأقاليم، كما هو الغالب)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية نقلاً عن «مسالك الأَبصار» أن ربها تانى السلطان لو أنصف وعُرف حقه، إلا أنها لما حدثت عليها النيابة، تأخرت وقعد بها مكانها حتى صار المتحدث فيها كخاطر المال، لا يتعدى الحديث فيه ولا يتسع له فى التصرف مجال، ولا تمتد يده فى الولاية والعزل لتطلع السلطان إلى الإحاطة بجرىان الأحوال فى الولاية والعزل. وقد تقدم ذكر ألقابه مستوفاةً فى الكلام على مقدمة الولايات فى الطرف الأول من هذا الفصل، والكلام على طرّة تقليده فى الكلام على التقاليد.

وهذه نسخة تقليد بالوزارة، كُتب بها للمصاحب «بهاء الدين بن حنا» . من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، وهى :

الحمد لله الذى وهب لهذه الدولة القاهرة من لدنه ولياً، وجعل مكان سرها
وشد أزرها علياً، ورضى لها من لم يزل عند ربه مرضياً .

نحمده على لطفه الذي أمسى بنا حفيًا، ونشكره على أن جعل دولتنا جنة أورث
تديرها من عباده من كان تقيًا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
نُسِّحَ بها بُكرة وعشيا ، ونصلى على سيدنا محمد الذي آتاه الله الكتاب وجعله نبيا ،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً تتبَّع بها صراطا سويًا .

وبعد ، فإن أولى ما تتعمت السنة الأعلام بتلاوة سورة ، وتعمت أفواه الحبار
بالاستمداد لتسطير سيره ؛ وتناجت الكرام الكاتبون بشكر مجله ومفصله ، وتناشدت
الرواة بحسن لسنه وترمت الحداة بطيب غزله ؛ وتهادت الأقاليم تخف معجلاه
ومؤجله ، وعنت وجوه المهاريق لصعود كلمه الطيب ورفع صالح عمله - ما كان فيه
شكر لنعمة تمنها على الدولة سعادة جدودها وحظوظها ، وإفادة مصونها ومحفوظها ،
وإرادة مرموقها بحسن الاستيداع وملحوظها ؛ وحمد لمنحة أفاضتها بركات أحسنت
للمملكة الشريفة مالا ، وقربت لها مالا ، وأصلحت لها أحوالا ، وكازرت
مدد البحر فكلما أجرى ذلك ماء أجزت هي مالا ؛ وإن ضنت السحب أنشأت
هي سُحبا ، وإن قيل - بسح سينا - : روتق الأرض ذهب ، عوضت عنه ذهبًا ،
كم لها في الوجود من كرم وكرامه ، وفي الوجوه من وسوم ووسامه ؛ كم أحيت مهجا ،
وكم جعلت للدولة من أمرها محرجا ؛ وكم وسعت أملا ، وكم تركت صدر الحزن
سهلا ، وكم تركت صدر الخزائن ضيقا حرجا ؛ كم استخدمت جيش تهجد في بطن
الليل ، وجيش جهاد على ظهور الخيل ؛ وكم أنفقت في واقف في قلب بين صفوف
الحروب ، وفي واقف في صفوف المساجد من أصحاب القلوب ؛ كم سبيل يسرت ،
وسعود كثرت ؛ وكم مخاوف أدبرت حين دزت ، وكم آثار في البلاد والعباد آثرت
وأثرت ، وكم وافت ووفت ؛ وكم كفت وكفت ، وكم أعفت وعفت وعفت ، وكم
بها موازين للا ولبلاء ثقلت وموازين للا عداء خفت ؛ كم أجزت من وقوف ،

وكم عرفت بمعروف؛ كم بيوت عبادة صاحب هذه البركات هو محرابها، وسماء جود
هو سحابها ومدينة علم هو بابها؛ تثنى الليالى على تغليسه إلى المساجد فى الحنادس،
والأيام على تهجير عيادة الفقراء وحضور الجنائز وزيارة القبور والدواریس؛ يكتن
تحت جناح عدله الظاعن والمقيم، وتشكر مباره يثرب وزمزم ومكة والحطيم؛ كم
عمت سنن تفقداته ونوافله، وكم مرت صدقائه بالوادی - فسح الله فى مدته -
فأمنت عليه رماله وبالنادى فأمنت عليه أرامله؛ ما زار الشام إلا أغناه عن منة
المطر، ولا صحب سلطانه فى سفر إلا قال: نعم الصاحب فى السفر والحضر.

ولما كان المنفرد بهذه البركات هو واحد الوجود، ومن لا يشاركه فى المزايا
شريك وإن الليالى بإيجاد مثله غير ولود؛ وهو الذى لو لم نسمه قال سامع هذه
المناقب: هذا الموصوف، عند الله وعند خلقه معروف؛ وهذا المدوح، بأكثر من
هذه الممدوح والمحمد من ربه ممدوح وممنوح؛ وهذا المنعوت بذلك، قد نعتته بأكثر
من هذه التعتوت الملائك؛ وإنما نذكر نعوته لتبذنا، فلا يعتقد خاطب ولا كاتب
أنه وفى جلالته بعض حقها فإنه أشرف من هذا؛ وإذا كان ولا بد للممدوح أن تجول،
وللقلم أن يقول؛ فتلك بركات المجلس العالى، الصاحبى، السيدى، الورعى،
الزاهدى، العايدى، الوالدى، الذخرى، الكفيلى، الممهدى، المشيدى،
العونى، القوامى، النظامى، الأفضلى، الأشرفى، العالمى، العادلى، البهائى؛ سيد
الوزراء فى العالمين، كهف العابدين، ماجأ الصالحين؛ شرف الأولياء المتقين؛ مدبر
الدول، سداد الثغور، صلاح الممالك؛ قُدوة الملوك والسلاطين، يمين أمير المؤمنين؛
على بن محمد: أدام الله جلاله. من تشرف الأقاليم بجياطة قلمه المبارك، والتقاليد
بتجديد تنفيذه الذى لا يساهم فيه ولا يشارك؛ فما جدد منها إنما هو بمثابة آيات

فتردد، أو بمنزلة سجلات في كل حين بها يُحكّم وفيها يُشهد ؛ حتى نتناقل ثبوته الأيام والليالي ، ولا يخلو جيد دولة من أنه يكون الحالى بما له من فائز الآلى .

فلذلك نخرج الأمر العالى - لا بريح يكسب بهاء الدين المحمدى - أتم الأنوار ، ولا بريح مراسمه تزهو من قلم منقذه بذى الفقر وذى الفقار - أن يضمّن هذا التقليد الشريف بالوزارة التامة ، العامة ؛ الشاملة ، الكاملة : من المآثر الشريفة الصحابية ، البهائية ؛ أحسن التضمين ، وأن يُنشر منها ما يتلقّى رايته كل رب سيف وقلم باليمن ؛ وأن يُعلم كافة الناس ومن تضمه طاعة هذه الدولة وملكها وسلطانها من ملك وأمير ، وكل مدينة ذات منبر وسرير ، وكل من جمعته الأقاليم من ثواب سلطنه ، وذى طاعة مدعنه ؛ وأصحاب عقد وحلّ ، وظعن وحلّ ؛ وذى جنود وحشود ، ورافعي أعلام وبؤود ؛ وكل راجع ورعيه ، وكل من ينظر في الأمور الشرعية ؛ وكل صاحب علم وتدرّيس ، وتهليل وتقديس ؛ وكل من يدخل في حكم هذه الدولة الغالبة من شمسها المضيئة ، وبدورها المنيرة وشهبها الثاقبة ، في الممالك المصرية ، والنوبية ، والساحلية ، والكركية ، والشوبكية ، والشامية ، والحلبية ، وما يتداخل بين ذلك ، من ثغور وحصون وممالك - أن القلم المبارك الصحابيّ البهائيّ في جميع هذه الممالك مبسوط ، وأمر تديرها به منوط ، ورعاية شفقتة لها منحوت ؛ وله النظر في أحوالها ، وأمواها ؛ وإليه أمر قوانينها ، ودواوينها ، وكتّابها ، وحسابها ؛ ومراتبها ، ورواتبها ؛ وتصريفها ، ومصرفها ؛ وإليه التولية والصرف ، وإلى تقدّمه البدل والنعث والتوكيد والعطف ؛ فهو صاحب الرتبة التي لا يحلّها سواه وسوى من هو مرتضيه ، من السادة الوزراء بنيسه ، وما سمينا غيره وغيرهم

(١) بالصَّحُوبِيَّةِ فليحذر من يُحَاطِبُ غَيْرَهُ [و] غيرهم بها أو يُسَمِّيهِ ؛ فكما كان والدنا الشهيد رحمه الله يخاطبه بالوالد قد خاطبناه بذلك وخَطَبْنَاهُ ، وما عدَلْنَا عن ذلك بل عدَلْنَا لأنه ما ظَلَمَ مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ ؛ فمَنْزِلَتُهُ لِأَسْمَائِىَ وَلَا تُسَامُ ، ومَكَانَتُهُ لَا تُرَامِىَ وَلَا تُرَامُ ؛ فمن قَدَحَ فى سِيَادَتِهِ من حُسَادِهِ زِنَادَ قَدَحِ أُحْرِقَ بِشَرِّ شَرِّهِ ، ومن رَكِبَ إِلَى جَلَالَتِهِ ، تَجَجَّ سُوءُ أُغْرِقَ فى بَحْرِهِ ، ومن قَتَلَ لِسَعَادَتِهِ ، حَبَلَ كَيْدِ فَإِنَّمَا قَتَلَهُ مُبْرِمُهُ لِنَحْرِهِ ؛ فلتلزم الألسنة والأقلام والأقدام فى خِدْمَتِهِ أَحْسَنَ الآدَابِ ، وليقل المترددون : حِطَّةٌ إِذَا دَخَلُوا الْبَابَ ؛ وَلَا يَغْرَنَّهُمْ فِرْطٌ تَوَاضَعَهُ لِدِينِهِ وَتَقَوَاهُ ، فمن تَأَدَّبَ مَعَهُ تَأَدَّبَ مَعَنَا ومن تَأَدَّبَ مَعَنَا تَأَدَّبَ مَعِ اللَّهِ . وَلِيَتَلَّ هَذَا التَّقْلِيدُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ، وَتُنَسَخَ نُسَخَتُهُ حَتَّى تَتَنَاقَلَهَا الْأَمْصَارُ وَالْبِلَادُ ؛ فَهُوَ حَجَّتْنَا عَلَى مَنْ سَمِّيَاهُ خُصُوصًا وَمَنْ يَدْخُلُ فى ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْعُمُومِ ، فليعملوا فيه بالنص والقياس والاستنباط والمفهوم ؛ والله يَزِيدُ الْمَجْلِسَ الصَّاحِبِىَّ الْوَزِيرِىَّ الْبَهَائِىَّ سَيِّدَ الْوُزَرَاءِ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيُبْقِيهِ لِنَابِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ يَصُونُهُ لِشِبْلِهِ كَمَا صَانَهُ لِأَسَدِهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَيَمْتَعُّ بِنَيْتِهِ الصَّالِحَةَ الَّتِي يَحْسُنُ بِهَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - نَمَاءَ الْفِرْعِ كَمَا حَسُنَ نَمَاءُ أَصْلِهِ ، بِمَنَّةٍ وَكِرْمَةٍ ! .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كُتِبَ بِهِ لِلصَّاحِبِ تَاجِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ نَفَرِ الدِّينِ
أَبْنِ الصَّاحِبِ بَهَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ حَنَّا ، فى ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وستمائة ،
من إنشاء المولى شهاب الدين محمود الحلبي ، تغمده الله برحمته ، وهى :

(١) فى التعبير بالصحوبية تسامح فى العربية .

الحمد لله مَكَّلَ شرفِ الوزارة بطلعة تاجها ، ومشرف قدرها بمن تُشرق عليها
 أشعة سعده إشراق الكواكب على أبراجها ، ورافع لواء مجدها بمن تلقته بعد الحفاء
 في حلل سرورها وحلي آبتهاجها ؛ وتخلت بعد العطل من جواهر مفاخره بما تترين
 عقود السعود بأزدواجها ، وترفل من آتسائها إلى أبهة بهائه بما يودُّ ذهب الأصيل
 لو أمترج بسلوك أنتساجها ؛ الذي شيد قواعد هذه المرتبة السنية في أيامنا وجددها ،
 وبعث لها على فترة من الأكفاء من حسم الأدواء فكان مسيحها وشرع المعدلة
 فكان محمدًا ؛ وردّها بحكم الاستحقاق إلى من لا يُختلف في أنه صاحبها ، ورجعها
 إلى من خطبته لنفسها بعد أن أحجم لشرف قدرها خاطبها .

نحمده على أن شدّ أزر ملكنا بأكرم وزير ، وأيمن مشير ؛ وأجل من ينتهى إلى
 بيت كريم ، وحسب صميم ، ومن إذا قال لسان ملكنا : (أئتوني به أستخلصه
 لنفسي) قالت كفايته : (أجعلني على خزائن الأرض إني حفيظٌ عليم) .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نُقرُّها سرًّا وعلنًا ، ونُقرُّها
 هذه العقيلة الجليلة عند من يكسوها مجده رفعةً وسنا ، ويلبس جفن الدهر عنها
 وسنا ؛ ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله المخصوص بكل صاحب شهد الكتاب والسنة
 بفضله ، وقام بعضهم بحسن مؤازرته مقام من شدّ الله [به] عضد من سأله وزيراً من
 أهله ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تغرب شمسها ، ولا يعزب أنسها ،
 ولا يتفاوت في المحافظة عليها غدها وأمسها ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أولى من خطبت بحمده الأعلام ، وأفتتحت به الدولة التي آبتسمت
 بنسيمها ثغور الأيام ؛ وودت مسكة الليل لو ما زجت أنفاسه ، وأمّل بياض النهار
 لو أخذ من غير سمة عوض ورق الورق قرطاسه ؛ وتحاشدت النجوم لتنتسق في سلك

معانيه وطارت بذكره فى الآفاق أنباء السُّعود، وحكمت الجُدود بأنه فى آقبال
إقباله نهاية الآباءِ وغاية الجُدود ؛ وأقترت به تُغور الممالك عن أحسن الدرِّ النَّضيد ،
وسرت بذكره رفاق الآفاقِ فنى كلِّ نادٍ مُنادٍ وفى كلِّ برِّ برِّيد ، وأختالت به أعطافُ
الدولة القاهرة فأوت من الرأى السَّديد إلى كلِّ ركنٍ شديد، ونطق به العدلُ والحقُّ
نخرس الظلم وما يُبدئ الباطل وما يُعيد، وجرت به أقدارُ ذوى الرُّتب على أجمَل
مناهجها فأما أهل العدل فيُقرَّبون نجيًّا وأما أهل الظلم فأولئك ينادون من مكانٍ
بعيد ، وبدت به وجوهُ المصالح سافرةً بعد الحجاب ، بارزةً بعد طول الأنتقال إلى
الانتقال ، داخلةً بوفود المحامد من كلِّ باب ، إلا الظلم فإنه بحمد الله قد سدَّ ذلك
الباب . وأقرَّ منصبُ الوزارة الشريفة أنا أعدنا به الحقَّ إلى نصابه ، ورددناه إلى من
هو أولى به بعد اغتصابه ، وألبسناه من بهجة أيا منا تاجًا ردَّ عليه عزًّا لا تطمع
يدُ الذهب فى أتباعه عنه ولا استلابه ؛ وتقليده لمن يودُّ الفرقد لو عُقد به إكليهُ ،
ويتمنى الطُّرف لو أدرك غاية مجده وإن رجع وهو حسيُّ البصر كليله ؛ وتفويض
ذلك إلى من كان له وهو فى يد غيره ، ومن به وببيته تمهدت قواعدُه فما كان فيه
من خير فهو من سيرتهم وما كان من شرٍّ فن قبل المقصر من عثارهم فى سيره ؛
وما أحدث فيه من ظلم فهو منه براء إذ إنَّم ذلك على من أجتراً عليه ، وما أُجرى
به من معروف فإلى طريقهم منسوبٌ وإن تلبَّس منه بما لم يُعط من نُسب إليه ؛
وما خلا منهم هذا الدسُّ الكريم إلا وهم بالأولوية فى صدره الجلوس ، ولا تصدَّى
غيرهم لتعاطيه إلا وأقبلت عليه فى أيامه الجُسوم وعِلية النُّفوس .

ولذلك لما كانت هذه الدولة القاهرة مفتحة بالبركات أيامها ، ماضية بكفِّ
الظلم ونشر العدل سُيوفها وأقلامها ، مستهلةً بالارزاق سُحْب فضلها التى لا يُقلع

غمأها - آقتضت الآراء الشريفة اختيار خير صاحب يعين على الحق بآرائه، ويمجّل
الذست ببهجته وروائه، ويحجى الأرزاق بوجه لو تأمله أمر وظامى الجوانح
لآرتوى من مائه؛ وكان المجلس العالى، الصاحبى، الوزيرى، التاجى: أدام الله
تعالى نعمته، ورحم سلفه، هو المخطوب لفضله، والمطلوب لهذا الذست الذى
تعين له دون الأكفاء وإن لم يكن غير أهله من أهله؛ وما زال يتشوف إليه تشوف
البروج إلى نجوم السعود، ويتطلع إلى محياه الذى هو كنور الشمس فى الدنو وكحلها
فى الصعود؛ وما زالت الأدعية الصالحة ترتفع فى أيامه لمالك عصره، والآراء تُقام
منها جنود لتأبده وحشود لنصره، والأموال تُحمل منها إلى خزائنه بأشبه بموج البحر
فى الحضر دون حضره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - ضاعف الله مواهبه العميمة، وكل جلال دولته
بتفويض أمورها إلى ذوى الأصول العريقة والبيوت القديمة - أن تُحلى منه هذه
الرتبة العلية بما حلى به الدين، وتُعد له رايه فضلها المتين؛ ليتلقاها شرقاً وغرباً،
وبعداً وقرباً؛ وبراً وبحراً، وشاماً ومِصراً، ويحلى حلاه علم وعلم، وسيف وقلم؛
ومنبر وسرير، وأمور وأمير .

فلتلق أمره بالطاعة كل مؤتمر بأمرنا الشريف، جارٍ فى طاعتنا المفروضة بين
بيان التقليد وعنان التصريف؛ وليبادر إلى تدير أمور الأقاليم بأقلامه المباركة،
ويمض القواعد على ما تراه آراؤه المتزهة عن المنازعة فى الأمر والمشاركة؛ وليشركه
العدل التى أمر الله بإضافة الإحسان إليها، ويمتد يدع الظلم فإن الله يشكره على تلك
الإماتة ويمجده عليها؛ ويسهل رزق الصدقات، ووظائف القربان، فإن ذلك من
أجل ما قدمته [الطائفة] الصالحة بين يديها؛ وليكثر بذلك جنود الليل فإنها لا تطيش
سهاؤها، ويتوق من محاربتها بظلم فإنه لا يداوى بالرقى سهاؤها، وليعود بتائم التيسير

مواهبنا فإنَّ تمام النعمة تَمَّأَمُّها ؛ وليطلق قلمه في البَسْطِ والقَبْضِ وليُعِدِّ بتدييره على هذا المنصب الشريف بهجته ، ويتدارك بآرائه ذمَّاه وبدوائه مهجته ؛ ويصنُّ عن شوائب الظلم حرمة ، ويخلص ذممتنا من المآثم وذمته ؛ وليعلم أنَّ أمور المملكة الشريفة منوطة بآرائه وأحكامه ، مضبوطة بأقواله وأقلامه ؛ فليجعل فكره مرآة تجلُّو عليه صورها ، ويقم آراءه صحفا تتلو لديه سورها ؛ ويأمر النواب بما يراه من مصالحنا ليلبوه سامعين ، ويُسهر جفنه في مصالح البلاد والعباد لترقد الرعايا في مهاد الأمن وادعين ؛ ويعضد الشريعة المطهرة بتنفيذ أحكامها ، وإعلاء أعلامها ؛ وإظهار أنوارها ، وإقامة مرفعه الله من منارها ؛ ولا يعدل في أمور مباشرتها بالممالك الشريفة عن آرائه ، ولا يمضى فيها عزلا ولا ولاية إلا بعد تتبُّعه الواجب في ذلك وأستقراره ، وهو أعلم بما يجب لهذه الرتبة من قواعد إليه يرجع في أوضاعها ، وعليه يُعَوَّل في اصطلاحها لِانفرادها فيه واجتماعها ؛ فليفعَل في ذلك ما هو عليه بحسن الشناء جدير ، وليعتصم بالله في أموره فإنه نعم المولى ونعم النصير ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة ، كُتِبَ به للصاحب ضياء الدين بالاستمرار على الوزارة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي :

الحمد لله الذى شدَّ أزر ملكنا الشريف ، بمن أضاء في أفق الدين علمه ، وشيّد قواعد عدلنا المنيف ، بمن أعلت منار الحق آياته في أحكام الممالك وحلمه ، ووطد أركان دولتنا القاهرة بمن يفعل في نكاية أعداء الله فعل الحرب العوان سلّمه ،

وأجرى الأرزاق في أيامنا الزاهرة على يد من كفت أقلامه كفت الحوادث
فلا عدوان تغشى ظلمه ولا عاد يحشى ظلمه ، وصان ممالك المحروسة بآراء من إن
صرف إلى نكايه أعداء الله حد يراعه لم ينب موقعه ولم يعف كلمه ، وإن صرفه
في حماية نعر لم يسم برقه ولم يدق بالوهم ظلمه ، وإن حمى جانب إقليم عز على
الأيام ثل عروش ما حماه وشمه ، وإن أرهقه لذب عن دين الله راعت عدو الدين
منه يقظته وسله عليه حلمه .

نحمده على نعمه التي زانت أسنى مناصب الدنيا في أيامنا الزاهرة بضياء الدين ،
وأعلت أقدار الرتب العليا بتصرفها بآراء من أصبح علمه علما للتقين وعمله سنا
للتقين ، وبخرت ينابيع الأرزاق في دولتنا القاهرة بيد من أغنى بيدنا المعتفين
وقع بمهايتنا المعتدين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعاد يمينها على سمع المنابر من
نوعتها ما فقد ، وأطفا إعلانها عن حمايتها لهب العناد وقد وقد ، وفوض أعتناؤنا
بمصالح أهلها أمورهم إلى أكل من أنتقى لنا التأيد من ذخائر العلماء وأفضل
من أنتقد ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أقامنا الله للذب عن أمته ، وجلا
بنور جهادنا لأعدائه عن قلب كل مؤمن ما أظله من غمه وران عليه من نعمته ،
وعضدنا من أئمة ملته بمن أردنا مصالح العباد والبلاد في إلقاء كل أمر إليه
بأزمته ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فاز بسبقه ، وحاز بتصديقه
قدم صدقه ، وأختصه الله بمؤازرة نبيه دون من آجته من خلقه ، ومنهم من
كان الشيطان ينكب عن طرقه ، ونطق من الصواب بما نزل الذكر الحكيم على
وقفه ، وسمى الفاروق لتمييزه بين الحق والباطل وفرقه ، ومنهم من قابل المعتدين

برفقهِ وقُتِلَ شهيدًا على حَقِّهِ ، وكانت ملائكةُ الرحمن تستحي من خلقه الكريم
 وكرم خلقه ؛ ومنهم من طلع [لا] مع نُور الإيمان من أفقه ، وكان سيفه من كل ملحد
 فى دين الله بمشابهة قِلادةِ عنقه ، وطلّق الدنيا تورعًا عنها وببيده مفاتيح ما بسط
 الله للأمة من رزقه ؛ صلاةٌ يُقيم الإيمان ، فرضها ، ويملاؤها الإيقان ، طول البسيطة
 وعرضها ، وتزيّن كواكب ذكراها ومواكب نصرها سماء الدنيا وأرضها ؛ وسلم
 تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن أولى من رُقيت لأعطاف فضله حُلل الكلام ، ونُظمت لأجساد
 ذكره فرائد المعانى المستخرجة من بحار الفكر على ألسنة الأقلام ؛ ووُشّحت التقاليد
 من مناقبه بما هو أحسن من آتساق الدرارى على هالاتِ البُذور ، وجلّى على المسامع
 مفاخره بما هو أبهى من النور فى العيون ! وأحلى من الأمن فى القلوب ! وأوقع من
 الشفاء فى الصدور ، وأطلع فى أفق الطروس من أوصافه شمس أسفر بأنواع العلوم
 ضياؤها ، وأُنشئت فى أثناء السطور من نعت ما اثره سحّب إذا قابلتها وجوه الحيا
 سترها بجمرة البرق حياؤها ؛ وأودعت المهارق من ذكر خلاله لطفًا يودّ ذهب الأصيل
 لو ناب عن أنفاسها ، ومُنحت صدور المعانى من معاليه طرفًا نتمى الرياض العواطر
 لو تلقّت عن أنفاسها - من سمت الوزارة باستقرارها منه فى معدن الفضائل ،
 وآتسمت منه بالصاحب الذى أعادت أيامه ما فقد من محاسن السير الأوائل ؛
 وآبتسمت من علومه بالعلامة الذى تنتفع من أحكامه أحكام الفروع وتنتفع من
 تواقعه عيون المسائل ، وآتصفت من معدلته بالمنصف الذى هجر فى أيامه هجير
 الحيف والظلم فلاوقات فى أيامه المباركة كلها أسحار وأصائل ؛ وأبتهجت من إنصافه
 بالعدل الذى سهّل على ذوى المطالب حجاب بابه فلا يحتاج أن يطرق بالشفاعات
 ولا أن يُستفتح بالوسائل ، وأشرق من مفاخره بالكامل الذى حسنت به حُلل

الثناء فكانها آبتسامُ تُغور النور في أثناء الخمائل ، فالعدل في أيامه كالإحسان شامل ، والمعروف بأقلامه كالشعب المتكفلة برى الأرض الهامل ، والظلم والإنصاف مفترقان منه بين العدم والوجود فلا يرى بهذا أمرا ولا يردُّ عن هذا أمل ، قد أعطى دسّت الوزارة الشريفة حقه : فالأقدار بآياته مرفوعة ، والمضارُّ بمعدّته مدفوعة ، وكلمة المظلوم بإنصاف إنصاته مسموعة ، وأسباب الخيرات بحسن نيته الحسنة مجموعه ، والأقاليم بكلاءة أقلامه محوطة ، وأحوال المملكة بأرائه المشتملة على مصالحها منوطة ، والثغور بحسن تفقده مفترّة المباسم ، مصونة بإزاحة الأعدار عن مرّ الرياح النواسم ، أهلة النواحي بموالاة الحمول التي لا تزال عيسها بإدامة السرى دامية المناسم ، والبلاد بما نشرت أقلامه من العدل معموره ، والرعايا بما بسطت [يد] إحسانه من الإحسان معموره ، وأرباب التصرف بما تقتضيه أقلامه عن الحيف منهية وبالرفق مأموره ، والأيدى بالأدعية الصالحة لأيامنا الزاهرة مرتفعة ، والرعية لتقلبها في مهاد الأمن والدعة بالعيش متفعه ، وبيوت الأموال أهلة ، على كثرة الإنفاق ، والغلال متواصلة ، مع التوفّر على عمارة البلاد ، والحمول متواليّة مع أمن من صدرت عنهم على ما في أيديهم من الطوارف والتلاد ، والأمور بالتيقظ لها على سعة الممالك مضبوطة ، والنفوس بالأمن على ما هي عليه من التملّى بالنعم مغبوظه ، والمناصب مصونة بأكفائها ، والمراتب أهلة بالأعيان الذين تنبّهت لهم في أيامه عيون الحظ بعد إغفائها ، ومجالس المعدلة حالية ، بأحكام سيرته المنصفه ، ومواطن العلم عالية ، بما يملئ فيها من فوائده التي أتعب ألسنة الأقلام ما فيها من صفه .

ولما كان الجنابُ العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الضيائى ، وزير الممالك الشريفة ، هو الذى كرمت به مناسبتها ، وعظمت بالانتماء إليه مناصبها ، وتحلّت

بعلمه معاطفها ، ونزلت على حكم حلمه عوارف ربها العميمة وعواطفها ؛ وزهت
بجواهر فضائله أجيادها ، وأستوت في ملايس حلل المسرة به أيامها الزاهية
وأعيادها ؛ وأنارت بمعدنته لياليها ، وأشرق بالانتظام في سحاب^(١) إيالته لآليها ؛
فكم من أقاليم صان قلبه أموالها ، وممالك حلى عدله أحوالها ، وبلاد أعان تدبيره
السحب على ربها ، وأعمال أبان عن استغنائها بتأثيره عن منة الحيا حسن مسموعها
ومرئيا ؛ وأرزاق أدزها ، ورزق أجرها على قواعد الإحسان وأقرها ؛ وجهات بر
أعان واقفيها عليها ، وأسباب خير جعل أيا منا بإدامة فتحها السابقة إليها ؛ وقدم
سعاية أزالها وأزتها ، وكلمة حادثة أذالها وأذتها ؛ ووجه مصرة ردها بيد المعدلة
وصدها ، وأبواب ظلم لا طاقة للرعية بسلو كها أغلقها بمنى يمنه وسدها ؛ فدأبه أن
يسدد إلى مقاتل العدا باتخاذ اليد عند الفقراء سهام الليل التي لا تصدها الدروع ،
وأن يجدد لأوليائنا من عوارف آلائنا أخلاف بر تروى الآمال وهى حافلة الضروع -
أقتضت آراؤنا الشريفة أن نزين مجده غرر التقاليد ، ونجدد إليه فى أمور وزارتنا
الشريفة إلقاء المقاليد ؛ وأن نوشي الطروس من أوصافه بما يجدد على أعطافها
الخبر ، ونردد على السنة الأقاليم من نعوته مالا تمل المسامع إيراد الخبر منه بعد الخبر .
فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى -
لازال الدين فى أيامه الشريفة مشرقا ضياؤه ، أهلة باعتلائه مرابع الوجود وأحياؤه ،
مدودة على الأمة ظلالة الوارفة وأفياؤه - أن يجدد هذا التقليد باستقراره تجديدا
لا يبلى الدهر حله ، ولا تقوض الأيام حله ؛ بل يشرق فى أفق الممالك إشراق^(٢)

(١) السحاب بكسر السين المهملة وبالنحاء المعجمة قلادة من مسك وقرنفل ومحلب بلا جوهر
جمعه ككتب .

(٢) جمع حلة بالكسر بمعنى البيوت وهى مائة فما فوقها انظر المصباح .

النجوم الثوابت ، ويتفرع في مصالح الملك تفرع الأفتان الناشئة في الأصول النوابت ؛
وتختال به مناصب الدولة القاهرة في أسنى ملبسها ، وتضيء به مواطن العلوم إضاءة
صباحة المصباح في يد قالسها ؛ وتُسْتَرَفَعُ لنا به الأدعية الصالحة من كل لسان ،
وتجتلي به لأيامنا الزاهرة من كل أفق وجوه الشكر الحسان .

فلتجر أرقامه في مصالح دولتنا الشريفة على أفضل عاداتها ، ويرسلها في نشر العدل
على سجيته وفي إجراء الجود على جادتها ، ويكف بها أكمف الحوادث وإنما تزال
أسباب الظلم بحسب مادتها ؛ ولينطقها في مصالح الأموال بما تظلل له مسامع الجمول
مُصْغِيهِ ، ويطلقها في عمارة البلاد بما تغدوله ألسنة الخصب حافظه ولما عداه
مُلْغِيهِ ؛ وكذلك الخزائن التي هي معقل الإسلام وحصونه ، وحماءه الذي لا يتبدل
بغير أمرنا الشريف في مصالح الملك والملة مَصُونُهُ ؛ فليجعلها بتديره كالبحار
التي لا تنقص بكثرة الوارد حماها ، ولا تنزعها السحب لكثرة ما تحمل إلى الآفاق
عماها ؛ ولتكن كلمة العدل من أهم ما تفتتح به مجالسه ، وآكد ما يؤمر به محاضره
من الأولياء ومجالسه ؛ وأزكى ما يستجيد [به] لأستثمار الدعاء الصالح مغارسه ،
وأوثق ما يحوط به حمى الملك الذي إذ اغفا جفن عينه كان حارسه . وأول ما ينبغي
أن يُنَافِسَ عليه حاضر دسسته وغائبه ، وأولى ما يُعِدُّ على إهماله نكاله ويعتد على
إقامته رعايته .

وليلاحظ من مصالح كل إقليم ما كأنه ينظر إليه بعين قلبه ، ويمثل صورته
في مرآة لبه ؛ فيقرر كل أمر على ما يراه من سداده ، ويقرر حال كل نعر على
ما يحصل به المراد في سداده ؛ فيغدو لأعداره بموالاته الجمول إليه مريحا ، ويمسى
بسد خله لخواطر أهل الكفر متعباً ولخواطرننا الشريفة مريحا ؛ وينظر في أحوال

من به من الجُند والرجال بما يؤكّد الطاعة عليهم ، ويجدّد الاستطاعة لديهم ؛
ويُزيل أعدّارهم وأعدّارهم [بوصول حقوقهم اليهم ، ويوفّرهم على إعداد الأهبة
للأعداء] ^(١) إذا أتوهم من فورهم ، ويكفّهم بإدرار الأرزاق عليهم عن اعتدائهم
على الرعايا وجورهم ؛ ويتفقّد من أحوال مباشريها وولاية الحكم والتحكّم فيها
ما يعلمون به أنه مناقشهم على الأمور اليسيره ، والهفوات التي يرونها قليلة وهي
بالنسبة إلى كثرة الرعايا كثيره ؛ ويتعهّد أمور الرتب الدينيّة فلا تؤخّد مناصبها
بالمُناسب ، ولا تغدو أوقافها المُعدّة لآكتساب العلوم في المكاسب ؛ بل يتعين أن
يرتاد لها العلماء الأعيان حيث حلّوا ، ويُقرّر في رتبها الأئمة الأكفاء وإلا آتخذ
الناس رؤوسا جهّالا فضّلوا وأضلّوا . ولكن أعلامه على كلّ ما جرت به العوائد
في ذلك محتويه ، وأيامه على أكل القواعد في ذلك وغيره منطويه ، فما ثمّ شيء من
قواعد الوزارة الشريفة خارج عن حكمه فليكتب يمثّل ، وليقل في مصالح دولتنا
القاهرة يَكُن قوله أمضى من الطبّا وأسرى من الصبّا وأسير من المثل ؛ فلا تُمضى
في ذلك ولاية ولا عزّل ، ولا منع ولا بدّل ، ولا عقد [ولا] حل ؛ إلا وهو معدوق
بآرائه ، متوقّف على تنفيذهِ وإمضاءهِ ؛ متلقّ ما يقترّر فيه من تلقائه ، وفي الأكتفاء
يسيره ما يُغني عن إطرائه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة :

الحمد لله الذي شدّ لدولتنا القاهرة باصطفاء أشرف الوزراء أوزرا ، وخصّ أيامنا
الزاهرة باجتباء من حماها عدله أن تَضَع أو تَحْمِل وزرا ، وأفاض إنعامنا على من طلع

(١) الزيادة من التقليد الآتى بعد .

في أفق خدمتنا هلالاً وأستقلّ بحسن السير والسيّرة بدراً، وضاعف إحساننا لمن [لا]
 نرفعه إلى رتبة شرف إلا وكان أجلّ الأكفاء على ذلك قُدرةً وقُدراً ، وجمل ملكنا
 من إذا آفتخرت الدول ببعض مناقبه كفاها ذلك جلالاً وفخراً، وإذا أدّخرت تدييره
 وبذلت ما عداه فحسبها ما أبقتته وقايةً للملك وذخراً، وبسط عدلنا في الأقاليم بيد
 من حين أمرنا القلم بتقليده ذلك سجّد في الطرس شكراً، وأفتتح بحمد الله يدكّر النعمة
 به على آلائه إن في ذلك لذكرى، وأخذ في وصف دُرر مفاخره التي تمثلت له
 فنضّدها دون أن يستدعي رويّة أو يعمل فكراً .

نحمده حمد من والى إلى أوليائه ، موادّ النعم ، وأضفى على اصفياه ، ملايس
 الكرم ، وحفظ لمن أخلص في طاعته معارف معروفة التي هي في أهل النهى ذم ،
 ونبه لمصالح رعاياه من عمّ عدله وإن لم يعف عن ملاحظة أمورهم ولم يتم .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نعلنها ونعلينا ، ونرخص أرواح
 جاحديها ونعلينا ، ونوالى النعم على المتمسك بها ونولينا ، ونقرّب بيمينها رتب الأولياء
 من إحساننا وندينها ، ونجدد لهم بتأييدها ملايس المنن نُظهِر عليهم آثار النعم السنينة
 فيها ، ونرفعههم بحسن عنايتنا إلى أشرف غاية كانوا يُسرّون أهليتهم لها والله يبيدها ؛
 ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أقامنا لنصر دينه فقمنا به كما أمر ، وأبقى على
 أيامنا حكم أيامه فاستمرّ الحال على ما سبق به دعوته من تأييد الدين بعمر ، وخصنا
 من ينتمى إلى أصحابه بأجل صاحب ينوب عن شمس عدلنا في محور ظلمة الظلم مناب
 القمر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الزهر الغر ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من اختيرت جواهر الكلام لرصف مفاخره ، واختبّت غرر
 المعاني لوصف آثاره في مصالح الإسلام وما أثره ؛ وقامت خطباء الاقلام على منابر

الأنامل بشيرة يُن أيامه ، وتطلعت مقل الكواكب مشيرة إلى ما أقبل على الأقاليم
 من إقباله وسحبت سحب أعلامه ؛ وتبرجت زهر النجوم لينتظم في عقود مناقبه
 سعودها ، وتارجت أرجاء المهارق إذ تبأج من ليلٍ عن فجر عمودها ؛ وسارت به
 أنباء السعود والقلم الناطق بذكره وهو المخلق الميمون طائرته ، والطرس الموشع بشكره
 وهو المخلق الذى تملأ الدنيا بشائره - من أستخلصته الدولة القاهرة لنفسها فتملاها
 عينا وسريرا قلبا ، وأختصته بخواصها الشريفة فرحب بها صدرا ولباها لبيا ، وكلف
 بمؤازرتها لذاتها حتى قيل : هذه (تراود فتأها عن نفسه قد شغفها حبا) ؛ وأحلتها
 من وزارتها الشريفة بالمكان الأسمى والحرم الحريرى ، وأثنت على فضله الأسمى بلسان
 الكرم البسيط الوجيز ، وأعمدت في أمور رعاياها على ما فيه من عدل وورع لا ينكر
 وجودهما من مثله وهو فى الحقيقة عمر بن عبد العزيز ؛ وأدنته عنايتنا منا لما فيه
 من فضيل عميم ، وحسب صميم ، ونسب حديث مجده قديم ، وأصالة إذا أفتخرت
 يوما تميم بقومها قالت أين تميمك من جدّه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 تميم ؛ وغرسته لنفسها وطال ذلك الغرس وطاب الثمر ، واعتضدت بتديره
 فكان له عند أطراف العوالى فى مكانه الأعزّ أطرف سمر ، ووثقت بما فيه من
 عدل ومعرفة لا ينكر من نحا الصواب أجمعهما فى عمر ؛ وأشتقت له بإحساننا من
 نسبه ووصفا جميلا ونعتا جايلا ، وخصته لمزية ذلك الأشتقاق بمزيد قربنا فأسمى
 فى خدمتنا جليلا وأصبح خليلا ؛ ورعت له ما قد تم من تدير أتي عليه بنفسه ،
 وسدادٍ ظهرت مزية كل يوم منه على أمسه ؛ وسعي جميل ما برح فى مصالح
 الإسلام رائحا وغاديا ، واجتهاد فى أمور أهل الجهاد ما برح يدأب فيه علما بما أعد
 الله لمن جهز غازيا ؛ ودان له من حُسن ملاحظته الأمور ما ليس للوصف به من

قَبْلَ ، وتَأَمَّلْتَ مَا يُكشَفُ لَهُ عَلَى البُعْدِ مِنَ المَصَالِحِ التِي يَأْمُرُ بِالصَوَابِ فِيهَا وَكَيْفَ
لَا وَعُمَرُ الَّذِي شَاهَدَ السَّرِيَّةَ عَلَى البُعْدِ مِنْ سَارِيَةِ الجبلِ ؛ وَأَيَقِنْتَ بِسَطِّ العَدْلِ
فِي الرَّعَايَا إِذْ هُوَ مُؤْتَمِرٌ وَالعَادِلِ أَمْرًا ، وَتَحَقَّقْتَ عِمَارَةَ البِلَادِ عَلَى يَدَيْهِ لِأَنَّ عُمَرَ بِحُكْمِ
العَدْلِ عِنْدَ الحَقِيقَةِ عَامِرٌ .

ولذلك لما كان المجلس العالی الفخريّ - ضاعف الله نعمته - هو الذي قرَّبته
طاعتنا نجيًّا ، ورفعته ولايتنا مكانًا عليًّا ، وحقق له آجتهاده في مصالح الإسلام الأمل
من رضانا وكان عند ربه مرضيًّا ، وأخلص في خدمة دولتنا الشريفة فاتخذته
لخاصّ الأمور وعامتها صفيًّا ، وأظهر ما بطن من جميل آجتهاده فجعلته لمصالح الملوك
وزيرا وصاحبًا ووليًّا ؛ وأنجزت منه لتدبير أمور الممالك ما كان الزمنُّ به ما طلا ،
وأجرت على يده التي هي مليّة بتصرف الأرزاق ما لا يبرح غمامه ها طلا ، وقلدته
رعاية الأمور وأمور الرعايا علمًا أنه لا يترك لله حقًّا ولا يأخذ باطلا ، وقلدت جيده
بأسنى حلّي هذه الرتبة الجليلة وإن لم يكن منها بحكم قُربه منا عا طلا ، ورفعت له
لواء عدل ما زال له بالمئى في أيامنا الشريفة حاملا ، وكلمت له ببلوغ الغاية من أفق
العلو رفعة قدره وما زال المؤهل للكمال باعتبار ما يؤل إليه كاملا ، وتوهت بذكره
وما كان لظهور محاميل هذا المنصب الجليل عليه في وقت خاملا ، ونظرت الرعايا
فما عدلت بهم عن بر رفيق ، وصاحب شقيق ، ووزير عمريّ السيرة ماسلك طريقا
إلا وعدل شيطان الظلم عن ذلك الطريق ؛ وكان هذا المنصب الجليل غاية مدار
الممالك عليها ، وقبلة توجه وجوه أهل الطاعة فيما يُفاض عليهم من نعمنا إليها ؛
وهو الذي يتدرع صاحبه من أنواع الطاعات لبوسا ، ويعالج من أدواء المهام ما بغير
عزائم لا يوسى ، ويتردد في المخالصة والمناصحة من مالك أمره بمنزلة هارون
من موسى - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نقوض ذلك إلى من نهض في طاعتنا

الشريفة بما يجب ، وعلمنا تحرزه لدينه ولنا فيما يأتى ويحتنب ؛ ومن تزد به مع نغره أيامنا الشريفة نغرا ، ويصبح له مع ماله من الجلالة فى نفسه رتب جلالة أخرى .

ولهذا رسم بالأمر الشريف العالى المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى : -
لا زال يصرف الأقدار بيمين أيامه ، ويشرف الأقدار بيره وإنعامه ، ويدر على الأولياء وإبل جوده الذى تحجل الديم من دومه - أن تفوض إليه الوزارة الشريفة الكاملة على جميع الممالك الإسلامية : شرقا وغربا ، وبعدا وقربا ؛ وبراً وبحرا ، وشاما ومضرا ؛ على أجمل القواعد فى ذلك وأكملها ، وأسنى الفوائد وأفضلها ، وأتم الأحوال التى يستغنى بجمالها عن مفضلها .

فليعط هذه الرتبة من جلالته حظا كانت من إبطائه على وجل ، ويجار الغمام بوابل إنعامنا الذى يعلم به ان حمرة البرق فى أشائه نجح ؛ ويطلق قلمه فى مصالح الدولة القاهرة بسطا وقبضا ، وإراما وتقضا ، وتديرا يعين النيل والغمام على تتبع المحل ما وجد كل منهما أرضا ؛ ويعمل آراءه المباركة تديرا للناج وتديريا ، وتقريرا للقواعد وتقريبا ، ونظرا يجعل لكل عمل من ملاحظته نصيبا ، وفكرا يحاسب به على حقوق الله وحقوق خلقه فإن الله هو المناقش على ذلك (وكفى بالله حسيبا) .

ويبدأ بالعدل الذى رسم الله به وبالإحسان فى ملكنا الشريف ، ويخفف - مع الجمع بين المصالح - عن خلق الله الوطأة فإن الإنسان ضعيف ، ويخزل أولياء دولتنا مواد الارزاق فإن سيف المنع الذى نحاشى أيامنا عن تجريده أقل نكايه من التسوية ، ويمنع الولاة من ظلم الرعايا باعتبار أحوالهم دون أقوالهم فإن منهم من يدعى العدل ويؤور ويظهر الرفق ويحيف ؛ وليتبع أدواء المحل تتبع طبيب خبير ،

وَيُصَرِّفُ الْأُمُورَ بِجَمِيلِ تَدْيِيرِهِ فَإِنَّ الْبُرْكَاتِ مَعْدُوقَةً بِحُسْنِ التَّدْيِيرِ؛ وَيَسْتَقْبِلُ رَى الْبِلَادِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - بِسَدَادِ حَزْمٍ يُعْتَفَرُ بِهِ هَذَا الْقَلِيلُ لَذَلِكَ الْكَثِيرِ، وَيَسْتَخْلِفُ بِالرَّفْقِ وَالْعَدْلِ أَضْعَافَ مَا فَاتَتْ فِي أَمْسِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. وَلِيَهْتَمَّ بَيُوتِ الْأَمْوَالِ فِيوَالِي إِتْيَانَ الْحُمُولِ إِلَيْهَا مِنْ أَبْوَابِهَا، وَيَضَاعِفُ بِهَا الْحَوَاصِلَ الَّتِي لَا يُطَّلَعُ بِغَيْرِ حُسْنِ التَّدْيِيرِ عَلَى أَسْبَابِهَا، فَإِنَّهَا مَعَادِنُ الذَّخَائِرِ وَمَوَارِدُ الرِّجَالِ، وَإِذَا أَعَدَّ مِنْهَا جِبَالًا شَوَاحِجَ تَلَا إِنْفَاقَنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ .

وكذلك الخزائن التي هي معاقل الإسلام وحصونه، وحماءه الذي لا يتبدل بغير أمرنا الشريف في مصالح الملك والملة مضمونه، فيجعلها بتدبيره الجميل كالبحار التي لا تنقص بكثرة الورد جامها، ولا تنزحها السحب على كثرة ما تمحل إلى الآفاق غمامها، وليلاحظ من مصالح كل إقليم بما تمثله له على البعد أفكاره، ويأمر في أحوال من به من الجند بما يؤكّد الطاعة عليهم، ويجدد الاستطاعة لديهم، ويزيح أعدائهم واعتذارهم بوصول حقوقهم إليهم؛ ويوفّرهم على إعداد الأهبة للأعداء إذا أتوهم من قورهم، ويكفّهم بإدراك الأرزاق عليهم عن اعتدائهم على الرعايا وجورهم؛ ويجعل تغور كل جانب - بتيسير محصونها، وتثمير ذخائرها التي هي من موارد رجالها - مصفحة بالصفاح، مشرقة بأسنة الرماح، مسدودة من جهة العدو عنها مسالك الرياح؛ ويتفقد من أحوال مباشريه، وولاية الحكم والتحكّم فيه؛ ما يعلمون به أنه مناقشهم على الأمور اليسيره، والهفوات التي يرونها قليلة وهي بالنسبة إلى كثرة الرعايا كثيره، والأحوال التي إذا عددها الكتاب عليهم قالوا: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَايِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾، ويتعاهد أمور الرتب الدينية فلا تؤخذ مناصبها بالمناسب، ولا تعدّ رزقها المعدة لاكتساب العلم في المكاسب؛ بل يتعين أن يرتاد

لذلك العلماء الأعلام حيث حلوا ، ويقرر في مراتبها الأكفاء وإلا آتخذ الناس رؤوساً جهالاً فضلاً وأضلوا ، وقد جعلنا [أمره] فى ذلك جميعه من أمرنا ، فليقل يمتثل ، وينشر كلمة عدلنا التى يسير بطريقها المثلى المثل ؛ ولا تضى ولاية ولا عزل ، ولا منع ولا بذل ، ولا عقد ولا حل ؛ الا وهو معدوق بأرائه ، متلقى من تلقائه ، متوقف على تنفيذ وإمضائه ؛ وقد اختصرنا الوصايا ، آكتفاء بما فيه من حسن الشيم ، واقتصرنا على ذكر بعض المزايا ، إذ مثله لا يدل على صواب ولا يزداد مافيه من كرم ؛ لكن تقوى الله أولى ما ذكر به من لم يزل لربه ذاكراً ، وأحق ما شكر على التوفيق من لم يبرح له به شاكراً ، والله يزيد قدره اعتلاء ، ويضاعف للدولة الشريفة احتفالاً بشكره واعتناء .



وهذه نسخة تقليد بالوزارة .

الحمد لله الذى شد أزر الملك من الوزراء بالمكين الأمين ، وأشرك فى أمر ملكه من هو على صلاح الجمهور خير معين ؛ وألقى مقاليد حسن تدبيره لمن دلت عليه بركة الاستخاره ، وصوب أمر دقيقه وجليله لمن هو لجميل الشناء المعنى وإليه بنان الاجتباء الإشاره ، وناول كتابها لمن هو أحق بحمل أعبائه ، ورقى منصبها لمن لأشبهه بأنه الحقيق باستعلائه ؛ وناول قلم إعطائها ومنعها لواضع الإشاره فى محلها ، وعدق تثير أموالها بمن لا يأخذها بمقتضى يديه إلا من حلها .

نحمده على حسن إلهامه ، وشريف إفهامه ؛ ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة عبد مخلص فى أداها ، محق فى إعادتها وإبدائها ؛ ونشهد أن محمداً

عبده ورسوله خير من هو بالحق مبعوث وبالصدق منعوت ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا تزال مستمرة في كل وقت موقوت ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن يد الوزارة هي اليد الباسطة فيما قلّ وجلّ ، والمتحكمة فيما عُدق بالملك من كل عقد وحلّ ، والموقوف عند إشارة بنائها وإليها التحكّم في كل إعطاء ومنع ، وتفريق وجمع ، وعزل وولايه ، ونهاية كل نهى وأمر وما لها من غايه ، وربها من الملك كالروح الباصرة من العين ، واللسان المعبر عن كل زين وشين ، وحسبه أنه في المحلّ من ذات اليمين ، ومن مكانة التمكّن في الحرز الحصين ، ولهذا لا يؤهل لها إلا من أنعقد على سُودده الإجماع ، وأنقطعت دُون لحاق شرفه الأطماع ، وتأصل في فخارها وتفترج ، وقام بفروض كفاية كفالتها وتطوع ، وسار حديث مناقبه في الآفاق ، وجاء بالاختيار والاختبار بالوفاق ، وحسن صورة ومعنى ، وتعددت مناقبه فدلّت على أنه الفرد إذا اتسقت عقوده مثنى مثنى . وكان المجلس العالی الفلاني ربّ حوزتها وسريها ، وروح بصر مرتبّق هذه المحامد وإليه [أمر] مصيرها ، والذي حكمت له السيادة بمنالها وحكمته ، وأوضحت بأصالتها وجه الصواب في اختيارها لها وأحكمته ، وقد حاز من متفرّق لوازمها ما تفرّق فيمن سواه ، وحوى من أدواتها [مادل] على أن الله خلقه فسواه ، إن قال فالصواب موكل بمنطقه ، أو صمت فعظم مهابته قائم مقامه بجميل الخلق لا تخلّقه ، قد جمع إلى التواضع فرط المهابه ، وإلى الابتداء بالمعروف حسن الإجابة ، إن ذكرت الصدارة فهو مالك زمامها ، أو الرياسة فهو غرة لثامها ، أو الكفالة فهو مصرف عنانها ، أو الوزارة فهو عين أعيانها ، لم ترل رتبها متشوّقة لحلولة ، ممهّدة لشريف تأهيله .

ولما تحلّى منها بهذه الحلي ، وسار حديث ملاءته بتحويلها في الملاء ، وتلا لسان
القلم سور هذه المحاسن وتلا الثانى بالأول منها إذا تلا ؛ رُسم بالأمر العالى - أمتعته
الله بما وهبه من حُسن مؤازرته ، وشدَّ عضد مملكته بالإمتاع برنج حُسن معاملته
الله وله ولتأجرته - أن تُفوض الوزارة المفخمة ، المكرمة المبجلة المعظمة ؛ للشار
إليه : تفويضا عاما للقريب من مصالحها والبعيد ، والطارف والتليد ؛ والمقيم
والنازح ، والغادى والرائح ، والسائح والبارح ، والباغم والصادح .

فليباشر ما فُوض إليه منها مباشرة مثله لمثلها ، وليعطيها من نيئه مناسب نيئها ؛
وليأخذ أمرها بكتنا يديه ، وليعبرها جانباً من احتفاله ليظهر عليها آثار سُودده كما ظهر
شريف تحويلها عليه ؛ وليطبق فيها لسان نهيه وأمره ، وليعمل في مصالحها صالح
فكره ؛ فقد عدت به مهامها : جليلها وحقيرها ، وقليلها وكثيرها ؛ وأميرها
ومأمورها ، وخليئها وضميرها ؛ وناعقها وناعبها ، وكاسيها وكاسبها ؛ ودانها وقاصيها ،
وطائعها وعاصيها ، ومستقبلها وحاملها وماضيها ، وواليها وقاضيها ؛ ثقة بتام تدييره ،
وحميد تأثيره ، وأنه إن حكم فصل ، وإن قطع أو وصل كان الخزم فيما قطع ووصل ؛
إذ هو الوزير الذى قد صُرف عن عمل الأوزار وسار ، إلا أنه في كل منج سار ؛
تقطر السيادة من معاطفه ، وتجنى ثمر المنى من أغصان قلبه يد قاطفه ؛ لاشيء يخرج
عن حكمه ، ولا مصلحة تعزب عن علمه ؛ فولاية الحكام معدوقة بإشارته ، موقوفة
على ما يثبت ببلغ عبارته . ومع جلاله قدره لا يحتاج إلى التأكيد في الأموال وأستندار
أخلافها ، والرعايا والأستدامة بالإحسان ود أحلافها ؛ وبيوت الأموال وأستيداء
حقوقها ، ومراعاة جانبها إذ هي الأم الحنونة بتجنب عقوقها . والخزائن فهو أدرى
بما يجب من تضيق صدرها بالمناقيص عن الأشرار ، والأهتام بحواصل تشريفها
المستجيلة إفاضة ملابسها قلب من غدا وراح ؛ وثم دقائق ، هو أدرى بما لها من

طرائق ، وحقائق ، هو أعرف إذ كان فيها الفائق الرائق ، فهو - أجله الله - غنى
عن تفصيلها ، وذهنه أشرف عن الوصايا المنسوبة لتوصيلها ، والله تعالى يقدر له
وبه الخير ، ويمتّع بحسن تديره المقرون بجميل السريرة والسير ، والخط الشريف
أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية وزير أوردها في " التعريف " وهي :

يُوصَى بتقوى الله فإنه عليه رقيب ، وإليه أقرب من كل قريب ، فليجعلهُ
أمامه ، وليطلب منه لكل ما شرع فيه تمامه ، وليجل رأيه في كل ما تشد به الدولة
أزرها ، وتُسند إليه ظهرها ، وليجعل العدل أصلاً يبنى على أسسه ، والعمل في أموره
كلها لسلطانه لا لنفسه ، وليدع منه الغرض جانبا ، وحظ النفس الذي لا يندو
إلا من العدو ليصدق من دعاه صاحباً ، وليبصر كيف يُنمّر الأموال من جهاتها ،
وكيف يخلص بيوت الأموال بالاقصصار على الدرهم الحلال من شبهاتها ، ولينزّه مطاعم
العساكر المنصورة عن أكل الحرام فإنه لا يُسمن ولا يُغني من جوع ، ولا يرى به
من العين إلا ما يحرم الهجوع ، وليحذر من هذا فإن المفاجئ به كالمخاتل ، وليتجنب
إطعام الجند منه فإن [أكل] الدرهم الحرام ما يُقاتل ، وليُحسن كيف يُولى ويعزل ،
ويُسمّن ويهزل ، وعليه بالكفاة الأمانة ، وتجنب الخونة وإن كانوا ذوي غناء ، وإياه
والعاجز ، ومن لورأى المصلحة بين عينيّه ألقى بينه وبينها ألف حاجز ، وليطهر بابه ،
ويسهل حجابّه ، ويفكر فيما بعد أكثر مما قرب : مقدماً للأهم فالأهم من المصالح ،
وينظر إلى ما غاب عنه وحضر نظر الماسي والمصالح ، ولا يستبدل إلا بمن ظهر
لديه عجزه أو ثبتت عنده خيانتّه ، ولا يدع من جميل نظره من صحّت لديه كفايته ،

أوتحققت عنده أمانته ؛ وليسلك أقصد الطُّرُق في أمر الرواتب التي هي من صدقاتنا الشريفة وصدقات من تقدم من الملوك ، وهي إما لمن وجب له حق وإن كان غنياً أو عريف صلاحه وهو صعلوك ؛ وكذلك ما هو لأيتام الجُند الذين ماتوا على الطاعة ، وأمثالهم من خدم دولتنا القاهرة بما أستطاعه ؛ فإن غالب من مات منهم لم يخلف لهم إلا ما سمح لهم به من معروف ، ونجريه لهم من جارٍ هو أنفع من كثير مما يخلفه الآباء للأبناء من المال المتملك والوقف الموقوف ؛ وليصرف اهتمامه إلى استخلاص مال الله الذي نحن أمناءه ، وبه يشغل أوقاته وتمتلي كالإناء أناؤه ؛ فلا يدع شيئاً يجب لبيت المال المعمور من مستحقه ، ولا يتسمح في تخلية شيء منه كما أننا نوصيه أنه لا يأخذ شيئاً إلا بحقه ؛ وليبق لأيماننا الزاهرة بتواقيعه ذكراً لا يفتنى ، وبراً لا يزال ثمره الطيب من قلمه يخنى ؛ ليكون من رياح دولتنا التي تغتم ما يثيره من سخابها المطير ، وحسنات أيماننا التي ما ذكرنا وذكر معنا إلا وقيل : نعم الملك ونعم الوزير .

الوظيفة الثانية

(كتابه السرّ ، ويقال لصاحبها "صاحب دواوين الإنشاء")

وقد تقدم في الكلام على ترتيب الوظائف أن موضوعها قراءة الكتب الواردة على السلطان ، وكتابة أجوبتها ، وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها ، وتصريف المراسيم وروداً وصدوراً ، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل ، وأنه صار يُوقع فيما كان يُوقع فيه بقلم الوزارة .

قلت : وقد كان فيما تقدم يُكتب له توقيعٌ في قطع النصف بلقب «المجلس العالى» ثم استقرَّ أن يُكتب له تقليدٌ في قطع الثلثين بلقب «الجناب العالى» .
وقد تقدم الكلام على تقليده في الكلام على التقاليد .

وهذه نسخة تقليد بكتابة السرِّ ، كُتِبَ بها للقرَّ المحيوى «مُحِي الدين بن فضل الله» عند عودته إلى كتابة السرِّ بالديار المصرية ، في جمادى الأولى سنة ثلاث ... (١) ...
من إنشاء السيد الشريف شهاب الدين ، أحد كتَّاب الدرِّج الشريف ، وهى :

الحمد لله المانِّ بفضله ، المستعان به في الأمر كله ، الذى رفع أول الأولياء من العلياء إلى محله ، ووضع النعم عند من ينصُّ الاستحقاق على تقديمه بمنصبه ويحلُّ ما فوض إليه من أجله ، وأبدع نظام السؤدد بأجمل حالٍ ما دام يحيى جامع شمله ، وأودع سرِّ مملكتنا الشريف عند الحفيظين منه ومن تجلَّه ، وأرجع الرياسة إلى من سمَّ ثباتاً ، ونما نباتاً ، وعلا عزماً ، ووفى حزماً ، فيؤمن آثاره تُضرب الأمثال ولا تجد في يمين سجايه كمثلَه .

نحمده على أن أعاد بنا الحق إلى أهله ، ونشكره على أن جاد روض الآمال بوا كيف سحاب كرمنا ووبله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من وفق للصواب في قوله وفعله ، وتحقق منه جميل الإخلاص في جميع مذاهبه وسبله ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤوى يوم الجزاء إلى سايغ ظلّه ، والمروى يوم العطش الأ كبر بسائغ نهله ، والنبيُّ الذى بعثه خاتم رُسله ، وآتاه من الكرامة ما لم يؤت أحدًا من الأنبياء من قبله ، والمجتبى من علماء صحابته من أهله لإيداع سرِّه وصونه وإبلاغ أمره وحمله ، صلى الله عليه وعلى آله الذين سبقوا إلى غايات الفخار

وُخِصُوا بِحُصْلِهِ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الْمَجَاهِدِينَ فِي حُبِّهِ الْمُعْتَصِمِينَ بِحُبِّهِ ،
 خُصُوصًا الصَّدِيقَ الَّذِي أَحْسَنَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ مِنْ أَرْتَدَّ بَقْتَلِهِ ، وَمَنْ فَرَّقَ
 بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِحُسْنِ سِيرَتِهِ وَمَحْضِ عَدْلِهِ ؛ وَمَنْ تَلَقَّى عَنْهُ آيَاتِ الْكِتَابِ فَ... (١) ...
 فِي تَرْتِيبِهِ وَجَمْعِهِ وَأَدَائِهِ وَتَقْلِهِ ؛ وَمَنْ كَانَ فَارِسَ حَرْبِهِ ، وَحَارِسَ سِرِّهِ ، وَكَاتِبَ
 وَحْيِهِ وَخَاطِبَ كِفْلِهِ ؛ وَعَنْ بَقِيَّةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ أَنْفَرُوا بِأَكْلِ الْفَضْلِ
 وَأَجَلِّهِ ، صَلَاةً وَرِضْوَانًا وَصَحَّحَ بِهِمَا نُورَ الْهُدَى لِمُسْتَدَلِّهِ ، مَا شَفَى كَرْمَنَا الصُّدُورَ بِصُدُورِ
 إِقْبَالِهِ إِلَى مَنْ قَامَ بِفِرْضِ وَلَائِهِ وَنَمَلَهُ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَنِعْمُنَا لَا تَزَالُ لِلْعُهُودِ حَافِظَةً ، وَبِالْجُودِ مُتَحَفَّةً وَبِالسُّعُودِ مَلَا حِظَّةً ،
 وَعَلَى الْمَعْهُودِ مِنْ كَرَمِ شَيْئِهَا مَحَافِظَةً ، وَبِالْخِدْمِ مَكَافِيهَ ، وَلِلْقَسَمِ مُوفِيَةً وَبِالنِّعَمِ مُوَافِيَةً ،
 وَبِالْمُلُوفِ الْكَرَمِ مُلَافِيَةً ؛ أَتَّبَعْنَا لِسَبِيلِ الصَّوَابِ ، وَإِدَاعًا لِلنِّعْمَةِ عِنْدَ مَنْ لِحَقِّهِ
 فِي اسْتِحْقَاقِهَا إِيجَابٌ ، فَلَمَحَلَّهُ اقْتِرَابًا بِالْاقْتِرَابِ ، وَلِفِعْلِهِ إِجْنَازًا لَوْعُودِ الصُّعُودِ
 وَإِجْنَابٌ ، وَلِفَيْضِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْقَبُولِ أَيْهَى جِلْبَابٌ ، وَلَهُ سَبَقٌ وَلَائِ الْمُلْكِنَا
 بَعْدَ جَفَاءِ فِيهِ السِّنِينَ وَالْأَحْقَابِ ، وَصَدَقُ وُدٌّ مَا ضَاعَ لَدَيْنَا وَلَا خَابَ ، وَقَدِمُ هِجْرَةٌ
 كَمْ لَهَا فِي تَأْيِيدِ الدِّينِ أَنْتِصَارٌ وَأَنْتِصَابٌ ، وَتَعَدُّدٌ مَنَاقِبَ هِيَ فِي الْإِشْرَاقِ وَالرَّفْعَةِ
 كَالنُّجُومِ وَفِي الْكَثْرَةِ عَدَدُ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالْتِرَابِ ؛ فَمَا دَعَا سُلْطَانُنَا إِلَّا اسْتِجَابَ ،
 وَلَا اسْتَوْعَا سِرَّهُ إِلَّا غَدَا بِهِ يُصَانُ وَلَا يُصَابُ ، وَلَا اسْتَنْطَقْنَا قَلَمَهُ إِلَّا كَفَى الْخَطْبَ
 بِأَمْلَحِ خِطَابِ ، وَلَا اسْتَثَرْنَا رَأْيَهُ إِلَّا حَضَرَ الرُّشْدَ وَمَا غَابَ ؛ فَكَمْ فَرَقَ لِلْأَعْدَاءِ مِنْ
 كِتَابَةِ بَيْكَبِ ، وَقَرَّبَ مِنْ ظَفَرِ السَّيْفِ فِي الْقِرَابِ ؛ فَبَدَعَوَاتِهِ يُسْتَنْزَلُ مِنَ النِّعْمَاءِ
 أَهْمُرُ سَحَابِ ، وَبِرَكَاتِهِ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَكَانَ كَيْدُ الْكَافِرِينَ فِي تَبَابِ ، وَبِأَقْلَامِهِ
 إِنْعَامُنَا يَهْبُ وَأَنْتِقَامُنَا يَهَابُ ؛ فَهِيَ عَلَى الْمَمَالِكِ أَمْنٌ سِيَّاحٌ ، وَلَهَا فِي مَسَالِكِ الْخَيْرِ

(١) بياض بالأصل ولعله فأحسن في ترتيبه الخ .

أبدع منهاج، وللدولة به وبولده استغناء وإليهما احتياج، فكم ضمنا درر كلامهما الأدرج، وأطعنا زهر أقاليمهما من المهاريق في أبراج، وكم واصلت في ليل النقس السرى والإدلاج، حتى أبدت صباح النجاح ذا أبتلاج، فلا عجب أن كان للنعم إليهما معاد ومعاج، ولضيق الخطب عند باعها الرحب فسحة وأنفراج .

ولما كان المجلس العالى المحيوى هو أسرى من تلقى إليه الأسرار، وتبقى منه عند أحرى الأحرار، فكم لها صان أين صار، وكم لخواطرننا الشريفة من أفعاله سار حيث سار، وكم له من كرمنا دار في كل دار، فمنا لقربه إيثار، ولأثنتنا عليه إنجار، ولنا بفضائله إقرار، يوجب للنعم عنده الإقرار - أقتضى حسن الرأي الشريف أن نعيد إليه منصبه، ونزيد لديه الموهبه، ونجعل وجود تفضيله لدولتنا أعظم مزية ومنقبه، ونراه أجل كفاء لاستجلاء عقائل الأسرار المحجبه، وإن كان لتزاهته لا يحطبا فهي لوجاهته ترغب أن تخطبه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى، المولى، السلطانى، الملكى الفلانى - لا برح بفضل الله يحيى الدين، وبتأييده بين أنه الحق المبين، وبتسديده يصيب عين الصواب فى التعيين - أن نفوض للمشار إليه صحابه ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب الشريفة شرفها الله وعظمتها: على أجمل عوائده، وأكمل قواعده، وأحسن حالاته فى حسن مقاصده، ونفوذ ما يبلغه من رسائل عدلنا فى مصادر كل أمر وموارده؛ وليستقر باسمه من المعلوم كذا وكذا .

فلتلق منصبه المبارك بأمل فى كرمنا مبسوط، ورتبته التى يحيى حماها ويحوط؛ مضميا للهيات والمراسم، مبقيا من يمن آثاره ما تضحى به ثغور الثغور بواسم، ميدا لمن عنده من كتابنا أوقات الألس فأياهمهم [به] كلها مواسم، وبها لهم من الخيرات

أجزل المقاسم ، وقد وفروا دواعيهم إلى الخدمة إذ وفر على نفقتهم دواعيه ، وهو لسان
الدولة وهم أذن صون لما يليق به إليهم وإليه ، فحق لهم إلى وداده أن يجنحوا ،
وبإساعاده أن يجنحوا ، وعن ولائه لن يرحوا : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ
فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ، فليسير الملك به سرور ، وللدولة من أشعة إياه وطلعة شهابه نور على
نور ، وبهما عماد الشرف الأعلى مرفوع وبيت الفضل الأوفى معمور ، وهو وبل
هذا الغيث الغمر وشبل هذا الليث المصور ، طالما هزَم الصفوف من كُتبتنا
بالسطور ، وجهز بردا سرها بالصون مكتوم وعلمها بالنصر منشور ، وهو كثر
الفضائل وكتابه الذهب شهور ، ومن هذه الأسرة العمرية بأفق العلياء نجوم وأهلة
وبدور ، وللنير الأكبر إشراق وأتلاق وسفور ، وغيره بالوصايا المأمور ، وسواه
نين له قصد السبيل حتى لا يضل ولا يجر ، ولا يحتاج أن نذكره بما هو من علمه
مذكور ، وفي صحائفه مسطور ، ولا نعمه سدادا إذ هو عليه مجبول ومفطور ،
بل الهدى منه ملتمس ، ومقتفى ومقتبس ، ومأمور . وبحمد الله مافى حزمه قصور ،
ولا فى عزمه فتور ، وهو بحر العلم المحيط وثير الحلم الموفور ، وليس التقديم له
بمستغرب بل فضله المعروف المشهور ، والله تعالى يرعى له فى خدمتنا عهدا قديما ،
ويثيقه للدعاء مواصلا ومديما ، ويوزعه شكر فضل الله على ذلك ﴿ وكان فضل الله
عليك عظيما ﴾ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكتابة السرى ، كتبت بها للقاضى شهاب الدين بن فضل الله ، وهى :

الحمد لله على عناية حفِظت ملكنا الشريف بمعبأتها ، وصانته بصاحب تصريف
تقوم كتبه وآراؤه مقام الكئاب وراياتها ، وسنت لنا الحيرة لمن نجتى بقلمه النصر

من ثمراتها ، وبينت الحسنى في طريقته المثلى حتى أنقسم الصبح من قسماتها ،
واقسّم النجح من عاداتها ، وآتسم فكره بالنصح وقد ضلت الأفكار عن إصاباتها
فظلت في غفلاتها .

نجدّه حمداً يهب مع الأنفاس في هباتها ، ويهب من اللطائف الحسان أفضل
هباتها ، وينبه القلوب لتقيد شوارد النعم بصدق نياتها ، وينافس الكرام الكاتبين
على نفائس الثناء في تسيح لغاتها بصفيح سملواتها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تملأ الصحف بحسناتها ،
وتملى الوجوه بالأنوار في توجّهاتها ، وتلوح من سماتها سميئاً لا تشق على الأبصار
في توشماتها ، وتفخر برقها الأقلام بأنه لا طعن في اعتدال حركاتها ، على الرماح
في اعتدال قاماتها ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أدى الرسالة بما
تجله من أماناتها ، ورعى العهود لمن أخلص في مراعاتها ، ودعا الأمة بإذن الله
إلى سبيل نجاتها ، وأستأمن على الوحي كتاباً سبقوا في السعادة إلى غاياتها ، وبلغوا عنه
السنة بآياتها والسور وآياتها ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه فرسان البلاغة
ورواتها ، وحفظة الأسرار وثقاتها ، وصاغة المعاني في الألفاظ الغربنفتاتها ، وأو
الأحلام التي لا تطيشها وقائع الدهر بروعاتها ، ولا تذهلها عن الأوراد في أوقاتها ،
وتلقى الوفود بأقواتها ، والأخلاق التي اتسع نطاقها في تصرفاتها ، وأمتنع حجابها
أن نخطاه اندع بهفواتها ، صلاة تزيد الأعمار بزكاتها ، وتزين الأعمال ببركاتها ، وسلم
تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإن الملك عمود بناؤه لسره ، وارتفاعه بالتأسيس لمستقره ، وأمتناعه
بعد العساكر المنصورة بكاتب يحايل العدو في مكروه قبل مكروه ، ويقايل في الحرب

والسلم بنفاد رأيه ونفاث سحره ، ويقابل كل حال بما يحسن موقعه من صدمه
بصدده أو صده بصبره ، وينظر في العواقب نظر البصير بأمره ، الواعي لأختيال
عذره قبل أختيال الباغي في غدره ؛ إذا جادل فبالجته البالغة ، وإذا جاب أبطل
الأهوال الزائغه ، وإذا أمرنا بالعدل والإحسان سيرهما عنا كالشمس البازغه ،
وملا بهما حباً لنا القلوب الفارغه ؛ وقد جربنا على طول المدى كُتّاباً ، وانتخبنا منهم
كثيراً أرتضيناهم أصحاباً ، ومارسنا جماعة أزددنا بهم إعجاباً ، ورأينا طوائف فيهم
من إن أجاد أجتنا زهرات القول حاد عن الجادة آجتنا ، وإن كلف نفسه
مذاهب الكُتّاب أخل بمقاصد الملوك إن كتب عنهم كُتّاباً .

ولم نظفر بمن تمت فيه الشروط المشروطة ، ومت بالدائرة المحيطة إلى الفضائل
المبسوطة ، وأمتاز بفهم لا يقبل على الفساد ولا يقبل الأغلوطة ؛ إن أملنا إماءً
ذكرة ، وإن حُنا حول معنى لا تُودى إليه العبارة فسرهُ ، وإن سردنا عليه فضلاً
مطولاً خبره ، وربما رأى المصلحة في اختصاره فأختصره ، وإن أودعنا سرّاً ستره ،
وصانه بحو غيب أثره ، وكتمه إماماً بخطه عن قلبه فلم يدركه أو بقلبه عن لحظه فلم
يره ، وإن خَلينا بينه وبين غرض من أغراضنا الشريفة أستخرجهُ كما في خواطرنا
وأظهره - كالمجلس العالى ، القضاى ، الأجلى ، الكبرى ، العالمى ، العادى ،
العونى ، العلائى ، القوامى ، النظمى ، المدبرى ، المشيرى ، الفاضلى ، الكاملى ،
الأوحدى ، المقوهى ، الخاشعى ، السفيرى ، الشهابى : صلاح الإسلام
والمسلمين ، سيد الرؤساء فى العالمين ، قُدوة العلماء العاملين ، إمام الفضلاء
والمتكلمين ، رئيس الأصحاب ، ملاذ الكُتّاب ، سفير الأمة ، عماد الملة ، لسان
السلطنة ، مدبر الدول ، مشيد الممالك ، مشير الملوك والسلطين ، ولي أمير المؤمنين

(١) فى المصباح فسرهُ من باب ضرب أوضحه وبينه والتثليل مبالغة .

«أحمد بن فضل الله» ضاعف الله نعمته . فإننا خطبناه لهذه الوظيفة ، وأستخصناه على كثرة المتعينين لأنفسنا الشريفة ، وأمتحنناه في الأمور الجليلة واللطيفة ، وحمّلناه الأعباء الثقيلة والخفيفة ، وأوقفناه مرّة وأخرى أطلقنا تصرّيفه ، وأنعمنا النظر في حاله حتى تحقّقنا تثقيفه ؛ وكتب وأستكتب عنا سراً وجهراً فملاً قلباً وسمعا ، وبأشرف مراتبنا العالية مصرّاً وشاملاً وضلاً وقطعا فعزّ رفعة وعمّ نفعاً ؛ وأنشأ التقاليد وقلدها ، ونفّذ المهّمات وسددها ، ووفّق التواقيع وأطلق بها وقد قيدها ، ومشّى المصالح باحتراز ما بددها واحتراس ما عقدها ، وجهز البرد بهمة ما قيدها طلب الراحة ولا أقعدها . وهو كاتبٌ مُلوك ، وصانعٌ سُلوك ، وشارعٌ سُلوك ، وصانعٌ ذهبٍ مسبوك ، وناسجٌ وشى محوك ، وجامعٌ صفاتٍ ماسواها هو المتروك ؛ لا يعدو بالكلمة محلّها ، ولا يؤنخى بالقرينة إلا شكّها ، ولا يسمح بخاطبة إلا لمن تعين لها ، ولا يعامل بالغلظة إلا من أستوجبها ولا يخصّ بالحسنى إلا أهلها ؛ نأمره بالتهويل فيزّل قواعد العُدوّ ، ونشير إليه بالتهوين فيفيد مع بقاء المهابة الهدوّ ؛ وقد رضيناه حقّ الرضا ، وأضربنا به عمّن بقي من أكابر الكُتاب ونسبنا من مضى ، وتعين علينا أن نحكم له بهذا الاعتبار ونحمله على هذا المقتضى ، وأن نُطّعه في سماء دسّتنا الشريف شهاباً أضاً ؛ وأن نقلده مهماً مازال هو القائم بتنفيذ أشغاله ، والساعى بين أيدينا الشريفة في تدبير مقاصده وجملة أحواله ؛ إلى ماله من بيتٍ أثلوا مجده ، وأثروا سعده ، وأرثوا عندنا وُدّه ؛ وبني كما بنوا ، وأجتنى من السؤدد ما آجتنوا ، ورجى في خدمة الدّول إلى مارموا ، إلا أنّ مذهبه في البيان أحلى ، وأسلوبه أجلى ، وقيمة كلامه أغلى ، وقدّحه في الكمال هو المعلّى ، وأدبه بحمد الله قد لحظته سعادةً أيّامنا الزاهرة فما فيه لؤ ولا لؤلاً ؛ سوى أنه أتفق معارضٍ أعترض بين السهم والهدف ، وسفه نفسه فوقف في مواقف التّلف ، ودقّ عنه شأن كاتب السرفسقط من حيث

طَمَعَ فِي السُّقُوطِ وَمَا عَرَفَ ؛ وَرَامَ الدُّخُولَ بَيْنَ الْمَلِكِ وَبَيْنَ يَدِهِ ، وَبَيْنَ اللِّسَانِ
وَمَا يُحَدِّثُهُ بِهِ الضَّمِيرُ مِنْ حَقِيقَةِ مَعْتَقِدِهِ ، وَالْإِطْلَاعَ عَلَى مَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ لِمَا
أَدَارَهُ فِي خَلَدِهِ ؛ وَالتَّعَدَّى بِمَا لَيْسَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ مَتَوَقَّعٌ ، وَسَرَى فِي مَسَرَّى لَوْ طَمَحَ
إِلَيْهِ طَرْفَ السَّمَاءِ لَتَقَطَّعَ ؛ وَمَا عَلِمَ أَنَّ كَاتِبَ السَّرْهِوِ مَسْتَوْدَعُ الْخَبَايَا ، وَمَسْتَطَلَعُ
الْخَفَايَا ، وَقَلَمُهُ (أَبْنُ جَلَا وَطَّلَاعُ الثَّنَائِيَا) ، وَفِي أَسْتِمْدَادِهِ يُعْرَفُ بِالْمُنَى وَيُرْعَفُ
بِالْمَنِيَا ؛ وَهُوَ الْكِتَابَةُ وَالتَّوْقِيعُ ، وَالتَّصْرُفُ فِيمَا لِلتَّنْفِيزِ مِنَ التَّحْسِينِ وَالتَّنْوِيعِ ،
وغير ذلك من التفریق والتجميع ، والتأصيل والتفريع ، والترغيب والترهيب
والتأمين والترؤيع .

وَمَا دَلَّ ذَلِكَ الْمُعْتَرِضُ بِأَجْرِهِ ، وَأَطَالَ الْمَطَارَ فِي غَيْرِ مَطَارِهِ ، وَقَالَ النَّاسُ إِنَّ
أَبَوَانَا الْعَالِيَةَ جَنَّةَ حُقَّتْ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ بِالْمَكَارِهِ ، رَمِينَا بِهِ مِنْ شَاهِقٍ ، وَأَبْعَدْنَا
لَاخِرَتَهُ أَزْهَدَ مَا هَدَرَ مِنْ تِلْكَ الشَّقَاشِقِ ؛ وَتَقَدَّمْنَا بِإِنْشَاءِ هَذَا التَّوْقِيعِ الشَّرِيفِ
تَقْوِيَةً لِكَاتِبِ سِرِّنَا الشَّرِيفِ فِي تَصْرِيفِهِ ، وَبَيْنَمَا أَنَّهُ لَا يُقَاسُ بِهِ أَحَدٌ فَإِنَّهُ لِسَانَ
السُّلْطَانِ وَيُدُّهُ وَكَفَى بِذَلِكَ دَلَالَةً عَلَى تَشْرِيفِهِ .

فُرِسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمَوْلَوِي ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، النَّاصِرِي - لِأَزَالِ
إِذَا عَزَمَ صَمَّمَ ، وَإِذَا بَدَأَ الْمَعْرُوفَ تَمَّمَ ، وَإِذَا أَسْتَخَارَ اللَّهَ فِي شَيْءٍ رَضِيَ بِخِيَرَتِهِ وَسَلَّمَ -
أَنْ يَسْتَقِيلَ الْمَجْلِسَ الْعَالِي ، الْقَضَائِي ، الشَّهَابِي « أَحْمَدُ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ » الْمَشَارُ إِلَيْهِ
بِصَحَابَةِ دَوَاوِينِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ بِالْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ : رَفِيقًا لِأَبِيهِ الْمَجْلِسِ
الْعَالِي ، الْقَضَائِي ، الْمُحْيَوِي : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ وَبَرَكَتَهُ فِي الْمُبَاشَرَةِ ، وَشَرِيكَهَا
بِلِ مَنفَرِدًا لِيَقُومَ مَعَهُ وَدُونَهُ بِمَا قَامَ بِهِ مِنْ كِتَابِيَّةِ بَاطِنَةٍ وَظَاهِرَةٍ ؛ أَسْتَقِيلَ كُلَّ مَنْهَا
بِهَا فِيمَا بَعْدَ وَقُرْبٍ مِمَّا يَضُمُّهُ نِطَاقُ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ؛ مَعَ مَا هُوَ مُسْتَقَرٌّ فِيهِ مِنْ كِتَابِيَّةِ

السر الشريف ، والتصريف في المهمات الشريفة والتصريف ، وهو المنفرد بتقديم البريد وعرضه ، ومباشرة ختمه وفضه ، وقراءته بين أيدينا ، واستخراج مراسمنا الشريفة في كل مناب ، ومشافهة وخطاب ، وأبتداء وجواب ، وملطف ومكبر ، ومقدم ومؤخر ، ومكمل ومشطر ، وإليه أمر البريد والقصاد والنجابه ، ومن أشتمل من الدجى جلبابه ، أو ألقته إلى ملاءة الصباح المنشورة يد ليلة منجابه ، وتعيين من يرى تعيينه منهم في المهمات الشريفة السلطانية ، والمصالح المقدسة الإسلامية ، وإليه الحمام الرسائل وترجيته ، وزجالته ومدرجته ، ومن يصل من رسل الملوك إلى أبوانا العالية ، وجميع من يكتب الدولة الشريفة من كل منسب وغريب ، وبعيد وقريب ، وقراءة القصص لدينا ، والكتابة على ما يسوغ كتابة مثله ، وأخذ العلامة الشريفة من يده .

وأما من نستكتبهم عنا في ممالكنا الشريفة فهو المقلد لأعبائهم ، والمخلى بينه وبين ما يراه في أجتباؤهم ، يستكتب كل أحد فيما يراه ، ويرفع بعضهم فوق بعض درجات منهم مستيقظ ومنهم نائم في غمرات كراه ، كل هذا من غير معارضة له فيه ، ولا اعتراض عليه في شيء منه ، يبلغنا مهماتنا الشريفة ويتلقى عنا ، ومنه إلينا وإليه منا .

وأما ما يرد عليه من الرسائل عنا بما يكتب به فيمشی منه مالا يمكن وقوفه ، ويراجعنا فيما لا يكون إلا بعد مراجعتنا تصريفه ، فليمش على هذه القاعده ، وليستقل بهذه الوظيفة استقلالاً هو كالمخبر محل الفائده ، ولينشر من إقبالنا الشريف عليه بالصلوات العائده ، ونحن نختصر [له] الوصايا لانه الذي يملها ، ونقتصر منها على التقوى فإنها الذخيرة النافعة لمن يعانها ، والباقي الصالحة خير لمن يقتفياها ،

والله تعالى يقوى أسبابه ، وينير شهابه ، ويزيد من المعالى آكتسابه ، ويعيننا
بقلمه عن سنان يتقدم عامله ، ولسانه عن سيف يفارق قرابه ، والاعتماد على الخط
الشريف أعلاه .



وهذه نسخة تقليد بعود القاضى شهاب الدين بن فضل الله إلى كتابة السر .
من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء الشريف ، وهى :

الحمد لله الذى أحمد العقبي بفضله ، وأكّد النعمى بوصله ، وأودع سر ملكنا
الشريف عند أهله ، وأطلع شهاب الدين من أفق العلياء فى محل شرفه وشرف
محله ، ورفع قدره فى سيره إلى بروج السعود وحلولة بدرجات الصعود ونقله ،
وأرجع الموهبة منه إلى من يشكرها بقوله وفعله ، وأينع الفرع الزاكي الذى يحيا
أصله بوا كيف سبحاب كرمنا ووبله ، وأتمّ النعمة عليه كما أتمها على أبويه من قبله ،
وضمّ له أطراف الرياسة وجمع شملها بشمله ، وعمّ بفضله وفضلنا أهل هذا البيت
الذين فطروا على السؤدد وبصروا من رضانا باتّباع سبله .

نجمه على إضفاء ظله ، ونشكره على إصفاء نهله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة أشرق نور هداها ، بمستدله ، وأغدق نوء نداها ، بمستهلّه ، ونشهد
أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله خاتم رسله ، وجعل له الفضل على الخلق كلّه ،
وألهم به سبيل هديه وسنن عدله ، وأرشدّه إلى فرض دينه ونقله ، وأودعه السر
الذى لم يودعه سواه وحمله من أعباء الرسالة ما لم ينهض غيره بحمله ، صلى الله عليه
وعلى آله أغصان الشجرة الزهراء التى هى بصعّة منه ونبّة من أصله ، ورضى الله

عن أصحابه الذين أجلّهم من أجله ، خصوصا من بادر إلى الإيمان فخص من سبق
 بخصه ، ومن أيد به الدين وفرّ الشيطان من ظله ، ومن جهّز جيش العسرة حتى
 غزا العدا بجيئه ورجله ، ومن كان باب مدينة العلم وما نج جزله وفتح قفله ، وعن
 بقية المهاجرين والأنصار الذين ما منهم إلا من جاهد حتى قام الدين بنصره ونصله ،
 صلاة دائمة يجعلها اللسان أهم شغله ، ويتلقى قادمها في مواطن القبول بأكرم نزله ،
 ما رمى قوس العزم بصائب نبله ، وحمى حمى الملك بليثه وشبيله ، وفوض أجل
 المناصب إلى فاضل العصر وأجله .

أما بعد ، فإن آراءنا لا تزال للمصالح مرعية ، ولا تبرح بالإسعاد إلى الأولياء
 ساعية ، فتدعو إلى مقامها من وفر على الإخلاص دواعيه ، وتذني من ملكها من له
 بالخفايا أعظم بصيرة وفي جميل القضايا أجمل طواعيه ، وتلق أسرارها إلى من له
 لسان حق ناطق وأذن خير واعيه ، وتقدم من له قدم صدق ثابتة ويد بيضاء طولى
 في المهمات عاليه ، لتغدو سهام أعلامه إلى الأغراض راميّه ، وصوائب أفكاره
 عن حمى الملك محاميّه ، وتكون عبارته للقاصد موفية وإشارته لموعد اليمن موافيه ،
 وتضحى ديم نعمنا الواكفة لسوابق خدمه مكافيه ، لما يتصل بذلك من المصالح ،
 وتباحي خواطرنا الشريفة به المناجح ، ويقبل عليه وجه الإقبال ، في كل حال ، ويغدو
 إليه طرف الإجلال ، وهو طامح ، فنجمل به ممالك مصر وشاما ، ونسدد به مرعى
 ونصيب مراما ، ونحفظ له ولأبيه في خدمتنا حقا وذيما ، ونكون له في الحالتين
 بيرا وإكراما ، ونعلى محله إعلانا بعلو مكانه وإعلاما ، فيؤلف للرياسة نظاما ،
 ويضعف للرتبة إعظاما ، ويعمل يراعا بل حساما ، ويجلو وجه المنى طلقا ويبدو
 بعد البشر بساما ، ويحسن بأعباء المهمات قياما ، وحيث نقلته أوطانه هضاب
 المحدوقته ، وأين وجهته أعلت قدره وتوهته ، وكلما أوفدته أفاضت عليه ملبس

العزّ وجدّدته ، وأخصّصته بالتصرف وأفردته ؛ وأنتصت ماضى أجهاده وجرّدته ، وأجرته من إجراء فضيلها على ما عودته ؛ وأستقلّت له منائحها من كثير المواهب ماخولته ، ومن كبير المناصب ماقلدته .

ولما كان فلان هو الذى أودع الأسرار فحفظها ، وأطلع على الدقائق فرعاها ببصيرته ولحظها ؛ وباشر مهماتنا فأمضاها ، وسرّ خواطرنّا وأرضاها ، وظهرت منه بين أيدينا كفاية لا تُضاهى ؛ وقد أجياد أوليائنا من تقاليد عُمودا ، وأدنى من المقاصد بلطف عبارته بعبدا ، وأغنى الدولة أن تجهز جيشا وجّهز بريدا ، وأبان بمقاله عمّا فى أنفسنا فلم يُبق مزيدا ، وصان الأسرار فجعل لها فى خلدّه خلودا ، وجمع أشتات المحاسن فأضحى فريدا ؛ كم لعمّه فى خدمتنا من هجرة قديمه ، ولأبيه من موالاة هى للمخالصة مواصلة ومديمه ، وكم لها أسباب فى الرياسة قوينة وطرائق فى الهداية قويمه ، وكم كاتب يسر الله بهداهما تعليمه وتفهمه ، وقدر على يديهما وصوله إلى ربّ العلياء وتقديمه ، فنفعتهم عميمه ، ونبعتهم صميمه ، ولهما فى الشام ومصر أجمل شيمه ، ولم له هو أيضا من تقدمات اقتضت تكريمه ، وكفاية عند علومنا الشريفة معلومه ، وكتابة حلال المهارق بوشيا من قومها ؛ فلو قابله الفاضل «عبد الرحيم» لبادر إلى فضله إقراره وتسليمه ، أو «عبد الحميد» لكانت مناهجه الحميدة بالنسبة إلى مذاهبه ذميمة ، أو سمع «عبد الرحمن» مقاله لضمن ألفاظه معانيه العقيمة ، أو أدركه «قدامة» لعرف تقديمه ، وأقتدى بسبله المستقيمة ، أو حوى «الجوهري» فرائد ألفاظه لعرف أنّ صحاحه إذا قرئت بها سقيمه ، أو رأى «ابن العديم» خطّه لاستغنت منه بسلاسل الذهب نفسه العديمه ؛ أو «الولى» لاستجدى من صوب إجادته أغزر رديمه ، أو نظره «ابن مقلّة» لوجدت مقلته نضرة خطّه ونعيمه ،

أو «أبن البواب» لكان خدين بابه وخديمه ؛ فهم صدور صدورهم سليمه ، وأمائل معدودة وأمثالهم معدومه .

أقتضى حسن رأينا الشريف أن نلقى إليه منصباً هو أولى به ، ونقر عينه بدؤوه مناً وأقترايه ؛ وتمع البصر والسمع بخطه وخطايه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف ، العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى .
لا برح يعيد نعمه كما بدأها أول مره ، ويسر القلوب بكاف أودعه سره ؛ ويحمد
لأحمد الأولياء عوده ومستقره .^(١)

فلتلق هذه النعمة بشكرها وليترق منصباً رفيعاً يناسب رفعة قدره ، وليبسط قلبه فى تنفيذ مهم الممالك من نهيته وأمره ، وليحفظ ما أودعه من خفى سره ، وليلاحظ المهمات بفكره ، وليحافظ على ما يعرفه من رضانا طول دهره ؛ ونحن نعلم من صواب أفعاله وتسديدها ، ما لا نحتاج معه إلى تكثير الوصايا وتعديدها ، ولا إلى تكريرها وترديدها ؛ لاسيما وقد سلفت له بها خبرة لا نفتقر إلى استيعاب ذكراها ولا إلى تجديدها ، وتقدمت له مباشرة استبشرنا بميمونها وأثينا على حميدها ، وأستدئنا سناها وأستغينا عن سواها بوجودها ؛ وله بحمد الله توفيق ، وهو الحقيق بما فوضنا إليه على التحقيق ، وفضله من الشوائن عرى وفى المجانبين عريق ، وقدره بتجديد النعم جدير وبجلال الكرم خليق ، والله تعالى يوضح به من الخير أين طريق ، ويسر بمقدمه الولي والصديق ، ويفرق به بين الحق والباطل بخفته الفاروق وهو من أكرم فريق ؛ بحمد وآله ! .

(١) حذف المرسوم به اختصاراً فى الكفاية واتكالا على فهمه من نظائره المتقدمة فهو ملحوظ



وهذه نسخة تقليد بكتابة السر :

الحمد لله الذى أظهر لتسيير دولتنا شهاباً يعلو على فرقَد الفراقِد، وكَلَّ به عقودَ
الممالك فسَمَّت جواهرُ فرائدها على الدرارى إذ كان واسطة تلك الفرائد؛ ومُعِيد
إحساننا إلى خيرِ ولى أغنى تديره عمن سواه فكان بالألف ذلك الواحد، ومُحوِل
موادِّ كرمنا لمن هو صدر أسرارنا ويمين مملكيتنا فى كلِّ صادرٍ عنها ووارِد؛ ومنقَل
الأكفاء إلى مراتبِ سعودهم فتُصبح ألوِيَّةُ محامدِهم فى معاقل العزِّ أنْفِرَ معاقِد،
ومُحَلِّ ملكنا الشريف بأكل كافٍ ما أمَّ مصرًا إلا تَلَقَّته بالهناء ولا فارقَ شاما إلا أسفَت
عليه تلك الربوع والمعاهد .

نحمده على نِعَمٍ أَقْرَتْ عُيُونَ الأولياءَ لَمَّا أَقْرَبْتَهُمْ من موادِّ جُودنا على أكل القَوَاعِد،
ونشكره على ما بَلَّغْنَا من جميل المآربِ وبلوغ المقاصد؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تُنجِي قائلها من جميع الشدائد، ونشهد أن سيدنا محمدًا سيد البشر
عبده ورسوله الذى جاد بهديته فكان أكرم جائد؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحَّابته
خصوصًا على أول الخلفاء أبى بكر الصديق الذى لا فخرَ كَفَخَّارِه، وعلى أمير المؤمنين
عمر بن الخطَّاب حامل أسرارِه وفتح أمصارِه، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان
مُبدِّل عُسرِه بيسارِه، وعلى ابن عمِّه على بن أبى طالب أعزُّ نُسبائه وأخصُّ أصهارِه،
وعلى بقية مهاجرِه وأنصارِه، صلاةً سهَّلة المَشَارِعِ عَذْبَةَ المَوَارِد .

وبعد فإنَّ من سَجَّيتنا إذا تيمَّنا بولى لا نزال نلحظُه، ونرعى حقوقَ خدمه
فى القُرب والبُعد ونحفظُه؛ ونُقابل ما أسلفه لدينا بنفائس النعم، ونُفيض عليه مَلايس
الجُود والكرم؛ لا سِيَّما من لم يزل يُظهِر لنا كل يوم تعبُّدا جديدا، ومن أصبح

في الفصاحة والبلاغة وحيدا ، ومن جمع أطراف السؤدد والرياسة فلم يبرح بهما فريدا ، ومن تحسن النعم بإفاضتها عليه ، وتكامل المنن بإضافة محاسنها إليه ، وتزهو فرائد البلاغة بانتظامها في سلك مجده ، وتشرق كواكب اليراعة في آساقها في فلك سعده ، وكان للبايتة في الاختصاص بنا اليد الطولى ، وتلا عليه لسان أعتنائنا في الحالين : (وللاخرة خير لك من الأولى) .

ولما كنت أيها الصدر «شهاب الدين» أحق الناس بهذا المنصب لما لوالدك - أبقاه الله تعالى - ولعمرك - رحمه الله تعالى - من الحقوق ، ولما أسلفاه من الخدم التي لا يحسن التناسي لها ولا العقوق ؛ ولأنك جمعت في المجد بين طاريف وتالد ، وقفت بأزكى تفر وعم وإخوة ووالد ؛ وجلاله ، ما ورثتها عن كلاله ؛ وخلال ، ما لها في السيادة من إخلال ؛ ومفانر ، تكاثر البحر الزانح ؛ وماثر ، يعجز عن وصفها الناظم والناثر ؛ ولما نعمته من فضائلك التي لا تُجحد ، رعينك في عودك لوظيفتك وعود « أحمد » أحمد .

(١) ولما كان فلان هو الذي تقطر الفصاحة من أعطاف قلبه ، وتخطر البلاغة في أثواب حكمه ؛ وتنزل المعاني الممتعة من معاقل القرائح على حكمه ، وتقف جياذ البداة المتسرعة حيرى قبل التوسط في علمه ؛ إن وشى الطرس فرياض ، أو أجرى النقس فخياض ؛ أو نظم فقلائد ، أو نثر ففرائد . لا يتجاسر المعنى المطروق أن يلم بفكره ، ولا يقدم المعنى المتخيل المسبوق للورور بذكره ؛ ولا يجوز زيف الكلام على ذهنه المتقد ، ولا يثبت غشاء الكلام لدى خاطره المتقد ؛ «عبد الحميد»

(١) هذه عبارة أخرى تكتب بدل الأولى ولا يجمع بينهما أى فالكتب مخير في تصدير مقالة باحداهما

كـ«عبد الرحيم» فى العجز عن لحاق علومه التى يجد «الراغب» على نورها هدى ،
والأصمى لو أدركه لتلا عليه : (هَلْ أَتَيْكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا)
«والطُّغْرَائِيَّ» لو عاصره ل زاد نظمه وأز داد على نوره هدى ، و«الحريرى» لو رافقه
لأمن فى «مقاماته» من التجريح والردى ؛ قد قصرت عن غاية كماله جياذ القرائح ،
وعجزت عن وصف صفاته جميع المدائح ؛ وشرف منصبه بانتسابه إليه ، ورفع
قدره بمثوله لديه ؛ مع ما تميز به من نزاهة صرف بها عن الدنيا طرفه ، وزهادة زانت
بالسعد صدره وملاءة ملأت بالعفة كفه ؛ فهو واحد زمانه ، وأوحد أوانه ؛ والبحر
الذى يحدث عن فضله ولا حرج ، والروض الذى ينقل عن فضله إلى الأسماع
أطيب الأريج ؛ وكان قد مال عن منصبه وهو يدكره ؛ وفارقه وهو يشكره ، ونادى
غيره وبقوله يلبي ، وشغل بغيره وهو يقول حسبي « شهاب الدين » حسبي :
(فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى) . فلما حصل له الاستئناس ،
وزال عنه القلق والالتباس ، قال : (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) -
أقضى حسن رأى الشريف أن نخصه باستقرار رتبته لديه ، وأن نستمر به على
وظيفته السنوية استمرار السعود المقبل عليه .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال شهاب سعدة لامعا ، وسحاب كرمه هامعا ،
ومطاع أمره لمصالح الدين والدنيا جامعا ؛ - لمناقبه التى وفرت ميامنها ، وأسفرت
بوصف آثاره الحسنة كوامنها ؛ وأن يعاد إليها كما يعاد السوار إلى الزند ، أو كما يعود
نسيم الصبا إلى الرند . فليؤنس منصباً كان إليه مشتاقا ، ومجلسا كان متظرا أن يزور
من ملابس جلاله على عنقه أطواقا ؛ وليجمل هالة كانت متشوفة إلى عقود دُرره .
فأحمد الله على ما خصصناك به من مزيد الاعتناء ، وأن السعادة فى أيامنا الشريفة

(١) المراد أن يستقر فى كذا المناقبه ... وأن يعاد .

متصلة فتشمل الآباء والأبناء؛ ويكفيك بهذا التوقيع الشريف إذ بلغت به جميع
الأماني، وتوجناه بيميننا الشريفة لتقرب عهدنا بمصافحة الركن اليماني؛ وأصطفيناك
بقلم عظيم شأنًا بتلك السطور، وغدا معمورًا بالهداية ببركة البيت المعمور، وأزداد
بمشافهة الحرم الشريف نورًا على نور. فليحسن نظره المبارك في ذلك كله،
وليؤيد ما يحسن في هذه الوظيفة من مثله؛ وفي تقدم مباشرته في هذه الوظيفة
وعليه ما يغني عن كثرة الوصايا، وملاكها تقوى الله تعالى وهي أكل المزايا؛
وليحمد أفعاله ويصل أسباب اعتمادها بسببها؛ والله تعالى يجمل له مواهب
تحويله، ويجعل له الخير في تنقله وتحويله؛ والخط الشريف أعلاه، حجة بمقتضاه،
إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة تقليد بكتابة السر:

الحمد لله الذي جعل خواطر أوليائنا بإقرار نعمنا مستقره، ومواطر آلينا على
ذوى الإخلاص في ولائنا دأمة الديم مستمره، وبشائر رضانا تجدد لكل من ذوى
الاختصاص آبتهاجه وبشره، وسوافر أوجه إقبالنا لأولى الأصطفاء والوفاء مشرقة
الأوضاع متهلة الأسره، مودع أسرار ملكنا الشريف من آل «فضل الله» عند
أكرم أسرته، ومتمتع دولتنا بخير كاف دقق في مصالحنا فكره، وأنفق في مناخنا عمره،
ومجمع آرائنا على أعلى على حل من بهر بيته بمعرفه وبهر خيره، ومطلع أنجبهم
بأفئ تقريننا مرة بعد مره، فنحبي نيرهم الأكر وقد شيدنا بإارتقائهم بيته وشدنا
بعلائهم أزره.

نحمده على أن جبل سبحانانا، على الإحسان والمبره، ونشكره على أن أجزل عطايانا،
لمن لم يزل يعرف حقه ويألف خيره؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

شهادة تشرح مؤمنها صدره ، وتصلح لوقتها أمره ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله الذى أسمى على الخلائق قدره ، وتولى فى المضايق نصره ، وأعلى فى المشارق
والمغارب ذكره ؛ صلى الله عليه وعلى آله أعرى عثره ، ورضى الله عن أصحابه الذين
أسدوا المنة وسدوا الثغره ، صلاة ورضوانا متواصلين فى كل أصيل ومكررين فى كل
بكره ، ما وهب فضل الله مستحتمًا فسر بالعواطف والعارف سره ، وعقب فى سماء
الإسعاد كوكب كوكبا غل محله وقر مقتره ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد فثيميننا ترعى لأوليائها حقوقا ، ونعمنا الغامرة تُسنى صدقاتها لمن لم يزل
فى ولائها صدوقا ، وتزيد هباتها توفيرا لمن عهدت منه لمراضيا توفيقا ، وتجدد
بتعاهدها معهد الفضل فلا يمسى خليا بل يضحى بآكرامها خليقا ، وتسيّد بإحسانها
بيتنا أسس على تقوى الله وطاعة سلطانها فغدا بالحفظ حقيقا ، وتحمى بأعتنائها جوانبه
من الغير فلا يهرب حماه لها طروقا ، ولا تجد بفضل الله لها عليه طريقا ، وتطلع
فى بروج سُعودها زهرا تروق شروقا ، وتجمع على مهماتها من عظموا فضلا وكرموا
فريقا ، وتودع أسرارها عند سرراتهم ركونا إليهم وسكونا ورضا بهم ووثوقا ، وتشفع
مناخها بمنائح تزيد آمالهم نجاحا وتفيد أمانيتهم تحقيقا ، وترفع مكانا عليا إلى حيث
أسع السرار من ملكها من كان بالميامن مليا وفى المحاسن عريقا ، ويخلف فى خدمتها
شقيق منهم شقيقا ، ويصرف أوامرها ونواهيها من أعيانهم من تأمن المصالح مع
أجهاده ، تفويتا وتخاف الأعداء لسداده ، تعويقا ، طالما آتمنناهم على إيداع أسرارنا
فحلت من سرائرهم مستودعا وثيقا ، وعينوا للعالي فصادقت طويتنا من يقظتهم
ونهضتهم تصديقا ، فهم أولى أن نجعل لأجياهم بعقود جودنا تطويقا ، وأحق أن
نرفع بنعمنا محلهم ، ونجمع فى خدمتنا شملهم ، فلا يخشون نقضا ولا تفريقا .

ولما كان المجلس العالى الفلانى هو الذى لحظته عنايتنا، فعلا فعلا، وأيقظته
إشارتنا، فغدا فى الحكم كهلا، وحفظته رعايتنا، فعمرت بيته العمرى الذى مازال
بالعوارف ملموحا وللقبول أهلا، وأحظته سعادتنا، فى إقامته مقام أبيه فى حفظ
أسرارنا التى هو أحق بإيداعها وأولى - أقتضى حسن رأى الشريف أن تجرى
بمراستنا أقلامه، ونوقر من إنعامنا أقسامه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا برحت سبحانه عامه، ومواهبه لها مزيد
وإدامه، ورعايته إذا ابتدأت فضلا رأت إتمامه، وكواكبه تسير فى منازل عزها
ولنيرها الأ كبر الإرشاد والإمامه - أن يفوض إليه كذا وكذا، على أجمل العوائد،
وأجل القواعد، نظير ما كان مستقرا لأخيه .

فليباشر هذه الوظيفة التى لها به وبأهله أعظم نثار، وليحل هذه الرتبة التى
ما منهم إلا من لها يجتبي ويستخار، وليجمل هذا المنصب الذى إليهم مصيره
فى جميع الأمصار، وليحل المهارق بانشاطه التى شان مطاوتها عن شأوها الإقصار،
وليتوقل هذه الهضبة التى لها على عليائهم اقتصار، وفى آباءهم وأبنائهم لها تعيين
وأنحصار، وليدبج الطروس من خطه بالوشى الرقيم، وليبج النفوس من خطابه
بالدرّ النظيم، وليسرج الشمس من أوضاع كتابته التى تبرز من إبريز كنوزها
«أبن العديم»، وليجهز البرد التى تقدمها مهايتنا فلم يكتبها من كتائب الأعداء هزيم،
وليبرز مقاصدها التى قرن بها الفتح القريب والنصر العزيز والفضل العظيم،
وهو بحمد الله غنى عن الإرشاد بالوصايا والتفهيم، على القدر لا يحتاج مع المعية إلى
تنبيه ولا إلى تعليم، وهم أئمة هذه الصناعة ولهم الفضل القديم، وسبيلهم السوى
وصراطهم القويم، والله تعالى يوفّر لهم فضلنا العميم، ويظفر أقدارهم من لدنا

بتكرير التكريم ، ويسنى أمرهم فى آفاق العلياء يسعد ويقعد ويقيم ، ويديم لكل منهم فى ظل نعمنا المزيدي والتاكيد والتقديم ؛ والعلامة الشريفة أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لكاتب السر ، أوردتها فى "التعريف" وهى :

وليأمر عنا بما يُقابل بالأمثال ، ويقال به : السيوف لأقلامه مثال ؛ ويبلغ [من] ملوك العدا ما لا تبلغه الأسنة ، ولا تصل إليه المراكب المشرعة القلوع والخيول المطلقة الأعنة ؛ وليوقع عنا بما تذهب الأيام ويبقى ، ويحلد من الحسنات ما يلقى آخره ويلقى ؛ ويميل من لدنه من غرر الإنشاء ما يطرز كل تقليد ، وتلقى إليه المقلد ؛ ولينفذ من المهمات ما تحجب دونه الرماح ، وتُحجم عن مجارة خيل البريد به الرياح ؛ وليتلق ما يرد إلينا من أخبار الممالك على اتساع أطرافها ، وما تضمه ملاءة النهار ملاء أطرافها ؛ وليحسن لدينا عرضها ، وليؤد بأدائها واجب الخدمة ولتيم فرضها ؛ وليجب عنا بما استخرج فيه مراسمنا المطاعة ، وبما وكل إلى رأيه فسمع له الصواب وأطاعه ؛ ولتيمض ما يصدر عنا مما يحوب الآفاق ، ويزكو على الإنفاق ، ويحول ما بين مصر والعراق ، ويطير به الحمام الرسائل وتجرى الخيل العتاق ؛ ولير التواب ما أبهم عليهم بما يريهم من ضوء آرائنا ، وليؤكدهم عندهم أسباب الولاء بما يوالى إليهم من عميم الآئنا ؛ وليأمر الولاة بما يقف به كل منهم عند حده ولا يتجاوزه فى عمله ، ولا يقف بعده على سواه بأمه ؛ ولتتول تجهيز البريد ، واستطلاع كل خبر قريب وبعيد ؛ والتجابة وما تسير فيه من المصالح ، وتأخذ منه بأطراف الأحاديث إذا سالت منه بأعناق المطى الأباطح ؛ وأمور النصحاء والقصداء ،

ومن يَظُلُّ سِرَّهُمْ عنده إلى صَخْرَةٍ أَعْيَا الرجالَ أَنْصَدَاعُهَا وَهُمْ شَتَّى فِي الْبِلَادِ؛ وَلِيَعْرِفَ
 حَقُوقَ ذَوِي الْخِدْمَةِ مِنْهُمْ، وَأَهْلِي النَّصِيحَةِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَا يَنْسَ
 عَوَائِدَهُمْ مِنْ رُسُومِ إِحْسَانِنَا الْمَوْظَّفِ، وَكِرْمِنَا الَّذِي يَسْتَمِيلُ بِهِ الْقُلُوبَ وَيَتَأَلَّفُ بِهَا
 وَلِيُصْنِ السَّرَّ بِجُهْدِهِ وَهِيَّاتِ أَنْ يُخْتَفَى، وَلِيَحْجِبُهُ حَتَّى عَنْ مَسْمَعِيهِ فِيسِرُ الثَّلَاثَةِ غَيْرِ
 الْخَفِيِّ؛ وَالْكَشَافَةَ الَّذِينَ هُمْ رَبِئْتُهُ النَّظْرَ، وَجَلَّابَةَ كُلِّ خَبْرٍ؛ وَمَنْ هُمْ أَسْرَعُ طُرُوقًا
 مِنَ الطَّيْفِ، وَأَدْخَلَ فِي نُحُورِ الْأَعْدَاءِ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ؛ وَهُمْ أَهْلُ الرِّبَاطِ لِلخَيْلِ،
 وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ مُقْبِلٌ وَمُدْرِكٌ كَاللَّيْلِ؛ وَالذَّيَادِبُ وَالنَّظَّارَةُ، وَمَنْ يَعْلَمُ بِهِ الْعِلْمُ
 الْيَقِينِ إِذَا رَفَعَ دُخَانَهُ أَوْ نَارَهُ؛ وَهُمْ فِي جَنَابَاتٍ حَيْثُ لَا يَخْفَى لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مَنَارٌ،
 وَلَا يَزَالُ كُلُّ نَبِيٍّ بِنُورِهِمْ كَأَنَّهُ جَبَلٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ؛ وَالْحَمَامُ الرِّسَالِيُّ وَمَا يَحْمِلُ مِنَ
 بَطَائِقٍ، وَيَتَحَمَّلُ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا لَيْسَ سِوَاهُ [لَهُ] بَطَائِقٍ؛ وَيَخُوضُ مِنْ قَطْعِ الْأَنْهَارِ،
 وَيَقْطَعُ إِلَيْنَا مَا بَعْدَ مَسَافَةِ شَهْرٍ وَأَكْثَرَ مِنْهُ فِي سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ؛ وَيَعَزِمُ السَّرِيَّ لَا يُلْوِي
 عَلَى الرَّبَاعِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ مَلَائِكَةِ النَّصْرِ لِأَنَّهَا رُسُلٌ وَلَهَا أَجْنِحَةٌ مِثْلِي وَثَلَاثَ
 وَرُبَاعٍ؛ وَغَيْرُ هَذَا مِمَّا هُوَ بِهِ مَعْدُوقٌ، وَإِلَيْهِ تُحْدَى بِهِ النَّوْقُ؛ مِنْ رُسُلِ الْمَلُوكِ
 الْوَارِدَةِ، وَطَوَائِفِ الْمُسْتَأْمِنِينَ الْوَافِدَةِ؛ وَكُلُّ هَؤُلَاءِ [هُوَ لَا] مَالِهِمُ الْمُرْتَجِمُ، وَالْمَصْرَحُ
 عَنْ حَالِهِمُ الْمُحْمَحِمُ، فليَعَامِلَهُمْ بِالْكَرَامَةِ؛ وَلِيُوسِعْ لَهُمْ مِنْ رَاتِبِ الْمُضَيَّفِ مَا يَجِبُ
 إِلَيْهِمْ فِي أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ الْإِقَامَةِ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ هُوَ لَدَيْنَا الْمُسْتَشَارُ الْمُؤْتَمَنُ، وَالسَّفِيرُ الَّذِي
 كُلُّ أَحَدٍ بِسِفَارَتِهِ مَرْتَيْنِ؛ وَهُوَ إِذَا كَتَبَ بِنَانُنَا، وَإِذَا نَطَقَ لِسَانُنَا؛ وَإِذَا خَاطَبَ
 مَلِكًا بَعِيدَ الْمَدَى عُنُونُنَا، وَإِذَا سَدَّدَ رَأْيَهُ فِي نُحُورِ الْأَعْدَاءِ سَهْمُنَا الْمُرْسَلُ وَسِنَانُنَا؛
 فَلِيُنزِلَ نَفْسَهُ مَكَانَهَا، وَلِيَنْظُرَ لَدَيْنَا رَتَبَةَ الْعَلِيَّةِ إِذَا رَأَى مِثْلَ النُّجُومِ عِيَانَهَا .

فليَرَأِ قَبْلَ اللَّهِ فِي هَذِهِ الرِّتَبَةِ، وَلِيَتَوَقَّ لِدِينِهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيغُ عِنْدَهُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ،
 وَلِيَخَفَّ سُوءَ الْحِسَابِ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ؛ وَجَمَاعَةُ الْكُتَّابِ بَدِيوانِ الْإِنْشَاءِ بِالْمَمَالِكِ

الإسلامية هم على الحقيقة رعيته ، وهداهم بما شئتم به من الآلاء والمعيتة ؛
فلا تستكتب إلا من لا تجد عليه عتبا ، ولا يجد إلا إذا قعد بين يديه كتابا ، والوصايا
منه تستمل .

الطبقة الثانية

(من أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة السلطانية أصحاب
التواقيع ، وهم على ثلاث درجات)

الدرجة الأولى

(ما يكتب فى قطع النصف بـ «المجلس العالى» وكلها مفتحة بـ «المحمد لله»)
وتشمل على ثلاث وظائف سوى ما تقدم أنه نقل إلى رتبة التقاليد ، وهو كتابة السر

الوظيفة الأولى

(نظر الخاص)

وقد تقدم فى الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها وظيفة محدثة ،
أحدثها السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » حين أبطل الوزارة ؛ وأن أصل
موضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان ؛ وأن صاحبها صار كالوزير يقر به
من السلطان وتصرفه فى تدبير جملة الأمور ، وتعيين المباشرين ، إلا أنه لا يقدر على
الاستقلال بأمر ، بل لابد له من مراجعة السلطان . وقد تقدم ذكر ألقابه فى الكلام
على مقدمة الولايات من هذا الفصل ، وعلى طرة توقيعه فى الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخاص ، كتب به للقاضى شمس الدين موسى بن
عبد الوهاب فى الأيام الناصرية « محمد بن قلاوون » وهى :

الحمد لله الذى جعل كلَّ جُرح بنا يُوسى ، وعجّل كلَّ نعمة تُبدّل بوسا ، وتغيّر
بالسرور من المساءة لبوسا .

نحمده حمداً يشرح صدورنا ويسر نفوسنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة ترفع لقائلها رُؤوسا ، وتطّلع فى آفاق ممالكنا الشريفة شُموسا ،
وتنشئ فى أيامنا الزاهرة غُروسا ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بشر به موسى ،
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تملأ طُروسا ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن العمل بالسنة أولى ما يتمسك به المتمسك ، وقد قال صلى الله عليه
وسلم : «أبدأ بنفسك» ؛ وكانت الخواص الشريفة هى المصلحة الخاصة بنا ، المتعلقة
دون كل شىء بأنفسنا ؛ لأن من خزائنها العالية تنتفرق مواهبنا الشريفة فى الوجود ،
وتتحلى معاطف الأمراء والجنود ؛ وكان فيها من لم يزل هو وبنوه قائمين بها أحسن
قيام ، [و] فيها من ممالكنا الشريفة ما يضاهاى بمدده الغمام ؛ من حضر منهم لا يتفقد
معه من غاب ، ومن كتب منهم فى شىء من مصالحها قال الذى عنده علم من الكتاب ؛
كم أجزت صدقاتنا الشريفة بأقلامهم من إناعام ، وتقسّموا فى مصالحنا الشريفة هذا
فى الخاص وهذا فى العام ؛ طالما أنقطع والدم رحمة الله تعالى بعدر فمشوا الأمور
على أكل سداد ، وأجمل اعتماد ، وأتم مالو حضر أبوهم وكان هو المتولى لما زاد ؛
فما خلت فى وقت منه ، أو من أحد منهم لما غاب من بقى يسد عنه ؛ فلم يزل
منهم ربعها مانوسا ، ولا سئل فيها عن قصة إلا وأنبأت بها صحف إبراهيم وموسى .

وكان المجلس العالى فلان هو الذى تفرّد آخرًا بهذه الوظيفة ، وأستقلّ فيها بين
أيدينا الشريفة ؛ وسافر فيها إلى ثغر الإسكندرية - حرسها الله تعالى - فأفترت بين
تصرفه ، وحسن تعفّفه ، وعدم فيها المضاهى لأنه لاشىء يضاهاى الشمس إذا حلّ

سرها فى منازل شرفه ، كم كفت له كفايه ، وبدت بدايه ، وكم بلغ من غايه ؛
 كم له من همم ، وكم تقدمت له قدم ، وكم اعترف السيف بزز القلم ؛ كم له فى خدمه
 المقامات العاليه اولادنا اثر جميل ، وفعل جلي جليل ، وسلوك فلا يحتاج فى الشمس
 الى دليل ؛ كم احسن فى مره ، كم رددناه الى الكرك كره ؛ كم غلب على السحاب
 فرقى اليها ، وبلغ النجوم وله قدوم عليها ؛ فلما انتقل والده القاضى تاج الدين
 عبد الوهاب الى رحمة الله تعالى ، احتاج الى توقيع شريف بالاستقلال فى وظيفة
 نظر الخاص الشريف التى خلت عن ابيه ؛ ليعلم كل متطاول اليها انه لا يصل
 اليها مع وجود بنيه ؛ فما عاد إلا وعاد بعين العناية محروسا ، ولا أقبل على كرنا
 إلا قال (قد أوتيت سؤلك يا موسى) .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - زاد الله شرفه ، ومكن فى الأرض تصرفه - أن
 يفوض إليه نظر الخاص الشريف بالممالك الإسلامية المحروسة ، على عادة والده
 رحمه الله فى هذه الوظيفة ، وقاعدته فى رتبته المنيفه ؛ ليقضى ما كان فى خاطر ابيه
 من الوطر ، ولأنه فى أمثاله عين الأعيان والعين أولى بالنظر .

فليأشر ما أنعمت به صدقاتنا العميمة عليه على ما عهد [منه] بالأمس ، وعرف به
 من حسن السلوك كمن يمشى فى ضوء الشمس ؛ وليقدم تقوى الله والأمانة فهما
 أفضل ما يقدم ، وأجل ما يعمل به من تقدم ؛ والنهضة فإنها هى التى تقوم بها
 المصالح ، والتصدي لما هو بصده فإن به يتم كل عمل صالح ؛ وليحتفظ على
 الخزائن العاليه ، وليكن فيها كواحد من رفته عملا بالعادة [فيها] ، وإلا فنحن نعلم من
 كفايته [أنه] يكفيها ، وليشمر الجهات التى إليه مرجعها ، والأموال التى يدوم إليه من
 العين تطلعها ؛ وليستجلب خواطر التجار بإيصال حقوقهم إليهم ، والقائمين فى خدمه

أبوأبنا الشريفة بتعجيل ما تُنعم به صدقاتنا الشريفة عليهم ؛ وليكن إلى ما تبرز به
 مراسمنا الشريفة مُسارعا ، ولها في كل ما أشكل عليه من الأمور مُراجعا ؛ وبقية
 هذا من كل ما يحتاج أن نُوصيه بتعلمه فقد علم مما جرت به عادتنا الشريفة بأن
 نقوله في مثله ، ولهذا نختصر في الوصايا التي نُشرح آكتفاء بما آتاه الله بنا من
 فضله ؛ والله تعالى يأخذ به إلى النجاح ، ويفتح له بنا أحسن الأفتاح ؛ والاعتماد
 على الخط الشريف أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الخاص :

الحمد لله الذي جعل خواص النعم لمُلُكنا الشريف لأجلها ، ونفائس الذخائر من
 دولتنا القاهرة مجلها ، وأخاير المفاحر مبسوطا في أيامنا ظلها .

نحمده بحمده التي لا تم لها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
 أشرق مستهلها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي ختمت به أنبيأؤها ورسلها ،
 وبعثه الله للأرحام يبئها ، وللأولياء يجلها ، وللأعداء يدبها ، وللسيوف النصر من
 العمود يسبها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما شد على مطية رحلها ، وولى المراتب
 أهلها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن خزائن ملكنا الشريف مستودع كل تميم ، وممالك المعظمة لاتعدق
 إلا بالثقة الأمين ؛ ومتاجر خواصنا الشريفة لا يثمرها إلا من رأيه يعصد قلبه في اليمن ،
 والمتجر المحروس لا يقوم بماء محصوله إلا من له حزم سديد وعزم متين ، ونظر
 الخواص هو الذروة العالية فترقيها على كل ما يعترضه معين .

ولما كان فلان هو المختار على يقين ، والمخطوب لهذا المنصب ليزيده فى التحسين والتحصين ، والذى إن نظر فى القليل عاد كثيرا بالألوف والمئين ، فإن دبر تدبيراً حفظ وحرس وصين ، وضبط فى حسن الاعتماد باع إلى الصين ؛ وإن توجه إلى الثغر المحروس تفجر له عن أمواله الجمه ، وأخرج له من فاجر الحلال ما حسن راقمه رقمه ؛ وصدر عنه إلى أبوابنا الشريفة بالتحف المضمنه ، والمحمول التى أوقرت السفن فى النيل ، والإبل فى السيل ، فأزال الغمه ، وأنار الأمور المدهمه ، ونشر ما طواه لدينا فشكرنا له ما تقدم به مما أتمه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف ... فليباشر هذا المنصب الكريم بتدبير يصلح الفاسد ، وينفق الكاسد ، ويكبت الحاسد ؛ ويكثر الأموال ، ويسعد الأحوال ؛ ويمسّر الذخائر ، ويسرّ السرائر ؛ ويوفر حاصل الجواهر ، ويكثر التحف من كل صنف فاجر ؛ ويوفى المهتمات الشريفة حقها فى الأول والآخر ، وينشر التشاريف كالأزاهر . وليختار الأمناء الثقات ، وليحرر كل منهم الميقات ، وليبع لحاصنا الشريف ويشتر بالأرباح فى سائر الأوقات ؛ وليتلق تجار الكارم الواردين من عدن ، باستجلاب الخواطر وبسط المتن ، ونشر المعدلة عليهم ليجدوا من اليمن ما لم يجدوه فى اليمن ؛ وكذلك تجار الجهة الغربية الواردين إلى الثغر المحروس من أصناف المسلمين والفرنج : فليحسن لهم الوفاة ، وليعامهم بالمعدلة المستفاده ، فإن مكاسب الثغر منهم ومن الله الحسنى وزياده . والوصايا كثيرة وهو غنى عن الإعادته ، و [ملاكها] تقوى الله فليقتف رشاده ، وليصلح مآبه ومعاده ، ولا يتدنس بأقذار هذه الدنيا فإنها جمره وقاده ، والله تعالى يحرس إرفاقه وإرفاده ، بمنه وكرمه ! : بعد الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ؛ إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظر الجيش)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنّ موضوعها التحدّث في الإقطاعات بمصر والشام، والكتابة بالكشف عنها، ومشاورة السلطان عليها، وأخذ خطّه . وقد تقدّم ذكر ألقابه في جملة الألقاب في الكلام على مقدمات الولايات من هذا الفصل، وتقدّم ذكر ما يكتب في طرة تقليده في الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش :

الحمد لله الذي عدّق بالأكفاء مصالِح الجنود ، وصرف أقلامهم فيما نُقِطعه من الجُود، وأجبتني لمراتب السيادة من ^(١) تحمّده الأعلام في العطايا البيض والسُّيوف في الخطوب السود .

نحمّده وهو المحمود، ونشكره شكراً مُشرق الميامين والسُّعود؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً عدّبة الورود ، يجمّد المخلص بركتها يوم العرض ^(ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أضحّت به جيوش الإسلام منشورة الألوية والبُنود ، منصوره السرايا في التّهائم والنجود؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما أورق عُود، وأولج نهار السيوف في ليل الغمود؛ وسلّم تسليماً .

وبعد ، فإنّ أجل رتب هذه الدولة الشريفة مُرتقى ، وأجلها متقى ، وأكرمها هادياً حتى يعقد السيادة مفرقاً ، رتبة حكمتنا مرتقيها في أرزاق الجيوش الذين هم حماة الدين وأنصاره ، ولهم رواح الظفر وأيتكاره ؛ ولهذا لا يخطى بتسنمها إلا من علا مقدارا ، وشكرت الدولة الشريفة له آثاراً ؛ وجبت عليه السعادة أثوابها ،

(١) (عدق) جمع .

وأوكفت عليه سبحانه، وأنزلته ساحاتها ورحابها، وغدت لأحاديث عليائه تروى،
وحده الميسور والمنشور والمطوى .

ولما كان فلان هو الذى نمت مآثره، وكرمت مفاخره، وأستوتت على العلياء
مظاهره؛ وشكر أستبصاره وحياطته، وكل سلوكه منهج الفخار وجادته؛ وأحصى
الجنود عددا، وإن كثروا النجوم مددا، وأحاط بالأرض المقطعه، فلم تكن نواحيها
عنه ممتعه؛ ولم يغادر منها شيئا إلا أحصاه، وأتبع سبب مراضينا حتى بلغ أقصاه؛
فالعلم يثنى عليه والعلم، والحرب والسلم يشكرانه لمناسبة نظره القرطاس والقلم -
أقتضى حسن الرأي الشريف أن نرقيه هضبة سامية العلى، فآخرة الحلى؛ ومنبع
أرزاق أئمة الفضل وأبطالها، ورتبة شهيد منالها بعدم مثالها .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه

فليأشر هذه الوظيفة المباركة، ويحل ذراها الأسمى، وليجمل أطلآعه على
الجوش المنصورة حتى لا يغادر منها أسما؛ لتغدو مصالحها وريقة الغراس بسقه،
وعقودها نفيسة الفرائد متناسقه؛ وليجر نظره المبارك فيما صرفناه فيه، آخذاً بمن
السداد من فعله وحسن التنفيذ من فيه؛ ملزماً من تحت نظره بإتقان ما هم بصده
من العروض والأمثلة، حتى تغدو لديه ممثله؛ محرراً للإقطاعات وعلم خفاياها فيما
نهبه ونقطعه، ونصله ونقطعه؛ والمقايضات وإن اختلفت، والإفراجات وإن
أكتفت، والمغلات الآتية والأخرى التى سلفت؛ وما يخص المتصل، من فعل
المنفصل؛ والمتحصل والعبره، والخاص والعدة لذوى الإمره؛ ومنها مصرى لاغنى
عن تحريره، وشامى يفتقر إلى الإتقان فى قليله وكثيره؛ ولينظر فيمن له جامكية
أو إقطاع مجزل، وكلاهما فى دولتنا سماك : هذا رايح وهذا أعزل .

هذه وصايا جمه ، وأنت غني عن أن يستقصي القلم ذكرها أو يئمه ، والله تعالى
يَجَلُّ به رُتبه ، ويبلغه أربه ، ويرفع عليه لواء المجد وعذبه ، بعد العلامة الشريفة
أعلاها الله تعالى أعلاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجيش :

الحمد لله الذي أعزَّ الجيوش المنصورة ، وجزَّ أعناق العدا بالسيوف المشهورة ،
وهزَّ ألوية التأييد المنشورة ، وجعل الجحافل مشرفةً وأجنحتها خافقةً وساقها مُحِدقةً
وقلوبها مسرورة .

نحمده بحمده المذكوره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
مأثوره ، موصولةً غير مهجوره ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أبطل
من الشيطان غروره ، وصان للإسلام حوزته وتغوره ، وسن لأئمة الاستخارة
والمشورة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً تورت من الليل ديجوره ، وكثرت
لقائلها أجوره ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنَّ أحوال جيوشنا يتعين حسن النظر في أمرها ، والقيام بمواد نصرها ،
وإسعافها بناظر يحرر جهات أرزاقها ، ويضبطها مخافة افتراقها ، ويأمر بنظم جرائد
أسمائهم واتفاقها ، ويثبتن الحلي ، ويبين يوم العرض محلّه في ارتقاء العلي ، ويصون
المحاسبات لكل منفصل ومتصل من الحلل ، ويسرع في الدخول والخروج ما يصل به
لكل حقه عند استحقاق الأجل .

ولما كان فلان هو المدوح بالسنة الأعلام ، والرئيس بين الأنام ، والمشكور بين
أرباب السيوف وذوى الأعلام ، والمأمون فيما يعدق به من مهام ، والعزيز المثل ،

والسائر بجده الأمثال؛ والمنشور فضله في كل منشور، والظاهر أثره تجريده في الديوان المعمور، والذي شكرته الملكة الشريفة فهو من صدورها في الصدور .

(٢) فلذلك رسم فليباشر نظر هذا المنصب السعيد بأمانة تحفظ أرزاق العساكر، وتجلو الظلام العاكر، وليحترر جرائد التجريد، وليصن العدة الكاملة من التبديد، ولتكن أوراق اليباكر نصب عينيه حتى إذا طلبت منه أحضرها محرره، وإذا وقع فيهم حركة كانت أقلامه غير مقصره؛ وليرغب في آقتناء الثناء حتى يصبح عنده منه جملة من الألف، وليكن للأمانة والنصح نعم الألف؛ وليتق الله مع أصحاب السيوف، وليستجلب خواطر أرباب الصفوف، وليجعل له برأ في كل أرض يطوف؛ وتقوى الله فهي السبيل المعروف، فليتعلم بحبها الدانية القطوف، وليلبس بردها الضافية السجوف، والله تعالى ينجيه من الخوف، بمنه وكرمه!



وهذه وصية ناظر جيش أوردتها في "التعريف" قال :

ولياخذ أمر هذا الديوان بكليته، ويستحضر كل مسمى فيه إذا دعى باسمه وقوبل عليه بحليته؛ وليقم [فيه] قياما بغيره لم يررض، وليقدم من يجب تقديمه في العرض؛ وليقف على معالم هذه المباشرة، وجرائد جنودنا وما تضحى له من الأعلام ناشره؛ وليقتصد في كل محاسبه، ويحترها على ما يجب أو ما قاربه وناسبه، وليستصح أمر كل ميت تأتي إليه من ديوان الموارث الحشرية ورقة وفاته، أو يخبره به مقدمه أو تقيمه إذا مات معه في البيكار عند موافاته؛ وليحتر ما تضمنته الكشوف،

(١) لعله والظاهر أثره وتحريره الخ .

(٢) بياض بالأصل ومراده بالامر الشريف الخ .

ويحقق ما يقابل به من إخراج كلِّ حال على ما هو معروف، حتى إذا سُئِلَ عن أمر كان عنه لم يخف، وإذا كَشَفَ على كَشَفٍ أظهر ما هو عليه ولا يُنكر هذا لأهل الكَشَفِ؛ وليحترز في أمر كلِّ مرَبَعِه، وما فيها من الجهات المُقَطَّعة؛ وكلُّ منشور يُكتب، ومثالي عليه جميع الأمر يترتب؛ وما يثبت عنده وينزل في تعليقه، ويرجع فيه إلى تحقيقه؛ وليعلم أن وراءه من ديوان الاستيفاء من يساوقه في تحرير كلِّ إقطاع، وفي كلِّ زيادة وأقطاع، وفي كلِّ ما يُنسب إليه وإن كان إنما فعله بأمرنا المطاع؛ فليتبصر بمن وراءه، وليتوقَّ اختلاق كلِّ مبطل وأفتراء؛ وليتحقق أنه هو المشار إليه دون رُفْقته والموكل به النظر، والمحقق به جملة جنودنا المنصور من البدو والحضر. وإليه مدارج الأمراء فيما تنزل، وأمر كلِّ جندي له ممن فارق أو نُزِلَ؛ وكذلك مساوقات الحساب ومن يأخذ بتاريخ المنشور أو على السَّيَاقه، ومن هو في العساكر المنصورة في الطليعة أو في السَّاقه. وطوائف العرب والتركيان والأكراد، ومن عليهم تقدمة أو يلزمهم روك بلاد، أو غير ذلك مما لا يفوت إحصاؤه القلم، وأقصاه أو أدناه تحت كلِّ لواءٍ يُنشر أو علم؛ فلا يزال لهذا كله مستحضرا، وعلى خاطره مُحَضَّرًا؛ لتكون لفتات نظرنا إليه دون رُفْقته في السؤال راجعه، وحافظته الحاضرة غنية عن التذكُّر والمراجعة.

الوظيفة الثالثة

(نظر الدواوين المعبر عنها بنظر الدولة)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه الوزير، وأن كل ما كتب فيه الوزير «يُكشَف» مثلا، كتب فيه «يُكشَف عَمَّا رُسم به» ونحو ذلك. وتقدم ذكر ألقابه في الكلام

على مقدمات الولايات من هذا الفصل ، وتقدم ذكر ما يكتب في طرة توقيعه
في الكلام على التوقيع .

وهذه نسخة توقيع بنظر الدواوين ، كُتِبَ به لتاج الدين بن سعيد الدولة ، وهى :

الحمد لله الذى خص من أخلص فى الطاعة من آلائنا بحسن النظر ، وأجنى
من غرس فى قلبه أصل الإيمان من عوارف أيامنا الزاهرة يانع الثمر ، ورفع من
استضاء فى دولتنا القاهرة بأنوار الهدى من مجول الرتب إلى مكان الغرر ، وأظهر
لواعى السعادة من نعمنا على من أضاء له الرشد فرآه بعين البصيرة قبل البصر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أرفع ما يقتنى وأنفع
ما يدنر ، وأفضل ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأخر ، ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله أشرف البشر ، وأرأف البدو والحضر ، والمبعوث إلى الأمم
كافة لما قضاه الله تعالى من سعادة من آمن وشقاوة من كفر ، صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الميامين الغرر ، صلاة دائمة الورد والصدر ، باقية العين والأثر ، وسلم
تسلياً كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من خصه برنا بالنظر الحسن ، وشمله كرمنا من الرتب بما يهجر
فى بلوغ مثله الوسن ، وأشتمل عليه معروفنا بما يجعل يراعه فى مصالح الدولة القاهرة
جميل العبارة حسن اللسن ، من سمى به نفسه إلى سعادة الآخرة فأنته سعادة الدنيا
تابعه ، وسلك فى مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص فعدت لكل خير
حاوية ولكل يمن جامع ، مع كفاءة جاءت المناصب على قدر ، ومعرفة ما لحظت
المصالح بأقرب نظر ، إلا نمت الأموال وبدرت البدر ، وخبرة ما أعتبرت فيها
محاسن سيرته فى كل ما يباشره إلا صغر خبرها الخبر ، ونزاهة سلكت به فى كل

ما يليه أحسن المسالك ، وعِفةٍ رفَعته من الرتب الديوانية إلى مفارقة ولا رتبة للتاج إلا ذلك .

ولما كان فلان هو الذى آجتى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى ، وفاز من عوارفها العميمة بجميل المخالصة ما زاد على المنى ، وآتمى من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أنخر ما يدخر للرتب الجليلة وأنفس ما يقتنى ، وعنى من أسباب استحقاقه المناصب بما اقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يحتفل بتقديمه وأن يعتنى .

فلذلك رسم أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة : فليأشر ذلك محلياً هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل ، ومجلياً فى هذه الحلبة بسبق معرفته الذى لا يحتاج إلى دليل ؛ ومبيناً من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار ، ومن كوامن اطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار ؛ فلا يزال فرع يراعه فى روض المصالح مثيراً ، ويليل نفسه فى ليل الأعمال مقيمراً ؛ وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح محققاً ، ولسان قلمه لما دق من أمور الأقاليم محققاً ؛ ورسم خطه لما يستقر فى الدواوين المعمورة مثبتاً ، ووسم تحريره لما يجتنى من غروس المصالح مثبتاً ؛ ولدّر أخلاف الأعمال ، بحسن الاطلاع محتلماً ، ولوجوه الأموال ، بإنفاق التوجه إلى ثميرها إن أقبلت مجتلياً وإن أعرضت محتلياً ؛ فإن الأمور معادن يستثيرها التصرف الجميل ، ومنايت ينميها النظر الجلي والإتقان الجليل ؛ وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويتخيها فى كل حال أمامه ؛ والله تعالى يوفقه بمنه وكرمه ! .

قلت : ورُبما أضيف إلى نظر الدواوين المعمورة نظر الصحبة الشريفة الآتى ذكرها ، وكتب بهما جميعاً لشخص واحد .

(١) وهذه نسخة توقيع بهما جميعاً، كُتِبَ بها لتاج الدين بن سعيد الدولة على أثر إسلامه، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهى :

الحمد لله الذى خصَّ من أخلص في الطاعة من آلائنا بـمُحَسِّنِ النظر، وأجنى من غرس في قلبه أصل الإيمان من عوارف أيامنا الزاهرة يانع الثمر، ورفع من استضاء في دولتنا القاهرة بأنوار الهدى من مجول الرتب إلى مكان الغرر، وأظهر لواضع السعادة من نعمنا على من أضاء له الرشد فرآه بعين البصيرة قبل البصر .

نحمده على إحسانه الذى غمّر، وأمتنانه الذى بهر، وفضله الذى عمَّ كلَّ من ظهر له الهدى فلم يعارض الحق إذا ظهر .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هى أرفع ما يقتنى وأنفع ما يدخر، وأوضح ما نجت به الفرقة الموحدة وهلكت به الفرق الأخرى، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف البشر، وأرف البدو والحضر، والمبعوث إلى الأمم كافة لما قضاه الله من سعادة من آمن وشقاوة من كفر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الميامين الغرر، صلاة دائمة الورد والصدر، باقية العين والأثر، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى من خصه برنا بالنظر الحسن، وشمله كرمنا من الرتب بما يهجر في بلوغ مثله الوسن، وأشتمل عليه معروفاً بما يجعل يراعه في مصالح الدولة القاهرة جميلة العبارة حسن اللسن، من سمى به نفسه إلى سعادة الآخرة فأنته [سعادة] الدنيا تابعه، وسلك في مراضى الدولة القاهرة طريق الإخلاص فغدت لكل خير حاوية ولكل يمن جامع، مع كفاءة جاءت المناصب على قدر، ومعرفة ما لحظت المصالح بأقرب نظر، إلا تمت الأموال وبدرت البدر، وخبر ما أعتبرت فيها

(١) هى عين سابقها خلا أن فيها ضم الصبغة مع تغيير يسير، فتنبه .

محاسن سيرته في مباشرة الإصغر خبرها الخبر، ونزاهة سلكت به في كل ما يليه أحسن المسالك، وعفة رفعت من الرتب الديوانية إلى غيرها ولا رتبة للتاج إلا ذلك.

ولما كان فلان هو الذي آجتني من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى، وفاز من عوارفها العميمة بجميل المخالصة مازاد على المنى، وأنتمى من أدوات نفسه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أفر ما يدخر للرتب الجليلة وأنفس ما يقتنى، وعني من أسباب استحقاقه المناصب والرتب بما اقتضى إحسان الدولة القاهرة أن يمتثل بتقديمه وأن يعتنى - فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه نظر الدواوين المعمورة ونظر الصحبة الشريفة.

فليباشر ذلك محليا هذه الرتبة بعقود تصرفه الجميل، ومجليا في هذه الحلة بسبق معرفته التي لا تحتاج إلى دليل؛ ومبينًا من نتائج قلمه ما يبرهن على أنه موضع الاختيار، ومن كوامن أطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار؛ فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح مُمرا، وليل نفسه في ليل الأعمال مُمرا؛ وحسن نظره إلى ما قرب ونأى من المصالح مُحدا، ولسان قلمه لما دق وجل من أمور الأقاليم محققا؛ ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مُثبتا، ووسم تحريره لما يجتنى من غروس المصالح مُنبتا؛ ولدّر أخلاف الأعمال، بحسن الأطلاع محتلبا؛ ولوجوه الأموال، بإنفاق التوجه إلى ثمرها إن أقبلت محتلبا وإن أعرضت محتلبا؛ فإن الأمور معادن يستثمرها التصرف الجميل، ومنابت ينميها النظر الجلي والإتقان الجليل؛ وملاك كل أمر تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه، ويتخيلها في كل وقت أمامه؛ والله تعالى يوفقه بمنه وكرمه! . والخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه .

الوظيفة الرابعة

(١)
(نظر الصحبة)

[وهذه نسخة توقيع بنظر الصحبة] كُتِبَ به للشريف شهاب الدين ناظر الصحبة، من إنشاء الشهاب محمود الحلبي، وهو:

الحمد لله الذى جعل الشرف حيث حلّ ركابنا مصاحباً، وأطلع للفضل فى أفق خدمتنا من أولياء دولتنا شهاباً ثاقباً، وعدق النظر فى صحبتنا بمن لم يزل لمصالحنا ملاحظاً ولأوامرنا مراقباً، وفوض أمور مباشرة حال من آجتهد أو قصر فى خدمتنا إلى من لم يزل بنفسه فى واجب الطاعة منافساً وعلى فرض الموالاة محاسباً.

نحمده حمد من أجل فى أوليائنا نظراً، وخصّ بالنظر فى صحبتنا من أختبرت خدمته فتساوت فى الطاعة والمناجحة سفراً وحضراً، وأعتمد فى ملاحظة مباشرى ما يتر عليه من ممالكة على من لا يهمل له حقاً ولا يحدث له ضرراً.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال جيوشنا لإهلاء منارها مجهزة، وسرايانا إلى مقاتل جاحديها البارزة مبرزة، وعود النصر على من ألحد فيها لنا معجلاً وعلى أيدينا منجزه، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أنهضنا الله من جهاد أعداء دينه بما فرض، وأيقظنا لرفع أقدار أهل بيته فلم يقصر بأحد منهم فى أيامنا أمل ولا بعد عليه غرض، وخصنا منهم بمن تمسك بجواهره الأعلى فلم

(١) يظهر قياساً على ما سبق فى نظائره أن هنا سقطاً، هو « وموضوعها أن صاحبها يحدث مع الوزير فى كل ما يحدث ويشاركه فى الكتابة فى كل ما يكتب فيه ويوقع فى كل ما يكتب فيه الوزير تبعاً له ». انظر

يتعرض من هذا الأذى إلى عَرْض ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من (يكاد يُمسكه عرفان راحته) ، وإلا المؤثر طاعة الله ورسوله وأولى الأمر على راحته ؛ صلاة دائمة الاتصال ، آمنة شمس خلودها من الغروب والزوال ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من اخترناه لصحبتنا الشريفة على علم ، وأعدناه لمهماتنا الكريمة لما فيه من تسرع إدراك وتثبت في حكم ؛ وبسطنا له فيما عدقناه به من ذلك لسانا ويدا ، وحفظنا به الأحوال من [وصول] مسترق السمع إليها (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) ، وأذخرنا أقلامه لمصالح كل إقليم يمر ركابنا الشريف عليه ، وفوضنا مناقشة مباشره على ما أهملوه من حقوق الله تعالى وحقوق الرعايا إليه ؛ وأقمناه لتصفح ذلك بنفسه ، وتلمح زيادة كل يوم على أمسه ؛ وأنتزاع الحق ممن مديده إلى ظلم بكف كفه عنه ورفع يده ، وأرتجاع الواجب ممن أقدم عليه بالباطل في يومه وأطرح المؤاخذه به في غده ؛ وغير ذلك مما أحصاه الله ونسوه ، وأعتمدوا فيه على المصلحة فأجتنوا ثمرة ماغرسوه - من كان له في المناصحة قدم صدق عند ربه ، وفي خدمة الدولة القاهرة قدم هجرة تقتضى مزيد قربه ؛ فكان أبدا بمرأى من عنايتنا ومسمع ، ومن إحساننا بالمكان الذى ليس لأحد من الأكفاء فى بلوغ غايته أمل ولا مطمع ، وتفرد بأجتماع الدين والمنصب والأصالة والعلم والكرم وهذه خلال الشرف أجمع .

ولما كان فلان هو الذى أجتنى من إحسان الدولة القاهرة بالطاعة أفضل الجنى ، وفاز من عوارفها العميمة بجميل المخالصة ما زاد على المنى ؛ وأنتمى من أدوات نفسه ونسبه إلى كمال المعرفة والعفة وهما أنخر ما يُدخر للربب الحليلة وأنفس

ما يُقْتَنَى ، وَعُنِيَ من أسباب استحقاقه المناصبَ والرتب بما أقتضى إحسانُ الدولة
القاهرة أن يُحتفلَ بتقديمه وأن يُعْتَنَى . فذلِكَ رسمُ بالأمر الشريف أن يفوض
إليه نظر الدواوين المعمورة ^(١) .

فليباشِر ذلك محلّيًا هذه الرتبةَ بعقود تصرفه الجميل ، ومجلىً في هذه الحلبه بسبق
معرفة التي لا تحتاج إلى دليل ، ومبينًا من نتائج قلمه ما يُبرهن على أنه موضع
الاختيار ، ومن كوامن أطلاعه ما لا يحتاج إلى برهان إلا إذا احتاج إليه النهار ،
فلا يزال فرع يراعه في روض المصالح مُثْمَرًا ، وليل نفسه في ليل الأعمال مُقْمَرًا ،
وحسن نظره إلى ما قُرب ونأى من المصالح مُحْدِقًا ، ولسان قلمه لما دقَّ وجلَّ من
أمور الأقاليم مُحَقِّقًا ، ورسم خطه لما يستقر في الدواوين المعمورة مُنْبِتًا ، ووسم
تحريره لما يجتنى من غروس المصالح مُنْبِتًا ، ولدَّر أخلاف الأعمال بحسن الأطلاع
محتلبًا ، ولوجوه الأموال بإنفاق التوجه إلى تثيرها إن أقبلت مجتلبًا وإن أعرضت
مختلبًا ، فإنَّ الأمور معادنٌ يستثيرها التصرف الجميل ، ومنابتٌ يُمَيِّها النظر الجلي
والإتقان الجميل ، وملاك كل أمرٍ تقوى الله تعالى فليجعلها إمامه ، ويتخيّلها في كل
حال إمامه ، والله تعالى يسدده ويوفقه بمنه وكرمه ! ، إن شاء الله تعالى .

قلت : وربما أُضيف إلى نظر الصُحبة نظر الدواوين الشريفة ، وحينئذ
فيحتاج الكاتب أن يأتي في براعة الاستهلال بما يقتضى الجمع بينهما ، ويورد من
الوصايا ما يختص بكل منهما . والكاتبُ البالغ يتصرف في ذلك على وفق ما يحدث
له من المعاني ويسنح له من الألفاظ .

(١) الصواب نظر الصُحبة .

الدرجة الثانية

(من تواقع أرباب الوظائف الديوانية بالحضرة بالديار المصرية ما يكتب في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء ، مفتتحا بـ «الحمد لله» إن قصد تعظيم المكتوب له على ما هو الأكثر ، أو بـ «أما بعد حمد الله» جريا على الأصل لما يكتب في قطع الثلث ، على ما تفق عليه في النسخ)
وتشتمل على وظائف :

الوظيفة الأولى

(كتابة الدست)

والمراد دست السلطنة . وقد تقدم الكلام عليها في مقدمة الكتاب في الكلام على ديوان الإنشاء ، وتقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أن موضوعها أن يجلس أصحابها بدار العدل أيام المواكب خلف كاتب السر ، ويقرؤون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر ، ويكتبون عليها بما تقتضيه الحال ، بعد إشارة السلطان بالكتابة ، ثم يحمل ما يكتبون عليه من القصص إلى كاتب السر فيعينها . وأن هذه الوظيفة كانت من أجل الوظائف وأرفعها قدرا ، منحصرة في عدد قليل نحو الثلاثة فما حولها ، ثم وقع التساهل في أمرها ، ودخل فيها العدد الكثير حتى جاوز عددهم العشرين ، وبقيت الرياسة فيهم لعدد مخصوص منهم ، وقنع الباقون بالإسم . وقد تقدم ذكر طرزة توقيعه في الكلام على التواقيع .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدست ، وهي :

الحمد لله الذى فضل الكرام الكاتبين ، وأحيا بفضلنا الأحرار الأولين الذاهبين ،
وأنزل فى القصص : (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) .

نَحْمَدُهُ وَهُوَ الْحَمُودُ الْمَعِينُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةَ قَوْمٍ مُخْلِصِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالشَّافِعُ فِي الْمُدُنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ الشَّرِيفَ دَارَ جُذْرَانِهَا الْأَمْرُ الْمُطَاعُ ؛ وَأَبْوَابُهَا الْخَيْرُ الَّذِي لَا يُضَاعُ ؛ وَسَقْفُهَا الرَّحْمَةُ وَالْإِتِّضَاعُ ، وَصَدْرُهَا الْإِحْسَانُ الْمَدِيدُ الْبَاعُ ؛ وَصَحْفُهَا الْأَمْنُ وَالسَّرُورُ فَلَا يُخَافُ أَحَدٌ فِيهِ وَلَا يُرَاعَى ، وَجِلْسَاؤُهَا الْكَاتِبُونَ عَارِضُونَ الرَّقَاعِ ؛ هُمْ مَعْدِنُ الصَّدَارَةِ ، وَمَوْطِنُ الْكِتَابَةِ وَالْحِكَايَةِ وَالْإِشَارَةِ ، وَأَقْلَامُهُمْ تَأْتِي بِجُسْنِ التَّشْبِيهِهِ وَالْإِسْتِعَارَةِ ، وَتُطْرَزُ حَوَاشِي الرَّقَاعِ بَوْشِي بَادِي الْإِنَارَةِ ، مَا أَخْتِيرَ أَحَدُهُمْ لِلْجُلُوسِ فِي دَسْتِهِ إِلَّا وَقَدْ أَرْضَى مِنْ آخْتَارِهِ ، وَتَمَيَّزَ بِجُسْنِ السَّمْتِ وَالْوَفَاءِ وَالْوَقَارِ وَالشَّارِهِ .

وَلَمَّا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي لَهُ فِي السُّؤْدَدِ أَصْلٌ عَرِيقٌ ، وَفِي الْفَضَائِلِ لَهُ قَلَمٌ مَطِيقٌ ، وَفِي الْبَلَاغَةِ لَهُ لِسَانٌ مَنَظِيقٌ ، وَإِذَا دَبَّحَ قِرطَاسَهُ فَهُوَ لِلرُّوضِ شَقِيقٌ ، وَنَبَاتُهُ الْجَوْهَرُ لَا الْأَسُّ وَالشَّقِيقُ ، وَأَصْبَحَ لِلْجُلُوسِ فِي الدَّسْتِ الشَّرِيفِ أَهْلًا عَلَى التَّحْقِيقِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ أَنْ يَسْتَقَرَّ فليُحَلَّ هَذَا الدَّسْتِ الشَّرِيفِ مُبْهِجًا بَيِّنَاتِهِ ، مُثَلِّجًا لِلصُّدُورِ بَعْرِفَانَهُ ، مَتَبَلِّجًا بِنُورِ يَدِهِ وَلِسَانِهِ ، قَارِنًا مِنْ قِصَصِ النَّاسِ وَظُلَامَاتِهِمْ فِي إِيْوَانِهِ كُلِّ شَيْءٍ فِي أَوَانِهِ ؛ لَا يَكْتُمُ ظُلَامَةً مَكْتُوبَةً فِي رُقْعَةٍ ، بَلْ يُعَرِّفُ مَلِكَةً بِهَا وَيَبْلَغُهَا سَمْعَهُ ، فَإِنَّهُ فِي هَذَا الْمَحَلِّ أَمِينٌ وَالْأَمِينُ مَحَلُّ النَّصِيحِ وَالْخَيْرِ وَالرَّفْعَةِ ؛ وَإِذَا وَقَعَ فَهُوَ مَأْمُورٌ ، فَلَيَأْتِ بِمَا يُبْهِجُ الصُّدُورَ ؛ وَيَشْفِي غَلِيلَ الشَّاكِي ، بَلْفِظِهِ الزَّاكِي ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ لَكِنْ السَّلِيمُ لِبَعْضِهَا الْحَاكِي ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ فَهِيَ تَأْجُهَا الْمَجُوهَرُ ،

(١) لعله لكن سئل ببعضها الحاكي ، وهو تقوى الخ . تأمل .

وبدرها المنور ، وكوكبها الأزهر ، والله تعالى يمتعه بالفضل الذي لا يحول ولا يتغير ،
بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع من ذلك أيضا ، وهي :

الحمد لله الذى أفاض على الأولياء من فضله ، وأهمى عليهم من مواهبه ما يقصر
عنه الغم فى وبه وطله ؛ ومنح دست الملك الشريف من الألفاظ المحيده ،
والفضائل المفيدة .

نحمده على نعمة التى أجزلت إحسانها ، وأجملت امتنانها ، وبزغت من هرة
فقدمت من الدولة أعيانها ، ونشكره على عوارفه التى ألقى لأهل الشئ عنائها ،
ورحب لذوى البيوت صدرها وفص عنوانها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تشهد القلوب إيمانها ويدخر
القائل لها ليوم الخاف أمانها ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أظهر الله
به الشريعة المطهرة وأبانها ، وشرف [به] هذه الأمة ورفع على جميع الأمم شأنها ، وبعثه
رحمة إلى كافة الخلق فأقام بمعجزاته دليل الهداية وبرهانها ، وأطفأ بنور إرشاده
شرر الضلالة ونيرانها ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من نزه
نفسه النفيسة وصانها ، وسلك فى خدمته وصحبته الطريقة المثلى فأحسن إسرار
أموره وإعلانها ، صلاة دائمة باقية تجمل بالأجور أقرانها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فانه لما كانت وظيفة توقيع الدست الشريف من أجل الوظائف
وأسنائها ، وأنفسها وأعلاها ، وأجملها وأبهاها ؛ القائم بها سفير الرعية إلى الملك

في حاجتهم ، وترجمانٌ معربٌ عن شكايتهم ، وكاشفٌ أحسنٌ ناشِرٌ عن ظلامتهم ؛
جالسٌ على لِسَاطِ الأُنسِ بقرُبِ الحضرة ، منقذٌ نَهَى مَلِيكَةً وأمرَهُ ، مبلغٌ ذا الحاجة
من إنعامه جودَهُ وبرَهُ - تعين أن يُندبَ رئيسٌ وأبنُ رئيسٍ ، وجوهراً بجرِ نَقِيسٍ ؛
ذو أصلٍ في السُّوددِ عَرِيقٍ ، ولسانٍ في الفضائلِ طَلِيقٍ ، وَقَلِمٍ حَلَى الطُّروسِ بما يفوق
زهرَ الرياضِ وهو لها شَقِيقٍ ، وفاضلٌ لا يُقاسُ بغيره لأنه الفاضلُ على التحقيق ؛
وكان المقرُّ العالى الفلانىّ هو المشارُ إليه بهذه الأولوية ، والمراد من سطور هذه
المحامد اللؤلؤية . فلذلك رَسِمَ بالأمرِ العالى أن يستقرَّ المشارُ إليه في وظيفة توقيع
الدست الشريف عوضاً عن فلان بحكم وفاته .

فليباشِرْ ذلك مباشرةً تُشكرُ مدى الزمان ، وتُحمد في كلِّ وقتٍ وأوانٍ ؛ وليدبِّحِ
المهارِقَ بوشى يُفوقُ قلائدَ العقيانِ ، وليتملأ بالأجورِ لنا صُحُفاً بما يوحيه عنا من
خيراتِ حسان . ونحن فلا نُطيلُ له الوصايا ، ولا نُحليّه بها فهى له سَجَايا ؛ مع ما أدبه
به علمه الجَمِّ ، وعمله الذى ما أنصرفَ إلى شىءٍ إلا تمَّ ؛ ويجعها تقوى الله تعالى
وهى عقْدُ ضميره ، وملاكُ أموره ؛ وما برحَ هو وبيته الكريمِ مصابيحَ أُنْفِقُها ومفاتيحَ
مُغْلَقِها ، ولهم جُددٌ ملاسِمِها وللناسِ فواضِلُ مُحَلِّقِها ؛ والله تعالى يزيدُه من إحسانه
الجزيلِ ، ونِعَمِهِ التى يرتدى منها كلُّ رداءٍ جميلٍ ، ويمتعه بإمارته التى ما سُكِرَ بها إلا
قال أدباً : حَسْبُنَا اللهُ ونعم الوكيل ؛ والاعتادُ في مسعاه ، على الخطِ الكريمِ أعلاه .

الوظيفة الثانية

(نظر الخزانة الكبرى)

وقد تقدّم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنّ هذه الوظيفة كانت
كبيرة الموضع من حيث إنها مستودع أموال المملكة ، إلى أن حدثت عليها خزانة

الخاصّ فأنحطت رتبها حينئذ، وسميت الخزانة الكبرى باسم هو أعلى منها، وأنه لم يبق فيها سوى خلع تُخلع وتُصرف أولاً فأولاً. وقد تقدّم ما يكتب في طرة توقيع ناظرها.

وهذه نسخة توقيع بنظر الخزانة :

الحمد لله الذى جعل الخزانين لذكائرنا كهوفاً، وملايس إقبالنا شنوفاً، ومواهبننا تُجزل عطاءً ومعروفاً، وإقبالنا على مُحسن التدبير ومجمل التأثير عطوفاً، وأيادينا فى إسكان جنّتها قُطوفاً.

نحمده حمداً مألوفاً، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً أوضحتُ معروفاً، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى أزال محوفاً، وأقام الصلاة والجهاد صُفوفاً، وشهر على العدا عند تأييد الهدى سُوفاً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما سدّل الليل سُجُوفاً، وسلم تسليماً.

وبعد، فإنّ الملك الشريف له تُحفّ مصونه، وذكائرُ مكنونه، وأصنافُ حسانٍ فى خزائننا مخزونه، وجواهرُ عالية القيمة ثمينة [لا يقوم عليها إلا من] لا يمدُّ عين عفافه إلى المال وإن كثرت آلافه، وولج بحجة هذه الذكائر ولم تلمّ بالبلل أطرافه، وهو فلان : العريق فى أنتسابه، الوثيقُ أنتأؤه إلى فضل الله وجنابه، النقيّ ثوبٍ عرضيه، التقيّ بتمسكه بسنته وفرضه، الوفىّ نظره بغضه، المستمسك بجميع الخير دون بعضه، من بيت السيادة ومن هو من بيت السيادة فالسؤدد نجم سماءه وطود أرضه. فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر . . .

فليباشِر هذه الوظيفة بعملٍ ونية، متسماً ذكائر هذه الخزانة العلية، وأمورها وأحوالها، وتفصيلها وإجمالها، وحمولها وأحمالها، وحللها المرقومه، وذكائرها

المعلومه ، وجواهرها المنظومه ، وأكياسها المختومه ، وصناديقها المركومه ؛ ما عن علمه فيها شىء خاف ، وصونه لها كاف ، وأمر الله بين الذون والكاف .

وليعلم أن خزائننا تُصب فيها سحائب التحف والأموال والأصناف ، من سائر الممالك والمدن والشغور والأطراف ؛ ومنها يُخرج بجهاز مواهبنا وإنعامنا للأولياء الأشراف ، وإنما هى لمصالح المسلمين فى الجمع والإئتلاف ، وتقوية أهل الطاعة على أهل الإختلاف ، فليضبط ما تطلقه وإن كانت الأقاليم لا تستطيع ذلك لكثرة الإسعاف ؛ ولتكن التشاريف المثلثة الكامله ، حاصله بمناطقها الجوهرة الهائله ، وطرزها الطائله ، وتعابها الفاضله ، حتى إذا أنعمنا منها على أحد بشىء يأتى بمجمله وقد حمد فاعله . والوصايا كثيرة وتقوى الله نظام عقدها ، وعمام رُفدها ، وزمام مجدها ، وتأم سَعدها ؛ فليكن متلفعا ببردِها ، متضوعا بندِّها ، وهو غنى عن الوصايا ومدِّها ، والله تعالى يؤيد حركاته فى قصدها ؛ والخلط الشريف أعلاه ، حجة بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية لناظر الخزانة ، أوردتها فى "التعريف" :

وَيْمَلَأُ بِنَظَرِهِ صُدُورَ الْخَزَائِنِ ، وَيَجْمَعُ فِيهَا أَشْتَاتَ الْمَحَاسِنِ ؛ وَلِيُعَدَّ فِيهَا كُلُّ مَا يُدْخَرُ لِلْإِنْفَاقِ ، وَيَحْتَفِظُ بِهِ لِلْإِطْلَاقِ ؛ وَيَحْصُلُ مَا يُضَاهِي الْبَحْرَ بِالتَّفْرِيعِ وَالتَّأْصِيلِ ، وَالْجَمَلِ وَالتَّفَاصِيلِ ؛ وَمَا لَا يُوزَنُ إِلَّا بِالقِنَاطِيرِ ، وَلَا يُحْصَى مِنْهُ مَلَأُ الْأَسَاطِيرِ ؛ وَمَا يَهِيءُ مِنَ التَّشَارِيفِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي تُبَاهَى أَشْعَةُ الشَّمْسِ بِلمَعِهَا ، وَتُحَاسِنُ وَشَائِعَ الرُّوضِ بِجَلْعِهَا ؛ وَمَا فِيهَا مِنْ مَحَلِّقَاتِ أَلْوَانٍ لَا تُمَاتِلُ بِتصويرِ ، وَلَا يُظَنُّهَا الْأَوْلِيَاءُ إِلَّا الْجَنَّةَ وَلبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ؛ وَمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنْ عَتَابِيٍّ وَأَطْلَسِ ، وَمُشْرِبَشٍ وَمُقَنَّدَسٍ ؛ وَكُلِّ طِرَازٍ مُدْهَبٍ وَبَاهِيٍّ ، وَمَا هُوَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ لَهُ يُضَاهِي ؛ وَكُلِّ

ما يتشرف به صاحب سيف وقلم، ويُعطى إنعاماً أو عند أول استخدايم في خدم؛ وما هو مع هذا من أنواع المستعملات، والنواقص والمكملات؛ وما يحمل من دار الطراز، ويحمد مما يأتي من المبتاع من بز وبرز؛ وما هو مرصداً للخزانة العالية من الجهات؛ التي يحمل إليها متحصّلها: لينفق في أثمان المبيعات، وما يستعمل، وما يعلم منه بالطرز ويعمل، وبقية ما يدخر في حواصلها من مال بيت المال الذي يحمل؛ وذلك كله فهو الناظر عليه، والمناظر عنه مما خرج من عنده ووصل إليه، والمحتاج عنه بالمراسيم التي تُسكّ للحفظ وتُنزل لديه؛ فليراغ ذلك جميعه حقّ المراعاة، وليحترق قدر ما ينفق من الأثمان وقيمة المبيعات، وليحترق فيما يزكى بعضه بعضاً من شهادة الرسائل المكتتبه إليه بالحمول وما يكتب بها من الرجعات؛ وليعر المعاملين من نظره مالا يجدون معه سيلاً، ولا يقدرّون معه على أن يأخذوا فوق قدر استحقاقهم كثيراً ولا قليلاً؛ وليقدم تحصيل كل شيء قبل الاحتياج إليه ويدعه لوقته، ولا يمثل لديه إلا سرعة الطلب الذي متى تأخر أخر لوقته (؟)؛ والأمانة الأمانة، والعفاف العفاف؛ فإكان منهما واحد رداء أمرى إلا زانه، ولولاهما لما قال له الملك إنك اليوم لدينا مكين أمين وسلم إليه الخزانه.

الوظيفة الثالثة

(نظر خزانه الخاص)

وهي الخزانه التي استحدثت في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» عند استحداث وظيفة «نظر الخاص» وقد انتقل ما كان يحمل إلى الخزانه الكبرى ويصرف منها إلى هذه الخزانه، سوى الخلع، كما تقدمت الإشارة إليه في الكلام على توقيع ناظر الخزانه الكبرى.

وهذه نسخة توقيع بنظر خزانه الخصاص ، كُتِبَ به للقاضى شرف الدين محمد
ابن علاء الدين الجَوْجَرِيّ^(١) ، فى مستَهَلِّ شهر رجب الفرد ، سنة تِسْعَ وثلاثين
وسبعمائة ، وهى :

الحمد لله الذى زاد بنظرنا الشريف شرف من لمحّه من أوليائنا [و] لِحَظّه ، وأفاد
المستأنف من برنا من عهدنا له الفطرة السليمة وتيقنا منه الفكرة واليقظه . وأعاد
للخلف الكريم ، من المشايخ ما كان للسلف القديم الصالح من التقديم ، الذى شملهم
بالتكريم ، وجعلهم على خزائن جودنا العميم : لأنهم العلماء الحفظه . وجاد بالطرف
من خاص إنعامنا العام لمن لقاه عند الإذناء من سرير الملك إنجاز عده وللإسائه
عند ارتقاء منبر النُسك إبراز عظه .

نحمده على أن أجزل لمن عول على شامل كرمنا جزاءه وعوضه ، ونشكره على أن
تطول بنوافل نعمنا لمن قام بعد أبيه بلوازم خدمتنا المفترضه ، وعكف أعمالنا على بيت
مبارك ما منهم إلا من شمل من إحساننا بالمنح لما بذل لسلطاننا من النصح ومحضه .
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يودع مصونها فى الأرائك
المتعلية ويقطع يقينها الشكوك المعترضه ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى
عظمت عطايا بذله ، فالبحار المرتفعة عنها منخفضه ، وكرمت سبحايا فضله ، فليست
بمنتقلة وأبرمت قضايا عدله ، فليست بمنتفضه ، وعمت البرايا يده البيضاء التى هى
بالأرزاق فى الآفاق منبسطة وليست عن الإنفاق خشية الإملاق منقبضه ، صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه الذين ما منهم إلا من أقرض الله قرضا حسنا فضاغف له
ما أقرضه ، صلاة تدنى لقائلها فى الأولى من النعمة والأمان أمله وتؤتبه فى الأخرى
من الرحمة والرضوان غرضه ، وسلم تسليما كثيرا .

(١) نسبة الى «جوجر» بفتح الجيمين وراء بلدة بالقرب من دمياط انظر ياقوت ج ٢

وبعد، فإن أولى مَنْ رُفِعَ بإكرامنا إلى رتبةِ علانيته، وانتفع من مقامنا الشريف باختصاص خدمته وإخلاص ولاءه - مَنْ شفعَ مزاياه بجمع أشتات العلوم في أبقاره وآنائه، وأستودع ذخائر ملكنا المصونة فكان حفيظاً عليماً عند اقترابه منّا وإدناؤه، وصدع القلوب بإبداع وعظه وإبدائه، وأتبع سبيل والده القويم، في الشدة في الحق والتصميم؛ وسلك طريقته التي هداه الله إليها بتوفيقه فأدرك غايته في آبتدائه، وقنع بما آتاه الله تعالى فأثرت مكارمنا رفعة محله وتوسعة حبايه؛ وبرع في إتقان الفضائل التي آذنت باصطفائه واجتباؤه، ووقع عليه اختيارنا الذي نستخير الله تعالى له في إبرام كل أمر وإمضائه؛ وأجمع عليه رأينا الذي كم أصاب الصواب في تعيين العلماء الأتجاف فنص عليه الاستحقاق بإيجاب الترجيح واقتضائه .

وكان المجلس السامي الشرفي هو الذي قدّمناه بعد أبيه لشهادة خزاننا الشريفة فشهدنا من حسن سيره ما أبهج، ونظمناه في سلك أولياء الملك فسلك من الخير أقوم منهج، ثم أردنا الآن أن هلاله ينتقل إلى رتبة الكمال لما تدرّب وتدرّج؛ وأعدنا له تام الإقبال حيث شرف دولتنا الأعلى - زاد الله تعالى تأييده - بذكره لدينا وبشكره عندنا يلهج - فأقتضى حسن الرأي الشريف أن هذا النظر الجميل عنه لا يخرج، وهذا الوقور الجليل لا يعدل به عن فرع منجب لأصل طيب أثمر الولاء والدعاء لآيماننا الشريفة وأنتج .

فذلك رسم لا زالت الصدور بصدور أحكامه تثلج، والأمر بمرور إنعامه تفضل على الحق الأبلج - أن يستقر فليسطق لسان كلمه بالإخلاص في حمد الخاص والعام من هذا الإكرام الذي بمطارفه تسربل وبعوارفه نتوج، وليطلق سنان قلمه في تبييض المصاحف بذكر إنعام المقام الذي هو كالبحر ويفصح

عن حمده فهو بحمد الله لا يتلجج ؛ وليحقق بيان حكمه ضبط الأصل والخصم والواصل والحاصل والمخضر والمخرج ، ولينفق في أوليائنا من عوائد صلوات نجاننا التي تقبضها أيدي ملوك المدائن بسط ومن بعضها صدور الخزان تخرج ؛ وليسلك سنن أبيه التي بها يستظهر ويفتخر ويستدل ويحتج ، ويستمسك بسببه الأقوى من الديانة التي بابها من النجاة في الدارين غير مرجح ، وترك له تفصيل الوصايا لأنه قرين كفيل ملكا القوى الأمين ذى الإرشاد والسداد فمع مرافقته في الإصدار والإيراد والتكرار والتعداد لم يحتج ، والله تعالى يجعل الطروس بذكر تقديمه تحبب وتدريج ، والدروس تنشر وعلومه تعطر وتناجج ؛ بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الرابعة

(نظر البيوت والحاشية)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه أستاذ الدار ، وتقدم الكلام على ما يكتب في طرة تقليد ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت والحاشية :

الحمد لله الذى عمّر البيوت بنوآله ، وكثّر فيها أصناف النعم بإفضاله ، وجعل فيها الخير يتضاعف مع كل يوم بتجدده ومع كل شهر بإقباله .

نحمده على مديد ظلاله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد صادق فى مقاله ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى رحم الله العالمين بإرساله ، وسقى الجيش من كفه ينبع زلاله ؛ وأوى إلى المدينة دار هجرته وانتقاله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الناصرين لهذا الدين فى كل حاله ؛ وسلم تسليمًا .

وبعد ، فإن طراز الملك الشريف البيوت الكريمة : فمنها يتفجر ينبوع الرزق
الجارى ، ومنها يضيء سقط الزند الوارى ؛ ومنها تبسط الحوانات ، وتمتد الأسمطة
في المهمات ؛ ومنها يقوم للسعد نصبات^(١) وأى نصبات ، ومنها تقسم ألوان الطيبات
على مقترح الشهور ؛ وعماد أمرها على ناظر يقوم بتأصيلها وتفرعها ، وتجنيسها
وتنوعها ؛ وتكثير حاصلها ، وأستدعاء واصحابها ؛ وجمع كل ما فيه مرغوب ، وأدخار
كل ما هو محبوب ؛ وتأليف القلوب على شكره وجل ما فيها عمل القلوب .

ولما كان فلان هو الرشيد في فعله ، المأمون في فضله ؛ الأمين في عقده
وحلّه ، المسدد في الحال كله ، المعطي المباشرة حقها على ما ينبغي في الشهر من
مستمله .

فذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر فليباشر هذه الوظيفة الكريمة
مستجلبا المنافع ، مشنفا بحسن سيرته المسامح ، طالعا من العفاف في أبهى المطالع ؛
مستدعيا ما جرت العادة بأستدعائه من أصناف المتجر السعيد من أصناف متعدده ،
وأنواع منضده . وليرح أعدار المصالح السعيدة من كل صنف على حده ،
وليستجلب خواطر المعاملين بوفائهم وإنجازهم كل عده ؛ والرواتب اليومية ليضمر فيها
لمستحقها ، والبيوتات فليسد خلاها حتى لا يظهر نقص فيها ، ومرتببات الأدر^(٢)
الشريفة فلتكن نصب عينيه على ما يرضيها ؛ وما اخترناه لهذه الوظيفة إلا أنه أنسب
من يليها ، والوصايا كثيرة وتقوى الله فلتكن أطيب ثمرات يحتنيها ، وأحسن منحاح
يحتليها ، وأزين زينة يحتليها ، وهو غنى عما تُسأفه [به] الأفلام من فيها ، والله
تعالى يصون هممه ويعلبها ؛ بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

(١) في القاموس النصبه بالضم السارية ولعله المراد .

(٢) لعل هذا اللفظ زائد من قلم الناسخ . (٣) جمع دار على القلب .



وهذه نسخة توقيع بنظر البيوت :

الحمد لله الذى جدد لأوليائنا ملايس السعود، وشيّد لهم مباني العزّ وضاعف
 لقدّهم الترقّي والصعود، ووالى إلى أوليائهم سخائب الفضل المستهلة بالكرم والجود.
 نحمده على نعمة الصافية البرود، ومنته الصافية الورود؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له شهادة برغم بها أنف الجود، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
 صاحب الحوض المورود واللواء المعقود؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
 جاد كل منهم بماله ونفسه فى رضاه والجود بالنفيسين أقصى غاية الجود؛ صلاة
 دأمة الإقامة فى التهايم والتجود، مستمرة الإدامة متعاقب السحاب روضا بجود؛
 وسلم تسليما كثيرا

وبعد، فإن أولى من غدت البيوت أهلة بوؤود نظره، عامرة بسداده وجميل
 فكره، مشيدة بما يديه من أوضاع التقرير وغرره - من سما همة وحسن سمتا،
 وسلك فى الأمانة طريقا لا عوج فيها ولا أمتا؛ وحل فى الرتب فخلاها، وتنقل فيها
 فما قالت له إيه إلا وقال الذى فارقها آها؛ وكان فلان هو الذى استحق بكفايته
 حسن التنقل، وأستوجب الصلة والعائد لما فيه من جميل التأي والتوصل - أقتضى
 حسن رأى الشريف أن ننقله إلى رتب السعادة، وأن نخصه كل حين من نعمنا
 بالحسنى وزياده. فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يستقر...

فليضبط أصولها وفروعها، ومفردتها ومجموعها، وليؤنس بجياطة اجتهاده ربوعها؛
 وليكفلها بأمانة تضم أطرافها؛ ونزاهة تحلى أعطافها؛ وكتابة تحصر جليلها ودقيقها،

(١) لعل الصواب ووالى إليهم سخائب . تأمل .

وَبَاهَةٌ تُوقَى شُرُوطَهَا وَحُقُوقَهَا، وَيَحْرَزُ وَاِرْدَهَا وَمَضْرُوفَهَا، لِيَعْدُوَ مَشْكُورًا لِهَيْمَمِ
مَوْصُوفَهَا، وَيُلَاحِظُ جَرَائِدَ حِسَابِهَا، وَيَحْفَظُ مِنَ الزَّبِغِ قَلَمَ كِتَابِهَا، حَتَّى يَنْبِيَ تَصَرُّفَهُ
فِيهَا عَلَى الْأَوَائِلِ، وَيُشْكِرَ تَعَرُّفَهُ وَتَعْطُفَهُ عَلَى كُلِّ عَامِلٍ وَمُعَامِلٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْلِّغُهُ
مِنَ الْخَيْرِ مَا هُوَ آمِلٌ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الخامسة

(نظر خزائن السلاح)

وقد تقدم أن موضوعها التحدث فيما يستعمل ويتباع من أنواع السلاح الذي
يحمل للزردخاناه السلطانية . وقد جرت العادة أن يحمل ما يتحصل من ذلك في كل
سنة إلى الزردخاناه مرة واحدة . وقد تقدم ما يكتب في طرة توقيع ناظرها .

وهذه نسخة توقيع بنظر خزائن السلاح من إنشاء المولى « شمس الدين بن
القيصري » كتب به « لفخر الدين » أخي جمال الدين ناظر الخالص ، وهي :

أما بعد حمد الله تعالى الذي ضاعف نخر المناصب ، بمتوليها ، ورفع قدر المراتب ،
بمن يكبرها بقدره العلي ويعليها ، وأمد المتقانب^(١) ، بنظر ذى المناقب الذى يزين بمرهف
حزمه أسلحتهم ويحليها ، ويمضى بماضى عزمه كل فرند فريد ليسعر نارصليله
بنظره السعيد ويحليها ، جاعل أيامنا الشريفة تقدم لخدمها كل سرى تسرى به هممه
إلى العلياء ، وتنتخب حُسن نظرها من يعلو بكرم الذات وجمال الإخاء ، وتولى من
الأولياء من يعد للأعداء خزائن سلاح يُبيدهم بها جيوشنا المؤيدة في فيافي البيداء ،
إذا دارت رحى الحرب الزبون وثار غى الغارة الشعواء . والشهادة له بالوحدانية

(١) جمع مقنب "كنبر" وهم جماعة الخيل والفرسان .

التي آتسق بذورها، في سماء الإخلاص، وأشرق فجرها، بضياء القرب والأختصاص،
وسما فجرها، بجلال الجمال فأصبح بحمد الله آخذاً في المزيد آمناً من الانتقاص،
وعلا ذكورها، بما درعنا به من دُروع التوحيد وأسبغ علينا منه كلَّ سابعة دِلاص.
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي خصه الله بالتكريم والتعظيم، وختم به الرسل
الكرام بما منحه من الأصفاء والتقديم، وأوحى إليه في الكتاب الحكيم :
(أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) . وعلى آله وصحبه الذين هم أشدأء على الكفار رحماً بينهم ،
وقرب قُربهم لديه صلى الله عليه وأذهب بينهم - فإن من شيم أيامنا الشريفة أن
تبلغ أولياءها مرأما، وترعى لأصفيائها ذمأما ، وتصطفى لولاية الرب من أضحى نعر
ولائه بسأما، وتجرد لحسن النظر من يُجرد بهمه حسأما حسأما ؛ لا سيما من أقتضى
سنن أخيه - أجله الله - فيما يأتي ويذر، وأهتدى بهديه في كلِّ وردٍ وصدور، وحذا
حدوه السديد الأثر، السعيد النظر، وأتبع رُشده الساطع البليغ اللامع الغرر، وسار
سيره الذي نتأرجح به أرجاء الممالك حيث سار سرّ ؛ إذ هو جمال الجود ، جلال
الوجود، مُقيل عثار الملهوف والمجهود، مؤئل التهايم والنجود ، مستجلب الدعاء لنا
من الطائفين والعاكفين والرُكع السُجود ؛ ذو المآثر التي ذكرها أطر من الروض
المجود الموجد، والمناقب التي يساوى فيها الكواكب ويسامتها في السعود والصعود .

ولما كان المجلس العالى الفخرى قد أصبح نحره بأخوته نامياً، وقدره بأبوته
سامياً؛ وأصبحت مفاخره به خالده، وجمع مزأياً وسجأياً جمعت له طارف السعد
وتالده - أقتضى رأينا الشريف أن نُشدّد له بأخيه أزراً، ونُجدد له في إصلاح السلاح
نظراً ؛ ليكون لأخيه - أعزه الله تعالى - النظر على الخاص والعام ، وبيده مقاليد
خزانتنا التي يشمل منها البرايا بصنوف الإنعام ؛ وتديروا خواصنا الشريفة وجيوشنا

(١) لعله « أن نُشدّد به لأخيه » .

المؤيَّده، وله النظرُ على أعمال لبوس، تقي من الجيوش البوس : البيض [ذات]
القوانيس ، واليَّلب المدار والسَّمْرِ المداعيس ، والبييض المهَّنده .

فلذلك رُسم ... لا زال يجمع لأوليائه على الآئه شملاً ، ويرفع أقدار أهل الكرم
باستقرار النعم إذ كانوا لها أهلاً وبها أولى - أن يستقرَّ فلان في نظر خزائن السلاح
المنصورة على عادة من تقدّمه وقاعدته ، وبمعلومه الشاهد به الديوان المعمور لهذه
المآثر التي بثها القلم ، والمفاخر التي أشتهرت كالنار على العلم ، فليكشف ما بهذه الخزائن
من عُدّة الحرب ، والآلات المُعدّة في الهيجاء للطعن والضرب ؛ ويشمر في تكثيرها
عن ساعد اجتهاده ، ويعزز مواد الإمداد بها بحسن نظره ويؤمن اعتمادها ؛ ويستعمل
برسم جهاد الأعداء كلَّ نصيلٍ صقيل ، وصمّصامٍ له في الهام صليل ؛ وشفيفة بيضاء
تبيض بها بين أيدينا الصّحيفه ، ولبوس ترهب عدوّ الله وتضاعف تخوفه ؛ وزاعي
يرعب ، وسهمريّ يزهق بلسان سنانه النفوس ويذهب ؛ وخرصانٍ تكلم الأبطال بأسل
ألسنتها في الحروب ، وقواصل لها في سماء العجاج شروق وفي تحلي الكفار
غروب ؛ وبدن يقّد الأبدان ، ولأمة لم تبار في تحصينها وتخييرها ولم تدان ؛ وفضفاضة
على جنود الإسلام تقاض ، وسابغة تُسبغ على كل راجلٍ من أهل الإيمان ليقضى
من أهل الشرك ما هو قاض .

وليحفظ ما ينفق على هذا العدد من الضياع ، ويأت بما تأتي به الضياع على
أحسن الوجوه وأجمل الأوضاع ؛ وليضبط ما يُصرف عليها من الأموال ، ويعتمد
في نظرها ما تُحمد عاقبة أمره في سائر الأحوال ؛ ويتيمن في سائر أفعاله بما من كماله ،
ويسترشد بمرشده في أموره باليمن والرشد من خلال جماله ؛ ويسلك بحسن نظره
لهذه الخزائن ما ينتظر به أن يفوق أنظار الأنظار ويرتقب ، ويعلم أن هذا أول

إقبالنا عليه (وأول الغيث قطرٌ ثم ينسكب) ؛ والله تعالى يجعل خزائن الإسلام بمجال
نخره أهله ، ويوردها موارد العزِّ الدائم ويصنِّى من أكار الأقدار لها مناهله ؛
والعلامة الشريفة أعلاه ، حجةً بمقتضاه .

الوظيفة السادسة

(استيفاء الصَّحبة)

وصاحبها يتحدَّث في كل ما يتحدَّث فيه ناظر الصَّحبة المقدم ذكره .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، من إنشاء القاضى «ناصر الدين بن النشأى» وهى :

الحمد لله الذى زاد نهار أوليائنا رفعة المقدار ، وأفاد الصَّحبة الشريفة خير كافي
استوجب منا بجميل خدمته جزيل الإيثار ، وجاد بالجوود وأبتدأ السعود لمن حسن
فيه الاختيار وحمد الاختبار ، وأرتاد للنصيب العلية كل "مستوفٍ" للبحاسن له حقوق
وفاء لا تضاع وقدم ولاء أجمل فيه الإيراد والإصدار .

نحمده على نعمٍ أجزلت الآثار ، ونشكره على مننٍ أجملت المسائر ، ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادةً مُخلص يترشَّف ساح ثوابها الدائر فى تلك الدار ؛
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أيد الله به المؤمنين وأحمد نار الكفار ،
وبعثه رحمةً للعالمين فأقام بناء الإسلام بعد ما كاد ينهار ، وأسرى به إلى السبع
الطَّباق فطبَّق نبأ معجزاته الأرض وملاً الأقطار ، صلاةً باقيةً لا تزال أغصانُ
أجورها دانيةً القُطوف زاكية الثمار ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أجلَّ النعم ما علَّت ملائمتها ، وأجمل المنن ما غلَّت نفائسها ، وأكل
المنح ما زكَّت فى رياض الإقبال غرائسها ، وأجزَل العطايا ما جُلِّت فى حُلل الفخار

عراستها ؛ وأولى الأولياءِ بتحويل ذلك لديه ، وتحويل هذه المواهب إليه ، وإسباغ أثواب الأمتان عليه ، وأجبتائه لرتب علّت محلاً ، واختياره لمنصب يُصبح به جيده من عقود العناية محلياً - من شكرت أوصافه ، وأشتهر عفافه ، وحسن منّا إسعاده وإسعافه ؛ وحمدت خلاله وماثره ، وحاز نخر نعتيه ونخر ذاته فلا غرو أن تعددت مفاخره ؛ وأسلفنا من خدمته ما استوجب أن يجني به ثمار الإحسان ، وقدم بين أيدينا الشريفة من يمن تصرفه ما أنتج له مضاعفة الآلاء الحسن .

ولما كان فلان هو الذي تحلى من هذه الأوصاف بعقودها ، وتجلّى في مطارف برودها ؛ وأثنت على خصاله السنّة الأعلام ، وأثبتت جميل خلاله في صحف أوراقها وصحائف الأيام ؛ وحاز من الأمانة والزهارة كلّ ما يشكره على الدوام ، وأمتاز بحسن الكتابة التي تقرّ النواظر وتسرّ الخواطر وتزرى بالروض البسام . ما باشر رتبة إلا وفق بها ، وحفظ أموالها وغلاها وضبط أمورها وكفى بها - آقتضى رأينا الشريف أن ننقله إلى درجات السعادة ، ونمنحه من إقبالنا الشريف زيادة الحسنى وحسن الزيادة ، ونخصه بوظيفة تُدنيه منّا قرباً لنكون قد أجملنا له الابتداء والإعاده .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال نخر أوليائه بمزيد آلائه سامياً ، وقدر أصفياه بمديد عطائه نامياً - أن يستقر في كذا .

فليتلق هذا الإحسان ، بيد الاستحقاق ، وليتقلّد عقود الأمتان ، الذي طالما قلّد جوده الأعناق ؛ وليباشر ذلك مباشرة يسرّ خبرها ، ويسير خبرها ، ويشنف الأسماع تأثيرها وأثرها ؛ وليسلّك فيها من السداد ، ما يؤكّد حمده ، ومن حسن الاعتماد ، ما يؤيد سعده ؛ وليعتمد فيها من الأمانة ما هو المشهور من اعتماد ، ومن العفاف ما صح عنه نقل إسناده ؛ وليدبج المراسيم الشريفة بقلمه السعيد ، وليوشها بكاتبته التي بها الحسن

مبدئى ومُعِيد؛ وليُضَبِّطَ جميعَ أموالِ الديوانِ المعمُورِ وغِلالِهِ ، وسائرِ أمورِهِ وأحوالِهِ ،
 وليُسْتَوَفَ بِقَلَمِهِ عَلَى مَبَاشِرِيهِ وَعُمَّالِهِ ، وليُحِطْ عِلْمًا بِخَرَجِ بِلَادِهِ وَأَعْمَالِهِ ؛
 وليُسْتَرْفَعِ الحِسابَ شَامًا وَمِصرًا ، وليَتَصَفَّحَ الرِّقَاعَ بِالمَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ المَحْرُوسَةِ لِيَحْوِيَ
 بِجَمِيعِهَا خُبْرًا ، وليَتَعَيَّنَ جُمْلَهَا وَتَفْصِيلَهَا لِيَكُونَ مُخْرِجَهَا أُدْرَبَ وَبِمَرْدُودِهَا أُدْرَى ؛
 وليُحْضِرْ مَتَحَصِّلَهَا وَمَضْرُوفَهَا ، وَمَعَجَّلَهَا وَمَوْقُوفَهَا ؛ حَتَّى لَا يَخْرُجَ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ ،
 وَلِتَكُنْ جُمْلَةُ هَذَا الأَمْرِ مُحَرَّرَةً فِي ذَهْنِهِ لِيَجِيبَ عِنْدَ السُّؤَالِ بِتَحَقُّقٍ فَهْمَهُ ؛
 وَالوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهِيَ خَيْرٌ عِلْمٍ ، حَازَتْ مِنْهَا أَوْفَى وَأَوْفَرُ تَقْسِيمٍ ، وَمِلا كُهَا تَقْوَى
 اللهُ تَعَالَى فَلِيَجْعَلْهَا عُمْدَتَهُ ، وَلِيَتَّخِذْهَا فِي كُلِّ الأُمُورِ ذَخِيرَتَهُ ؛ وَاللهُ تَعَالَى يُضَاعَفُ
 لَهُ مِنْ لَدُنَّا إِحْسَانًا ، وَيَرْفَعُ لَهُ قَدْرًا وَشَانًا ؛ وَالإِعْتِمَادُ عَلَى الخَطِّ أَعْلَاهُ .



وهذه وصية لمستوفي الصحبة أوردتها في "التعريف" وهي :

فهو المهيمن على الأقاليم ، والمؤمن على مصر والشام ، والمؤمل لما يكتب بخطه
 من كل ترتيب وإنعام ، والملازم لصحبة سلطانه في كل سفر ومقام ، وهو مستوفي
 الصحبة ، والمستولي بالهمم على كل رتبة ؛ والمعول على تحريره ، والمعمول بتقريره ،
 والمرجوع في كل الأمور إلى تقديره ؛ به يتحرر كل كشف ، ويكف كل كف ،
 وبتزيله وإلا ما يتجمل استخدام ولا صرف ؛ وهو المتصفح عنا لكل حساب ،
 والمتطلع لكل ما حضر وغاب ؛ والمناقش لأقلام الكُتَّاب ، والمحقق الذى إذا قال
 قال الذى عنده علم من الكتاب ؛ والمظهر للخبايا ، والمطلع للخفايا ؛ والمتفق
 على صحة ما عنده إذا حصل الخلاف ، ووصل الأمر فيه إلى التلاف ؛ وليؤزم
 الكُتَّاب بما يلزمهم من الأعمال ، ويحررها بمسئلة إطلاقه وضراب رؤوس

المال ؛ وعمَلِ المكلفات وأن يكفؤوا عملها ، وتقدير المساحات وليتبع خلالها ؛
 وليلزمهم بتمييز قيمها بعض عن بعض ، وتفاوت ما بين [تسجيل] ^(١) الفُدن في كل بلد
 بحسب ما تصلح له زراعة كل أرض ؛ وبمستجد الجرائد وما يقابل عليه ديوان
 الإقطاع والأحباس ، وغير ذلك مما لا يحصل فيه التباس .

ومثلك لا يزود بالتعليم ، ولا ينازع فكل شيء يؤخذ منه بالتسليم ؛ وما ثم ما يوصى
 به ربّ وظيفة إلا وعنده ينزل علمه ، وفيه ينزه فهمه ؛ وملاك الكل تقوى الله
 والأمانة فهما الجُتتان الواقيتان ، والجُتتان الباقيتان ؛ وقد عرف منهما بما يفاض
 منه عليه أسبغ جلباب ، وأسبل ستر يصاب به هو ومن يتخذهم من معينين وتواب ؛
 والله تعالى يبلغه من الرتب أقصاها ، ويجرى قلمه الذى لا يدع فى مال ممالكا
 الشريفة صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

الدرجة الثالثة

(من توابع أرباب الوظائف الديوانية بالديار المصرية)

ما يكتب فى قطع العادة : إما فى المنصوري ، مفتتحا بـ «أما بعد حمد الله»
 أو على قدر المكتوب له فى القطع الصغير ، مفتتحا بـ «رسم بالأمر الشريف»
 إن انحط قدره عن ذلك)

وفىها وظائف :

منها - كتابة الدرج بديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة .

وهذه نسخة توقيع بكتابة الدرج الشريف ، كتبت به للقاضى تاج الدين ،

عبد الرحيم بن الصاحب نحر الدين بن أبى شاكر ، وهى :

(١) الزيادة من التعريف ص ١١٥ .

رِسْم ... - لا زالت صدقاته الشريفة تشمل نجباء الأبناء، ومبراتة الجسمة
تُجَزَل للولد البار حُسن الزيادة وزيادة الحُسن، وهباته الكريمة تُقبل بوجه الإحسان
على فَرع الأصل الأسمى وتُرصع تاجه بجوهر نخره الأسنى، وسماته الوسيمة، تجمل
شد أزr الوزارة الفخيمة، بأكفأ نجل ثنى الزمان عنان الرياسة إليه وعليه أننى -
أن يستقر فلان فى كذا وكذا : لأنه رُبى فى حِجر الرياسة، وأجتنى من الروض المجد
الذى أعلى السعدُ غراسه ؛ ونشأ من محلّ السؤدد والفخار، وبنغ من بيت حقت
له رفعة الأقدار ؛ وبسقُ غصن فرعه من أصل ثابت، وسمأ بدوح عز فى مواطن
المعالى نابت، وهى ندى قلبه بانتسابه إلى سرّاة الكُتاب فناهيك من كاتب لأبى
اخلل كات ؛ تعترف الدولة لسلفه بسالف العهود، وتعترف من منهل تديرهم
المورود ؛ وتخلّى من تاجهم بأسنى العقود، وتسمو من نخر وزارتهم ووزارة نخرهم
بما يملأ الوجود بالحدود؛ وتختال من تصريف أقلامهم وأقلام تصريفهم فى روض
التنفيذ المجد فإن ذكرت ما أثر جدّه قصرت عن إدراكها الحدود، وإن شكرت
مناقب والده - أجله الله - فقجرها بالذخ مشهود؛ وهو بلسان العام والخاص
ممدوح مجود، وإلى معانى خطه تنتهى درجات الصعود والسعود؛ فلا غر ولهذا
الفرع الناجب أن يتبع أصله، وأن يسلك فضائله وفضله ؛ وأن يقفو منهجه،
ويحدو فى الكتابة طريقته المبهجة ؛ ويأتى من البراعة بسننها القويم، ويبرز من
البراعة وشى خطه الرقيم؛ وأن يحلّى أجياد المهارق بجوهر تاجه النضيد النظيم، وأن
تحلوا ألفاظه فى الإنشاء حين تتر على الأسماع مرور النسيم ؛ [لا] سيمًا وقد ظهرت
عليه من تحايل الراسة دلائل، وشرعت له مناهل الأدب والفضائل ؛ وحاز من
حُسن النشأة ما سار بشاره المثل، وحصل من الأشتغال على كثر المعرفة وأشتمل ؛
وغدا جديرًا بكل مرتبة سنيه، وكل رفعة هى بأعدادها مبنيه .

فليباشِرْ ذلك مباشرةً يجعلها لباب المعالي مفتحة ، ولزيادة من كل خير سببا كلما
أبدى الدهر مساءً وصحى ، ولينقل في آتباع مهيع المجد عن والده وجدّه أبقاهما الله
تعالى ، وليدأب للتحلى بأخلاقهما الحسنة أقوالاً وأفعالا ، وليهيج الطروس بوشى
قلمه ، ولينمق المكاتب ببلاغة كلمه ، وليتخذ الصون شعاره ، والعفاف دثاره ،
والأمانة معتمده ، والنزاهة مستنده ، وضبط القول مادته ، وحفظ اليد واللسان
جادته ، والوصايا كثيرة وملاكها التقوى ، وهى حليته الحقيقية ، وعقيدته العقلية
والمطيقية ، فليجعلها دأبه ، وليرض في إعلانه لها ربه ، والله تعالى يعلى قدره وجدّه ،
ويحفظه وأباه وجدّه .



وهذه نسخة توقيع شريف بكتابة درج تجديداً ، وهى :

رسم ... لا زال يمنح الأولياء ، بتجديد النعم إحساناً ، ويولى البلغاء ، فضلاً
يعلى لهم رتبةً وشاناً ، ويهدى لهم فى ديوان إنشائه الشريف فضائل جمةً وبيانا -
أن يجدد هذا التوقيع الشريف باسم فلان تجديداً لأنوار الإحسان إليه ، وتأكيذاً
لمزايا الأمتان لديه ، وتسديداً لمستنده الذى ألقاه وجه الإقبال إليه ، لما حازه من
فضيلة تامّة ، وبلاغة ملأت بديع المعانى ومعانى البديع ألفاظه وكلامه ، وكتابة
أجرت فى حواشى الطروس بحقق التوقيعات أقلامه ، وأمانة بنت على الصّدق
والعفاف أقسامه ، ورياسة تأمل مجدها ، فبلغ مرآمه ، وأتصل سعدُها ، فلا يخشى
أنفصامه ، وبعد شأوها فهى السامية إلى رفع المنازل من غير سامة . قد أتصف من
البراعة بجميل الأوصاف ، وظهر استحقاقه فهو بادٍ غير خاف ، وتروى من بحر البلاغة

حيثُ وردَ منهلها الصّاف ، وسلّك طُرُقَ الخير فتضاعفَ له الإِسعاد والإِسعاف ،
وأمتازَ بمزايا التّجَمُّلِ فى أمورِهِ والعَفَافِ ؛ وأستحقَّ بذلك أن نُجَدِّدَ له فضلَ الألفه ،
ونؤكِّدَ له بكرمنا نيلاً أعتاده وعرفه .

فليستَمِرَّ فى ذلك أستمِراراً به أسبابُ الخير مؤتلفه ، ووجوهُ الفضائلِ عن صنوفِ
الكتابةِ غيرِ منصرفه ؛ وليُبدِ من البَلاغَةِ بيانها البديع ، ويَجَمِّلَ منزلَ العلياءِ الرفيع ؛
ويَسَلِّكُ مَسَلِّكَه فى الأمانه ، ويتَّقِ الله تعالى بملازمةِ المُراقِبَةِ والديانه ؛ والله تعالى
يُعَلِّي مكانه ، ويزيدُ فى أقتناءِ الفضائلِ إمكانه ؛ والأعتادُ على العلامةِ الشريفةِ أعلاه ،
إن شاء الله تعالى .

قلت وربِّما كُتِبَ التوقيعُ لكاتبِ الدرِّجِ بزيادةِ معلوم ، فيحتاجُ الكاتبُ إلى أن
يأتى بعبارةٍ تجمعُ إلى ما تقدّم من براعةِ الاستهلالِ ما يليها من موجبِ الاستحقاقِ ،
وسببِ الزيادةِ وترادفِ الإحسانِ .



وهذه نسخة توقيع بشهادة الخزانة ، كُتِبَ به لابن عبادة ، وهى :

أما بعد حمد الله الذى أفاضَ على الأولياء من خزائن فضله ، وأفاءَ لهم أوفرَ نصيبِ
من إحسانه المشكورِ فيه عدلُ قسَمِهِ وقسَمِ عدله ، وأهمى عليهم من سُحْبِ مواهبِهِ
ما يقصُرُ عنه الغمامُ فى وبله وطله ، وأسبغَ عليهم من جوده العميمِ ما يصفقو لديهم المرحُ
فى وارِفِ ظلّه ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ نبيه ورسوله أشرفِ رُسُلِهِ ، وخاتمِ
من جاء من الأنبياء من قبله ، والهادى ببعثته الشريفةِ إلى طُرُقِ الحقِّ وسبيله ؛
وعلى آله وصحبه الذين تابعوه فى قوله وفعله ، وبايعوه على المظاهرةِ فى نصرته الدينِ

الْحَنِيفِ وَأَهْلِهِ ، وَجَمَعُوا هَمَمَهُمْ عَلَى التَّيْمَانِ كَلِمَةَ الْإِيمَانِ وَجَمَعَ شَمْلَهُ ، وَأَرْهَفَ كُلُّ
 مِنْهُمْ فِي نَصْرِهِ مَاضِي عَزْمِهِ وَنَصْلِهِ - فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ رُعِيَتْ لَهُ حَقُوقُ ذِمَامِهِ ، وَمُنِحَ
 أَجْرَ الْعَطَاءِ الَّذِي تَقْضَى الْأَقْدَارُ بِدَوَامِهِ ، وَلَوْ حَظَّ بِعَيْنِ الْإِقْبَالِ مَا أَسْلَفَهُ مِنْ حُسْنِ
 الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَإِلِمَامِهِ - مَنْ جَدَّ فِي الْخِدْمَةِ فَأُضْحِيَ الْجَدُّ لَهُ خَادِمًا ، وَدَاوَمَ عَلَى
 الْمُنَاصِحَةِ فَغَدَا سَعْدُهُ دَائِمًا ؛ وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ فَضِيلٍ بِزِمَامِهِ ، وَمَتَّ بِمَالِهِ عَلَى الدَّوْلَةِ
 الشَّرِيفَةِ مِنْ حُرْمَتِهِ وَذِمَامِهِ ؛ وَسَلَكَ فِي أَدَاءِ الْأَمَانَةِ السَّنَنَ الْقَوِيمَ ، وَجَعَلَ عَلَى خَزَائِنِ
 الْأَرْضِ بِمَا تَلَا لِسَانُ فَضْلِهِ : (إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) ؛ وَتَمَسَّكَ مِنَ الْإِخْلَاصِ بِأَقْوَى
 الْأَسْبَابِ ، وَجَعَلَتْ لَهُ التَّقْوَى مَحَلًّا يُدْخِلُ عَلَيْهِ مَلَائِكَةَ الْقَبُولِ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، وَزَيَّنَ
 سَمَاءَ الْمَعَالِي بِكَوَاكِبِ مَجْدِهِ فَمَا تَشَوَّفُ إِلَيْهَا طَرْفٌ مُتَطَاوِلٍ إِلَّا وَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ .

ولما كان فلان هو الذي غدا حسن مناقبه إلى شكره مرشدا ، وإلى ذكره
 بالجميل مسعدا ، وألهج لسان القلم في وصفه منشدا ، وأختص من هذه المحامد بأوفرها
 قسما ، وطلع في أفق هذا الثناء الجميل نجما ، فلذلك رسم

ومنها - آستيفاء الدولة .

وموضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه الوزير وناظر الدولة ، وضبط الأموال
 الديوانية ، وكتابة الحسابات ، وكل ما يجري مجرى ذلك . وقد جرت العادة أن
 يكون فيها مستوفيان .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الدولة :

أما بعد حمد الله الذي صان الأموال بالأقلام المحررة ، والدفاتر المسطرة ،
 والحسابات المصدرة ، والجوامع المسيرة ، والتيقظ الذي أستخرج البواقي المنكسرة ،

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أزال ظلام الظلم وتورّه، ومحا الجور وغيره،
وأيد الحق وأظهره، وعلى آله البرره، وصحبه خصوصا العشرة المبشّره - فإنّ للدولة
الشريفة من الأقلام ضابطا، ولها من الحساب نظاما أصبح عليها سياتجا وحائطا،
يصون الأموال أن تكون بأيدى الخائنين نهبى، ويحجز المطلقات بعدا وقربا،
وقلم الاستيفاء هو الذى إذا طاشت أقلام الحجاب كان فى رأسها لحاما، وإذا
خصم المباشرون بالمصروف قبل السائغ الصحيح وردّ ما كان سقيا وخرج ما لم
يكن تماما .

ولما كان فلان هو الذى فى الراسة كبير معروف، وفى السعادة حميد موصوف،
وفى قلمه تصحيح كل مصروف، وله فى الدولة آثار مرضية تشكرها الأقلام
والسيوف، ما نظر فى حساب، إلا أزال عنه ما به يعاب، ولا رأى فدالك،
إلا وأوضح فيها المسالك، ولا عرض باقى، إلا استخرج ما يتعين استخراجُه بقلمه
الراقى، وفهمه الواقى، فلذلك رسم أن يستقر

فليباشر هذه الوظيفة بتحريره وتحبيره، وتميزه وتثمينه، وتوفيره وتكثيره، وإيراده
وتصديره، وتسهيله وتيسيره، وإزالة تعسيره، وإذا أمسك دفاتره، أظهر ما ثره،
وإذا نسيت الجمل أبدى تذاكره، والعمدة على شطبه فى الحسابات الحاضره،
فلا يخرج من عنده شئ بغير ثبوت فإنّ التواقع الشريفة والمراسيم الشريفة هى
كالأمثال سائره، ولا يتخذ المعين، إلا الأمين، ولا يستعين، إلا بمن هو مأمون
اليمين، والوصايا كثيرة وهو غنى عن التبيين، فليثق الله رب العالمين، وليستجلب
لنا الأدعية من الفقراء الصالحين، فإنّ صدقاتنا الشريفة تنعم عليهم بمرتبات
وأرزاق، ونعم وأطلاق، فليسهل عليهم الصعب فى كل باب وإطلاق، والله تعالى
يُمدّه بالإرفاق، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى .

قلت : وقد يكتب لوظيفة أستيفاء الدولة مفتتحا : «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك باستيفاء الدولة ، كُتِبَ به لعَلَم الدين بن ريشة ،
وهي :

رَسِمُ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَابْرَحَتْ أَيَّامَهُ الشَّرِيفَةُ تُرْفَعُ لَدَوِي الْكِفَاءَةَ مِنْ إِحْسَانِهَا
عَلَمًا ، وَتُرْجَعُ مَصَالِحُ الدَّوْلَةِ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ فِيهَا خِطَابًا وَأَعْمَلَ فِي مُهِمَّاتِهَا قَلَمًا ،
وَتَخَارُ مِنْ دَأْبٍ فِي تَكْمِيلِ أَدْوَاتِهِ حَتَّى صَارَ عَلَى أَنْظَارِهِ مُتَقَدِّمًا - أَنْ يَرْتَبَّ فُلَانٌ عَلِيمًا
بِكِفَايَتِهِ الَّتِي وَضَحَتْ ، وَدِرَايَتِهِ الَّتِي فَاقَتْ مُنَاطِرَهَا وَرَبَّحَتْ ، وَأَمَانَتِهِ الَّتِي حَصَلَتْ
النَّمَاءَ وَأَرْبَحَتْ ، وَهَمَّتِهِ الَّتِي مَيَزَتْ الْأَمْوَالَ بِإِحْرَازِهَا فَعَلَى السَّدَادِ خُتِمَتْ وَبِالتَّحَرِّيِ
أَفْتِتِحَتْ .

فليُباشِرْ هذه الوظيفة التي تحتاج إليه باحتراز مثله ، والرُّتبة التي يتعين على مُباشِرِها
إيصال كلِّ حقٍّ إلى أهله ، فقد أرجعنا ضبطها وتحريرها إليه ، وأَعْتَمَدْنَا فِي تَسْيِيرِ
أَمْوَالِهَا وَسَدِّ أَحْوَالِهَا عَلَيْهِ ؛ فَهُوَ جَدِيرٌ بِبُلُوغِ الْقَصْدِ فِيمَا قَرَّرْنَاهُ لَدَيْهِ ، وَحَرَّرْنَاهُ
بِقَلَمِهِ وَيَدِيهِ .

فليَبْسُطْ فِي مَصَالِحِ الدِّيوانِ المَعْمُورِ وَأَمْوَالِهِ قَلَمَهُ ، وَلْيَعْمَلْ بِمَا هُوَ عَالِمٌ مِنْ تَبْيِينِ
حَقَائِقِ أَحْوَالِ وَظِيْفَتِهِ وَيُخَاصِّ فِيهِ قَوْلَهُ وَكَلِمَتَهُ ؛ وَلْيُصْنِ الْأَمْوَالَ ، وَيَتَفَقَّدَ مَا يَلْزِمُ
الْعَمَّالَ ، وَيُحِثَّ عَلَى حَمُولِ بَيْتِ الْمَالِ ؛ وَلْيَسْتَرْفِعِ الحُسْبَانَاتِ مِنْ جِهَاتِهَا عَلَى الْعَادَةِ ،
وَلْيَسْتَوْدِعْ دِفَاتِرَهَا وَجَرَائِدَهَا مِنْ يَتَحَقَّقُ تَحْرُزَهُ وَسَدَادَهُ ، وَلْيَتَّخِذْ مُعَيَّنِيهِ مِنْ أَرْبَابِ
الْحِدْقِ وَالذَّرَايَةِ وَالْأَطَّلَاعِ عَلَى كُلِّ نَقْصٍ وَزِيَادَةٍ ، وَإِبْدَاءٍ وَإِعَادَةٍ ؛ وَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ
مَا لَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى زِيَادَةِ الوَصَايَا وَتَكْثِيرِهَا ، وَمَنْ أَلْمَعِيَّتِهِ مَا يُدْرِكُ بِهِ الْفُضْلَ
فِي جَلِيلِ الْأُمُورِ وَحَقِيرِهَا ؛ فَإِنَّهُ قَدْ تَحَلَّقَ بِأَخْلَاقِ أَهْلِ الْأَدَبِ ، وَشَارَكَ فِي جَلِيلِ

الخطب وسد ما إليه عزمه أنتدب ؛ والله تعالى يبلغه من الجود غاية الأرب ،
ويعينه على صالح العمل وأتمهز القرب ؛ والاعتماد ...

ومنها - استيفاء الخاص . وصاحبها فى الخاص كمتوفى الدولة فى ديوان الوزارة .

وهذه نسخة توقيع باستيفاء الخاص لمن لقبه « أمين الدين » وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تُقدم بمهماتنا أمينا ، وتقدم
فى خدمتها من أضحى معلًا شمالا ويمينا ؛ وتولى الرتب السنينة من جعل التحرز لقلبه
مصاحبًا ولكلمه معينًا - أن يستقر فلان فى كذا : لما عرف من رأسه التى
ميزته ، وأمانته التى جمعت الرفع فأحرزته ؛ وضبطه الذى ترقى به فى المراتب وتنقل ،
وإدراكه الذى يصون به غوامض المصالح ويعقل ؛ ولما سلف له من خدمة ملك
فيها السداد ، ومباشرة علم بها ما هو متصف به من حسن الاعتماد .

فليباشر هذه الوظيفة التى وليها ، وليشهر من همته فيها ما يرفع مكانته ويعليها ؛
وليدم المراقبة لمصالح ديوان الخاص الشريف فى كل قول وعمل ، وليسارع إلى
ما يفيد المناجح ويبلغ من الضبط والتحرز غاية الأمل ؛ وليصن الأموال من ضياعها ،
ويحافظ على سلوك طرائق الحق وأتباعها ؛ وليسترفح الحسابات من أربابها ،
ويتفقد محرراتها التى هو أعلم وأدرى بها ؛ ويتخذ من معينيه من أضحى معرفته
للدقائق جامعها ، ويحتفل بمتحصلات أموال الخاص بعزيمته التى أضحى لمكانته
رافعه ، لا سيما نعر الإسكندرية التى قد أصبحت جهاتها لطلب أقالمه متابعة
طائعه ، وليلزِم كل عامل بتحرير ما يجب عليه وما تنبغى فيه المراجعة ؛ فإننا قد أقمناه
لذلك مستوفيا ، ولتصفح أموره الحليمة والحقيرة مستوفيا مستقصيا ؛ وليتق الله

الذى يبلغه من زيادة منحنى الأمل ، ويعينه على صالح العمل ، والله تعالى يمنحه من الخير ما يُنحس مسعاه وينزهه عن الزيف والزلل ، والاعتماد



وهذه نسخة توقيع في المعنى لمن لقبه «بدر الدين» وهى :

رُسم بالامر الشريف - لازال يُطالع لذوى الكفاية من إحسانه فى سماء الإقبال بدرا ، ويرفع لمن أم الأبواب لأوليائه من ذوى الرأسة قدرا ، ويشفع لمن شكرت معرفته بفتح القصد فأنشرح له بالمن الجمّة صدرا - أن يستقر فلان فى كذا : لكفايته التى خُطب بسببها إلى مقّره ، ودرايته التى أستوجب بها أن نطق لسان القلم بذكره ، ونزاهته التى أجمعت بها أمثاله على شكره ، وأمانته التى تستدعى الحق فى حلّ الأمر ومُره ، وديانته التى هى أصل فى كل أمره ، وصيانته التى يعتمدها فى سرّه وجهره ، ومشارفته المصالح بعين يقظته التى يُلوح لها وجه الصواب فيقف عند حدّه وقدره .

فليباشر هذه الوظيفة التى أسلفها حسن الاعتماد ، وليوفّها من معهود يقظته بمن الاجتهاد ، وليحقق حسن ظنّ المباشرين فى رغبتهم فيه فى الإنصاف فى الإرفاق والإرفاد ، وليعمر جهات الأموال بجميل الإقتصاد ، ويُنجز الأحوال على سبيل السداد ، وليتبع منهاج الخير فى كل ما يأتيه من إصدار وإيراد ، فقد رجع ضبط هذه الجهة إليه ، وأعتمد فى تحريرها عليه ، فليصن الأموال ، ويتفقد ما تحسن به العقبى والمآل ، وليتجرّ فى جميع ما هو لازم له أن يكون على الحق الواضح ، والسّن القويم فإنه المتجرّ الرابح والمآب الناجح ، وتقوى الله تعالى فهى عمدة كل عبد صالح ،

(١) لعله من أوليائه ذوى الخ .

(٢) لعله «ورغبتهم فيه من الانصاف» الخ تأمل .

والوصايا كثيرة مبيّنة تُغنى عن إفصاح الشارح؛ والله تعالى يُلهمه الطريقَ السديدةَ
ويُرشدُه، وَيُعِينُه بالتوفيق وَيُنَجِّدُه، إن شاء الله تعالى .

ومنها - آستيفاء البيوت والخاصية .

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بها لعَلَمَ الدين «شاكِر» عوضاً عن تاج الدين
ابن الغزولى فى الأيام الأشرفية «شعبان بن حسين» وهى :

رِسْمُ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَزَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَمْنَحُ الْإِكْفَاءَ مِنْ إِحْسَانِهَا
نِعْمًا، وَتُضَاعِفُ لَهُمْ مِنْ عَطَائِهَا كَرَمًا، وَأَيَّامُهُ الشَّرِيفَةُ تَعْمُ الْبُيُوتَ الْكَرِيمَةَ بِكَافٍ
قَدْ نَشَرَتْ لَهُ الْأَمَانَةَ فِي دَوْلَتِهِ الْأَشْرَفِيَّةِ عِلْمًا، وَمَوَاهِبُهُ تَقْدَمُ لِلْوِظَائِفِ مَنْ أَصْحَى
شَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَتَبَسُّطًا لَهُ فِي دَوَاوِينِ أَعَزِّ الْأَنْصَارِ قَلَمًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ
الْقَاضِي، فَلَانُ الدِّينِ فِي كَذَا وَكَذَا : لِأَمَانَتِهِ الْمُؤَفُّورَةِ، وَمَعْرِفَتِهِ الْمَشْهُورَةِ، وَمِحَاسِنِهِ
الْمَذْكُورَةِ، وَسِيرَتِهِ الْمَشْكُورَةِ، وَكِتَابَتِهِ الَّتِي أَخْتَحَتْ فِي صَفَحَاتِ الْحُسْبَانَاتِ
مُسْطُورَةَ، وَدِيَانَتِهِ الَّتِي جَدَّدَتْ بِهِجَتَهُ وَسُرُورَةَ، وَخِبْرَتَهُ بِمَنَازِلِ الْبُيُوتِ الْمَعْمُورَةِ؛
وَقَدِمَ هِجْرَتَهُ فِي الْوِظَائِفِ الَّتِي أَوْجَبَتْ نُقْلَتَهُ إِلَى أَجْلَهَا، وَصَدَارَتَهُ الَّتِي رَفَعَتْهُ إِلَى
أَرْفَعِ مَحَلِّهَا؛ كَمْ لَهُ فِي دَوَاوِينِ أَعَزِّ الْأَنْصَارِ مِنْ أَقْلَامٍ مَنْفَعَةٍ، وَآرَاءٍ مُسَدِّدَةٍ، وَنَظَرٍ
أَصْلَحَ بِهِ كُلَّ فَاسِدٍ، وَكَبَّتْ بِهِ كُلَّ حَاسِدٍ؛ وَضَبَّطَ لِأَصُولِ الْأَمْوَالِ، وَتَبَّعَ لِلْمَصَالِحِ
فِي الْبَكْرِ وَالْأَصَالِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي هُوَ أَخْبَرُ بِمَبَاشَرَتِهَا، وَأَعْلَمُ بِأَحْوَالِ الْبُيُوتِ
الْكَرِيمَةِ وَعِمَارَتِهَا؛ وَلْيُظْهِرْ فِي الْحَاشِيَةِ السَّعِيدَةِ مَا ثَرَهُ الْحَسَنَةُ، وَنَزَاهَتَهُ الَّتِي نَطَقَتْ
بشكرها الْأَلْسِنَةُ، وَلْيَسُدَّ فِي مَبَاشَرَتِهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ؛ وَلْيَسَلِّكْ طَرَائِقَ الْأَمَانَةِ،
وَلْيَقِفْ آثَارَ ذَوَى الْعَقَافِ وَالصِّيَانَةِ؛ وَلْيَلْزَمْ مَبَاشَرَةَ أَعَزِّ وُلِيِّ فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ،

ولا يشغله شاغلٌ عن مصالح مَهْدِ الدُولِ مَنْ [هو] لسلطاننا الأشرف أمير سلاح ،
واللهُ تعالى يفتح له من الخير أبوابَ النَّجَاحِ . والأَعْتَادُ على الخط الشريف أعلاه ،
إن شاء الله تعالى .

قلت : ومما يخطر في سلك تواقيع أرباب الوظائف السلطانية وظائف
دواوين الأمراء الخاصية ، فإنه ربما كُتِبَ عن السلطان التوقيع لبعض أرباب
وظائف دواوينهم كما يُكْتَبُ في الوظائف السلطانية .



وهذه نسخة توقيع كريم بنظر دواوين بعض الأمراء ، وهي :

أما بعد حمد الله الذي هدى إلى الملة المحمدية من أسرار الإيمان في قلبه ونواه ، وضمَّ
إلى الأمة [الاسلامية] من أضر الإخلاص فأظهره الله في متقلبه ومشواه ، وجمع لوليِّ
الدولة ومخلصها الفرج والفرح لأنه من توكل عليه كفاه ، والشهادة بالوحدانية التي
تبلغ قائمها من رضاه مناه ، وتجعل جناته لمن أسرها جنانه مستقره ومأواه ، والصلاة
والسلام على سيدنا محمد الذي قصم عداه ، وفصم عُرا من عاداه من أهل الشرك
وعداه . وعلى آله وصحبه الذين آهتدوا بهداه ، وأستجدوا جداه ، ولبوا نداءه ، وأموا
نداه ، صلاة تجزل لمصلحتها ثوابه ، وتُجمل مآبه ، وتُحمد عقباه - فإن أولى من رفع له
الكرم محلاً ، وقلدته النعم عقداً محلياً ، وأعيد إلى رتبة الإصطفاء ، وفوض إليه ديوان
أعز الأخصاء ، وصرف قلبه في مهامه ، وحصلت هممه على جميع أقسامه ، وعُدقت
مصالحه بتدبيره ، ومناجحه بتأثيره وتأثيره ، ومتحصلاته بتمييزه وتثمينه ، وأحواله
وأمواله : هذه بحسن تصرفه وهذه يمين تقريره - من دخل في دين الله القويم ،
وأجتابه وهداه إلى الصراط المستقيم ، وكساه الإسلام حلة شرفه ، وبوأه الإيمان

مباني غُرفه ، ونوى الأستقامة فى إقامته ومنصرفه ؛ والتحف بجلباب الإسلام
وأرتدى ، وتلبس بالإيمان فصَدَّ عنه الأذى وردَّ الردى ، وغدا من أصحاب الصراط
السوى ومن أهتدى ؛ مع كفاية أوجبت له التقريب والتقديم ، وجددت له ملايس
التكبير والتكريم ؛ وكاتبه فاق بها أمثاله ، وعلا مثاله ، وبلغته من العلياء مرامه ومثاله ؛
ومعرفة بفنون الحِساب ، وخبرة أَعترف له بها الكُتاب والحُساب ، وأوجبت له من
الإقبال ما لم يكن فى حساب .

ولما كان مجلس القاضى فلان : هو الذى أخذ القلم فى مدحه ، والكرم فى منحه ؛
أقتضى رأينا الشريف أن تُقبل على إقباله على الدين بوجه الإقبال ، وأن نبَلِّغه
فى أيامنا الشريفة ما كان يرجوه من الآمال . فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازل
يرفع من كان للدولة ولياً ، ويضع الشيء محله بتقديم من أضحى عرفانه جلياً^(١) .

فليأشر ذلك مباشرة ببلغه أملاً من الاعتلاء ، وتؤله مراماً من الاعتناء ، وتؤمنه
من طوارق الزمن وحوادث الاعتداء ، عالمًا بأن دولتنا الفلانية المنصورة تُجازى
عن الحسنه بأمثالها ، وأن أيامنا الفلانية المشهورة المشكورة تبلغ أولياءها غاية
آمالها ؛ وأننا أجرنا بره ، وأجملنا ذكروه ، وأجرينا على لسان القلم حمده وشكوه ؛
فليعتمد فى مباشرته الأمانة المبره ، والنزاهة التى رفعت ماساءه ووضعت ماسره ؛
وليستمر فى مصالح هذا الديوان السعيد عن ساعد اجتهاده ، ويعتمد فى أموره ما ألف
من سداه ، ويتحرر من السعادة ما كان قبل القول من سعادته ؛ وليتق الله حق ثقاته ،
ويجعل التقوى حلية لأوقاته ، وحلة على سائر تصرفاته ؛ وليسر بتقواه سيرا خبرا
وخبرا ، ويذر جورا وجبرا ، (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) .

(١) أن يستقر فى ديوان كذا الخ وحذفه اختصارا للكاتبه وكثيرا ما يفعل مثل ذلك .

قلت : وغالب ما يُعتنى به في تواقع أرباب الأقسام المفتحة : «رسم» الدعاء
المصدّر به التواقع [و] أشتماله على براعة الاستهلال .
وهذه جملة أدعية من ذلك يُنسج على منوالها :

أثير الدين — لازال فلك فضله أثيرا ، وطالع سعده منيرا ، وهبوب
ريح مبراته للخيرات مثيرا .

أمين الدين — لازال يتبني للخدم الشريفة خير أمين ، ويصطفى للقيام
بالمصالح أنحض معين ، ويحتجى لأهم المهّمات من هو غير متهم في المناصحة وغير ظنين .
بدر الدين — لازال يولى المناصب الدينيّة من سلك في النزاهة مسلكا
جميلا ، ويولى الفضل الجزيل من أضحى إشراق بدره على آثار حظه دليلا .

برهان الدين — لازالت أوامره الشريفة ترفع للعلماء شانا ، وتقيم على
استحقاقهم دليلا واضحا وبرهانا .

تاج الدين — لازالت صدقاته الشريفة ترفع تاج الفضائل على الرؤوس ،
ورّه الشامل يدكي النفوس ويزكي الغروس ، وتوارد إفضاله يوشى المهارق ويدبج
الطروس .

تقيّ الدين — لازالت صدقاته الشريفة تقدم كلّ تقيّ ، وترجح
ميزان من هو بالفضائل أملئ مليّ ، وترفع قدر من إذا سئل عن محله في الرياسة
قيل عليّ .

جمال الدين — لازال جمال جميله للنفوس رائقا ، وإفضاله المتوافر لكل
إفضالٍ سابقا .

جلال الدين — لازالت صدقاته الشريفة تزيد جلال ذوى الفضل
جلالا، وإحسانه المتواتر يوسع في البر لأولى الاستحقاق مجالا، وبره المتتابع تقصر
عنه خطأ كل بر فينادى: هكذا هكذا وإلا فلا لا .

رضى الدين — لازال رضى السجايا ، ظاهر المزايا ، مسترسل ديم
العطايا .

زين الدين — لازال نواله الشريف زينا لنائله ، وسؤاله المحقق إجابته
شرفا لسائله ، وقاصد بابه الشريف يوم بالخير في عاجل الأمر وأجله .

سراج الدين — لازالت عنايته الشريفة تخص أوليائها بمجزيل المواهب ،
وتبلغهم من صدقاتها العامة غاية الآمال وأقصى المطالب ، وتوقد لهم من أنوار
سعادتها سراجا يغلب على نور الكواكب .

سرى الدين — لازالت صدقاته الشريفة تصطفى من أرباب الكتابة
من يجيد المعاني فلا يضع لفظا إلا جعل تحته معنى سرييا ، وترضى من فؤسان
البراعة في ميدان اليراعة من يرتقى ببلاغته مكانا عليا ، وتحتجى من أهل الإجابة من
تميز بالإفادة فلا يزال كلامه لأجساد الطروس حليا .

شرف الدين — لازالت صدقاته الشريفة تضع الشيء في محله ، وترجع
الفضل إلى مستحقه وأهله ، وتختار للناصب من ظهر شرفه بين قوله وفعله .

شمس الدين — لازالت صدقاته الشريفة تطلع في سماء المعالي من ذوى
الرياسة شمسا ، ونعمه الجسيمة تثبت في روض الإحسان غرسا ، ومراسمه العالية
تنقل إلى رتب الرياسة من شدد كفه على عدد الأمانى نحسا .

شهاب الدين — لا زالت صدقائه الشريفة تُطْلَع في أفقها شهابا ، وتمجّل من جزيل المواهب للأمانى سحّابا ، وتضع الشيء في محله وتزيد الأمور انتظاما والدعاء استجلابا .

صدر الدين — لا زالت آراؤه الشريفة تستجيد من ذوى الفضائل من جاوز الجوزاء نظما وفاق النثرة نثرا ، وتستفيد به المناصب من الأماثل من تقصّر عن مجده الكواكب رفة وقدرًا ، وتستزيد منه المراتب من فاق سحّبان وائل وساد الأوائل فأضحى في مجالس العلياء صدرا .

صلاح الدين — لا زال أمره الشريف يقدم من يفيد ويحيد ، فيكون لكل أمر صلاحا ، وكرمه الطويل المديد ، يشمل من ذوى الفضائل من فاق «سحّبان» وائل فصاحة وفاق «حاتم» الأوائل سماحا ، ورأيه الرشيد السديد ، يختار من إذا اتضت اليراعة غلب رأيه سيوفا وطال قلمه رماحا .

ضياء الدين — لا زالت آراؤه الجميلة ، تختار من ذوى الفضائل الجليلة من ترداد به المناصب ضياء ، ونعمه الجزيلة ، نعم كل بارع إذا أدهمت الخطوب كان قوه لها جلاء ، وعوارفه المستطيلة ، تشمل كل فاضل بذل في الخدمة جهده وتكسوه هبة وبهاء .

علم الدين — لا زال جزيل إحسانه ، أوضّح من نار على علم ، ومزيد أمتنانه ، يشمل أرباب السيف والقلم ، وسحب بنانه تسح فلا تسح بجزيل الكرم .

علاء الدين — لا زال علاء دولته يصطنى ذوى الفضائل ، ويختار من الفصحاء من يفوت الأواحر كما أضحى يفوت الأوائل ، ويقدم من هو في تدبير اليراعة كعلي بن هلال وفي حسن البراعة كسحّبان وائل .

(١) لعله « وتستعيد للنائب ... وتستزيد في المراتب الخ » . تأمل .

عز الدين - لا زالت صدقاته الشريفة تزيد ذوى الأقلام، من جزيل الإنعام، فتدليلهم عزاً، وتستجيد من كتابها الأعلام، من خص بجواهر الكلام، فكل حُسن إلى كلامه يعزى، وتستفيد من نجباء الأيام، كل بارع كأن كلامه زهر الكيام، فلو خاطب سبحان لأورثه قُصوراً وعجزاً .

عماد الدين - لا زالت آراؤه الشريفة تتخذ من نجباء الكتاب، عماداً، وتختار من ذوى الفضائل فى الخطاب، من تجد لكلامه حسناً وسداداً، وتقدم من أهل الفضل فى السؤال والجواب، من لا تعدم فى كل مقاصده رشاداً .

عضد الدين - لا زالت صدقاته الشريفة تجعل من إنعامها، لخدماها، عضداً، وتلحظ بعين إكرامها، وحسن احترامها، من طال فى الفضل مدى، وتزين مطالع أيامها، بشموس أعلامها، فلا ترى مثلم أحدا .

غرس الدين - لا زالت صدقاته الشريفة تُنبت فى روض الإحسان، من أرباب البيان، غرساً، وتجتنب من كيام اللسان، أزاهر النكت الحسان، وتزين بها طرساً، وتفيض من مواهب البنان، ما يشهد لها بجزيل الأمتنان، فيطيب كل أمل نفساً .

غياث الدين - لا زالت صدقاته الشريفة تُبدي لكل أمل غياثها، وتضفي ظلها على من أستجار بها وأستغاثها، وتنطق السن أقلامها، بمواهب إنعامها، فتبدل طريقها وراثها .

فتح الدين - لا زالت صدقاته الشريفة تُخیر من ذوى الأعلام، من يفتح أبواب الكلام، فتحا، وتهب جزيل الإنعام، لمن يستحقه من الكتاب الأعلام،

فِينَالُ بِذَلِكَ شَاءَ وَرَبِحًا، وَتُقَرَّبُ بِيَدِ الْعِنَايَةِ وَالْإِكْرَامِ، مِنْ ذَوِي الرِّيَاسَةِ وَالْإِحْتِرَامِ،
مَنْ هَزَّ عَلَى الْبُلْغَاءِ قِدْحًا .

نُحْرُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ آرَأُوهُ الشَّرِيفَةُ تُنْصَبُ فِي الْمَنَاصِبِ، مِنْ يَزِيدٍ
بِحُسْنِ مَبَاشَرَتِهِ نَفْرُهَا، وَتُمَطَّى ظُهُورَ الْمَرَاتِبِ، مِنْ إِذَا أَظْلَمَتِ الْأَيَّامُ لِعَدَمِ فَاضِلِ
ظَهَرِ بَفَضِيلَتِهِ بَفْرُهَا .

قُطْبُ الْمَدِينِ — لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تُدِيرُ عَلَى قُطْبِ الْبِلَاغَةِ مِنْ
أَرْبَابِ الْيَرَاعَةِ مُجُومًا، وَتُشِيرُ بِعِنَايَتِهَا إِلَى مَنْ حَازَ مِنَ الْفَضْلِ فُنُونًا وَأَحْيَا مِنَ الْآدَابِ
رُسُومًا، وَتُنِيرُ بِدُورِ سَعْدِهَا لِمَنْ لَمْ يَزَلْ قَلْمُهُ لِأَسْرَارِ الْمُلْكِ كَتُومًا .

كَرِيمُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَشْمَلُ مِنْ ذَوِي الْفَضَائِلِ
مَنْ عُدَّ فِي فَضْلِهِ وَأَصْلِهِ كَرِيمًا، فَتُقَدِّمُ مَنْ لَالَهُ فِي الْبِلَاغَةِ مِمَّا يُزَالُ بِكُلِّ
فَنْ عِلْمِيٍّ، وَتُنْصَبُ فِي الْمَنَاصِبِ مَنْ فَاتَ قَيْسَ الْأَوَائِلِ رَأْيًا وَفَاقَ قُسًا بِحَدِيثِ
بِلَاغَتِهِ قَدِيمًا .

كَمَالُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ سَعَادَتُهُ الْبَاهِرَةُ، تُطْلَعُ فِي سَمَاءِ الْعِلْيَاءِ مَنْ فَاقَ
الْبُدُورَ كَمَالًا، وَأَوَامِرُهُ الْقَاهِرَةَ، تُقَدِّمُ أَسْنَى الْبُلْغَاءِ جَلَالًا، وَأَسْمَى صَدَقَاتِهِ الْوَافِيَةَ،
تَعْمُ مِنْ ذَوِي الْفَضَائِلِ مَنْ زَادَ الْمَنَاصِبَ بِحُسْنِ مَبَاشَرَتِهِ مَهَابَةً وَجَمَالًا .

مَجْدُ الدِّينِ — لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الشَّرِيفَةُ تَمْلِكُ أَعْنََةَ الْأَقْلَامِ، مِنْ تَرَاهِهَا
مَجْدًا، وَتُودِعُ بِمَجِيدِ الْأَيَّامِ، مِنْ جَوَاهِرِ الْفَضْلَاءِ عَقْدًا، وَتَشْمَلُ بِأَيْدِيهَا الْإِكْرَامَ،
مَنْ إِذَا جُمِعَ الْبُلْغَاءُ كَانَ بَيْنَهُمْ فَرْدًا .

محي الدين — لازالت أوامره الشريفه تشمل من البلاء من شهر بفضل الخطاب، وإذا ماتت الفضائل يحيها، وغيث جوده الهامى يفيض^(١) فيض السحاب، فيبادر العفاة ويحيها؛ وعنايته تعم ذوى الألباب، فتمهد رتب العز وتهيها .

موفق الدين — لازالت صدقاته الشريفه تطلع كل هلال من أهدي به كان موفقا، وتملك اليراع من يزرى ببن هلال أنى كتب: رقاعا ومحققا؛ وتفيض لراجها أفضل نوال من شبهه بالغيث كان محققا .

ناصر الدين — لا زال يقرب من أضحى لأهل الكلام، بمهفات الأقلام، ناصرا؛ ويهب طويل الإنعام، لمن باعه مديد في النثر والنظام، فما برح فضله وإفرا؛ وينتخب من غدا شريعا لعادات الكرام، مضارعا لصفات الكتاب الأعلام، وأصبح في البيان نادرا .

نجم الدين — لازالت أوامره الشريفه تطلع في أفق السعاده، من ذوى السيادة، نجما، وتعم بجزيل الإفاده، من عرف بالفضل والإجاده، وفاق أقرانه نثرا ونظما؛ وتسمح من عنايتها بالإراداه، لمن هو أهل الحسنى وزياده، فتجزل له من كرمها قسما .

نور الدين — لازالت صدقاته الشريفه تعم بالنوال، من هو في البراعة متسع المجال، فيزيد الكلام نورا، وحسناته تشمل ذوى الآمال، بما يجمد في البدء والمآل، فتملا القلوب سرورا؛ ومبراته تصل أولى الكمال، وتنتخب أختيار العمال، فلا برح أنفد الملوك أمورا .

(١) فى الاصل «الوهم» ويظهر أنه تحريف .

نظام الدين - لازال يتخير من كان في الناس مجيدا، وفي البيان مجيدا،
فحسن لفظه نظاما؛ ويهب من بره مزيدا، لمن كان في الخدمة مزيدا، فلا ينقض
للنصيحة ذمما؛ ويبدل كراما مفيدا، لمن يراه في الفضل مبدئا ومعيدا، فجاز فخارا
وطاب كلاما .

همام الدين - لازال يرتضى من هو في فرسان اليراعة أنهض همام،
ويقتضى وعد كرمه لمن نهض في الرياسة نهوض أهتام،^(١) وينتضى عضد ذهنه
فيصيب مفصل كل كلام .

ولي الدين - لازال يحلّي أجياد المناصب من ذوى البلاغه، بمن يحسن
في الكلام الصياغة، فينظمه حليّا، ويحلّي كرب المراتب من فرسان اليراعة، بمن
راح فضله ولفظه جليّا؛ ويولّي المناصب من غدا في البيان وافر البضاعة، فاتخذته
الأقلام وليّا .

(١) لعل الصواب معضد كبير : تأمل .

الضرب الرابع

(من الوظائف التى يكتب فيها بالديار المصرية مَشِيخةُ الخَوَاقِ ،
وكُلُّها يُكتب بها تَوَاقِيعُ)

وهى على طبقات :

الطبقة الأولى

(ما يكتب فى قطع النصف بـ «المجلس العالى» مفتوحاً بـ «الحمد لله»
وهو مَشِيخةُ الشيوخِ خاصَّةً)

وأعلم أن مَشِيخةَ الشيوخِ كانت فيما تقدَّم تُطلَقُ على مَشِيخةِ الخانقاهِ الصَّلاحِيَّةِ ،
«سعيد السعداء» فيكتب فيها بذلك . ولم يزل الأمرُ على ذلك إلى أن بنى السلطان
الملك الناصر « محمد بن قلاوون » الخانقاهِ الناصريَّةَ بسرياقوس ، استقرت مَشِيخةُ
الشيوخِ على من يكون شيخاً بها ، والأمرُ على ذلك إلى الآن .

وهذه نسخةُ توقيعِ مَشِيخةِ الشيوخِ بالخانقاهِ الصَّلاحِيَّةِ « سعيد السعداء »
بالقاهرة المحروسةِ باسمِ الشيخِ شمس الدين بن النَّجْجَوَانِيّ ، من إنشاءِ المقرِّ الشهابيِّ
أبن فضل الله العمريِّ ، وهى :

الحمدُ لله مُرَقِّ أوليائه ، ومُوقِّ أصفيائه ، ومُلَقِّ كلمةِ الإخلاص لمن تلقى سرَّها
المصُونِ عن أنبيائه .

نحمده على مُصَافاةِ أهلِ صَفائِهِ ، ومُوافاةِ نَعَمنا لمن تمسك بعُهودِ وفائِهِ ، وتسلَّك
فأصبحتُ رجالاً كالجواهر لا تنتظم فى سِلْكَه ولا تُعدُّ من أكفائِهِ ، وطَلَعُ للدينِ شمساً
يُباهى الشمسَ بضياءِهِ ، ويباهلُ البدرَ التَّمَامَ فيتغيَّرُ تارةً من نَجْمِهِ وتارةً من حَيائِهِ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نَعُدُّهَا ذُخْرًا لِلْقَائِهِ ، وفخرا
باقياً ببقائه ، راقياً في الدرجات العلى بارتقائه .

ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله مبلغ أنبائه ، ومسوخ الرُفْيِ لِأَحِبَّائِهِ ،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان من أهل ولآئه ، ومن عرف به الله
لمَّا تفكَّر في آلائه ، صلاة يؤمل دوامها من نعمائه ، ويؤمن عليها سُكَّانُ أرضه
وسمائه ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى ما استقام به [الشخص على] الطريقه ، وأستدام به الرجوع
إلى الحقيقة ، وأستام به يطمئن إلى خالقه لا إلى الخليفة ، وحفظ أفضه بنير تستضيء به
النيرات ، ونوء نتقسم به الغائم الممطرات - طائفة أهل الصلاح ، ومن معهم من
إخوان أهل الصفاء الصوفية داعي الفلاح ، ومن تضمهم من الواردين إليهم إلى
جناح ، والصادرين عنهم بجناح ، ومن تفتح له فيهم أبواب السماء ، وتمنح بنفسهم
عامة الخلق ملايس النعماء ، ومن يكشف بتجددهم جنح كل ظلام ، ويكشف
بتوجههم عارضة كل بدر تمام ، ويستشفى بركاتهم من داء كل سقام ، ويستسقى
بدعائهم إذا قصر النيل وقص جناحه الغمام . وهم أولياء الله وأحبَّاءه ، وبهم يتعلل
كل لبيب هم سقامه وهم أطباءؤه ، أنحلهم الحب حتى عادوا كالأرواح ، وأشغلهم
الحب بصوت كل حمام شجائهم لما غنى وبرح بهم لما نوح ، وأطربهم كل سماع
فوجدوا بكل شيء شجنا ، وعذبهم الهوى فاستعدبوا أن لا يلائموا وسنا ، ومثل فرط
الكلف لهم الأحياب فما رأوا لهم حالاً إلا حسنا ، وأثقل تكرار الذكرى قلوبهم
فما عدوا غربة غربة ولا وطناً وطناً ، قربت المحبة لهم في ذات الله كل متباعد ،
وألقت أشتاتهم فاختلفت الأسماء والمعنى واحد .

والخانقاه الصلاحيَّة بالقاهرة المحروسة المعروفة بـ «سعيد السعداء» - قدس الله
روح واقفها - هى قُطب نُجومهم السائر، ومرا كُرُ أفلاكهم الدَّائر، وإليها نَحْطُ
رُحَالُ سُفَّارهم، وعليها تُحْطُ رِحَالُ أَسْفَارهم؛ تَضْطَرِبُ فِرْقُهُم فى البِلَاد وإليها
مَرَجِعُهُم، وعليها مَجْتَمِعُهُم، وفيها مواضعُ خَلَوَاتهم، ومطالِعُ جَلَوَاتهم، ومكانُ
صَلَاتِهِم، وإمكانُ صَلَاتِهِم؛ ومَشْرِقُ شُمُوسهم، ومُؤْتَقِ غُرُوسهم؛ وَمِنْهَا جُطُوبُ طَرِيقَتِهِم،
وَمِعْرَاجُ حَقِيقَتِهِم؛ مَأْوَى هَذِهِ الطَائِفَةِ الطَائِفَةِ فى شَرْقِ البِلَادِ وَغَرْبِهَا، وَبُعْدِهَا
وَقُرْبِهَا، وَعَجْمِهَا وَعُرْبِهَا، وَمَنْ رَفَعَ سُجُوفَهَا أَوْ هُوَ مَحْجُوبٌ بِحُجُبِهَا، وَالْمُؤَهَّلَةُ
وَالعَرَابُ، وَأَهْلُ الإِغْتِرَابِ؛ هِىَ فِسِيحُهُم الرِّحِيبُ، وَصَفِيحُهُم القَرِيبُ؛ وَمِثَالُهُمْ
إِذَا أَجْتَمَعُوا فى المَلَأِ الأَعْلَى زُمَرًا، وَأَخْتَرُوا المَهَامَةَ وَمَا جازوا بِيَدَاءِ وَلَا جَابُوا
مُقْفِرًا؛ وَبَلَّغُوا الغَايَةَ وَمَا أَرَجَّجَ رِكَابَهُمْ حَادٍ فى لَيْلٍ سُرَى، وَوَصَلُوا وَمَا فَارَقُوا فُرُشَهُمْ
المَهْدَةَ إلى ما وراءَ الوَرَى؛ شَرَطُ كُلِّ خانقاهِ أَنْ لا تُغْلِقَ فى وَجْهِهِ مِنْ يَتَزَلَّ فيها بَابًا،
وَلَا تُطِيلَ جِهَاتُها المُمَنَّعَةُ لَهُ حِجَابًا، وَلَا تُعَجِّلَ مَقاماتُها المَرْفَعَةُ لَهُ قَبْلَ (١)



وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ، وهى مشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس،
مما كتبت بذلك للشيخ نظام الدين الأصفهاني، من إنشاء السيد الشريف
شمس الدين :

الطَّرْزَةُ

توقيع شريف بأن يفوض إلى المجلس العالى، الشيخين، النظامي، إسحق ابن
الشيخ المرحوم جلال الدين عاصم، ابن الشيخ المرحوم سعد الدين محمد الأصفهاني

(١) بياض فى الأصل وبه علامة التوقف .

القرشي الشافعي - أدام الله النفع ببركته - مشيخة الخانقاه السعيدة الناصرية
بسيرياقوس - قدس الله روح واقفها - ومشيخة الشيوخ بالديار المصرية والبلاد
الشامية والحلبية ، والفتوحات الساحلية ، وسائر الممالك الإسلامية المحروسة ، على
عادته في ذلك وقاعدته ومعلومه ؛ وأن يكون ما يخص بيت المال من ميراث كل
من يتوفى من الصوفية بالخانقاه بسيرياقوس للشيخ نظام الدين المشار إليه ، بحيث
لا يكون لأمين الحكم ولا لديدوان الموارث معه في ذلك حديث ، وتكون أمور
الخانقاه المذكورة فيما يتعلق بالمشيخة وأحوال الصوفية راجعة للشيخ نظام الدين
المشار إليه ، ولا يكون لأحد من الحكام ولا من جهة الحسبة ولا القضاة في ذلك
حديث معه ، ولا يشهد أحد من الصوفية ولا ينتسب إلا بإذنه ، على جاري عادته
في ذلك على ما شرح فيه ، وأوله :

الحمد لله على نعمه التي ألفت للصالحين من عباده نظاما ، وأستأنفت للصالحين
إلى مراده إحراما ، وصرفت أوامرنا بالعدل والإحسان لمن فوض أموره إلى ربه
فأنجح له من مزيد التأييد مرادا ومراما ، وعطفت بأوجه إقبالها الحسان على من
هو متزّه عن دنياه ، متوجه إلى آخراه ، يمضي نهاره صياما وليله قياما .

نحمده على أن جعلنا نزعنا للأولياء ذماما ، ونسعى بالنعماء إليهم ابتداء وإتماما ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع للمخلصين في عليين مقاما ،
وتدفع بأعمال الصدق عن المتوكلين عليه بأسا وأسقاما ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله الذي جعله للتقين إماما ، وفضله على النبيين إجلالا وإعظاما ، وكله
بالسمات المكرّمات ، والصفات المشرفات ، مما لا يضاهاى ولا يسامى ؛ صلى الله عليه
وعلى آله الذين شرفوا إضافة إلى نسبه الشريف وأنضماما ؛ ورضى الله عن أصحابه

الذين عرفوا الحق فبدلوا في إقامته اجتهاداً وأهتماً، صلاةً تُجمل افتتاحاً واختتاماً،
وتُجزل إرباحاً وإنعاماً؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فسيمنا العدل والإنصاف، لمن له يمين الأعراق اتصالاً وبُحسُن
الأخلاق اتّصاف؛ ومن كرمنا الفضل والإسعاف، لمن لاخفاءً في تعيينه لتصدير
التقديم وتكرير التكريم ولا خلاف؛ ومن سجاياناً الجميلة أن لا تضاع حقوق من
هو في الزهادة والعبودية إمام، لألسنة الأيام، بجلاه الحسنة إقراراً وأعرافاً، ولمزايانا
جميلاً المحافظة، وجيل الملاحظة، لمن توكل على الله حق التوكل فله انتصار بالله
تعالى وانتصاف؛ لأنه العريق الأسلاف، الرفيق بالضعاف، الحقيق بتوفير التوفيق
الذى له بحركاته المباركة اكتناف، المطيق النهوض بأعباء الرياسة؛ لأنّ للقلوب
على محبته اتّلاف، السبوق إلى غايات الغلوات الذى تحف به فى بلوغ آمام
الإسعاد من الله تعالى أطفاف، والصدوق النية مع الله تعالى فكم والى لنعائه الزيادة
والاستئناف .

وكان المجلس العالى الشيخى، الإمامى، الكبيرى، العالمى، العالمى، الأوحدي،
القُدوى، الورعى، الزاهدى، الناسكى، الخاشعى، السالكى، الأصيلى، العريقى،
القوامى، العلامى، النظامى: جمال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء فى العالمين،
أوحد الفضلاء، قُدوة المشايخ، مربى السالكين، كثر الطالبين، موضح الطريقه،
مبين الحقيقه، شيخ شيوخ العارفين، بركة الملوك والسلاطين، ولى أمير المؤمنين،
إسحق ابن الشيخ المرحوم فلان - أدام الله النفع ببركاته - هو المفوض أموره إلى
ربه، المعرض عن الدنيا بباطنه وقلبه، المتعوض بما عند الله من فضله فما زال
الإيثار من شأنه ودأبه، إلى إخوانه وصحبه، فهو من الذين يُطعمون الطعام على

حبه ، ويلهمون من العمل المبرور إلى أقربيه من الله وأحبه ، ويقومون الظلام مع أولياء الله المخلصين وحزبه ، ويستديمون الإنعام من الله تعالى بالإحسان إلى عباده ففرعهم لأصليهم في صنعهم مشبه ، ويستسلمون لأحكام الله تعالى وكلهم شاكر لربه ، على حلو القضاء ومره صابر على سهل الأمر وصعبه ، سائر بالصدق في شرق الوجود وغربه ، مثابر على الحق في عجم الخلق وعمره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال يوصل الحقوق إلى مستحقيها ، ويحمل الوثوق بمن تتجمل المراتب الدينية منه بترقيها - أن يفوض إلى المشار إليه مشيخة الخانقاه السعيدة الناصرية بسرياقوس - قدس الله روح واقفها - ومشيخة الشيوخ بالديار المصرية ، والبلاد الشامية والحلبيه ، والفتوحات الساحلية ، وسائر الممالك الإسلامية المحروسة ، على عادته في ذلك وقاعدته ومعلومه ، وأن يكون ما يخص بيت المال المعمور من ميراث كل من يتوفى من الصوفية بالخانقاه المذكورة للمشار إليه ، بحيث لا يكون لأمين الحكم ولا لديوان المواريث معه في ذلك حديث ، وتكون أمور الخانقاه المذكورة فيما يتعلق بالمشيخة وأحوال الصوفية راجعة إليه ، ولا يكون لأحد من الحكام ولا من جهة الحسبة ولا القضاة في ذلك حديث معه ، ولا يشهد أحد من الصوفية ولا ينتسب إلا بإذنه على العادة في ذلك ، ويكون ذلك معدوقاً بنظره .

فليعد إليها عوداً حميدا ، وليفقد من الإصلاح ما لم يزل مفيدا ، وليعتصم بالله تعالى مولاه فيما تولاه وقد آتاه الله تبييناً وتسديداً ، وليشهد بها من القوم المباركين من [كان] عوده قبل الصوم عيداً ، وهو أعزّه الله تعالى المسعود المباشره ، المحمود

المُعاشِرَة ، المشهودُ منه اعتمادُ الاجتهادِ فى الدنيا والآخرة ؛ المعهودُ منه النَّفْعُ التَّامُّ ، فى فقراءِ مصرَ والشامِ ، فكم أثر الخير وآثره ، وكثر البرِّ وواتره ، ويسر السير الحسن الذى لم يبرح لسانُ الإجماعِ شاكره .

ونحن نُوصيه عملاً بما أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم فى كتابه المبين ، بقوله وهو أصدقُ القائلين : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدَّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وإن كنا نتحقق ما هو عليه من العلم والدين ، والحكم الرصين ، والزهد والورع اللذين نحن منهما على بيته ويقين ، باتِّباعِ شُرُوطِ الواقفين ، والإمتاعِ بالعوارفِ أولياءِ الله العارفين : فإنه ما زال حيثُ حلَّ فى جميع الآفاق ، واصلاً للأرزاق ، موافقاً بالأشواق ، شاملاً بالإرفاق ، عاملاً بالحق فى إيصالِ الحقوقِ لذوى الاستحقاق . ونأمرهم أن يكون لهم على تكريمه اتِّفاق ، وفى متابعتِهِ اجتماعٍ واتِّساق ، فإنه شيخُ الطوائف ، وإمامٌ تُقتبسُ منه اللطائف ، وتُلمَسُ منه الهدايةُ فى المواطنِ والمواقف ، والله تعالى يمتنع بركاتِهِ الأُمَّه ، وَيَسْمَعُ مِنْهُ فى الخَلُواتِ لنا الدَّعَواتِ التى تكونُ لأورادهِ المقبولةِ مَفْتِحةً ومُتمِّهَةً ، وَيَصِلُهُ بِعِنايَتِهِ التى تقيِّدُ الهَمَّ وتؤيِّدُ الهِمَّةَ ، ويجعله حيثُ كانَ للفقراءِ نعمةً وبينَ الناسِ رَحمةً ، والعلامةُ الشريفةُ أعلاه ، حجةً بمقتضاه .

الضربُ الخامس

(من أرباب الوظائف بالديار المصرية بالحضرة - أرباب الوظائف
العادية، وكلها تواقع)

وهي على طبقات :

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع النصف بالمجلس العالي ، وهو رئيس الأطباء
المتحدث عليهم في الإذن في التطبب والعلاج والمنع من ذلك
وما يجري هذا المجرى)

وهذه نسخة توقيع برياسة الطب ، وهي :

الحمد لله مؤتي الحكمة من يشاء من عباده ، ومُعطي أمانة الأرواح من ترقى
في حفظها إلى رتبة اجتهاده ، وجاعل علم الأبدان أحد قسمي العلم المطلق في حالي
اجتماعه وانفراده ، وموفق من جعل نُصح خلق الله فيه سبباً لسعادة دُنياه وذخيرة
صالحه ليوم معاده ، ومبلغ من كان [دائماً] في إعانة البرية على طاعة ربها بدوام الصحة
غاية مرامه وأقصى مراده ، ورافع رتبة من دلّ اختياره واختباره على وفور علمه
ونجح علاجه وإصابة رأيه وسداده .

نحمده على نعمه التي خصت بنعمنا من كُمل في نوعه وفضله وحسن في علمه
وعمله قوله وفعله ، وجمع من أمانة وظيفته ومعرفته ما إذا جلس في أسنى مناصبها
قيل : هذا أهله .

(١) في الأصل "ومقلب يداوم الصحة" الخ تأمل .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشْرِقُ البصائر، بأضوائها،
 وتُفْرِقُ الضمائر،^(١) باخلاصها من أدوائها، وتُغْدِقُ بِمِنْهَا أنواء التوفيق فتتأرجح
 رياض الإيمان بين روائها وإروائها. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أنارت
 ملته، فلم تخف على ذى نظر، وعلت أدلته، فلم ينلها من فى باع رويته قصر،
 وبهرت معجزاته فلو حاولت الأنفاس حصرها أفنانها العي والحصر؛ صلى الله عليه
 وعلى آله وصحبه الذين كانوا لأدواء القلوب علاجا، ولسلسيل الإيمان مزاجا،
 وللبصائر السائرة فى دجى الشبهات سراجا، صلاة دائمة الإقامه، متصلة الدوام إلى
 يوم القيامة؛ وسلم تسليما كثيرا.

وبعد : فإن صناعة الطب علم موضوعها حفظ الأبدان النفيسه ، ومقصودها
 إعانة الطبيعة على حماية الأعضاء الرئيسه ؛ ومدارها الأعم ، على معرفة العوارض
 وأسبابها ، ومدركها الأتم ، الوقوع على الصواب فى معرفة الجسوم وأوصافها ؛ وحينئذ
 تتفاوت رتب أهلها عند تشعب مداركها ، واختلاف مسالكها ؛ وتشابه عللها ،
 والتباس صوابها بخللها ؛ إذ لا يميز ذلك حق تمييزه إلا من طال فى العلم بتجره ،
 وحسن فى رتب هذا الفن تصدده ؛ وطابق بين نقله وعلاجه ، وعرف حقيقة كل
 مرتكب من الأدوية ومفرد بعينه وأسمه وصفته ومزاجه ؛ وتكررت عليه الوقائع
 فعرفها دربة وأحكمها تقلا ، ولقب بشرعة التقوى إذ كان الإقدام على النفوس
 قبل تحقق الداء والدواء مذموما شرعا وعقلا ؛ ولذلك تحتاج إلى رئيس ينعم
 فى مصالحتها نظره ، ويجهل فى منافعها وردده وصدده ؛ ويعتبر أحوال أهلها بمعيار
 فضله ، ويلزم الداخل فيها ببلوغ الحد الذى لا بد منه بين أرباب هذا الشأن

(١) من أفرق المريض والمحوم برأ .

وأهله ، ويعرف لأكابر هذا الفن قدر ما منحهم الله من علم وعمل ، وينسب رجاء المبتدئ إذا تكل نفسه حتى لا يكون له فيها بغير كمال الاستحقاق طمع ولا أمل .

ولما كان المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الحكيم ، فلان الدين : هو الذى بلغ من العلم غاية مراده ، وأحتوى من هذا الشأن على ما جمع به رتب الفاضلين فيه على أفراده ؛ فلو عاصره «الرئيس» لاعتمد عليه فى كليات قانونه ، أو «الراى» لعلم أن «حاويه» من بعض فنونه ؛ قد حلب هذا العلم أشطره ، وأكمل قراءة هذا الفن رموزه وأسطره ؛ وحل أسرار الغامضه ، وأرتوى من سحب رموزه بأنواء لم يشم غير فكره بروقها الوامضه ؛ وأسلف من خدمة أبوابنا العالیه سفرا وحضرا ما اقتضى له مزية شكره ، وتقاضى له مزيد التنبيه على قدره والتنويه بذكره ؛ وحمد فيه الفريدان : صحة نقله وإصابة فكره ، وعلم أنه جامع علوم هذه الصناعة فلا يشد منها شىء عن خاطره ولا يغيب منها نقل عن ذكره .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لزال شهاب فضله لامعا ، وسحاب بره هامعا - أن يكون فلان متولى رئاسة الأطباء بالديار المصرية على عادة من تقدمه .

فليباشر هذه الرياسة ناظرا فى مصالحها ، مطمعا من شهاب فضله ما يزين أفقها زينة السماء بمصابيحها ؛ متفقدا أحوال مباشريها ، متمسحا أحوال المستقل بأعبائها والداخل فيها ؛ سالكا فى ذلك سبيل من تقدمه من رؤسائها ، حاكما فى أمورها بما جرت به العادة المستقرة بين أكابرها وعلمائها ؛ مطارحا من قدمت هجرته فيها بما يقتضى له مراجعة أصوله ، ملزما من ظهر قصوره فيها بالتدرب إلى حد لا يقع منه بدون حصوله ؛ مجيبا فى الإذن لمن أظهر الاستحقاق صدق ما ادعاه ، قابلا فى الثبوت من مشايخ هذه الصناعة من لا يشهد إلا بما علمه ولا يخرج من التدرب

إلا بما رآه ووعاه؛ متحرّياً في الثبوت لدينه، آذناً بعد ذلك في التصرف إن ترقى علمه باستحقاقه إلى رتبة تعيينه؛ وليعط هذه الوظيفة حقها من تقديم المبرزين في علمها، وتكريم من منحه الله درجتى تقاها وفهمها، وتعليم من ليس عليه من أدواتها المعتبرة غير وسمها وأسمها؛ ومنع من يتطرق من الطرقية إلى معالجه وهو عارٍ من ردائها، وكف يد من يتهم على النفوس فيما غمض من أدائها قبل تحقق دوائها؛ وأعتبر التقوى فيمن يتصدى لهذه الوظيفة فإنها أحد أركانها، واختيار الأمانة فيمن يصلح للإطلاع على الأعضاء التي لولا الضرورة المبيحة حرم الوقوف على مكانها؛ وليكن في ذلك جميعه مجانباً للهوى، ناوياً نفع الناس وإنما لأمرى مانوى؛ والله تعالى يحقق له الأمل، ويسدده في القول والعمل؛ بمنه وكرمه!

قلت : وربما أفتتح توقيعها بـ «أما بعد حمد الله» .

وهذه نسخة توقيع برياسة الطب، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، كتبت بها لـ «شهاب الدين الحكيم» في المحرم سنة تسع وسبعائة، وهي :

أما بعد حمد الله حاسم أدواء القلوب بطائف حكته، وقاسم أنواع العلوم بين من كل استعدادهم لقبول ما اقتضته حكمة قسمة؛ وجاعل لباس العافية من نعمه التي هي بعد الإيمان أفضل ما أفاض على العبد من بره وأسبغ عليه من نعمته، والمنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته؛ ومقرب مانأى من الفضائل على من أسرى إليها على مطايا عزمه وسرى لتحصيها على جياذ همته، ومأمهم آرائنا بتفويض أمانة الأرواح إلى من أنفق في خدمة الطبيعة أيام عمره فكان بلوغ الغاية في علمها نتيجة خدمته؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي شرح الله بالهدى صدور أمته، وخصه منهم بأعلام كل علم وأئمة، وجلاً

بيقين ملته عن كل قلب ماران عليه من الشك وعظمته، وعلى آله وصحبه الذين حمّاهم من الزيف والزلل ما فجر الهدى لهم من جوامع الكلم وأفاض التقي عليهم من أنوار عصمته - فإن أولى الأمور أن يعتمد فيها على طبيعتها الخيرة، ويصان جوهرها عن عرض العرض على غير ناقدها البصير؛ وتحمي مواردها عمن لم يعرف كيف يحتب مواقع التكدير، وترفع كواكبها عمن لم تدرك أفكاره دقائق الحوادث وحقائق التأثير - أمر صناعة الطب التي موضوعها الأبدان القائمة بالعبادة، والأجسام القائمة بما يتعاقب عليها من الحوادث والزيادة؛ والنفوس التي ما عنها إن حصل فيها التفريط بدل ولا عوض، والأرواح التي إن عرض الفناء لجوهرها فلا بقاء بعده للعرض؛ والطبيعة التي إن خدمت على ما يحب نهضت على ما يجب بالصحة حق النهوض، والأمرجة التي إن نفرت لعدم التأني في سياستها أعجزت من يروض.

ولذلك تفتقر على كثرة أربابها، وتحتاج مع غزارة المتمسكين بأسبابها؛ وتضطّر وإن أندفعت الضرورات بكثرة متقنيها، وتشتوف وإن وجد الجم الغفير من المتلبسين بأدواتها والمتبحرين فيها - إلى الرئيس ينعم في اعتبار أكتافها النظر، ويدفع عن رتبها بتطرق غير أهلها الغير، ويعرف من أحوال مباشرها ما لا يكفي في خبرها الخبر؛ فلا يقبل إلا من علم مقدار علمه، ووثق مع الحفظ بصحة فهمه؛ ورضى عن خبره في الطب واجتهاده، وأعتبر منه كل نوع تحت أجناسه المتعددة على حدته وأنفرداه؛ وجاراه في كليات الفن فرآه في كل حلبة راقضا، وطارحه في فصول العلم فوجده بحمل أعباء ما تفرع منها ناهضا؛ واختبر دربه فوجدها موافقة لتحصيله، مطابقة لما حواه من إجمال كل فن وتفصيله؛ وتبع مواقع دينه فوجدها متينة، ومواضع أمانته فألفاها مكيته، وأسباب شفقتة ونصحه فعرف أنها على ما جمع من الأدوات الكاملة معينه؛ ويتعين أن يكون هذا «الرئيس» في أوامره،

و «الرازى» فى زمانه ، و «الفارابى» فى كونه أصلاً تَنَفَّرُ فنونُ الحِكم من أفنائه ؛
عِلاجُهُ شفاءً حَاضِرًا ، وكلامُهُ نِجاةً من كلِّ خَطَرٍ مُخَامِرٍ ؛ وتديبُهُ للصِحَّةِ تَقْوِيمٌ ،
وتصَفُّحُهُ تَتَقَيَّفُ لعلماء الصِّناعة وتَسْلِيمٌ ، ودُرُوسُهُ ذِخَائِرٌ يُنْفِقُ من جواهر حِكْمِهَا
كُلَّ حَكِيمٍ .

ولما كان المجلس العالى الصِّدْرِىّ ، الشَّهابىّ : هو المراد بالتعيين لهذه الوظيفة ،
والمقصود بما أُشير إليه فى استحقاق هذه الرتبة من عبارة صريحة أو كناية لطيفة ؛
وأنه جمع من أدوات هذا الفن ما أَفْتَرَقَ ، وَأَحْتَوَى على أُصُولِهِ وفُرُوعِهِ فاجتمعت
على أولوياته الطوائفُ وَأَتَّفَقَتْ على تفضيله الفِرَقَ ؛ فلو عاصره «أبقراط» لقضى له
فى شرح فُصوله بالتَّقديمه ، ولو أدرك «جالينوس» لأقتدى فى العلاج بما علمه ؛ مع
مباشرة أَلْفَتْ بين الصِّحَّةِ والنَّفوسِ ، وملاطفة أشرقت مواقعُ البُرءِ بها فى الأجساد
إشراقَ الشُّموسِ ؛ وأَطَّلَعَ يَعْرِفُ به مبلغ ما عند كلِّ متصدِّ لهذه الصناعة من
العلم ، وتَجَرَّ فى الفنون لا يُسَلِّمُ به لأحدٍ دَعْوَى الأهلية إلا بعد حرب جدالٍ هو
فى الحقيقة عينُ السَّلْمِ - فُرِسِمَ بالأمر العالى أن يستقر فلانٌ فى رياسة الأطباء
الطبائعيَّة بالديار المصرية والشام المحروس ، على عادته وعادة مَنْ تقدَّمه فى ذلك ،
ويكون مستقلاً فيها بمفرده .

فليُنظَرُ فى أمر هذه الطائفة نظراً تبرأ به الذمَّة ، ويحصل به على رضا الله تعالى
ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم فى الشَّفَقَةِ على الأُمَّة ؛ ويعطى به الصناعة حقَّها ،
ويُطابِقُ من يد من تطاول إليها بغير أهلية رِقَّها ؛ ويصون النفوس من إقدام من
تقدَّم بغير خبرة كاملة عليها ، ويُدبُّ عن الأرواح تطرُق من يتطرَّق بغير معرفة
وافرة إليها ؛ فإنَّ فارطَ التفريط فى النفوس قلَّ أن يُستدرك ، ومن لم تجتمع فيه

(١) لعل الأنسب "وكلاءته" .

أدوات المعرفة التامة والدين فما ينبغي له أن يدخل في المعالجة قبل الكمال وإن دخل فلا يُترك ، فإن من لازم صلاح الأرواح صلاح الأجساد ، وإن الداء الذي لا دواء له أن تكون العلة في وادٍ والمعالجة في وادٍ ، فلا يقبل في التركيبة إلا من يثق بدينه كوثوقه بعلمه ، ولا يُصرف أحداً في هذه الصناعة إلا الذين زكّت أعمالهم قبل التركيبة ، وليشفعها بالامتحانات التي تُسفر وجوه الوثوق بالأهلية عن ألم دقائقها المنكية ، فإن العيان شاهد لنفسه ، ومن لم تنفعه شهادة فعله في يومه لم ينفعه غيره في أمسه ، ولا يمض فيها حكماً قبل استكمال نصاب الشهادة ، وقبل التثبت بعد كمالها : فإن المعالجة محاربة للداء والموت بجهالة المحارب له شهادته ؛ وليأمر من أُلحى إلى معالجة مرض لا يعرفه بمتابعة من هو أوفق منه بالتقديم ، ومراجعة من هو أعلم منه به : فإن الحوادث قد تختلف (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَالِمٌ) . وملاك الأمور تقوى الله فليجعلها حجته فيما بين الله وبينه ، والافتقار إلى توفيقه فليصرف إلى ذلك قلبه وعينه ، والخير يكون إن شاء الله تعالى .



وهذه وصية متطبب طبائعي ، أوردتها في "التعريف" قال :

وليتعرف أولاً حقيقة المرض بأسبابه وعلاماته ، ويستقص أعراض المريض قبل مداواته ، ثم ينظر إلى السن والفصل والبلد ؛ ثم إذا عرف حقيقة المرض ، وقدر ما يحتمله المزاج من الدواء لما عرّض ؛ يشرع في تخفيف الحاصل ، وقطع الواصل ، مع حفظ القوى . ولا يهاجم الداء ، ولا يستغرب الدواء ؛ ولا يقدم على الأبدان إلا بما يلائمها ، ولا يبعد الشبه ، ولا يخرج عن جادة الأطباء ولو ظن

(١) لعله سفر عن وجوه الوثوق بالأهلية لتمام دقائقها الخ . تأمل .

الإصابة حتى يقوى لديه الظن ويتبصر فيه برأى أمثاله . ولتجنب الدواء ، ما أمكنه المعالجة بالغذاء ، والمركب ، ما أمكنه المعالجة بالمفرد ، وإياه والقياس إلا ما صح بتجريب غيره في مثل مزاج من أخذ في علاجه ، وما عرض له ، وسنه ، وفصله ، وبلده ، ودرجة الدواء . وليحذر من التجربة ، فقد قال أبقراط وهو رأس القوم : إنها خطر . ثم إذا اضطر إلى وصف دواء صالح للعلة نظر إلى ما فيه من المنافاة وإن قلت ، وتحيل لإصلاحه بوصف يصلح معه ، مع الاحتراز في وصف المقادير والكميات والكيفيات ، في الاستعمال والأوقات ، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر عنه . ولا يأمر باستعمال دواء ، ولا ما يستغرب من غذاء ، حتى يحقق حقيقته ، ويعرف جديده من عتيقه : ليعرف مقدار قوته في الفعل . ولعلم أن الانسان هو بنية الله وملعون من هدمها ، وأن الطبيعة مكافية وبؤسى لمن ظلمها ، وقد سلم الأرواح وهي وديعة الله في هذه الأجسام ، [فليحفظها وليتق الله ففى ذلك جميع الأقسام] وإياه ثم إياه أن يصف دواءً ثم [يكون هو الذى] يأتي به ، أو يكون هو الذى يدل عليه ، أو المتولى لمناولته للمريض ليستعمله بين يديه ، وفي هذا كله لله المننة ولنا إذ هديناه له وأرشدناه إليه .



(٢) وهذه نسخة توقيع برياسة الكمالين .

(١) الزيادة عن "التعريف" ص ١٣٩ .

(٢) بياض بالأصل .

الضرب السادس
(من أرباب الوظائف بالديار المصرية)

زعماء أهل الذمة

ويكتب لجميعهم تواقع في قطع الثلث بألقابهم السابقة مفتحة بـ «أما بعد
حمد الله» .

ويشتمل هذا الضرب على ثلاث وظائف :

الوظيفة الأولى
(رأسه اليهود)

وموضوعها التحدث على جماعة اليهود والحكم عليهم، والقضاء بينهم على مقتضى
دينهم وغير ذلك .

وقد تقدم في الكلام على النحل والملل أن الموجودين من اليهود ثلاث طوائف :
وهم الربانيون، والقراءون، والسامرة . وقد جرت العادة أن يكون الرئيس من
طائفة الربانيين دون غيرهم، وهو يحكم على الطوائف الثلاث .

وهذه نسخة توقيع براسة اليهود، من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر،
وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل ألطاف هذه الدولة القاهرة تصطنني لذمتها من
اليهود رئيساً فرئيساً، وتختار لقومها كما اختار من قومه موسى، وتبهج لهم نفوساً
كلما قدمت عليهم نفيساً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي، والرسول
الذي أجمل الوصية بالملئ والذمي؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما هطل وبلى،

وما نزل وسمى - فإنَّ معدلة هذه الدولة تكتنف المآل والنجل بالأحياط ، وتعمهم من إنصافها وإسعافها بأوفر الأنصاء وأوفى الأقساط ؛ وتلمهم من حادث الزمن إذا اشتط ومن صرفه إذا شاط ، وتضمهم كما ضمت النبوة إلى جناح النبوة الأسباب ؛ لا تزال ترقب الإل والذمه ، فى المسلمين وأهل الذمه ، وتقضى لهم بحسن الخيرة ورعاية الحرمه ، وتبيحهم من أمر دينهم ما عليه عوهدوا ، وتمنحهم من ذلك ما عليه عوقدوا ؛ وتحفظ نواميسهم بأخبار محمد موادهم إذا شوفوها وتحسن مرآهم إذا شوهدوا : من كل إسرائيل أجمل للتوراة الدراسه ، وأحسن لأسفار أنبيائه أقباسه وأجمل آتماسه ، ومن نبهته نباهته للتقدمه فطعم أجهاده يوماً حتى صار وجهه الوجاهة فى قومه ورأس الرأسه ؛ فأصبح معدوم النظر ، معدوداً منهم بكثير ، وموصوفاً بأنه فى شرح أسفار عبرانية حسن التفسير ؛ وأستحق من بين شيعته أن يكون رأس الكهنه ، وأن تصيح القلوب فى مجامعهم بحسن منطقهم مرتنه ، وبان للجهالة بتثقيفه لشييعته تحجب عقائدهم عن أن تغدو ممتهنه .

ولما كان فلان هو لمحاسن هذا التقريظ بهجه ، ولجسد هذا التفويض مهجه ، ولما دح هذا الثناء العريض لهجه ؛ ولعين هذا التعيين عمضها ، وليد هذه الأيادى بسطها وقبضها ؛ ولأبكار أفكار هذه الأوصاف متقاضيا ومقتضيا ، ومن أدنيت قطاف النعماء أيد تقدمته «على غيظ من غص منها» وأجتنى غضها - أقتضى حسن رأى الشريف أن يميز على أبناء جنسه حق التمييز ، وأن يجازله من التنويه والتنويل أجل ما جيز .

ورسم بالأمر الشريف - لزال يختار فيجمل الاختيار ، ويغدو كالغيث الذى يعم بنفعه الربا والوهاد والأثمار والأشجار - أن تقوض إليه راسة اليهود على

أختلافهم : من الربانيين ، والقرائين ، والسامرة بالديار المصرية حماها الله وكلاهما .
فليجعل أسبابهم بالتقوى تقوى ، وغر وسهم بالتدبير لا تدوى ؛ ومقاصدهم لا يمازجها
شك ولا شكوى ، ولينزل عليهم منّا منّا يسليهم صنعا حتى لا يفارقوا المن والسلى ؛
وليتق الله فيما يدره ويأتيه ، ويحسن في اجتلاب القلوب واختلاجاته ؛ وإياه
والتيه حتى لا يقال : كأنه بعد لم يخرج من التيه .

وجماعة الربانيين فهم الشعب الأكبر ، والحزب الأكبر ؛ فعاملهم بالرفق
الأجدى والسر الأجدر ، ولكونك منهم لا تمل معهم على غيرهم فيما به من النفس
الأمارة تؤمر .

وجماعة القرائين فهم المعروفون في هذه الملة ، بملازمة الأدلة ، والاحتراز في أمر
الأهله ، فانصب لأمرهم من لم يتولّه حين يتولّه ؛ ومن كان منهم له معتقد فلا يخرج
عن ذلك ولا يخرج ، ولا يلجم منهم بلجام من نار إنكار من في ليلة سبته [بيته]
عليه لا يسرج .

والسامرة فهم الشعب الذين آذن التنظيف أهله بجروبه ، ولم يك أحدهم
لمطعم لكم ولا مشرب بأكوله ولا شروبه ؛ فمن قدرت على رده بدليل من
مذهبه في شروق كل بحيث وغروبه ، فاردده من منهج تحيده عن ذلك وهروبه ،
وإلا فقل له : ياسامري بصرت بما لم تبصروا به . ولتكن تستكمل فيهم بالبت ،
وأرفق بهم فإن "المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى" فإياك أن تكون ذلك
المنبت ، ومهم بملازمة قوانينهم كيلا يعدوا أحد منهم في السب ؛ وأجعل أمور
عقودهم مستتبه ، وأحسن التحري والتحرير لهم في إتقان كل كتبه ؛ ولا تختل إلا
الأعيان ، من كل خزان وديان ؛ ومن كان له من داود عليه السلام لومة نيب ،

وله به حُرْمَةٌ نِسَبٌ ، فَارْعَ لَهُ حَقَّهُ ، وَأَصْحِبْهُ مِنَ الرَّفْقِ أَوْ كَرَمِ رُفْقِهِ . وَالْجُزْيَةُ فَهِيَ
لِدِمَائِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِصْمَةٌ ، وَعَلَى دِفَاعِهَا لِادْفَاعِهَا وَصَمَهُ ، وَلَا أَجْلَهَا وَرَدَ : « مَنْ آذَى
ذِمِّيًّا كُنْتُ خَصْمَهُ » ، وَهِيَ أَلْمٌ مِنَ السِّيفِ إِجَارَهُ ، وَهِيَ أَجْرَةٌ سُكْنَى دَارِ الْإِسْلَامِ
كَمَا هِيَ لِاسْتِحْقَاقِ الْمَنْفَعَةِ بِهَا إِجَارَهُ ، فَأَدُّوْهَا ، وَبِهَا نَفُوسُكُمْ فَأَدُّوْهَا ، ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ، فَعُدُّوا أَلطَافَ اللَّهِ بِهَا وَلَا تَعُدُّوْهَا ، وَدَاوِمٌ عَلَى مَهْ ، زَجْرًا
لِتَارِكِ عَلامِهِ ، وَمَنْ قَصَدَ مِنْهَا خَلاصَهُ ، فَقُلْ لَهُ فِي الْمَلَأِ : مَاذَا خَلاصُهُ ، وَمَنْ رَكَنَ
فِي أَمْرِهَا إِلَى الْإِخْلَادِ وَالْإِخْلَالِ ، وَسَكَنَ إِلَى الْإِهْمَالِ ، وَلَمْ يَرْضَ بِأَنَّ رَايَةَ الذَّلَّةِ
الضَّفْرَاءَ عَلَى رَأْسِهِ تُسَالُ ، فَأَوْسَعَهُ إِنْكَارًا ، وَأَلْزَمَهُ مِنْهَا شِعَارًا ، وَإِنْ قَامَ بِنَصْرِهِ مِنْهُمْ
مَعَشَرَ خَشِنَ فَأَرِهِمْ بَعْدَ الْعَلامَةِ خُشْكَارًا ، وَخُدُّهُمْ بِتَجَنُّبِ الْغِشِّ الَّذِي هُوَ لِلْعَهْدِ
مَغْيِرٌ وَمَغْيِبٌ ، وَأَكْفُفْ مَنْ هُوَ بِمَا يُنَافِيهِ مَعِيْرٌ وَمَعِيْبٌ ، وَأَمَا مَنْ هُوَ مُجِيبٌ لَذَلِكَ
فَهُوَ لِقَصْدِهِ مُجِيبٌ ، وَانْقَلِ طِبَاعَهُمْ عَنِ ذَلِكَ وَإِنْ أَبَتْ عَنِ التَّنَاقُلِ فَأَنْتَ مَا تَتَلَوُ :
﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ . وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي تَتَعَاطَوْنَهُ مِنْ نَفْخِ فِي الْبُوقِ
إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَلْتُمْ لِلتَّنْدُكَارِ ، فَاجْتَهُدُوا أَنْ لَا يَكُونَ لَتَنْدُكَارِ الْعِجْلِ الْحَنِيدِ الَّذِي لَهُ
خُورٌ ، هَذِهِ وَصَايَا نَاكَ وَلَهُمْ فَقُلْ لَهُمْ : هَذِهِ مَوْهَبَةُ الدَّوْلَةِ وَإِحْسَانُهَا إِلَيْكُمْ ، وَأُطْفِئْهَا
بِكُمْ وَعَاطِقْهَا عَلَيْكُمْ ، وَبَصِّرْهُمْ بِذَلِكَ كَلِمًا تَلَا إِحْسَانُنَا إِلَيْهِمْ : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا
نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ .



وهذه نسخة توقيع برآسة اليهود أيضا :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى أَنْ جَعَلَ مُمْلَاحِظَةَ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ لِجَمِيعِ الْمَلَلِ نَاطِرَهُ ،
وَإِحْسَانُهَا لَا يُعْقَلُ مَصْلِحَةً لِأَوْلِي الْأَدْيَانِ غَائِبَةً وَلَا حَاضِرَةً ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ الَّذِي جَعَلَ ذِمَّتَهُ وَعَهْدَهُ وَفِيَّيْنِ لِكُلِّ نَسَمَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَكَافِرَةٍ - فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِمَا مَدَّ

رِوَاقِ عَدْلِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الشَّرِيفَةِ عَلَى كُلِّ مُعَاهِدٍ : مِنْ مَتَقَرِّبٍ وَمُتَبَاعِدٍ ، وَسَاوَى بَيْنَهُمْ فِي النَّظَرِ الَّذِي صَدَّقَ الرَّأْيَ وَصَدَّقَ الرَّائِدَ - أَقْتَضَى جَمِيلُهَا أَنْ يُسَمَّ لِكُلِّ مَنْ أَهْلُ الذِّمَّةِ أَوْ فَرُصِيبٍ ، وَأَنْ لَا يُقَالَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ الْإِجْحَافِ مَا يُرِيبُ ، وَأَنْ لَا تَكُونَ أُمُورُهُمْ مُضَاعَةً ، وَلَا تَعَبْدَاتُهُمْ مُرَاعَةً ، وَلَا شَرَائِعُهُمْ غَيْرَ مَصُونَةٍ ، وَلَا أَحْكَامُهُمْ عَارِيَةٌ [عَنْ] حُسْنِ مَعُونَةٍ ، وَكَانَتْ جَمَاعَةُ الْيَهُودِ وَإِنْ كَانُوا أَوْلَى عَنِّي ، وَصَدَّقَ النَّصَارَى فِيهِمْ وَصَدَّقُوا فِي النَّصَارَى مِنْ أَنْهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ ، لَا بَدَلَهُمْ مِنْ مَبَاشِيرٍ يَأْخُذُهُمْ بِالْأَمْرِ الْأَحْوَطِ ، وَالنَّامُوسِ الْأَضْبَطِ ، وَالْمَرَاسِمِ الَّتِي عَلَيْهِمْ تُشْرَطُ ، وَكَانَ الَّذِي يُخْتَارُ لِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَكُونَ إِلَّا مِنْ أَكْبَرِ الْكَهَنَةِ وَأَعْلَمِ الْأَحْبَارِ ، وَمَنْ عَرَفَ مِنْ دِينِهِمْ مَا لِأَجَلِهِ يُضْطَفَى وَلِثَلْثِهِ يُخْتَارُ ، وَمَنْ فِيهِ سِيَاسَةٌ تُحْجِزُهُ عَنِ الْمَضَارِّ ، وَتُحْجِبُهُ عَنِ الْإِسْتِنْفَارِ ، وَكَانَ فَلَانُ الرَّئِيسِ هُوَ الْمَتَمِيزُ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ عَلَى أُنْبَاءِ جَنْسِهِ ، وَلَهُ وَازِعٌ مِنْ نَفْسِهِ ، وَرَادِعٌ مِنْ حُسْنِ حَدْسِهِ ، وَخِدْمَةٌ فِي مَهَمَّاتِ الدَّوْلَةِ يَسْتَحِقُّ بِهَا الزِّيَادَةَ فِي أُنْسِهِ ، وَهُوَ مِنْ بَيْنِ جَمَاعَتِهِ مَشْهُورٌ بِالْوَجَاهَةِ ، مُوصَفٌ بِالنَّبَاهَةِ ، ذُو عِبْرَانِيَّةٍ حَسَنَةِ التَّعْبِيرِ ، وَدِرَاسَةٍ لِكُتُبِ أَهْلِ مِلَّتِهِ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ التَّغْيِيرِ - أَقْتَضَى جَمِيلُ الْأَخْتِصَاصِ الْمُنِيفِ ، أَنْ يُرْسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا يَرِحُ يَرْقُبُ إِلَّا وَالذِّمَّةَ ، وَيَرَعَى لِلْعَاهِدِينَ الْحُرْمَةَ - أَنْ تُفَوَّضَ إِلَيْهِ رَأْسَةُ الْيَهُودِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْقَرَّائِينَ وَالسَّامِرَةَ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَه .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ مَسْتَوْعِبًا أُمُورَهُمْ كُلَّهَا ، مَسْتَوْدَعًا دِقَّةَهَا وَجِلَّهَا ، مَبَاشِرًا مِنْ أَحْوَالِهِمْ مَا جَرَتْ عَادَةُ مِثْلِهِ مِنَ الرُّؤْسَاءِ أَنْ يَبَاشِرَ مِثْلَهَا ، غَيْرَ مَفْرَطٍ فِي ضَبْطِ نَامُوسٍ مِنْ نَوَامِيسِ الْمَمْلَكَةِ ، وَلَا مَغْفَلِ الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ إِلَى مَوَارِدِ الْهَلَكَةِ ، وَمَنْ فَعَلَ مَا يَقْضِي بِنَقْضِ عَهْدِهِ ، فَعَلِيهِ وَعَلَى مَسْتَحْسِنِهِ لَهُ مِنَ الْمَقَاتَلَةِ مَا يَتَعَطَّ بِهِ كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ

ذَلكَ من بَعْدِهِ ؛ بِحَيْثُ لا يُخْرِجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ فى كِنِيسَتِهِ ولا فى يَهُودِيَّتِهِ ولا فى مَنعِ
جَزِيَّتِهِ عنِ واجِبٍ مَعهودٍ ، ومن خالَفَ فوراءَ ذَلكَ منِ الادبِ ما تَقشَعِرُّ مِنْهُ الجُلُودُ ؛
وما جَعَلَهُم اللهُ ذِمَّةً لِلسالمينِ إِلا حَقنًا لِدِماءِهِمُ ، فلا يُجِها أَحَدٌ مِنْهُمْ فَتَجتمعَ لَهُ شِمانَةٌ
أهلِ الأديانِ منِ أعدائِهِمُ بأعدائِهِمُ - والوصايا كَثيرةٌ وإِنما هَذِهِ تُجَبِّها المَلخَصَةُ ،
وفِها منِ حسابِ الإحسانِ إِلَيْهِمُ ما تَعَدُّو بِهِ أَيامَ الإمهالِ لَهمُ مَمَحَصَةٌ ؛ واللهُ يوفِّقُهُ
فى كلِّ تَصَرُّفٍ مَرغُوبٍ ، وتأفَّفَ منِ مثلهِ مَطْلُوبٍ ؛ بِمَنه وكرَمه ! .



وهذه وصية لرئيس اليهود أوردتها في "التعريف" وهي :

وعليه بضم جماعته ، ولم شملهم باستطاعته ؛ والحكم فيهم على قواعد ملته ، وعوائد
أمتيه ، فى الحكم إذا وضح له بأدلته ؛ وعقود الأئكة وخواص ما يعتبر عندهم فيها
على الإطلاق ، وما يُفتقرُ فيها إلى الرضا من الجانبين فى العقد والطلاق ؛ وفيمن
أوجب عنده حكم دينه عليه التحريم ، وأوجب عليه الأتقياد إلى التحكيم ؛ وما أَدعوا
فيه التواتر من الأخبار ، والتظافر على العمل به مما لم يوجد فيه نص وأجمعت عليه
الأخبار ؛ والتوجه تلقاء بيت المقدس إلى جهة قبلتهم ؛ ومكان تعبد أهل ملته ؛
والعمل فى هذا جميعه [بما شرعه موسى الكليم ، والوقوف معه ^(١)] إذا ثبت أنه
فعل ذلك النبى الكريم ؛ وإقامة حدود التوراة على ما أنزل الله من غير تحريف ،
ولا تبديل كلمة بتأويل ولا تصريف ؛ وأتباع ما أعطوا عليه العهد ، وشدوا عليه
العقد ؛ وأبقوا فيه دماءهم ، ووقوا به دماءهم ؛ وما كانت تحكم به الأنبياء والرَّبَّانيون ،
ويُسلَّمُ إليه الإسلاميون منهم ويعبر عنه العبرانيون ؛ كلُّ هذا مع إلزامه لهم بما يلزمهم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٣ وهي لازمة لاستقامة الكلام .

من حُكْم أمثالهم أهلِ الذمَّة الذين أقرُّوا في هذه الديار، ووقاية أنفسهم بالخضوع والصَّغار، ومدَّ رؤوسهم بالإذعان لأهلِ مِلَّة الإسلام، وعدم مضايقتهم في الطُّرُق وحيثُ يحصل الالتباس بهم في الحِمَام؛ وحمل شعار الذمَّة الذي جعل لهم حِلْيَةَ العِلم، وعقد على رؤوسهم حِمَظِهِمْ عَقْد التَّمائم؛ وليعلم أنَّ شعارهم الأصفر، موجب لثلاث أراق دُمهم الأحمر؛ وأنهم تحت علم علامته آمنون، وفي دعة أصائله ساكنون؛ وليأخذهم بتجديد صبغته في كلِّ حين، وليأمرهم بملازمته ملازمة لا تزال علامتها على رؤوسهم تبيِّن؛ وعدم التظاهر بما يقتضى المناقضة، أو يفهم منه المعارضة، أو يدع فيه غير السِّيف وهو إذا كَلَّمَ شديد العارضة؛ وله ترتيب طبقات أهلِ ملته من الأحرار فمن دونهم على قدر استحقاقهم، وعلى ما لا يخرج عنه كلمة اتِّفاقهم؛ وكذلك له الحديث في جميع كنائس اليهود المستمرة إلى الآن، المستقرة بأيديهم من حين عقد عهد الذمَّة ثم ما تأكَّد بعده أطول الزمان؛ من غير تجديد متجدد، ولا إحداث قدر متريِّد؛ ولا فعلٍ شيء مما لم تُعقد عليه الذمَّة، ويُقر عليهم سلفهم الأوَّل سلف هذه الأمة، وفي هذا كفاية وتقوى الله وخوف أسنان رأس هذه الأمور المهمَّة .



[وصية رئيس السامرة^(١)]:

ولا يعجز عن لمَّ شعث طائفته مع قلتهم، وتأمين سربهم الذي لو لم يؤمنوا فيه لأكلهم الذئب لذلتهم؛ وليصن بحسن السلوك دماءهم التي كأنما صبغت عمائمهم الحمر منها بماطل، وأوقد لهم منها النار الحمراء فلم يتقوها إلا بالذل؛ وليعلم أنهم شعبة من اليهود لا يخالفونهم في أصل المعتقد، ولا في شيء يخرج عن قواعد دينهم لمن

(١) لم يعنون في الأصل وزدناه من "التعريف" ص ١٤٤ .

أنتقد؛ ولولا هذا لما عدوا في أهل الكتاب، ولا قنح منهم إلا بالإسلام أو ضرب
الرقاب؛ فليبن على هذا الأساس، [وليبنى قومه أنهم منهم وإنما الناس أجناس] ^(١)
وليلترم من فروع دينه مالا يخالف فيه إلا بأن يقول لا مساس؛ وإذا كان كما يقول:
إنه كهرون عليه السلام فليلترم الجدد، وليقم من شرط الذمة بما يقيم به طول المدد؛
وليتمسك بالموسوية من غير تبديل، ولا تحريف في كلم ولا تأويل؛ وليحص عمله
فإنه عليه مسطور، وليقف عند حدّه ولا يتعدّ طوره في الطور؛ وليحكم في طائفته
وفى أنكحتهم ومواريتهم وكأئديهم القديمة المعقود عليها بما هو في عقد دينه،
وسبب لتوطيد قواعده في هذه الرتبة التي بلغها وتوطينه.

الوظيفة الثانية

(بَطْرِكِيَّةُ النَّصَارَى الْمَلِكِيَّةِ، وَهِيَ أَقْدَمُ مِنَ الْيَعَاقِبَةِ)

وقد تقدم في الكلام على النحل والملل أنهم أتباع ملكا الذى ظهر قديما ببلاد
الروم، وأن الروم والفرنج كلهم أتباعه، وبالديار المصرية منهم النزر اليسير، ولهم
بطرك يخصهم.

وهذه نسخة توقيع لبطرك الملكية:

أما بعد حمد الله منوع الإحسان، لأولى الأديان، ومؤصله ومفرعه لكل طائفة
ولكل إنسان، والصلاة على سيدنا محمد الذى أباد الله به من أباد وأبان من عهده
وذمته من أبان - فإن الطائفة الملكية من النصارى لما كانت لهم السابقة في دينهم،
ولهم أصل الراسة والنفاسة في تعيينهم؛ وما برحت لهم في الكلاءة والحفظ قدم

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٤.

السابقة، ورُبَّةٌ بملوكهم الرومانية سامية، وما زالت لهم خِدمُ الدول إلى أغراضها
مُتساويةً ومُتساويةً؛ ولهم جوارٌ مشكور، وتبئُلٌ مشهور، وعليهم وصايا من الملوك
في كل وُرودٍ وُصُدورٍ؛ ولهم من نُفوسهم مزايا تستوجب احترامهم، وتستدعى
إكرامهم؛ وكان لا بد لهم من بطريكٍ يلاحظ أحوالهم أتمَّ الملاحظ، ويستدعى
لهم من الدولة أعظمَ محافظه؛ ويحفظ نواميس قبيلهم، ويحسن دراسة أناجيلهم؛
ويعرفهم قواعد معتقداتهم، ويأخذهم بالدعاء لهذه الدولة القاهرة في جميع صلواتهم؛
ويجمعهم على سداد، ويفرقهم على مراد. وكان البطريرك فلان هو المتفق بين
طائفته على تعيينه، والجمع على إظهار استحقيقه وتعيينه؛ والذي له مزايا لو كان
فيه واحدةٌ منها لكفته في التأهيل، ورفعته إلى منصبه الجليل. فلذلك رسم... -
لابرح يعطى كل أحد قسطه، ويدخل كل أبوابه ساجداً وقائلاً حطه - أن يباشِر
بطريركية النصارى الملكية على عادة من تقدمه من البطاركة السالفة بهذه الدولة.

فليحط أمورها الجزئية والكلية، والظاهرة والخفية؛ وليأخذهم بما يلزمهم من
قوانين شرعهم، وكل ما يريدون من حُسن سُمعهم؛ وأما الديرة والبيع والكنائس
التي للملكية فمرجعها إلى صونه، وأمرها مردودٌ إلى جميل إعانتة وعونه؛ والأساقفة
والرهبان فهم سواد عين معتقده؛ وخلاصة منتقده؛ فلا يُخجلهم من تجليل، وحُسن
تأهيل؛ وتتقدم إلى من بالثغور من جماعتك بأن لا يدخل أحد منهم في أمر موبق،
ولا في مُشكل موبق؛ ولا يميلون كل الميل إلى غريب من جنسهم، وليكن الحذر
لغدهم من يومهم وليومهم من أمسهم؛ ولا يُثسا كلون رسولا يرد، ولا قاصداً يفد؛
وطريق السلامة أولى مأسلك، ومن ترك الدخول فيما لا يعنيه ترك؛ هذه جملة من
الوصية لامعة أفلح وأهتدى من بها استنار، ورشد من لها استشار؛ والله يوفقك
في كل مقصد تروم، ويجعلك بهذه الوصايا تقول وتقوم.



وهذه وصية لبَطْرِكَ الْمَلِكِيَّةِ أوردتها في "التعريف" وهي :

وهو كبير أهل ملته ، والحاكم عليهم ما أمتد في مدته ، وإليه مرجعهم في التحريم والتحليل ، وفي الحكم بينهم بما أنزل في التوراة ولم ينسخ في الإنجيل ، وشريعته مبنية على المسامحة والاحتمال ، والصبر على الأذى وعدم الإكثار به والاحتفال ، نخذ نفسك في الأول بهذه الآداب ، وأعلم بأنك في المدخل إلى شريعتك طريق إلى الباب ، فتخلق من الأخلاق بكل جميل ، ولا تستكثر من متاع الدنيا فإنه قليل ، وليقدم المصالحة بين المتحاكمين إليه قبل الفصل البت فإن الصلح كما يقال سيد الأحكام ، وهو قاعدة دينه المسيحي ولم تخالف فيه المحمديّة الغراء دين الإسلام ، ولينظف صدور إخوانه من الغل ولا يقنع بما ينظفه ماء المعمودية من الأجسام ، وإليه أمر الكنائس والبيع ، وهو رأس جماعته والكل له تبع ، وإياه أن يتخذها له تجارة مريحه ، أو يقتطع بها مال نصراني يقربه فإنه ما يكون قد قربه إلى المذبح وإنما ذبحه ، وكذلك الديارات وكل عمر^(١) ، والقلالي فيتعين عليه أن يتفقد فيها كل أمر ، وليجتهد في إجراء أمورها على ما فيه رفع الشبهات ، وليعلم أنهم إنما اعتزلوا فيها للتعبد فلا يدعها تتخذ منزهات ، فهم إنما أحدثوا هذه الرهبانية للتقل في هذه الدنيا والتعفف عن الفروج ، وحبسوا فيها أنفسهم حتى إن أكثرهم إذا دخل فيها ما يعود يبق له خروج ، فليحذرهم من عملها مصيده للسال ، أو خلوة له ولكن بالنساء حراما ويكون إنما تنزه عن الحلال ، وإياه ثم إياه أن يؤوى إليها من الغرباء القادمين عليه من يريب ، أو يكتم عن الإنهاء إلينا مشكل أمر ورد عليه من

(١) هو بالضم المسجد والبيعة "قاموس".

(١)
بعيد أو قريب ، [ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب يرد عليه من أحد من المملوك ،]
ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المشي على مثل هذا السلوك ، ولتجنب البحر
وإياه من اقتحامه فإنه يغرق ، أو تلقى ما يلقيه إليه جناح غراب فإنه بالبين
يتعق ، والتقوى مأمور بها أهل كل مله ، وكل موافق ومخالف في القبلة ، فليكن
عمله بها وفي الكفاية ما يغني عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .

الوظيفة الثالثة

(بطريكة اليعاقبة)

وقد تقدم في الكلام على النحل والملل الخلف في نسبتهم : فقيل إنهم أتباع
ديسقرس ، وأنه كان اسمه في الغلمانية يعقوب ، وقيل أتباع يعقوب البرذعاني ،
وقيل غير ذلك ، والأصح عند المؤرخين الأول . وبطركهم يحكم على طائفة اليعاقبة ،
وجميع نصارى الحبشة أتباعه ، وفي طاعته ملك الحبشة الأكبر ، وعنه تصدر
ولايته .

وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى اليعاقبة :

أما بعد حمد الله الذي أظهر دين الإسلام على الدين كله ، وأصدر أمور الشرائع
عن عقد شرعه وحله ، وصير حكم كل مله راجعاً إلى حكم عدله ، والشهادة له
بالوحدانية التي تدل على أنه الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد وليس شيء كمثلته ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أعظم أنبيائه وأكرم رسله ، وأشرف ولد آدم
ونسله ، المصطفى في علم الله من قبله ، ووساياته في التوراة من غرور الشيطان وخذله ،
والذي أطفأ الله بركته نار ممرود عن إبراهيم وجعلها برداً وسلاماً وأجله من أجله ،

وبَشَّرَ به عيسى بن مريم عبد الله وابن أمته وأقر موسى بن عمران كليم الله بفضله ،
وعلى آله الطيبين الطاهرين من فروع أصله ، وأصحابه سامعى قوله ، وتابى سببه -
فإن الله تعالى لما ارتضى الإسلام ديناً ، وأفضى بالملك إلينا وقضى لنا فى البسيطة
بسطةً وتمكيناً ، وأمضى أوامرنا المطاعة بشمول اليمن شمالاً ويمينا - لم نزل نولى
رعايانا الإحسان رعايةً وتوطينا ، ونُدِيم لأهل الذمة منا ذمّةً وتأمينا ، وكانت طائفةُ
النصارى اليعاقبة بالديار المصرية لهم من حين الفتح عهدٌ وذمامٌ ، ووصيةٌ سابقةٌ من
سيدنا رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ ولا بد من بطريك يرجعون إليه
فى الأحكام ، ويحتمعون عليه فى كل تقضى وإبرام .

ولما كانت الحضرة السامية الشيخ الرئيس ، المبجل ، المكرم ، الكافى ، المعزز ،
المفتخر ، القديس ، شمس الرأسة ، عماد بنى المعمودية ، كنز الطائفة الصليبية ،
أختيار الملوك والسلاطين ، فلان : وفقه الله ، هو الذى تجرد وترهب ، وأجهد روحه
وأتعب ، وصام عن المأكَل والمشرب ؛ وساح فأبعد ، ومنع جفنه لذيذ المرقد ،
ونفض فى خدمة طائفته وجد ، وخفض لهم الجناح وبسط الخد ، وكف عنهم
اليد ، وأستحق فيهم التيجيل لما تميز به عليهم من معرفة أحكام الإنجيل وتفرد -
أقتضى حسن رأى الشريف أن نلقى إليه أمر هذه الفرقة ونفوض ، ونبدلهم عن
بطريكتهم المتوقى ونعوض .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لابرحت مراسمه مطاعه ، ومرامحه لإنزال أهل
كرمها بيعتها مرعيةً غير مراعه - أن يقدم الشيخ شمس الرأسة المذكور على
الملة النصرانية اليعقوبية ، ويكون بطريكاً عليها ، على عادة من تقدمه وقاعدته
بالديار المصرية ، والثغور المحروسة ، والجهات التى عادت بها إلى آخر وقت .

(١) أى غير مفزعة ولم يذكر القاموس ولا اللسان أراعه وإنما الفعل راعه ورّعه أى أفزعه .

فليسلك سبيل السّوا ، ولا يملك نفسه الهوى ، وليتمسك بخوف الله تعالى
 إن فعل أو نوى ، أو أخبر عن الحواريين أو روى ؛ فالعلم مراقب ، والعظيم
 معاقب ؛ والحكيم أمر أولى العقول بالفكرة في العواقب ، والحاكم غداً بحقوق الخلق
 غداً يطالب ؛ والظلم في كل ملة حرام والعدل واجب ، فليستوف الإنصاف بين القوي
 والضعيف والحاضر والغائب ؛ وليتقصد مصلحتهم وليعتمد نصيحتهم ، وليخص على
 ما يدينون به بيوغهم وفسوخهم ومواريتهم وأنكحتهم ؛ وليقمع غاويهم ، وليسمع
 دعاويهم ؛ وليلزّمهم من دينهم بما وجدوه ، فظنوه واعتقدوه ؛ وليتبع سبيل المعدلة
 فلا يعدو [ها] عائدة إليه أمور القسيسين والرهبان ، في جميع الديرة والكائس بسائر
 البلدان ، ولا يعترض عليه فيما هو راجع إليه من هذا الشأن . ولا يقدم منهم
 إلى رتبة إلا من استصلحه ، ولا يرح إلى منزلة إلا من رشحه إليها ورتبته ، متبعا
 في ذلك ما بينه له العدل وأوصحه ، مرتجع الرتبة ممن لم تكن الصدور لتقدمته
 منشرحه ، مجمعا لغيره في الإيراد والإصدار على اعتماد المصلحة ؛ وقد أوصحننا له ولهم
 سبيل النجاة فليقتفوه ، وعرفناهم بالصواب والخيرة لهم إن عرفوه ، وليسأل الله ربه
 السلامة فيما له يفعل وبه يفوه ؛ والعلامة الشريفة أعلاه .



وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى اليعاقبة ، كتبت به للشيخ المؤمن ، في شهر
 سنة أربع وستين وسبعائة ، وهي :

أما بعد حمد الله على نعمه التي نشت لواء دولتنا في الآفاق ، فأوى كل أحد
 إلى ظلّه ، وبسطت معدتنا في البلاد على الإطلاق ، ففتحنا الخاص والعام من ربنا
 بوابه وطلّه ، وأصطنعت بدمامها ملوك الملل وحكام الطوائف فنطقوا عن أمرنا

فى عَقْد كُلِّ امرٍ وحَلِّهِ ، والشهادةِ بوحدايَتِهِ التى تُنَجِّحُ أَمَلَ المَخْلِصِ فى قولِهِ وفِعْلِهِ ،
 وتَفْتَحُ لِمَن تَمَسَّكَ بِعُرْوَتِهَا أَبْوابَ النِّجاةِ فَيُصْبِحُ فى أَمَانٍ فى شَأْنِهِ كُلِّهِ ، والصلاةِ
 والسلامِ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عِبْدِهِ ورسولِهِ أَشْرَفِ الأنبياءِ قَدْرًا فى مُحْكَمِ الذِّكْرِ ونَقْلِهِ ،
 المبعوثِ رَحْمَةً للعالمينَ زِيادَةً فى رِفْعَةِ مقامِهِ وتَقْرِيرًا لفضيلِهِ ، المنعوتِ بالرأفةِ والرَّحمةِ
 فى مُحْكَمِ كِتَابِهِ الذى لا يَأْتِيهِ الباطلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ ولا من خَلْفِهِ ولم يَسْتَطِعْ أَحَدٌ
 أَنْ يَأْتِيَ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ؛ وعلى آلهِ وصَحْبِهِ الذينَ اتَّبَعُوا طَرِيقَتَهُ المِثْلُ وسَلَكُوا مَنَاهِجَ
 سُبُلِهِ ، وَعَقَدُوا الذَّمَّ لأهلِ المِلَلِ وَأَسْتَوْصَوْا بِهِمْ خَيْرًا لما عَرَفُوهُ من سَعَةِ حَامِلِهِ
 وَبَدَلِهِ - فَإِنَّهُ لما كانت الطائفةُ المِسيحيةُ ، والفِرقةُ اليَاقونيةُ ؛ ممن أوتتْ تحتَ ظِلِّنا
 الذى عَمَّ الوُجُودَ ، وسَكَنْتْ فى حَرَمِ ذِمَامِنَا الذى سارَ نَبُؤُهُ فى التَّهائمِ والنُّجُودِ ،
 وتمسَّكتْ من طاعتِنَا واتباعِنا بِأوامِرِنَا بما سَلَفَ لها من الهدنِ والعُهودِ ؛ وكانتْ
 أَحكامُهُم مما يَحْتَاجُ إلى من يَدُورُ عليه أمرُها فى كُلِّ حالٍ ، وتَنظِّمُ به مَصالحَ شَمالِها
 لِيُبلِغُوا بها الأمالَ ، ويأمنوا فى مَعْتَدِهِم فيها من الإخلالِ ؛ وأنه إذا ماتَ بَطْرِيكُ
 لَهِم لا بُدَّ أَنْ نَرَسُمَ لَهُم بغيرِهِ ، لِيَعْتَمِدُوا فى ذَلِكَ ما يَتَقَدَّمُ بِهِ إليهِم فى نَهْيِهِ وأَمْرِهِ ؛
 وَيُسَلِّكُ بِهِم فى أَحكامِهِم ما يَجِبُ ، وَيَعْرِفُ كُلًّا مِنْهُم ما يَأْتِي وَيَذَرُ وَيَفْعَلُ وَيَحْتَنِبُ ؛
 وَيَفْصِلُ بَيْنَهُم بِمَقْتَضَى ما يَعتَقُدُونَهُ فى إنجِيلِهِم ، وَيُمسِّسُ أحوالَهُم على مُوجِبِهِ فى تَحريمِهِم
 وتَحليلِهِم ؛ وَيُزَجِّرُ من نَرجَسَ عن طَرِيقِهِ ، لِيَرْجِعَ إلى ما يَجِبُ عَلَيْهِ أسوَةٌ رَفيقِهِ ؛
 وَيَقْضِي بَيْنَهُم بما يَعتَقُدُونَهُ من الأحكامِ ، وَيَبَيِّنُ لَهُم قواعِدَ دِينِهِم فى كُلِّ نَقْضٍ
 وإِبْرَامٍ ؛ فلما هَلَكَ الآنَ بَطْرِيكُهُم مع مَنْ هَلَكَ ، رَسَمْنَا لَهُم أَنْ يَتَخَبَّروا لَهُم من
 يَكُونُ لَطَرِيقَتِهِ قَد سَلَكَ ؛ وَأَنْ يَخْتاروا لَهُم من يَسُوسُ أُمُورَهُم على أَكْمَلِ الوُجُودِ ،
 لِنَرَسُمَ بِتَقْدِيمِهِ عَلَيْهِم [فيقوم] بما يُؤْمَلُونَهُ مِنْهُ وَيَرْجُوهُ .

وكان الحضرة السامية ، القديس ، المبجل ، الحليل ، المكرم ، الموقر ، الكبير ،
الديان ، الرئيس ، الروحاني ، الفاضل ، الكافي ، المؤمن ، جرجس بن القس مفضل
اليقوبي ، عماد بن المعمودية ، كنز الأمة المسيحية ، منتخب الملة الصليبية ، ركن
الطائفة النصرانية ، اختيار الملوك والسلاطين : أطال الله تعالى بهجته ، وأعلى على
أهل طائفته درجته ، قد حاز من فضائل ملته أسماها ، وصعد من درجات الترقى
على أبناء جنسه أعلاها ، فزّه نفسه عن مشاركة الناس ، وتكشف بين أهله
في المأكل واللباس ، وترك الزواج والنكاح ، واشتغل بعبادته التي لازم عليها في المساء
والصباح ، وألقى نفسه إلى الغاية في الأطراح ، وساح بخاطره في الفكرة وإن لم يكن
يجسده قد ساح ، وأرتاض بترك الشهوات مدة زمانه ، وأطرح الملائد لتعلو درجته
بين أهله برفعة مكانه ، واشتمل من علوم طائفته على الجانب الوافر ، وعرف من
أوامرهم ونواهيهم ما تقرّ به منهم العين والناظر ، وطلب من الربّ الرؤف الرحيم
القوة على أعماله ، وسأل الإله أن يزيّن لأهل ملته ما يأتي به من أقواله وأفعاله ،
فوقع اختيارهم عليه ، وسألوا صدقاتنا الشريفة إلقاء أمرهم إليه .

فُرِسِم بالأمر الشريف - لازل إحسانه إلى سائر العالم وإصلاح ، وجوده لكل
طائفة بارتداد أكفائها شاملاً - أن يقدم حضرة القديس المؤمن جرجس المشار
إليه على الطائفة اليقوبية ، من الملة النصرانية ، بالديار المحروسة والجهات الجارى
بها العادة ، ويكون بطريكا عليهم على عادة من تقدم في ذلك ومستقر قاعدته إلى
آخر وقت ، قائماً بما يجب عليه من أمور هذه الملة ، باذلاً جهده في سلوك ما ينبغي
مما ينظم عليه أمره كله ، فاصلاً بينهم بما يعتقدونه من الأحكام ، متصرفاً على كل
أسقف وقس ومطران في كل نقض وإبرام ، مالكاً من أمور القسيسين والرهبان
والشمامسة الزمام ، مانعاً من يروم أمراً لا يسوغه وضع ولا تقرير ، جاعلاً نظره عليه

متقدماً بالتحرز في التخيير؛ زاجراً من يخرج منهم عن أتباع طريق الشريعة المطهرة التي يصح بها عقد الذمه، ملزماً بسلوكلها في كل ماممة فإن ذلك من الأمور المهممة؛ أمراً من في الديرة من الرهبان بمعاملة المزارين بهم والنازلين عليهم بمزيد الإحسان ومديد الإكرام، والقيام بالضيافة المشروطة من الشراب والطعام .

وليتحدث في قسمة مواريلهم إذا ترفعوا إليه، وليجعل فصل أمور أهل طائفته من المهمات لديه؛ وليشفق على الكبير والصغير، وليتنزه عن قليل متاع الدنيا والكثير، وليزهد في الخليل قبل الخبير. وفي أطلأعه على أحكام دينه ما يكفيه في الوصية، وما يرفعه بين أبناء جنسه في الحياة الدنيوية؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله أعلاه .



وهذ نسخة توقيع لبطرك اليعاقبة، وهى :

أما بعد حمد الله على أن جعل من إحسان هذه الدولة لكل ملئ وذمى نصيباً، وفوق إلى أهداف الرعاية سهما فسهما مامنها إلا ماشؤهد مصيباً، والصلاة على سيدنا محمد الذى أحمد الله له سرى في صلاح الخلائق وتأويها - فإنه لما كان من سجايا الدولة القاهرة النظر في الجزئيات والكلليات من أمور الأمة، وتجاوز ذلك إلى رعاية [أهل] الذمه؛ لاسمياً من سبقت وصية سيد المرسلين عليهم من القبط الذين شرفهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوصلته منهم بأم إبراهيم ولده عليه السلام، وقبول هديتهم التى أبقت لهم مزية على ممر الأيام؛ وكانوا لأبد لهم من بطريك يحفظ سوامهم، ويضبط خواصهم وعوامهم؛ ويجمع شمل رهبانهم، ويراعى مصالح أديانهم؛ ويجزر أمور أعيادهم ومواسمهم في كل كنيس، ويدعو للدولة القاهرة في كل تقديس؛ ويجعل [له] الخيرة في ضبط أمور البيع والديرة وأختيار الأساقفة

والكُهان ، وحفظ النواميس المسيحية في كل قُربان ؛ ولا يصلح لذلك إلا من هو بتول ، وكل خاشع عاملٍ ناصبٍ يستحقُّ بذلك أن هذا الأمر إليه يعُول .

ولما كان البطريك فلان هو المجمع على صلاحيته للبخارية على شعبه ، والتقدمة على أبناء المعمودية من شيعته وصحبه ، لما له من علم في دينه ، ومعرفة بقوانينه ، وضبط لأفانينه ، وعقل يمنعه عن التظاهر بما يُنافي العهود ، ويلافي الأمر المعهود - أقتضى جميل الاختيار أنه رُسم بالأمر الشريف - لابرِح يضع كل شيء في موضعه من الاستحقاق ، ويبلغ في الإرفاد لأهل المال والإرفاق - أن يباشر بطركية جماعة اليعاقبة بالديار المصرية ، على عادة من تقدمه في هذه الرتبة ، ومن ارتقى قبله إلى هذه الهضبة .

فليباشر أمر هذه الطائفة ، وليجعل معونته بهم طائفه ، وليضبط أمورهم أحسن ضبط وأجمله ، وأتمه وأكمله ؛ وليأخذهم بما يلزمهم من القيام بالوظائف المعروفة ، والعهود المألوفة ؛ وليلزمهم بما يلزمهم شرعا من كف عن تظاهر ممنوع ، أو تعطى محذور منكور الشرور والشروع ؛ أو تنكب عن طريق الاستقامة ، وكما أنهم عدلوا عن الإسلام لا يعدلون عن السلامه .

وأما أمور الديرة والكنائس فأمرها إليك مردود ، فاجر فيها على المعهود ؛ وأقم فيها عنك من يحسن النيايه ، ومن يجمل الإنابه ؛ ومن يستجلب الدماء لهذه الدولة القاهرة في كل قداس ، ويعتد التقديس والأنفاس ؛ وعلى رهبان الأديرة للساجد والجوامع ووظائف لا تمنع ولا تؤخر ، ولا تُحوج أحدا منهم أنه بها يدكر ؛ وليشترط على أهلها أنهم لا يآوون طليعة الكفار ، ولا من يحصل منه إلا خيرا وإلا يحصل الإضرار ؛ وليأمرهم بحسن الحوار ، والقيام بما هو موظف عليهم للسلمين السفار

وغير السفار؛ هذه نبذة من الوصايا مقنعه، ولو وسع القول لكان ذا سعه،
وفى البطريك من النباهة ما يهيمه الصواب، والله يجعل حسن الظن به لا آرتياء فيه
ولا آرتياب؛ بمنه وكرمه!، والاعتماد



وهذه نسخة توقيع لبطرك اليعاقبة، وهى :

أما بعد حمد الله الذى خص كل ملة منا بمنه، وأقام بأوامرنا على كل طائفة من
رضاه فحقق بإحساننا ظنه، وجعل من شيمنا الشريفة الوصية بأهل الكتاب عملاً
بالسنه. والشهادة بوحدانيته التى نتخذ بينها وبين الشك والشرك من قوة الإيمان
جنه، ونذخر أجورها فنسمو بها يوم العرض إلى أعلى غرف الجنة. والصلاة والسلام
على نبيه محمد أكرم من أرسله إلى الأمم فأنال كلاً من البرايا يمنه، وأعظم من بعثه فشرع
الدين الحنيف وسنه؛ وعلى آله وأصحابه الذين لم تزل قلوب المؤمنين بهم مطمئنه -
فإن لدولتنا القاهرة العوارف الحسان، والشيم الكريمة والعطايا والإحسان،
والفواضل التى للآمال [منها] ما يربى عليها ويزيد، والمآثر التى بحجر برها الوافر
المديد؛ ولكل ملة من نعمها نوال جليل، ولكل فرقة من مواهبها جانب يقتضى
التحويل ولا يقضى بالتحويل، ولكل طائفة من يمنها ومنها منأخ طائفة بمزيد
التنويل؛ ولكل أناس من معدلتها نصيب يشمل الملل، وعادة معروف تواترت مع
أنها خالصة من السامة والملل، سحجة سخية بنا شرفت، ومزية مروية منا ألفت؛
وإن من أهل الكتاب لطائفة كثرت بأبوابنا الشريفة عدداً، وأستصفت من مناهل
جودنا مورداً، وانتظمت فى سلك رعايانا فأضحى سبب فضلنا لها مؤكداً؛ وكانت
الملة المسيحية، والفرقة اليعقوبية؛ لأبد لها بعد موت بطريكها من إقامة غيره،

وتقديم من يُرتضى بفعله وقوله وسيره؛ لتقتدى به في عقد أمورها وحالها، وتحريمها وتحليلها ووصلها وفصلها، وتهتدي به في معتقدها، وتركن إلى ما يذكره من مجموع أحكام الإنجيل ومفرداتها؛ وينتصب للفصل بين خصومها بما يقتضيه عرفانه، ويظهر لأهل ملته بيانه؛ حتى لا يتجدد في أمر دينها إلا ما تريده، وبما نديمه لها من استمرار الهدنة تُبدي دعاءها وتعيده؛ فإن سيدنا محمدا - صلى الله عليه وسلم - أمرنا أن نستوصى بأهل الكتاب خيرا، ونحن نسلك من أتباع شريعته المطهرة ما نحسن فيه - إن شاء الله - سيرة يسيرة وسيرا .

ولما كانت الحضرة السامية، الشيخ، الرئيس، المبجل، المكرم، الفاضل، الكافي، الثقة، عماد بني المعمودية، كثر الطائفة الصليبية؛ اختيار الملوك والسلاطين، فلان - أطال الله بقاءه، وأدام على أهل طائفته ارتقاءه - ممن اتفق على شكره أبناء جنسه، وأستوجب أن يرقى إلى هذه الرتبة بنفسه؛ وأشتهر بمعرفة أحوال فرقته، وهجر الأهل والوطن في تهذيب خلقه؛ وحرّم في مدة عمره النكاح، وسار في المهامه والقفار وساح؛ وأضحى نحميص البطن خاوي الوفاض، قد ترك الطيبات وهجر التعم وآرتاض؛ وأعتمد في قوله على الإله، وسأل الرب أن يبلغه في أهل ملته ما تمناه .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يجمع الفرق على الدعاء لأيامه الشريفه، ويديم للأقربين مواد مواهبه المألوفه - أن يقدم الشيخ فلان على الملة النصرانية يعقوبية، ويكون بطريركا عليها على عادة من تقدمه، ومستقر قاعدته، بالديار المصرية والثغور المحروسة، والجهات التي عادته بها، إلى آخر وقت، [فليتول ذلك] سالكا من طرق النزاهة ما يجب، فاصلا بين النصارى بأحكام دينه التي لا تخفى عنه

ولا تَحْتَجِبُ ؛ مالِكًا أَرْزَمَةً كُلَّ أُسْقِفٍ وَقَمِصٍ وَمِطْرَانٍ ، مَرَجِحًا بَيْنَ الْقَدِيسِ
وَالْقِسِّيسِ وَالشَّمَّاسِ وَالرُّهْبَانِ ؛ لِتُصْبِحَ أَحْكَامُ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ بِهِ مَنُوطَةٌ ، وَمَوَارِيئُهُمْ
مَقْسُومَةٌ بِشَرْعَتِهِ الَّتِي هِيَ لَدَيْهِمْ مَبْسُوطَةٌ ؛ وَيَقِفُ كُلُّ مِنْهُمْ عِنْدَ تَحْرِيمِهِ وَتَحْلِيلِهِ ،
وَلَا يَخْرُجُ فِي شَرْعَتِهِمْ عَنِ فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ وَلَا يَقْدَمُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ رَضِيَ بِتَأْهِيلِهِ ؛ وَلِيَأْمُرَ
كُلَّ قَاصٍ مِنْهُمْ وَدَانَ ، وَمَنْ يَتَعَبَّدُ بِالذِّيرَةِ وَالصَّوَامِعِ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسْوَانِ ، بَرَفَعِ
الْأَدْعِيَةَ بِدَوَامِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ الَّتِي أَسَدَتْ لَهَا هَذَا الْإِحْسَانُ ؛ وَيُلْزِمُ كَلًّا مِنْهُمْ
بِأَنْ لَا يُحْدِثَ حَدِيثًا ، وَيُكْرَمَ نَزْلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ رَاحِلًا أَوْ لَابِسًا ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْوَالِيَةَ
قَدْ آلَتْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ أَدْرَبُ بِمَا تَطَوَّى شَرُوطُهَا عَلَيْهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ الْبَهْجَةَ [لَدَيْهِ]
مُقِيمَةً [وَالنِّعْمَةَ عَلَيْهِ مُسْتَدِيمَةً] ؛ وَالخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمُوجِبِهِ وَبِمَقْتَضَاهُ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه وصية لبطرك اليعاقبة أوردتها في "التعريف" قال :

وَيُقَالُ فِي وَصِيَّةِ بَطْرِكِ الْيَعَاقِبَةِ مِثْلُ مَا فِي وَصِيَّةِ بَطْرِكِ الْمَلِكِيَّةِ ، إِلَّا فِيمَا يُنْبَهُ عَلَيْهِ .
وَيَسْقُطُ مِنْهُ قَوْلُنَا : « وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ فِي الْمَدْخَلِ إِلَى شَرِيعَتِكَ طَرِيقٌ إِلَى الْبَابِ » إِذْ
كَانَ لَا يَدِينُ بِطَاعَةِ الْبَابِ الَّذِي هُوَ رَأْسُ الْمَلِكَانِيِّينَ ، وَإِنَّمَا هُوَ رَأْسُ الْيَعَاقِبَةِ نَظِيرُهُ
لِلْمَلِكَانِيِّينَ ، وَيُقَالُ مَكَانَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ « وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ فِي الْمَدْخَلِ إِلَى شَرِيعَتِكَ قَسِيمِ
الْبَابِ وَأَنْتَ سِوَاهُ فِي الْأَتْبَاعِ ، وَتَسَاوِيَانِ فَإِنَّهُ لَا يَزِدَادُ مِضْرَاعٌ عَلَى مِضْرَاعٍ » .
وَيَسْقُطُ مِنْهُ قَوْلُنَا : « وَلِيَتَجَنَّبَ الْبَحْرَ وَإِيَّاهُ مِنْ اقْتِحَامِهِ فَإِنَّهُ يَغْرَقُ » وَثَانِيَةَ هَذِهِ
الْكَلِمَةِ إِذَا كَانَ مُلْكُ الْيَعَاقِبَةِ مُغْلَغِلًا [فِي الْجَنُوبِ] ^(١) وَلَا بَحْرٌ ، وَيَبْدَلُ بِقَوْلِنَا :
« وَلِيَتَجَنَّبَ مَا لَعَلَّهُ يَنْوُبُ ، وَلِيَتَوَقَّ مَا يَأْتِيهِ سِرًّا مِنْ تَلْقَاءِ الْخَبْشَةِ حَتَّى إِذَا قَدَّرَ فَلَا

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٤٦ .

يَسْمُ أَنْفَاسَ الْجَنُوبِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ تِلْكَ الْمَادَّةَ وَإِنْ كَثُرَتْ مَقْصَرُهُ، وَلَا يَحْفَلُ بِسُودَدِ
السُّودَانِ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ آيَةَ اللَّيْلِ مُظَامَةً وَآيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً» ثُمَّ يُخْتَمُ بِالْوَصِيَّةِ بِالتَّقْوَى
كَمَا تَقَدَّمَ، وَنَحْوَ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

النوع الثاني

(ما هو خارج عن حاضرتي مصر والقاهرة : من وظائف الديار المصرية
مما يكتب لأربابها . وهي ثلاث جهات)

الجهة الأولى

(نجر الإسكندرية ، والوظائف فيها على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(وظائف أرباب السيف وبها وظيفة واحدة وهي النيابة)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب وظائف الديار المصرية أنها كانت أولاً ولاية،
إلى أن طرقها الفرنج في سنة سبع وستين وسبعائة ، فاستقرت من حينئذ نيابة،
يكتب لنائبها تقليد في قطع الثلثين «الجناب العالى» مع الدعاء بمضاعفة النعمة .
وهذه نسخة تقليد نيابة نجر الإسكندرية :

الحمد لله على نعم باسمه الثغر، مسفرة الفجر، رافعة القدر .

نحمده حمداً يشرح الصدر، ويطلع طلوع البدر؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تحالف من يحالفها، وتخاليف من يحالفها؛ ونشهد أن محمداً عبده

ورسوله أفضل نبي رابط في سبيل الله وجاهد، وكابد في الجهاد أعداء الدين وكايد؛
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين خاضوا في غمرات الدجى كل غمر، ونذبوا
لحماية الدين ... (١) ... كريمة وسداد نغر .

أما بعد، فإن الأهتمام بالثغور هو أولى ما إليه حمد، وعلى مصالحها اعتمد؛ وكان
نغر الإسكندرية المحروس هو المفتر عن أحسن الثنايا، والمخصوص من الحياة
بأتم المزايا؛ والذي كم شفت شفاهه من سقم عند ارتشاف، والذي المئاغر به
والمرابط كم له بالحسنات من أثلاف؛ وكانت المصلحة تقتضى أن لا يختار له
الإكل كامل الأوصاف، كافل بما تستدعيه مصلحة أهله من إنصاف؛ ذو عزم
يمضى والسهم مستودعة في الكائن، ويقضى بالعدل المزيل للشوائب والشوائن،
ومن له حزم يسد نغر المعايب دون كل ملاحظ ومعين؛ وله سياسة تحفظ بمثلها
الثغور، وتضان الأمور، وله بشاشة تستجلب النفور، وتوفى ما بين الألسنة
من أولى الود والصدور؛ وله حياة بينا يقال: هذا جانبه دمت إذ يقال: هذا
جانبه صعب ممتنع، وبينما يقال ليقظته للمصلحة: هذا سحاب يتجهم^(٣) إذ يقال هذا
سبل مندفع .

ولما كان فلان هو مستوعب هذه الصفات، ومستودع هذه الأسماء والسمات؛
وإليه بهذه المناقب يُشار، وهو ساحب أذيال هذا الفخار - اقتضى حسن الرأي

(١) بياض بالأصل ولعله فكانوا ليوم الخ .

(٢) فى الأصل « كتفت » وهو تصحيف من الناسخ .

(٣) لعله سحاب جهام . أى لا ماء فيه . تأمل .

الشريف أن تُفَوِّضَ إليه نيابة السلطنة الشريفة بثغر الإسكندرية المحروس ،
تفويضا يمضي في مصالحه لسانه وقلمه ، ويُصَرِّفُ بين الأوامر والنواهي إشاراته
وكلمه ، ويزين مواكبه بطلعته ، ويزيد مهابتَه ببعده صيته وأشتهار سمعته .

فليباشر هذه الوظيفة مجللا مواكبها ، مكلا مراتبها ، موثلا بقواعد الأمن أرجاءها
وجوانبها ، ناشرا لواء العدل على عوالمها ، قابضا بالإنصاف لمظلوم رعيته على يد
ظالمها ، معليا منار الشرع الشريف بمعاضدة حكامه والانتقاد إلى أحكامه ، والوقوف
في كل أمر مع تقضه وإبرامه ، وليحرس جوانب هذا الثغر ويحميها ، وليصن عوارضه
وما فيها ومن فيها ، وليكلا براء وبحرا ، وليرخ عليه من ذبه ستر فسترا ، ولينجح
لسافرتيه طلبا ، وليبلغهم من العدل والإحسان أربا ، ويجل معاملة من وجد منهم^(٢)
في سفره نصبا ، واتخذ سبيله في البحر حجا . والرعية فهم طراز الممالك ، وعنوان
الجمارة الذي من شاهده في هذا الثغر علم ما وراء ذلك ، وأحسن إليهم وأرأف بهم ،
وبلغهم من عدل هذه الدولة غاية أربهم ، وأمور الخس والديوان فلها قواعد
مستقره ، وقوانين مستمره ، فاسلك منها جددا واضحا ، وأبتغ لها علما لأحبا ،
وغير ذلك فلا يكاد على فهمك يخفى ، من تقوى الله التي بها تكف عين المضار
وتكفي ، والله تعالى يلهمك صوابا ، ولا يجعل بين حجاجك وبين المصالح حجابا ،
بمنه وكرمه ! .

(١) موثلا ممكنا . من مثل الشيء أصله ومكنه .

(٢) (لسافرتيه) هم المسافرون .

الصنف الثانى

(من الوظائف التى يكتب بها بشعر الإسكندرية - الوظائف الدينية ،
وكلها توابع ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى^(١)

(ما يكتب منها فى قطع الثلث بـ «السامى» بالياء ، وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(القضاء)

وهو الآن مختص بالمالكية ، وقاضيا يتحدث فى نفس المدينة وظاهرها ،
ليس له ولاية فيما هو خارج عنها .

وهذه نسخة توقيع بقضاء نجر الإسكندرية لمالكى ، كتب به للشيخ «وجيه الدين
محمد بن عبد المعطى الإسكندرى المالكى» وهى :

الحمد لله رافع قدر من نوه العلم بذكره ، ونور التقى مواقع فكره ، ونبه الورع على
رفعة قدره ، وأشرق به منصب الحكم العزيز إشراق الأفق بطلوع بدره ، وأضاءت
بنور أحكامه غوامض القضايا الشرعية إضاءة الدجى بعمرة فجره ، وقضى له دوام
الإصابة فى الاجتهاد بإحراز أجره إذا كان أحد قسمى الاجتهاد مقتضياً لأجره ،
وملئ صدره بأنواع العلوم الدينية فوسع له الشرع الشريف صدر مجلسه وأعد له
مجلس صدره ، وزخر من خاطره بحر العلم فأرتوت رياض الخواطر بأنوار فرائد دره ،

(١) لم يذكر الثانية فيما يأتى .

وَأَسْفَرَ وَجْهَهُ الدِّينَ بِنُورِ عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ : فَقَامَ هَذَا مَقَامَ السُّرُورِ فِي أَسَارِيرِهِ وَنَابَ هَذَا
مَنَابَ الشَّنَبِ فِي ثَغْرِهِ .

نَجْمُهُ حَمْدًا يَزِيدُ قَدْرَ النِّعَمِ تَتَوِيحِيهَا ، وَيُسَوِّغُ فِي المَحَامِدِ تَعْظِيمًا لِمُسَدِّي المِنَّةِ وَتَنْزِيحًا ،
وَيَنْهَضُ بِشُكْرِ التَّوْفِيقِ فِي أَخْتِصَاصِ مَنَصِبِ الحُكْمِ بِنِ كَانِ عِنْدَ اللّهِ وَجِيحًا .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ تَفْتَرُّ نِغُورَ الإِسْلَامِ بِإِدَامَتِهَا ،
وَتُبْنَى قَوَاعِدُ الإِيمَانِ عَلَى إِقَامَتِهَا ، وَتَشِيْمُ بَوَارِقَ النُّصْرَةِ عَلَى جَاحِدِهَا مِنْ أَتْنَاءِ
عَمَلِهَا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدَ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَنَارَتِ الآفَاقُ بِمَلَّتِهِ ، وَدَارَتِ أَدَاةُ
التَّشْبِيهِ بَيْنَ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعُلَمَاءِ أُمَّتِهِ ، وَضَاهَى شَرْعُهُ شَمْسَ الظُّهَيْرَةِ فِي وُضُوحِ
أَحْكَامِهِ وَظَهَرَ أَدِلَّتُهُ ؛ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا ،
وَجَاهَدُوا أَعْدَاءَ اللّهِ فَمَا ضَعُفُوا لِذَلِكَ وَلَا أَلْمُوا ، وَقَضَوْا بِالْحَقِّ بَيْنَ أُمَّتِهِ فَلَا المَقْضَى
لَهُمْ أَمْوًا وَلَا المَقْضَى عَلَيْهِمْ ظُلْمًا ؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ لَهَا الأَرْضُ مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرَحُ
ذِكْرُهَا مُتِمِّمًا فِي الآفَاقِ وَمُنْجِدًا ؛ وَسَلْمٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ قُلِّدَ الحُكْمَ وَإِنْ نَأَى بِهِ الوَرَعُ عَنِ تَوَقُّعِهِ ، وَخُطِبَ لِلْقَضَاءِ
وَإِنْ أَعْرَضَ بِهِ الزُّهْدُ عَنِ طَلَابِهِ وَتَبَعَهُ ، وَدُعِيَ إِلَيْهِ إِذِ الإِجَابَةُ عَلَيْهِ مُتَعَيِّنَةٌ ،
وَوُضِعَتْ مَقَالِيدُهُ بِحُكْمِ الأَسْتَحْقَاقِ [فِي يَدَيْهِ] إِذْ أَوْلَوِيَّتُهُ البَيِّنَةُ لِأَخْتِجَ إِلَى بَيْتِهِ -
مَنْ عَقَدَتْ عَلَى تَعْيِينِهِ لِهَذَا المَنَصِبِ الجَلِيلِ الحَنَاصِرِ ، وَدَعَتْ إِلَى أَسْتِدْعَائِهِ
إِلَيْهِ فَضَائِلُهُ الثَّابِتَةُ القَوَاعِدِ وَزَهَادَتُهُ الزَّاكِيَةُ الأَوَاصِرِ ؛ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ عِلْمُهُ دَلَالَةٌ
الأَضْوَاءِ ، عَلَى لَوَامِعِ الشُّهْبِ ، وَنَبَهَتْ عَلَيْهِ فُنُونُهُ تَنْبِيَهُ الأَنْوَاءِ ، عَلَى مَوَاقِعِ السُّحْبِ ؛
وَشَهِدَ بِوَرَعِهِ المَتِينِ ، تَفَقُّهُهُ وَأَعْتَرَالَهُ ، وَأَنْبَأَ عَنِ نُهُوضِهِ بِنُصْرَةِ الدِّينِ ، قُوَّةَ جِدَالِهِ
الَّذِي هُوَ جَلَادٌ مِثْلَهُ وَنِزَالُهُ ؛ وَتَبَجَّرَ فِي أَنْوَاعِ العِلْمِ حَتَّى جَاوَرَ البَحْرَ بِمِثْلِهِ وَلَكِنَّهُ

العذب الزلال ، وشغل نفسه بالتنوع فى الفنون فكان التحلى بعبادة الله ثمرة ذلك الإشتغال ، ومشى على قدم الأئمة العلماء من أسلافه فلم يُسَقَّ فى ذلك المضمار غباره ، ونشأ على طريقة العلم والعمل : فمأرهُ بالانقطاع إليه ليله وليله بالاشتغال بهما نهاره .

ولما كان فلان هو الذى خطبته هذه الرتبة السنوية لنفسها ، وتشوقت إلى الإضاءة بطلوعه فى أفتها تشوق المطالع إلى الإضاءة بطلوع شمسه ، وأثنى لسان القلم على فضائله وهو يعتذر من الاختصار ، واقتصرت البلاغة على اليسير من التعريض بوصفه وطالب ما لا يحصر معذوراً فى الاقتصاد والاقتصار ، وعين لما تعين عليه من مصالح الأئمة وذلك يقضى لمثله من أهل الورع أن يجيب ، وطلب لعموم مصالح الإسلام التى ما يذبح لمثله من أنصار السنة أن يتأخر عن مثلها أو يغيب ، وكان ثغر الإسكندرية المحروس من المعاقل التى يفتت عن شنب النصر ثغرها ، ومن أركان الدين التى يغص بأباطلها بحرهما ، وهى مأوى صالحاء الجهاد الذين سهام ليهم أسبق إلى العدا من سهامهم ، وموطن العلماء من أهل الاجتهاد الذين يعدل دم الشهداء مداد أعلامهم ، وهى دائرة التى تزهى به نواحيها ، وموطن رباطه الذى يومئذ ليله منه فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نحص منصب حكمها بعالم أفتها المنير ، وزاهد ثغرها الذى ماشام برقه بصر عدو إلا وأقلب إليه خاسئاً وهو حسير ، أن نفوض إليه منصب القضاء والحكم العزيز بثغر الإسكندرية المحروس ، على قاعدة من تقدمه فيه ، نظراً فى عموم ذلك الثغر المحروس به (؟) إلى من انعقد إجماع أئمة عصره ومصره على سعة علمه ووفور ورعه وكمال فضله .

(١) مراده أنها مأوى صالحاء المتعبدين الذين انخ .

(٢) يظهر أن فى هذه العبارة سقطا وحرر .

فليأشر هذا المنصب الذي ملأه أمره العلم والتقى ، ونظام حكمه العدل والورع وهما أكل ما به يرتقى ، وليحكم بما أراه الله من قواعد مذهبه المحكمة ، وأحكام إمامه التي هي بمصالح الدين والدنيا محكمة ، وليقض بأقوال إمام دار الهجرة التي منها صدرت السنة إلى الآفاق ، وعنها أخذت ذخائر العلم التي تركوا على كثرة الإنفاق ؛ وبها حمى الأحكام الدينية موطأ الأكف ، وفيها استقام عمود الملة ممدود الطرف على سائر الأطراف ؛ فليل من ذلك وغيره جميع ما كان يليه من تقدمه ، وتقتضيه قواعد ولايته التي أمضينا فيه لسانه وقلمه .

فأما ما يدخل تحت هذا الإجمال من آداب القضاء وقواعده ، وأدواته وعوائده : من تخصيص الحكم بأوقاته ، ومساواته بين الخصمين في إنصافه وإنصاته ، واجتناب الحكم في الأوقات المقتضية لتركه ، وتوقى نقض الأحكام التي نظمها عدم مخالفة النص والإجماع في سلكه ؛ فإنه مكتفٍ بالإجمال عن تفصيلها ، مكتفٍ عن ذكر كثيرها بالإيماء إلى قليلها ؛ إذ هو أدري بأوضاعها شرعاً وعرفاً ، وأدرب بما قد يشد منها عن ألمعيته أو يخفي ؛ وملاك الوصايا تقوى الله تعالى وهي من خصائص نفسه ، وفواتح ما أبتدأ الورع بإتقان درسه ؛ والله تعالى يؤيد حكمه ، ويعلي علمه ؛ بمنه وكرمه ! والاعتماد إن شاء الله تعالى .



وأعلم أنه كان فيما تقدم قد وليها قاضٍ شافعي .

وهذه نسخة توقيع بقضائها ، كتب به للقاضي «علم الدين الإخنائي» الشافعي ،

في ثامن شعبان سنة ثلاثين وسبعمائة ، وهي :

الحمد لله الذى رَفَعَ لنا فى كل نَغْرٍ عَلَمًا ، وأَجْرَى لنا فى جِوَارِ كلِّ بَحْرٍ ما يَضَاهِيهِ
كِرْمًا ؛ وجعل من حُكَّامِ دولتنا الشريفة من يُعْرِفُ بنسبه الإسْنَائِيَّ بل السَّنَائِيَّ أَنَّهُ
يُحُو من الظُّلْمِ ظُلْمًا .

نحمده على أن زادنا نِعْمًا ، ووفَّرَ للأحكام الشرعية بِنَاقِسِمَا ، وأَعْلَى قِيَمًا ، [فأضحت]
تُنَافِسُ الدرَّ الثمين قِيَمًا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُجْرَدُ
لِإِقَامَتِهَا سَيْفًا وَقَلَمًا ، ونشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله الذى جعل الله له شريعةً مَآذِيَةً
وَدِينًا قِيَمًا ، ونصب من أئمة أتباعه كلَّ علم يَهْدِي أُمَّمًا ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
صَلَاةً بَاقِيَةً مَا بَقِيَتِ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ ؛ وسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَوْلَى الثُّغُورِ بَأَن لا يَزَالَ بِهِ عِلْمٌ مَرْفُوعٌ ، وَعِلْمٌ مَصُونٌ حِجَابُهُ المُنُوعُ ،
وَعَمَلٌ يَمْشِي بِهِ أُمَّةُ الأُمَّةِ عَلَى طَرِيقِهِ المَشْرُوعِ ، نَغْرُ الإسْكَندَرِيَّةِ - حَمَاهَا اللهُ
تَعَالَى - فَإِنَّهَا مِنْ دَارِ المَلِكِ فى أَعَزِّ مَقَامٍ ، وَمِنْ مُجَاوِرَةِ البَحْرِ فى مَوْطِنِ جِهَادٍ تَخْفِقُ
بِهِ الأَعْلَامُ ؛ وَغَالِبٌ مِنْ فِيهَا إِمَامٌ فَقِيهٌ يَتَسَكَّ بِالشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ فى عُلُوِّ عِلْمِهِ ،
أَوْ رَبٌّ مَالٍ لَهُ وَقُوفٌ بِمَجْلِسِ الحُكْمِ العَزِيزِ يَنْتَصِفُ مِنْ خِصَامِ خُصُومِهِ ؛ وَلَمْ تَزَلْ
وِظِيفَةُ القَضَاءِ بِهَا أَهْلَةُ الصَّدُورِ ، كَامِلَةٌ البُدُورِ ، مَتَهَلِّلَةٌ بِمَا لا يَفُوتُ الشَّنْبُ بِكَارِقِ
الجَزَعِ إِذَا حَكَى إِيمَاضُ الثُّغُورِ ؛ وَكَانَ لَهَا مَدَّةٌ قَدْ حَلَّتْ وَنَحْنُ نَفَكَّرُ فِيمَنْ يَكُونُ
سَدَادًا لِنَغْرِهَا ، وَكَافِيًا فِيمَا يُهَيِّمُ فى الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ أَمْرِهَا ؛ وَكَانَ لَهَا مِنَ الحَقِّ الذى
أَمَرَ اللهُ بِهِ بِمَا يَبْقَى النَفُوسُ ، وَقَائِمًا فى مَدَارِسِهَا بِمَا يَزِيدُ مَعَالِمَهَا إِشَادَةً فى الدَّرُوسِ ؛
حَتَّى أَجْمَعَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ عَلَى مَنْ يَحْسُنُ عَلَيْهِ الإِجْمَاعُ ، وَتُحَسَّمُ بِهِ دَوَاعِي النِّزَاعِ ،
وَيَحْسُدُ عِلْمَهُ عِلْمُ الشَّمْسِ لِمَا عَلَا عَنْهَا مِنْ كُرَّةِ الأَرْتِفَاعِ ؛ وَهِيَ تَتَضَوُّعٌ بِنَشْرِ العَدْلِ

في يُمنى كفه القلم ، وإذا وقفت به الركائب قالت : ياسارى القصد هذا البان
والعلم ، وكان المجلس السامى القضاء العالمى الإسنائى الشافعى ، أدام الله علوه هو
العالم المنشور ، والعلم المشهور ، والمراد بما تقدم من وصف مشكور ، فاقضت
مراسمتها المطاعة أن تُناط به من الأحكام الشرعية القضايا ، وأن يبسم هذا النغر
بحكمه عن واضح الثنايا .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف ، العالى ، المولوى ، الساطانى ، الملكى ، الناصرى :
زاده الله شرفا ، وضاعف له تصرفا - أن يفوض إليه القضاء بمدينة إسكندرية -
حماها الله تعالى - على عادة من تقدمه وقاعدته المستقرة إلى آخر وقت ، على أنه
يستنيب عنه في تحمله وفيما شاء منه من هو موصوف بصفته ، موثوق بدينه وعلمه
ومعرفته ، ولينتصب في مجلس الحكم العزيز لمن ينتصف ، ويعمل بما يرضينا من
مراضى الله تعالى فإن للعيون أن تنظر وللألسنة أن تصف ، ولينظر في أمر الشهود
فإن الأحكام الشرعية على شهادتهم تُبنى ، وليحترز من الوكلاء فإن منهم من يجعل
الظن يقينا واليقين ظنا ، ولينظر في أمور الأيتام ويتصرف في أموالهم بالحسن ،
وليقيم الحدود ، على مقتضى مذهبه ، وليعول في العقود ، على من لا يخاف معه أمرؤ
على إلحاق في نسبه ، وغير هذا مما إليه مرجعه ، وإليه ينتهى مفترقه ومجتمعه
وبحكمه يفصل أمره أجمعه ، وليتخذ الله تعالى عليه رقبيا ، ويعلم أنه سيرى كل
ما يعملهُ عند الله قريبا ، وتقوى الله هى التى نتخذ معه عليها عهدا مسؤولا ، ورجاء
مأمولا ، وقولا عند الله وملائكته وأنبيائه مقبولا ، ونقلده منها على كل مخالف سيقا
مسؤولا ، ونحن نرغب إلى الله أن يوفقه في حكمه ، ويعينه على كل ما يُملى من الوصايا
بما هو ملى به من عمله وعلمه ، وانلطف الشريف أعلاه ، حجة فيه .

قلت : وكان قد أستحدث بالإسكندرية قاض حنفى في الدولة الأشرفية « شعبان بن حسين » يولى من الأبواب السلطانية رفيقاً للقاضى المالكى بها ، يتحدث في الأحكام في القضايا المتعلقة بمذهبه خاصة ، وأمر مودع الأيتام ونظر الأوقاف ، وغير ذلك من متعلقات قضاء القضاة مختص بالمالكى ، ثم صارت بعد ذلك تارة يولى بها حنفى كذلك ، وتارة تشغره منه . فإن وليها حنفى ، كتب له في قطع الثلث كما يكتب للقاضى المالكى ، وليس بها الآن شافعى إلا نائباً عن المالكى ، ولا حنبلى بها أصلاً .

الوظيفة الثانية

(الحسبة بنجر الإسكندرية)

ومحسبها يمضى تحدته فيما يختص به قاضيا ، وليس له ثواب فيما هو خارج عن ذلك من البلاد .

وهذه نسخة توقيع بالحسبة بنجر الإسكندرية .

الحمد لله الذى جعل المناصب فى أيامنا الزاهرة محفوظة فى أكفائها ، مضمونة لمن تقاضت [له] من الإقبال ر [د] جفائها ، معدوقة فى مالها إلى من زانها بمعرفته الحسنة بحسن ... (١) ... بمن دلت كفاءته وكفايته على أنه أولى بتقريبها وأحق باصطفاها .

أحمد على نعمة التي لم تُحيب فى إحساننا أملاً ، ولم تُضيع سعى من أحسن [العمل] فى مصالح دولتنا إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هي أشرف ما فاه به اللسان ، وأفضل ما تعبده به

(١) بياض بالأصل . ولعله "بمعرفة الحسنة وحسن بهاها ، مخصوصة بمن الخ" .

الإنسان ، وأرفع ما ملكت به في الدنيا والآخرة عظام الرتب الحسان ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أحلّ الطيبات وأباحها ، وأزال الشبهات وأزاحها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بأحكامه ، ووقفوا مع ما شرع لهم من حلال دينه وحرامه ، وحافظوا على العمل بسنته بعده محافظتهم عليها في أيامه ، صلاة يتوقّد سراجها ، ويتأكد بها أنتساق السنة وانتساجها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنّ أولى من رجع فيه حقّ منصبه إلى نصابه ، وردّ به واجب رتبته إلى من جعلته سوابق سيرته أولى به ، وتقاضت له سيرته عواطف كرمنا ، ونهضت نزهته باستطلاع ما غاب عنه من عوارفنا ونعمنا ، وأغنته أوصافه عن تجديد ثناء يستعاد به برنا القديم ، ويستدام له به فضلنا العميم ، وتستدرّ به أخلاف كرمنا الذي تساوى في عمومه الظاعن والمقيم - من زان التقى أوصافه ، وكملت العقدة معرفته وإنصافه ، وتولّت الديانة نظره فيما عدّق [به] من مصالح الرعايا خصوصاً وعموماً ، وتكفلت الخبرة من اعتباره لأموال الأقوات بأن جعل لكل منها في الجودة حداً معلوماً ، وبأشرف ما فوّض إليه بجمع بين رضا الله تعالى ورضا خلقه ، وعول عليه في حِسبة أعزّ الشغور لدينا فتصبح الرعايا فيما بسط لهم من رزقه .

ولما كان فلان هو الذي أضاعت أوصافه وهل تُنكر الإضاءة للسراج ، وتشتوّفت إليه رتبته فلم يكن لها إلا إليه ملاذ وإلا عليه معاج ، فسلك من السير أرضها لربه ، ومن الأحوال أجمعها لأمن عاقبته وسلامة غيبه ، ومن الاجتهاد في مصالح الرعايا ما يُضاعف شكره على احتسابه ، ومن الخيرة ما يُعرّف كلا منهم كيف يكون أكتساء البرية في اكتسابه - رُسم أن يستقرّ (١)

(١) بياض بالأصل وهو معلوم مما تقدم وحذفه اختصاراً في الكتابة .

فليستمرّ في ذلك على عادته التي ناضت عنه فأصابت ، وقاعدته التي دعت له
عواطف نعمنا فأجابت ، وليزد في التحذير والتحقيق ما استطاع ، ويناقش حتى
يستقرّ على الصحة فيما يُباع أو يُبتاع ، ويقابل على الغش بما يردع متعاطيه ، ويزجر
صانع الأعمال الفاسدة عن استدامتها ومن يوافقه على ذلك ويواطيه ، ويتمرّ أموال
الأحباس بملاحظة أصولها ، والمحافظة على ريعها ومحصولها ، وإمضاء مصارفها
على شروط واقفيها إن علمت ومزية (؟) ماقدّم من شكره والثناء عليه ، وملاك
ذلك جميعه تقوى الله تعالى وهي أخص ماقدّم من أوصافه ، والرفق بالرعايا وإنه
من أحسن حلي معرفته وإنصافه ، والخير يكون إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة

(نظر الصادر)

وموضوعها التحدث في قدر مقرر يؤخذ من تجار الفرنج الواردين إلى الإسكندرية ،
وعليه مرتبات لناس مخصوصين من أهل العلم والصلاح ، يُنق عليهم بمقادير معلومة
من متحصّل هذه الجهة .

وهذه نسخة توقيع بنظر الصادر والوارد ، أنشأته عن السلطان الملك الناصر
«فرج بن الظاهر برقوق» للقاضي ناصر الدين «محمد الطنّاحي» إمام المقام الشريف
السلطاني ، في منتصف شهر صفر سنة أربع وثمانمئة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل من سلطاننا الناصر لأخص ولي أعز ناصر ، وخصّه من
فائض كرمنا المتتابع ومننا المترادف بأكرم وارد وأبر صادر ، وبوأه من فضلنا المنيف
أفضل مبياً : فتارة تأتم به الملوك وتارة ينحط الكافة على رؤوس المنابر .

نحمدُه على أن جعلنا نَتَّبِعَ في الِوَلَايَاتِ نَهْجَ الصَّوَابِ وَنَقْتَفِيهِ ، وَأَثَرَنَا مِنْ أَثَرَةِ
 الْأَبُوَةِ بِأَعْلَى مَوَاقِعِ الْإِجْتِبَاءِ وَالْوَلَدِ سِرَّ أَبِيهِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
 لَا شَرِيكَ لَهُ الَّذِي أَذَلَّ طُغَاةَ الْكُفْرِ بِقَمْعِ أَنْفِ كِبَرَاءَتِهِمْ ، وَأَلْزَمَهُمُ الصَّغَارَ بِمَالٍ
 يُؤْخَذُ مِنْ أَقْوِيَاءِ أَغْنِيَاءِهِمْ فَيُفَرِّقُ فِي ضُعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَفُقَرَاءَتِهِمْ ، وَنَشْهَدُ أَنْ مَجْدًا عَبْدَهُ
 وَرَسُولَهُ الَّذِي تَدَبَّ إِلَى مَبَرَّةِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَذَوِيهِ ، وَرَغَّبَ فِي رِعَايَةِ الْمُوَدَّةِ لِلآبَاءِ
 بِقَوْلِهِ : «إِنَّ مِنْ أَبْرَارِ الرَّجُلِ بِرَ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 الَّذِينَ عُدَّتْ بِهِمْ مَهَمَاتٌ ، فَقَامُوا بِحَقِّهَا ، وَوَكَلَتْ إِلَيْهِمْ جَلَائِلُ الْوَلَايَاتِ ، فَأَحْرَزُوا
 بِجَمِيلِ التَّأثيرِ قَصَبَ سَبَقِهَا ، صَلَاةً يَبْقَى عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ حَكْمُهَا ، وَلَا يَتَغَيَّرُ عَلَى مَرِّ
 الزَّمَانِ رَسْمُهَا ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإن من كريم سجايانا التي جُبلنا عليها، وشريف شيمنا التي يَجْدُبْنَا طَيْبُ
 الْعُنْصُرِ إِلَيْهَا، أَنْ نَحْصُصَ أَحْصَى الْأَوْلِيَاءِ بِأَسْنَى الْوَلَايَاتِ، وَنُتَخِّفَ أَصْفَى الْأَصْفِيَاءِ
 بِنَهَايَةِ غَيْرِهِ فِي الْبِدَايَاتِ ، وَنَرْفَعَ قَدْرَ مَنْ لَمْ يَزَلْ ظَهْرُهُ لِلْمُلُوكِ مُحْرَابًا ، وَنُنَوِّهَ بِذِكْرِ مَنْ
 رَغِبَتْ فِيهِ الْوِظَائِفُ فَعَدَلَتْ إِلَيْهِ عَنِ سِوَاهِ إِضْرَابًا .

وكان المجلس السامى ، القاضوى ، العالمى ، العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ،
 البارعى ، البليغى ، الماجدى ، الأوحدى ، الأثيرى ، الأثيلى ، العريقى ، الأصيلى ،
 الخطيبى ، الناصرى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الرؤساء ، أوجد الكبراء ،
 صدر الأعيان ، جمال الخطباء ، جلال النظار ، صفة الملوك والسلاطين ، أبو عبد الله
 محمد ، ابن المجلس السامى ، الجمالى ، المرحوم عبد الله الطنأحى ، إمام المقام الشريف :
 أدام الله تعالى رفعة - قد طالت في المحالصة قدمته ، ووفرت من صدق الموالاتة
 قِسْمَتُهُ ، فَرُفِعَ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ خَبْرُهُ ، وَنُصِبَ عَلَى ... (١) ... تَقَدَّمَهُ فَيُحْمَدُ فِي الْإِخْتِيَارِ

(١) بياض بالأصل ، ولعله "المدح أو التعظيم" .

أثره؛ وكانت وظيفتاً نظير الصادر وخطابة الجامع الغربى بشعر الإسكندرية المحروس - حرسه الله تعالى وحماه، وصان من طروق العدو المخدول حماه - من أرفع الوظائف قدراً، وأميزها رتبة وأعلاها ذكراً - أقتضى حسنُ الرأى الشريف أن تُسند ولايتهما إليه، ونعتمد في القيام بمصالحهما عليه .

فذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زالت آراؤه مسدده، ونعمه على الأولياء في كل حين مجدده - أن يستقر المشار إليه في الوظيفتين المذكورتين عوضاً عن كاتبا بيده، بما لهما من المعلوم، ويُفصح له في الاستنابة على عادة من تقدمه في ذلك : استناداً إلى أمانته التى بلغت به من العفة منتهىها، وكفايته التى عجز المتكلفون عن الوصول إلى مداها؛ وفصاحتها التى أعجزت ببراعتها الخطباء الأماثل، وبلاغته التى قضت بالعى على قس إياها وحكمت بالفهامة على سببان وائل .

فليتأق ما أسند إليه بيده الطولى وباعه المديد، وليقابل هذه النعمة الحفيلة بالشكر فإن الشكر مستلزم للزيد؛ عالم أن نظراً الصادر يقدمه أهل الثغر على عامة الوظائف مآدق منها وما جل، ويتبرك المرتبون عليه بما يأخذونه من راتبه وإن قل؛ فليحسن النظر فيه ورداً وصدراً، ويميز ريعه بحسن النظر فيه حتى يقول المعاند : ما أحسن هذا نظراً ! .

والجامع الغربى فهو أجل جوامع الثغر الإسكندرى قدراً، وأعظمها فى الأقطار صينياً وأسيرها فى الآفاق ذكراً؛ يحضر الجمعة فيه أهل الشرق والغرب، ويلى بخطبته سكان الوهاد والهضب؛ فليرق منبره رقى من خطبه المنبر بخطبته، وعلم علو مقامه فقباله بعلو رتبته؛ ويشنف الأسماع بوغظه، ويشجج القلوب بلفظه؛ ويحيى العقول بتدكيره، ويبيك العيون بتحذيره؛ وليعد للجامع ما تعودته من الإسعاد،

ويجدد مدرّس من معالم خطّابته حتّى يقال : هذا ابن المنير قد عاد ، وعماد الوصايا
تقوى الله فهى ملاك الأمور كلّها ، وعليها مدار أحوال الدنيا والآخرة فى عقدها
وحلّها ، وهاتان مُقدّمتا خيرٍ فليكن لنتيجتهما يرتقب ، ولا يقطع بالوقوف معهما
رجاءه « فأقول الغيث قَطْرٌ ثم ينسكب » ، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله
تعالى أعلاه ، حجة فيه بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

الصنف الثالث

(من الوظائف التى يكتب بها بنجر الإسكندرية المحروس ،
الوظائف الديوانية ، وهى على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له فى قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء
وهو ناظر المباشرة بها ، وعنه يعبر بناظر الإسكندرية ، دون ناظر الأصل^(١)
المقدم ذكره فى جملة الوظائف الديوانية بالحضرة)

وموضوع هذه الوظيفة التحدّث فى الأموال السلطانية بالإسكندرية مما يتحصّل
من المآخوذ من تجار الفرنج ، وسائر المتاجر الواصلة براً وبحراً بالقبض والصرف
والحمل إلى الأبواب السلطانية .

وهذه نسخة توقيع بنظر نجر الإسكندرية ، كتبت به للقاضى «جمال الدين
ابن بصاصة» وهى :

(١) وهو ناظر الخاص المتحدّث فى الأموال السلطانية كما تقدّم .

(١) الحمد لله الذى أضحك الثُّغور بعد عبوسها ، وردَّ إليها جمَّالها وأنارَ أفاقها بطلوع شمسها ، وأحيا معالم الخَيْر فيها وقد كادت أن تُشرف على دُروسها ؛ وأقام لمصالح الأُمَّة من يُشْرِق وجهه الحق ببياض آرائه ، وتلذُّد الأسماع بتلاوة أوصافه الجميلة وأنبيائه .

نحمده حمد من أُسِغَتْ عليه النِّعماء ، وتهادتْ إليه الآلاء ، وخطبته لنفسها العلياء ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع قدرَ قائلها وتُعليه ، وتُعزُّ جانب متحلها وتُدنيه ؛ وأن محمدا عبده ورسوله أفضل نبي رابط وجاهد ، وأكرم رسول جنح للسلم بأمر ربه فهادرت وعاهد ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، وأشياعه وحزبه .

وبعد ، فأحق من ماس فى أردية الرياسة عطفنا ، وأستجلى وجوه السعادة من حجب عزها فأبدت له جمالا ولطفا ؛ وأصطفته الدولة القاهرة لمهمات ما رأته خير كافل ، وتنقل فى مراتبها السنية تنقل النيرين فى المنازل (٢) .

ولما كان فلان أدام الله رفعته ممن أشارت إليه هذه المناقب الجليله ، وصارت له إلى كل سؤال نعم الوسيله ، رسم بالأمر الشريف - لا زال ... أن يستقر فى نظر نعر الإسكندرية المحروس ويباشر هذا المنصب المبارك بعزماته الماضيه ، وهممه العاليه ؛ برأى لا يساهم فيه ولا يُشارك : ليُصبح هذا الثغر بمباشرة باسمه حاليا ، وتعود بهجته له بجميل نظره ثانيا ؛ وينتصب لتدبير أحواله على عادته ، ويقرر قواعده بعالى همته ؛ ويجهد فى تحصيل أمواله وتحصين ذخائره ، وأستخراج زكاته

(١) تقدّمت فى صفحة ٤٠ و ٤١ من هذا الجزء ببعض زيادة وتغيير واختصار .

(٢) لم يذكر خبر المبتدا ولعله سقط من قلم الناسخ والأصل أحق من ماس ... من كان لخلل العفاف لابسا ، ومن نور الايقان قابسا ، الى غير ذلك من الأوصاف .

وتمية متاجرِه ؛ ومعاملة التجّار الواردين إليه بالعدل الذي كانوا ألقوه منه ، والرّفق الذي نقلوا أخباره السارة عنه ؛ فإنهم هدايا البحور ، ودوالبه الثغور ؛ ومن ألسنتهم يُطَّلَعُ على ما تُجِنُّهُ الصدور ، وإذا بذّر لهم حبّ الإحسان نَشَرُوا له أجنحةً مرا كِبِهِم كالطيور ؛ وليعتمد معهم ما تضمّنته المراسيم الشريفة المستمورة الحكم إلى آخر وقت ، ولا يسلك معهم حالة تُوجب لهم القلق والتّظلم والمقت ؛ وليواصل بالجمول إلى بيت المال المعمور ، وليملأ الخزائن السلطانية من مستعملات الثغر وأمتعته وأصنافه بكل ما تستغنى به عن الواصل في البرور والبحور ؛ وليصرف همته العالية إلى تدبير أحوال [المتاجر بهذا الثغر بحيث ترتفع رؤس أموالها وتسمى ، وتوجد سخائب فوائدها وتهمي ، ويراع أحوال] ^(١) المستخدمين في مباشراتهم ، ويكشف عن باطن سريهم في جهاتهم ؛ ليتحقّقوا أنه مهيمن عليهم ، وناظر بعين الرأفة إليهم ؛ فتتكف يد الخائن منهم عن الخيانه ؛ وتحتلّي أنامل الأمين بحاسن الصيانه ؛ وليطالع بالمتجددات في الثغر المحروس ، ليرد الجواب عليه بما يشرح الصدور [ويطيب النفوس] ^(١) وليتناول من المعلوم على ذلك في غزوة كل شهر ما يشهد به الديوان المعمور ؛ والله تعالى يتولاه ويعضده ، ويؤيده ويسدده ؛ بمنه وكرمه !

قلت : وربما كتبت لناظرها توقيع مفتتح «أما بعد حمد الله» في قطع الثلث .



وهذه نسخة توقيع بنظر ثغر الإسكندرية ، وهي :

أما بعد حمد الله مفيض حلال إنعامنا على من أخلص في طاعتنا الشريفة قلبه
ولسانه ، ومولى فضل آلائنا العميمة على من أرهف في مصالحنا عزمه وبنانه ؛

(١) الزيادة مما تقدّم في صفحة ٤١ من هذا الجزء .

وَحَلَّى رتب عليائنا الشريفة بمن أشرق في سماء المعالى بذره وإنسانه ، وأينعت
 في غصون الأمانى قطفه وأفناؤه ، ومبلغ أقصى غاية المجد في أيامنا الزاهرة بمن
 تبسم بجميل نظره الثغور، وتعصم بحميد خبره وخبرته الأمور؛ وتشرق من جميل
 تديره البذور ، وتعتمد على هممه الأيام والدهور . والصلاة والسلام على سيدنا محمد
 الهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، والناشر لواء العدل بسننه الواضح وشرعه
 القويم ، والمتجزى لمن أقتفى سبيله أوفى تكريم ، وأوفر حظ عظيم ، وعلى آله وأصحابه
 ما أهدى بهديهم ذوو البصائر والأبصار، وأرتدى بأرديتهم المعلمة مقتفى الآثار -
 فإن أولى من أسندنا إلى نظره الجميل رتبة عز ما زالت طيور الآمال عليها تحوم ،
 وعدقنا بتديره الجليل منصب سيادة ما برحت الأمانى له تروم ، وأعتمدنا على همته
 العلية فصدق الخبر الخبر، وركنا إلى حميد رأيه فشهد السمع وأدى النظر .^(١)

ولما كان فلان هو الذى أنسق في ذروة هذه المعالى ، وانتظم به عقد هذه
 اللآلى ، وحوى بفضيلة اللسان والبيان ما لم تُدرکه المرهفات والعوالى ؛ فما حل
 ذروة عز إلا وحلاها بنظره الجليل ، ولا رقى رتبة سيادة إلا وأسفر في ذروتها وجه
 صبحه الجميل ، ولا عدق بنظره كفاية رتبة إلا وكان لها خير كفيل .

فذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال ينتصى للرتب العلية خير منجد ومير ،
 ويمتطى للناصب السنية نعم المولى ونعم النصير - أن يستقر ... فإنه القوى
 الأمين ، والمتمسك من تقوى الله تعالى ومرآيته بالسبب المتين ، والمستند بجميل
 كفايته ، وحميد ديانته ، إلى حصن حصين ، والمستدرى بأصالته وإصابته إلى
 الحنة الواقية والحرم الأمين ؛ فليقدم خيرة الله تعالى في مباشرة الوظيفة المذكورة بعزم

(١) لم يذكر خبرا لأن وهو معلوم من نظاره السابقة أى من كانت صفته كذا وكذا الخ .

(٢) بالصاد المهملة أى يختار وينتقى .

لا يَنْبُو، وهمة لا تَنْجُو، وتديير يتضاعف على ممر الأيام ويربُو، ونظير لا يعزب عن
مباشرته فيه مثقال ذرة إلا وهي من خاطره في قرار مكين، وضبط لا تمتد معه يد لأمس^(١)
[إيها] إلا ويجد من مرهفه ما يكف كفها عن الخيانة بالحق المين؛ وليضاعف
همته في مصالح هذه الجهة التي عدقناها بنظره السعيد، وليوفر عزمته فإن الحازم
من ألقى السمع وهو شهيد؛ والوصايا كثيرة ومثله لا يدل عليها، والتنبيهات واضحة
وهو - وفقه الله - أهدى أن يرشد إليها؛ والله تعالى يوفقه في القول والعمل،
ويصلح بحميد تدييره وحמיד تأتبه كل خلل؛ بمنه وكرمه!

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قطع الثلث بـ«المجلس السامى» بغيرياء
أو «مجلس القاضى» وفيها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(كتابة الدرج)

وصاحبها هو الذى يقوم بالإسكندرية مقام كاتب السرّ بالأبواب السلطانية
في قراءة المكاتب على النائب، وكتابة الأجوبة وما يجرى مجرى ذلك.

وهذه نسخة توقيع من ذلك :

رسم بالأمر الشريف - لا زال شاملاً فضله، كاملاً عدله، هاملاً بالإحسان
وبله، متصلاً بالجميل حبّه، ملاحظاً بعين العناية للبيت الزاى فرعه الطيب أصله،
معلياً نجهه إلى أسنى المراتب التي لا ينبغي أن يكون محلها إلا محله - أن يستقر فلان

(١) فى الأصل ملتمس الا الخ .

فى كتابه الدرّج بنغر الإسكندرية المحروس على عادة من تقدّمه فى ذلك وقاعدته ،
بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت : لأصاليته المعرّقه ، وغصون نسبه
المورقه ، وآدابه الجمّه ، وفضيلته التى أبدى بها علمه ، وكتابته التى حلّت المهّارق ،
وأبدت من الجواهر ما نتمنى لمسّه المفارق ، وتدوى لنبضاته أزاهر الروض النّضير ،
وتنفرد فى الحسن فلا تجد [ها] من نظير ، وتبرز كالعقود فى أجياد التراب ، وتُنشئ
كُتبا تغنى عن الكتاب ، مع ماله من راسة أثبتت معاليه ، ونفاسة أضحّت بجواهرها
الأوصاف حاليه ، وصدارة توالى منه فاستوجب بها مزيد الحسنى المتواليه ،
قد خول فى كرم الأصل فلا غرو أن أمسى نجيبا ، ودعا بديع اللفظ ولطيف المعنى
فغدا كل منهما لأمره طائعا وبالإذعان مجيبا ، وعلا كوكبه فأضحى فى الرّفة بعيدا
وإن كان فى مرأى العين قريبا ، وزكا من أكاره إلى كل فريد فى سُودده ، واحد
فى علاه يفوق الجمع فى عدده ، فهو إنسان عين زمانه ، ومالك زمام الإنشاء ومُصرّف
عنان بنانه ، ومبرز الحسنات بسفارته المقبولة وإطلاق بيانه ، فلا غرو أن أستوجب
منا ما يقضى له بالمزيد ، وأستحقّ باتباع أصله العالم التقي إدراك ما يريد ، وتحلّى
بمناقبه ومآثره ، ونقل عن عفافه ومفاخره .

فليستمرّ فى ذلك على أجمل عوائده ، وأجزل فوائده ، سالكا فى ذلك طرائقه
الحميده ، ومناهبه ومناهب أسلافه السديده ، مبرزاً من خطّه ما يُجبل به الطروس ،
ويسرّ بمزاياه النفوس ، وينظم كالعقود ، ويلوح للأبصار حسن رونقه [المشهود] ،
والله تعالى يجعل إحساننا لدى بيته الكريم مستمرا ، وأمّتنا العميم عنده مستقرا ،
ونغرّ العناية به مفترّا ، بمنّه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثانية

(نظرُ دار الطراز بنجر الإسكندرية)

وهذه نسخة توقيع بذلك ، كُتِبَ بها لصالح الدين بن علاء الدين علي بن
البرهان ، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، من إنشاء الشريف شهاب الدين كاتب
الإنشاء ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال إيثاره ، يُكْرَمُ من غدا صلاحه حلّة العلي طرازا ،
وأختياره ، يقدم للناصب الجليلة من وراث من أبيه نهضة واحترازا - أن يستقر
فلان في كذا : لكفايته المعروفة المحقّقه ، ودرائته المألوفة بركاتها الموقرة وحركاتها
الموقّقه ، وديانته التي منها الأ كابرُ علي ثقّه ، وأمانته التي تعتمد الحق مستدعيةً
ومنقّقه ، وصيانته التي هي للواصل حافظةً وعلى الحاصل مُشْفِقه .

فليباشر هذه الوظيفة التي كانت في سالف الزمان إلى الحُكّام تُضَاف ، وللعلماء
الأعلام عليها نظر وإشراف ؛ ومنها يُسَدَّلُ على أوليائنا لباس الإنعام وترسل أجناس
الإتحاف ، وتُسرَبَلُ الكعبة البيت الحرام في كل عام بجلابها المحكم النسج المُعَلَم
الأطراف ؛ وليصن ذهبها عند صرفه وقبضه ، وليزِنَ خزها بتقريب مشوبه وتحرير
مُحِضه ، وليين عن حسن التدبير في إبرام حريرها ونقضه ؛ وليستجلب رجالها
وصناعاتها ، وليُجَنَّبَ أحوالها ضياعها ، وليستجد أصنافها وأنواعها ، وليتفقّد أكافها
ويقاعها ؛ حتى يُظهِر في أعمالها آثار الصلاح ، وتُشكر مباشرته التي هي محمودّة الانتهاء
مسعودّة الإفتتاح ؛ والله يقرن رجاءه بالإرباح ، ويؤذِن له حيث سلك بإصابة
الصواب والفلاح ، بمتنه وكرمه ! .

قلت : ودار الطراز هذه هى التى تعمل فيها المستعملات السلطانية : مما يُجمل إلى خزانة الخاَصَّ الشريف من الأقمشة المختلفة الصفات : من الحرير والمقترح الخوص بالذهب ، والتفاصيل المنقوشة بضروب النقوش المختلفة ، وغير ذلك من رقيق الكتان وغيره مما لا يوجد مثله فى فطر من أقطار الأرض ؛ ومنه ^(١) تُتخذ الأقمشة التى يلبسها السلطان وأهل دُوره ؛ ومنه تعمل الخلع والتشريف التى يلبسها أكابر الأمراء وأعيان الدولة وسائر أهل المملكة ؛ ومنه تُبعث الهدايا والتحف إلى ملوك الأقطار . وقد كان يكتب لناظر هذه الدار توقيع عن الأبواب السلطانية خارج عن توقيع ناظر الإسكندرية على ما تقدم ذكره . أما الآن فقد صار ذلك تحت نظر ناظر الإسكندرية يتحدّث فيه كما يتحدّث فى سائر أمورها ، ومرجع الكل إلى ناظر الخاَصَّ بالأبواب السلطانية .

الجهة الثانية

(مما هو خارج عن حضرته مصر والقاهرة بالديار المصرية - بلاد الرّيف)
والمراد بالرّيف فى أصل اللغة موضع المياه والزّرع .
وقد تقدّم أنّ ريف الديار المصريّة وجهان :

الوجه الأوّل

(الوجه القبلى ، وهو المعبر عنه بالصعيد)

وقد تقدّم فى المقالة الثانية فى الكلام على المسالك والممالك أنه ينقسم إلى صعيد أعلى ، وصعيد أسفل . وقد كانت ولايته العامّة فى الزمن المتقدّم يعبر عن صاحبها

(١) الضمير عائد على ما تقدم من الحرير والكتان .

بـ«والى الولاية بالوجه القبلى» ثم استمرت نيابة سلطنة على حدّ تقدمة العسكر بغزة
فى رتبة المكتبة، فى الأيام الظاهرية « برقوق » وهى على ذلك إلى الآن . ونائبها
يكتب له تقليدُ نيابة السلطنة بها فى قطع النصف .

وهذه نسخة تقليدٍ شريفٍ من ذلك ، من إنشاء الشريف « شهاب الدين »
كاتب الإنشاء ، وهى :

الحمد لله الذى رَحِمَ بتعاهدِ نظيرنا البلاد والعباد ، وحَسَمَ بمواردِ زواجرنا موادَّ
الفساد ، وأحمد فى هذا الوجهِ لنا الآثارَ ووطأ بنا المهاد ، وأفرد آراءنا بجميع المصالح
على الجَمْعِ والإفراد ، وأولى بنا الرعيةَ الخيرةَ فى استرعاء مَنْ يبذل فى صياتهم الاجتهاد ،
وأعلى بنا كلمة العدل فهى تُنشر وتُدَاعِ وأوهى بنا كلمة الظلم فهى تُقهر وتُدَادِ ،
وأجلى بانتقامنا فئة الضلال فلها عن مديكنا الشريف أندفاع ^(١) وأنطراد .

نحمده على أن قرن بآرائنا السداد ، ونشكره على أن ضمنَ أصطفاءنا حُسنَ الارتداد ؛
ونشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقوم حجتها ، يوم يقوم الأشهاد ،
وتدوم بهجتها ، علماً للإرشاد ؛ ونشهد أن سيد البشر محمداً عبده ورسوله الذى فضّل
العالم وساد ، وأجزل المكارم وجاد ، وهدى بشرعه من حاد ، وأردى برده من حاد ،
وأجرى بجوده النفع حيث كان وأبدى ببأسه القمع لمن كاد ، وأحمد بأسيافه الباطل
فباد ، وجعل لأنف مخالفه الإرغام ولجيش مجانفه الإرعاد ؛ صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الأنجاء الأتجاد ، صلاة لها تضاعف وتعداد ، وبفتكاتهم (؟) للنواب
إنجاد ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

(١) دعته مراعاة السجع الى استعمال الانفعال من طرد ونص أهل اللغة على أنها لغة رديئة . فغلبه .

وبعد فإنَّ الله تعالى لما أعلَى هَمَمَنَا وَأَصْعَدَهَا، وَوَفَّى عِزَّائِنَا مِنَ النَّصْرِ مَوْعِدَهَا،
وَأَسْعَفَ بِمُلْكِكَ الرَّعِيَّةَ وَأَسْعَدَهَا، وَضَاعَفَ بِنَا لَدَيْهِمُ النَّعْمَةَ وَجَدَّدَهَا، وَأَوْضَحَ
بِنَا سُبُلَ الْمَعْدَلَةِ وَجَدَّدَهَا، وَأَنْجَحَ بِسُلْطَانِنَا آمَالَ الْخَلِيقَةِ وَأَنْجَدَهَا - لَمْ نُخَلْ مِنْ
مِلْحَظَتِنَا أَدْنَى الْأَقْطَارِ وَلَا أَبْعَدَهَا، وَلَمْ نُغْفَلْ مِنْ مَمَالِكِنَا نَاحِيَةً إِلَّا نَحَاهَا فَضَلُّنَا
وَقَصَدَهَا فَأَقْرَبَهَا الصَّالِحَاتِ وَخَلَّدَهَا، وَأَثْرَبَهَا الْمَسَاحَاتِ وَأَبْدَهَا، وَنَصَرَ الشَّرِيعَةَ
وَأَيْدَهَا، وَسَدَّ الذَّرِيعَةَ بِأَفْعَالِ حَزْمِ سَدِّدَهَا، وَوَطَّنَ أَهْلَهَا وَوَطَّدَهَا، وَأُورِدَ مِنْهَا
مَوَارِدَ الْأَمْنِ لِمَا وَرَدَهَا .

ولما واجه إقبالنا في هذه الأيام الوجه القبلى، وصعد إلى الصعيد الأعلى ركابنا
العلى، تحنا بلاده وتعددها، وتعين ملاحظته وتأكدتها، وكثرة السالك لسبله،
والملاك نخوله، والوراد لنهله، والوفاد من قبله، وهو منهج التجار في التوجه
من أبوابنا الشريفة والجواز، وباب اليمن والحجاز، وفي الحقيقة هذا المجاز يتعين له
الحفظ وفيه الاحتراز، وبه كراسى منها السيارة تمتاز على سواها من البلاد تمتاز،
وبه مرا كزولة ينفرد كل منها عن الآخر ويتحاز، وهى : إطفيح، والبهنسى،
والاشموني، ومنفلوط، وسيوط، وإنخيم، وقوص. وهذه الأقاليم مجتمعة متفرقة،
وحدود بعضها ببعض متعلقة، وبها إقطاعات مقدّمة الألوْف والطبلخاناه والممالك
والحلقة، وإليها تردد الركاضة والمرزقه، وربما أخاف المفسدون من بعضها سبله
وقطع طرقه، فاتهم البرى، وسلم الجرى، ولبس على من هو عن الخيانة عرى،
فأينا أن ننصب بهذه الأقاليم وإلى ولاية يوحس بنفسه خلالها، ويدوس بخيله
سبلها وجبالها، ويفجأ مفسدها، ويبعث بعثه بها، ويحمد نفاقها، ويحمد وفاقها،
ويُنصف ضعافها، ويذهب خلافها، ويُريل شكواها، ويكف عداها، ويصلح

(١) فيه تصحيف ولعله « ويفجأ مفسديها، ويبعث معتديها » .

فسادها ، ويوضح سدادها ؛ ويوصل حقوقها ، ويستأصل عقوقها ؛ ويواصل طروقها ، ويقابل بالعقاب فسوقها ؛ ويمنع باهتامه ، أهواءها ، ويشفي بحسامه ، أدواءها .

ولما كان المجلس السامى ، الأميرى ، الحسامى هو الذى عرف أحوالها وخبرها ، وولى من أقاليمها ما علم به مصالحها واعتبرها ؛ وعهدت منه الأمانة والكفاية ، وتحققت نهضته فى كل عمل ويقظته فى كل ولاية - أقتضى حسن الرأى الشريف أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بهذه الأعمال المذكورة والأقاليم كلها ، وأن ينتضى فيها حسامه الذى ينبغى أن يرتضى وينتضى لمثلها ؛ وأن يحل محله إذ اخترناه لأعلى رتب الولاية وأجلها ، وأن نصل أسباب النعمة لديه بهذه النعم التى كل ولاية فرع لأصلها .

فذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت أيامه الشريفة تحض الرتب العلية بأهلها ، وتشمل ذوى الأهتمام بإحسانها وفضلها - أن يفوض إلى المشار إليه ولاية الولاية بالوجه القبلى . فليباشر ذلك بهمة تمضى فى البلاد عزائمها ، ونهضة تسير إلى دانيها وقاصيها صوارمها ، وشهامة يدهش المتمردىن قادمها ، ويفقد مواد الفساد من حسامها حاسمها .

ونحن نرسم له بأمور يلزمها ، ونوصيه بوصايا يداومها ؛ أن يكون بتقوى الله تعالى عاملا ، وللنصح باذلا ؛ وللشريعة معظما ، ولمراقبة الله تعالى مقدما ؛ ولحق متبعا ، وإلى الخير مسرعا ؛ وللمؤمنين مؤمنا ، وللمنافقين مؤهنا ؛ وللرعايا موطنا ، وللنزاهة مظهرها ومبطنها ؛ وعن الأبرياء كافا ، وعن الأتقياء عافا ؛ وعن الأموال منزها ، وإلى ما يصلح الأعمال من صالح الأعمال ^(١) موجهها . وليغد فى الأمور متبثبا ، ولذوى

(١) فيه شبه استخدام فالأول بمعنى الجهات والثانى بمعنى الفعل . فتنبه .

الفجور مشتتاً؛ ولسماع حُججِ الخُصومِ منصتاً، ولا يجعلُ لُلوله الأقاليمَ حيناً مؤقتاً؛
 بل يدخُلُ المدينةَ على حينِ غفلةٍ من أهلها، وليبغتَ بُلُوله هذه النواحيَ ليعلمَ ما هم
 عليه من تركِ الفواحشِ أو فعلها؛ وليقيمَ بكلِ جهةٍ من يعلمه بما يحتاجُ إلى علمه،
 ويذكره بما يفتقر أهل البلاد إلى الستر عنه وكنمه؛ وليحظِ المحارسَ والأدراكَ،
 وليجعلَ لكلِ شاردٍ من بطشه أسرعَ إدراكٍ - وقد رسمنا لولاية الأعمالِ المذكورة
 ومن فيها من نواب الأُمراء والمشايخِ بهذه الصورة وأن لا يُجبروا مفسداً ولا يُسووه،
 ولا يُنزلوا خائفاً ولا يُخووه، ولا يسترُوا مختلفياً ولا يُخبوه، ولا يُحلُّوا نازحاً ولا يُوطَّوه؛
 بل يحضروه ولا يُؤخروه، ويمسكوه ولا يتركوه، ويسلموه ولا يمجوه؛ ومن خالف
 هذا المرسومَ، أو اعتمد غير هذه الرسومِ، فهو لنفسه ظُوم، وقد برئت منه الذمَّة،
 وزالت عنه الحرمة، وزلت قدمه، وذهب ماله ودمه؛ وقُرئت مراسيمنا بذلك
 هنالك على منابر الجوامع، وسمِعها كلُّ سامع، وهم لك على أمثالِ أوامرنا مساعِدون،
 وعلى اجتنابِ نواهينا معاضِدون، وللإصلاحِ ما استطاعوا مُريدون وقاصِدون؛
 فلا تمكَّن أحدنا من العُربانِ ولا من الفلَّاحين أن يركبَ فرساً، فإنما يُعدها للخيانة
 مختلساً، ولا يكون لها مرتبطاً ولا محتبساً؛ وكُن لهم مُلاقياً مُراقباً، فمن فعل ذلك
 فانتقم منه بما رسمنا معاقباً؛ ولا تمكَّنهم من حمل السلاحِ ولا ابتياعه، ولا استعارته
 ولا استيداعه، وتفقد من الأقاليمِ من تجارِهِ وصُناعِهِ؛ نخدُ بالقيمة ما عند التجارِ،
 وأقمع بذلك نفسَ الفجارِ، وأضرم نارَ العذابِ على من أضرمَ لعملِ ذلك النارَ،
 وأمر كلَّ فتيين متعاديتين بالمصالحة، وأكفَّف بذلك يدَ المساكينِ، وحلَّف بعضهم
 لبعضٍ بعد تحليفِ أكابرهم لنا على السيرة الحميدة والنية الصالحة، وخدَّهم في الحنایاتِ
 بالعدلِ والمشاحَّة، وفي المطالباتِ بالرفقِ إن لم تكن مسامحة، وأحلمهم على محبة
 الحقِّ الأبلجِ والشریعة الواضحة. وإذا رفعت إليك شكوى فأزلها، أو سُئلت إقالة

عثرة لذي هيئة فأقلها؛ أو وجب حدُّ فأفمه لِحينه، أو آرتبت في أمر فترَو حتى تهتدي
ليقينه؛ ولا تعتقل إلا من أجرم جرماً يُوجب الاعتقال والحبس، ولا تُسرِع
إلى ما تُحشى فيه اللبس؛ وأعمل على براءة الذمه، وأجهد أن لا يكون أمرُك عليك
عُمة؛ ولا تُرَّجِّح للهوى على خضم خصمه، ولا تظلمه فإن الظلم ظلماته، وخف نعمة
الله فهي أعظم نعمة، ولا تأخذك على البريء غلظة ولا قسوة كما لا ينبغي أن تأخذك
في الجريء رافة ولا رحمه؛ والله تعالى يرفع لك بالطاعة رتباً، ويُججج لك بالخدمة
طلباً، ويبلغ بك في الإصلاح أرباباً، ويردُّ بك أمر كل مفسد مخيباً، ويوضح لك
من الهداية مغيباً، ويُزل بك من الخيرات صيباً؛ والخطُّ الشريف أعلاه، حجة
بمقتضاه . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بنيابة السلطنة بالوجه القبلي أيضاً، من إنشاء الشريف
شهاب الدين، كُتِبَ به «لعلاء الدين المرادي» وهي :

الحمد لله الذي جعل إقبالنا مُسفر الوجوه، ونوالنا مبلِّغا كلاً من الأولياء ما يؤمُّه
من القرب من أبوابنا الشريفة ويرجوه، وإفضالنا يوقر أقسام النعم لمن وفر دواعيه
على طاعتنا فلا يزال استحقاقه يُعينه ويدعوه، وإجمالنا يُنجز وعود التقديم لمن تعددت
خدمته فلا يتجاوزهُ التكريم ولا يعدوه .

نحمده على أن جعل إنعامنا يهب الجزيل ويحبوه، ونشكره على أن أقامنا يُحقِّق
الحق فزفَّعه فیدمغ الباطل ويعلوه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هي خير ما ينطق به الإنسان
ويُفوه، لا يبرح اللسان يكرِّر إخلاصها ويتلوه؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله

الذى رفع الله ببعثته عن هذه الأمة كل مكروه، وحمى بشرعته الدين الحنيف فلا يلم به التبديل ولا يعروه، وأفاض بركاته فى كل وجه ما يوسع الخير ويُدِرّه ويمنع الشر ويدروه؛ صلى الله عليه وعلى آله الذين هم عترته وأقربوه، وصحبه الذين آستمعوا قوله وأتبعوه، صلاة لا يزال وافدها يتبع سبيل الإجابة ويقفوه، ويصل إلى محل القبول ولا يخفوه؛ وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد، فإن الله تعالى لما قرن آراءنا بالسداد، وأحسن بنا النظر فى صلاح البلاد ومصالح العباد؛ لم نزل نرفع أقدار المخلصين بمزية الاختيار والإرتياد، ونجمعهم فى صعيد الإحسان ونحلهم رتب الإضعاد، ونُدنى منهم من له تام أهتام وشاد اجتهاد، ونميز منهم من حسن حالًا بالجمع والإفراد .

والولاية على الولاية بالوجه القبلى من أهم ما يلمح، وأعم ما يختار له من الحق ينصر وللخلق ينصح؛ إذ بهذا الوجه عيون البلدان، ووجوه العُربان، وكراسى الأقاليم الحسان، ومرأى كراى الولايات التى تُحلُّ دائرة السوء بأهل العُدوان؛ وإقطاعات الجند والأمرء، والخواص الشريفة التى على عمارتها إجماع الآراء؛ وعليه ترددُ التجار، وإليه بالميزة يُشار، ومنه تتعددُ المنافع فيتعين أن ندفع عنه المضار، ونُلقي أموره لمن ينتقى حزمه وعزمه ويختار .

ولما كان فلان هو الذى له ولايات أقتضت تقديمه، وسبقت منه سوابق خدم أجزلت تكريمه، وما زال فى الشام على الهمة حسن الشيمه؛ وطهر البر من كل فاجر، ورأى أن التقوى أربح المتاجر؛ وأعدب للرعية من المعدلة الموارد فصدر من أبواننا إلى أحمد المصادر - أقتضى حسن رأى الشريف أن نجعل له من إقبالنا النصيب الوافر . فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا بريح يزيد الأقدار علاء ويظهرها

من تكريمه في أحسن المظاهر - أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالوجه القبلي
وجميع نواحيه ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته إلى آخر وقت .

فليتلق هذه الولاية المباركة بقبول حسن ، وليوقظ جفن سيفه الذي لم يعرف
الوسن ، وليتق الله ربه في السر والعلن ، وليحكم بما شرع الله وسن ؛ وليجتهد
في إحماد العواقب وإحماد الفتن ، ليسكن من تردد إليها أو سكن . وليلاحظ هذه
الأقاليم بعزائم السيارة ، وليحافظ على سلوك سيرته السارة ؛ وليستطلع من كل بلد
أخباره ، ويتبع من كل وإل آثاره ؛ وإن رأى منكراً أزاله ، أو وجد مبطلاً أذاله
أو حقاً أذاله ؛ وليعظم أحكام الشرع وحكامه ، وليجعل إمامه ليسعى نوره أمامه ؛
وليطالعنا بما نتعين فيه المطالعة ، ويراجع أوامرنا فيما تجب فيه المراجعة ؛
وليستجب لأيماننا الأدعية النافعة ، وليباشر بنفسه الأمور التي هي له راجعة ؛ ويراع
في القضايا المصلحة الجامعة ، ولتكن حمايته للمؤمنين واقية وفكته بالمجرمين واقية ؛
وليوسع الرعايا بالمعدلة الواسعة ، ويمنع المجترئين بالأخذة الرابية والهيبة الرادعة ؛
ولا يمكن أحداً من العُربان بجميع الوجه القبلي أن يركب فرساً ولا يقننيه ، وكيف
بذلك الأيدي المعتدية فإن المصلحة لمنعهم من ركوبها مقتضية ؛ وليقيم الحرمة
والمهابة ، وليدوم قيامه في الخدمة وانتصابه ، وليرهف حد عزمه ويمضيه ، ويجرد
سيف الانتقام على المفسدين وينتضيه ؛ ومن وجده من العُربان خالف المرسوم
الشريف من منعه من ركوب الخيل كائناً من كان ضرب عنقه ، وأرهقه من
البطش بما أرهقه : ليرتدع به أمثاله ، ولا يتسع لأحد في الشر مجاله .

وقد كتبنا إلى سائر ولاة الأقاليم بمساعدته ، وأمرناهم بمعاونته ومعاوضته ،
وأكدنا عليهم في المبادرة إلى ما يراه من جميع الأمور ، من غير تهاون ولا تقصير

ولا تُتور؛ حتى لا تفوت مصلحة عن وقتها، ولا تزال جموع المعتدين معالجة بكتبها؛ وقد حذرنا العُربان من مخالفة مارسمنا بالتعرض لما يوجب هلاك نفوسهم، وقطع رؤوسهم .

وليقرأ هذا المرسوم الشريف على المنابر بجميع نواحي الوجه القبلى لتمثل مراسمه، ويتلقى بالقبول قادمه؛ وليقفوا عنده، ويقفوا رُشده، ويرهبوا من الشر وعيده ويستنجزوا من الخير وعده؛ وهو - بحمد الله - ما برح مهذباً، وبأكل الآداب مؤدباً، وبما يفعله إلى رضا الله تعالى ورضانا مقرباً؛ والله تعالى يجعله مختاراً مجتنباً، ويوزعه شكر منحنى الذى أجزل له الجبا؛ وخص به هذا العمل الجليل فضعف خصبه وأهتر ورَباً، ويُطِعه مباركاً ميموناً حيث حل قيل له : مرحباً؛ ويصعد به هذه الرتبة ويهبه توفيقاً مستصحباً، ويمهد به الطرق للسالكين حتى يتلوعه لسان التامين : (قَتِمْمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا) ؛ والخط الشريف أعلاه، حجة بمقتضاه، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد شريف بنيابته أيضا ، من إنشاء المَقَرَّ الشهبانى بن فضل الله ، وهى :

الحمد لله مطلق التصرف فيما كان ممنوعا، ومنطق المتصرف ليكون قوله الصواب مسموعا، وموسع نطاق المتصرف فى جميع ما تعين أن يكون له مجموعا .

نحمده حمداً يعذب ينبوعا ، وينبت بمزيد الشكر زُرُوعا ، ويدّر ضرُوعا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تفرغ فُرُوعا ، وتسكن جُوعا وتسكت جُوعا؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أقوى لأهل الطغيان رُبُوعا ، وأجرى

لعيون الزرد عليهم دموعاً ؛ وأغرى القسي بالحين إليهم ورؤعا ، وأسقط على
لباتهم طيور السهام وقوعا ؛ ومهد البلاد بقتلاهم فأمن من خاف وأطمع من تشكى
جوعا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تعم درع الفجر بشفقها الخلق صدوعا ؛
وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنه لا يستقيم نجاح الأمور ، ويستدام صلاح الجمهور ؛ إلا بتفقد أحوال
وآلاتهم ، وتعهد سلوك الرعايا مع رعاتهم ؛ ورد مجموع كل عمل إلى من لا يبيت طرفه
في مصالحهم مملوءا من الوسن ، ولا يقتر له في التنقل في مهماتهم جواد في رسن ؛
ولا تهدأ سيوفه في الأعماد ما برقت بارقة فتن ، ولا يشرب الماء إلا ممزوجا بدم
ولا يبيت [إلا] على دمن ؛ وكانت الديار المصرية المحروسة أحوج شيء إلى هذا
الموصوف ، وأكثر اضطرابا إلى ما تشام له في صلاح رعاياها لوايع سيوف ؛ والوجه
القبلي بها هو الجامع ما يزيد على السبعة الأقاليم ، الحائز من أهل الحضرة والبادية
لكل ظاعن ومقيم ؛ قد امتد حتى كاد لا ينتهي إلى آخره ، ولا يلتهي بما يكنفه من بر
مقفر وبحر زاخر ؛ قد جاور بالأودية العميقة الحوت في الماء وجاوره في السماء برفعة
الجال ، وتناول حتى اتصل طرفاه الجنوبي بالجنوب والشمال بالشمال ؛ وحوت
مجاربه من النيل المبارك [ما] مد الرزق المتمد ، وأمد المد المبيض على عنبرة تراها
المسود ؛ وهو الوجه الذي تعرف في كوثر نيله نضرة النعيم ، ويهر حسنا من أول
قطرة تقع من مرآه الجميل على وسيم ؛ قد حال فيه الماء مجرأ كأنما يشرب ندى ورد
الخدود ، وحلا كأنما ضرب الضرب في لمى ريقه المورد ؛ وكان لا ينهض بأعبائه ،
ويرد بالغیظ متقرحة عيون رقبائه ، ويمنع كل منسر منسر^(١) يجدر أن ينتهب ودیل
خبائه ؛ إلا من تقدمت له درب يتعلم في جليل الخطوب من مضائها السيف

(١) في الأصل « أن ينته ودیل » .

المُدْرَب، وَيَقْتَدِي فِي دَقِيقِ التَّلَطُّفِ بِسِيَاسَتِهَا الْقَلَمُ الْمَجْرَّبُ ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تَهَادَى كِفَايَتُهُ الْأَعْمَالُ ، وَيَتَعَادَى نَفْعُهُ وَالسُّحْبُ فَلَا يُدْرَى لِمَنْ مِنْهُمَا التَّرْوَى وَلِمَنْ الْإِرْتِجَالُ ؛ وَقَدْ وَلى الْأَعْمَالَ الْبَهْسَاوِيَّةَ وَهِيَ فِي هَذَا الْوَجْهِ الْجَمِيلِ أْبْهَجُ صُورِهِ ، وَأَبْهَى فِيهَا تَكْثُرُ مَنَافِعِهِ الْمَشْهُورَةِ ؛ فَأَضْحَى الْمَغْلُ فِي بَيَادِرِهِ يَتَبَادَرُ ، وَالْإِقْبَالُ يَتَكَاثَرُ إِقْبَالُهُ وَالْحَلُّ يَنْتَازِرُ ، وَمُزْدَرَعَاتُهَا تُعْرَفُ سِيْمَاهَا فِي وَجْهِهَا مِنْ أَثْرِ سُجُودِ اللَّيْلِ كَرَّرِعَ أَخْرَجَ شَطَاهُ فَاسْتَأْزَرَ ؛ فَاقْتَضَى حَسَنُ رَأْيِنَا الشَّرِيفِ أَنْ نُطَلِّقَ تَصْرِفَهُ فِيمَا جَاوَرَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ نَسْغَلَ لَهُ يَمِينًا بِالْيَمِينِ وَشِمَالًا بِالشَّمَالِ .

نُخْرِجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ الْعَالِيَّ - لَا زَالَ يُؤَيِّدُ عِزَّ الدِّينِ ظُهُورًا ، وَيُتِمُّ لَهُ فِي أَعْمَالِهِ نُورًا - أَنْ يَكُونَ فُلَانٌ كَاشِفًا وَوَالِي الْوَلَاةِ بِالْوَجْهِ الْقَبْلِيِّ بِأَجْمَعِهِ : مَعْطَلُهُ وَمُزْدَرَعُهُ ؛ وَبِرِّهِ وَبِحِرِّهِ ، وَعَامِرِهِ وَقَفْرِهِ ؛ وَأَهْلِي حَضْرِهِ وَبَادِيَتِهِ ، وَأَصْحَابَ زَرْعِهِ وَمَاشِيَتِهِ ؛ عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ فِي ذَلِكَ ، لِیَأْمَنَ الْمَقِيمُ وَالسَّالِكُ ؛ وَيَجْمَعُ عَلَى الطَّاعَةِ مِنْ قِبَلِهِ هُنَاكَ ، وَيُنْتَظِمُ عَقَائِدَهُمُ الْمُتَهَالِكُ ؛ وَيَقْوَى اللَّهُ أَجْرَهُ ، وَالشَّرْعُ الشَّرِيفُ يَكُونُ نَهْيَهُ وَأَمْرَهُ ؛ وَالْحُكَّامُ وَالْأَحْكَامُ هُمَا مَا هُمَا فَلْيَحْفَظْ زِمَامَهُمَا ، وَلْيَنْقُدْ إِلَى الْأَغْرَاضِ سِيَاهُمَا ؛ وَلْيُوصِلِ الْحَقُوقَ إِلَى أَرْبَابِهَا ، وَيَسَهِّلِ الْمَطَالِبَ عَلَى طُلَّابِهَا ؛ وَلْيُنْصِفْ إِنْصَافًا لَا يُشْتَكَى مَعَهُ حَيْفٌ ، وَلْيُقِمِ الْمَهَابَةَ حَتَّى لَا يَقْدِرَ عَلَى التَّعَدَّى طَارِقُ طَيْفٍ ؛ وَلْيَجَرِّدْ عِزَّ أُمَّهِ فَإِنَّ مِنَ الْعِزَائِمِ مَا هُوَ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ ، وَلْيُحْسِنِ قِرَى النَّيْلِ الْقَادِمِ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ فَإِنَّهُ ضَيْفٌ .

فَعَلَيْكَ بِمَا نَأْمُرُكَ بِهِ مِنْ تَعْبَةِ صُفُوفِ الْجُسُورِ لِأَمْدَادِهِ ، وَالْإِسْتِعْدَادِ لِمَجْرَى عَوَالِي صَوَارِيهِ وَمَجْرَى جِيَادِهِ ؛ وَتَفَقُّدِ قَبْلِ قُدُومِهِ طَرِيقَهُ ، وَاتِّرُكِ عَنِ رَى الْبِلَادِ تَعْوِيقَهُ ؛ وَأَقِيمِ الْجُسُورَ ، فَهِيَ قِيَامُ الْجُسُورِ ؛ وَأَحْفِرِ التَّرَاعَ فَإِنَّهَا تُرَاعَى^(١) ، وَأَسْفِرْ لَهُ

(١) لم نثر على هذا الجمع في كتب اللغة وإنما التربة كغرفة إفرادها وجمعا .

عن عرائس قرأها المجنونة وجوها كلما قسن له إصبعا يقيس ذراعا؛ وأقطع بإيصال
حق كل ناحية إليها من الماء منازعة الخوصوم، ونبتهم أن الماء قسمة بينهم لكل منهم
شرب يوم معلوم؛ ولا تدع [به أحدا] من أهل المفاسد، ومن جرت لهم بسوايق الفتن
عوائد؛ ومن يتعزز برب جاه، ومن لا يكون له إلى حماية اتجاه؛ ومن خرج بوجهه
للشر مصرعا، أو لباب عقاب مستفتحا؛ أو وقف على درب أو قطع طريق،
أو توعده أهل رفاق أو أهل فريق؛ أو أقدم على ضرر أحد في نفس أو مال،
أو خشيت له عاقبة في بداية أو مال؛ أو نزل في بلد أمير ليتغطى بجناحه، أو تراعى
إلى عصابة يحمل منهم حد سلاحه؛ فسل عليهم سيفك الماضي، وأحسن إلى الناس
إذا خشيت أن تسيء إليهم التقاضى؛ ومن أمسكته منهم فأمض حكم الله فيهم،
وأقم الحدود على متعتهم؛ وطهر الأرض بماء السيوف من أنجاسهم، وعلق منهم
أناسا بجبل الوريد إلى مدارج أنفاسهم؛ وأصلب منهم على الجذوع من تناوح الرياح
بسعفهم، وأوثق منهم بالسلاسل والأغلال من لا تقتضى جرائمهم إيصالهم في المقابلة
إلى حد تلفهم. وأكرم قدوم من يرد عليك من الكارم، وقرر بحسن تليقك أنك
أول ما قدمناه لهم من المكارم؛ فهم سمار كل نادى، ورفاق كل ملاح وحادى؛
ولا بد أن يتحدث السمار، وتتداول بينهم الأسمار؛ فاجعل شركنا دأب ألسنتهم،
ومننا حلية أعناقهم، ومنحنا سببا لاستجلاب رفاقهم؛ فهم من مواد الإرفاق،
وجواد ما يحمل من طرف الآفاق؛ وقد بقى من بقايا أهل العقائد الفاسده، والمعاهد
البائده؛ من يتعين إبعاد قائمهم، والتيقظ لمتيقظهم والنوم عن نائمهم. ونحن ننبهك
على هذه الدقائق، ونوقفك على أطرافها ولك رأيك إذا حققت الحقائق؛ وطالع
أبوأبنا العالية بما أشكل عليك، ننتزل أنوار هدايتنا أقرب من رجوع نفسك إليك؛

(١) لعل حرف النفي زيادة من قلم الناسخ.

وأقدر حق هذه النعمة فإننا أوليناك منها ما لا يُضاهى، ووليناك من بلادنا قبلةً
 ترضاها، وتوليناك حيث وجهت وجهك شطر المسجد الحرام، ونوعت لك أرواح
 الحجاز وأنت في مصر وريفها العام، والله تعالى يديم منك سيفاً يروع مهزّه، ويؤيد
 بك الدين فإنه بك يقوم جاهه ويُدومُ عزّه، والاعتمادُ على الخط الشريف أعلاه.
 إن شاء الله تعالى .

الوجه الثانى

(من وجهى الديار المصرية البحرى ، وهو الشمالى)

وكانوا فى الزمن القديم يخصونه باسم الرّيف ، مثل اختصاص الوجه القبلى بالصعيد .
 (١)
 وأرباب الولايات فيه على ضربين :

الضرب الأول

(أرباب السيوف)

وتختص الكتابة منهم الآن عن الأبواب السلطانية بنائب السلطنة بالوجه
 البحرى ، ومقره مدينة دمنهور من البحيرة . وكان فى الزمن المتقدم يكتب فى البحيرة
 بوالىها ، وكذلك فى كل من سائر الأعمال بالوجه البحرى ، وفوق الكل ولاية عامة ،
 يعبر عن صاحبها بوالى الولاية ، وربما [زيد] بالوجه البحرى ، وربما عبر عنه
 بالكاشف . ثم استقرت نيابة فى رتبة مقدمة العسكر بغزة فى أيام الظاهر برقوق ،
 على ماتقدم ذكره فى المسالك والممالك فى المقالة الثانية .

وهذه نسخة تقليد تصلح لنائب الوجه البحرى ، مما كان كتب به المقر الشهابى
 ابن فضل الله لوالى الولاية بها ، وهى :

(١) لم يذكر الثانى . فتنه .

الحمد لله الذى أقام بنا كاشفاً لكل شكوى ، كاسفاً بال كل عدوى ، عارفاً بنهاية كل دعوى ، عاطفاً بعدلنا إلى إزاحة كل لأوى ، وإزالة كل بلوى .

نحمده وهو أهل الحمد والتقوى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تأمن بها الدانية والقصوى ، ونؤمن بها على السر والنجوى ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف من مهد له جنّة المأوى ، وأشرف به على شرف المنوى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين فطم بشريعته نفوسهم عما تهوى ، وفطر فطنتهم عليها حتى لا تضل ولا تغوى ، صلاة ترتوى بفائضها السحب ما تروى ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد فإن من سجايا أيامنا أن نكشف كل كرب ، ونحسّن إلى رعايا بلادنا إحساناً يتوع في كل ضرب ، ونديم الأمن حتى لا ندع سوى النيل قاطع طريق أو خارجاً على درب ، ونجرد من المهابة سيفاً يحشى من قربه ، وطيفاً يبيت به طير الكرام متملاً على جنبه ، وخوفاً لبأبه من الخصائص المحمدية أنه يتقدم إلى قلوب الأعداء مسيرة شهر [جيش] رعيه . وكانت الديار المصرية المحروسة هي التي لا يجمد سواها ذو وجهين ، ولا يوجد لها في جانبها مماثل في شيتين ، والوجه البحرى أوسعهما عرضاً ، وأقربهما من الرى أرضاً ، وأصدقهما للبارق المحمر ومضا ، وأجمعهما للذهب مذهب وللفضة إفضا ، وأثبتهما وطأة لمجرى النيل إذا أقبل في تياره يتدافع وأشتدت خيله ركضا ، وهو الوجه المتهلل بشرا ، المتضوع بطيب رياحه نشراً ، المترين بمدائه أكثر مما زينه في مقاصيره قيصر وفي مدائه كسرى ، المتثنى بعروس كل قرية زف بها النيل فى مسرى ، وبه الثغور التي لا تشام لها بروق ، والمحارس التي ما لعادية إليها طروق ، وله من البحرين حاجزان ، ومن الجانين بر مقفر وريف مقمر متبارزان ، وفيه من الشعوب والقبائل فى الحضر والبادية من

(١) لا يُؤمّن منه بآثره، ولا يُحمّد بغير ما يُراق من دمٍ مُفسدٍ بهم نائره . وكان لا يُقوم بها كلّ القيام، ويجمع فرائدها المشدّرة في أكل نظام؛ إلا من تقلّبت الأمور بقلبه كلّ التقلب، وجرّدت النوب عزّمه في النوايب فجرّدت سيفها يُحمّد في التجريب؛ ولم يزل منذ بلغ الحلم أميراً مطاعاً، ومنسذوباً لا يفرّق في المهّمات إذا طارت نفوس الأنظار شعاعاً، وأوقدت الأسنّة سواعاً، وهماماً لو أومض البرق ساعة بؤسه لا ترتعدت فرائضه زمعاً لا إزماعاً، أو قابله الريح المعتدل عند أحكامه لأطبقت الأئم على أنه لا يمثله في العدل قطعاً وأجمعت على تفرّده إجماعاً .

وكان فلان هو العليّ هبماً، الحزّل مداومة الجزيل ديماً، الملى بما لا يقدر على مثل دفعه البحر متدفّقاً وهمى الغمام منسجماً، وقد حمّدنا له في كلّ ما باشره أثراً، وأحمّدنا بجميل ملاحظته كلّ برّ ضراب؛ فباشر الوجه القبلى فملاً عين الناظر المتوسّم، وعم سروره حتى غامزه جاره الوجه البحرى ببنائه الخصب وضاحكه بثغره المتبسّم؛ فلما تنقل فيهما استقرار (؟) الوجهين وما والآهما، وعرف في وجهه نصرّة النعيم بما أولاهما، وأخصب جانباهما، وجدّ بهذا كله ثم جدّ بهذا فطاب الواديان كلاهما؛ فأقتضى حسن الرأى الشريف أن لا يخلو الوجهان معاً من نظره الجلى الجميل، وأن يخلو عليه محاسنهما الكاملة ليُفارق على وجه جميل ويواصل على وجه جميل .

نخرج الأمر الشريف - لازل يختار عليّاً، ويختار كلّ غمام يرتضى له ولياً - أن يكون والى الولاية بالوجه البحرى جميعه، متفرّدا بأفراده ومجموعه، ومحكماً في قبائله ومجموعه؛ وبعيده وقريبه، وبديعه وغريبه؛ وكلّ ما هو داخل فيه، عائد إلى أعماله وراجع إلى متوليه، على عادة من تقدم وقاعدته فيما يليه؛ وهى ما يدكر من الأعمال:

(١) لم يتقدم ما يعود اليه الضمير وان كان الغرض واضحاً .

(٢) خوفاً ودهشاً .

الغريبة ، الشرقية ، البحيرة ، المنوفية ، إبيار ، أشمون ، قليوب . ولا أمر
ولا نهى إلا إليه راجع ، وله في متجددات الأمور مراجع ؛ ولا أرباب تصريف
إلا وله عليهم تصرف ، ولا صاحب جد ولا حد إلا فيه يمضى ويتوقف ؛ وتقوى
الله تعالى أول ما نوصيه بسببها ، ونوصله إلى رتبها ؛ وإقامة الشرع الشريف وإدامة
مبارزه وإعلاء مناره ، ومعاضدة حكمه وحكامه وأعوانه وأنصاره ؛ والوقوف معه
في إياده وإصداره ، وإعلانه وإسراجه ، والعمل به فإنه ما يضل من مشى في ضوء
نهاره ؛ وعمارة البلاد ، بادامة العدل وتكميل الرى وتوطين السكان وقمع الفساد ؛
واعتقاد حكم التذاكر الشريفة لأمر الجراريف التي تعمل ، والترع التي ترعى والجسور
التي لا يقدم جسور على أنها تهمل ؛ فهما قانون الرى الكامل ، والضامن لحصب البر
السايل ؛ وإذا أجرى الله النيل على عاداته الجميلة لا يدع للحل عينا حتى يوارى
بالرى سوءته ، ويخفف بتيسر وصول حق كل مكان إليه وطأته ؛ ولا يدع عاليا
إلا مستفلا ، ولا معطلا إلا معتملا ؛ ولا طوق بحر إلا تمتد يد النيل إلى زر جيوبه ،
ولا طائف رمل إلا يطوف طائف شرب على جرعائه وكثيبه ، حتى يعم الجميع ،
ويعمر ربوعها بما ينسجه لها من ملابس حلل الربيع . وعليه بالإنصاف بين
المساكين ، والإنصاف إلى الباكين منهم والمتباكين ؛ ووصل أمورهم على الحق
الذى نشر الله في أيامنا الزاهرة عالمه ، ومقتضى الشرع الشريف فإنه ما خاب من
أدام عليه حكمه وأدار إليه عمله . وأما أهل الفساد والأشبهاء ، ومن يحمى
بصاحب شوكة أو يتمسك برّب جاه ، أو ينزل بلد أمير كبير مستظلا بذراه ، أو ملتجئا
من خوف أو مستطعا من قرى قرآه ؛ بجميع هؤلاء نتبع فرقتهم ورفاقهم ، وطهر
الأرض منهم وأمسح بالسيوف أعناقهم ؛ وأسجيم في قتلاهم ، وأثقل بالقيود أسراهم ،

(١) في الأصل شريب . (٢) لعله وأثخن .

وشدّد وتآقهم وكذلك من حمّاهم ووالاهم ؛ أو استحسن أو من عليهم أو مانع عنهم ،
 أو قال ما هو منهم وهو منهم ، وكلُّ أجرهم فى الحكم مجراهم ، وأطل تحت أطباق
 الثرى ثواهم ، ونبه منهم أناسا على رؤوس الجدوع وأنهم آخريّن نومة لا يتهبون بها من
 كراهم ؛ حتى يتأدّب بهم كلُّ من أعرض ، ويتداوى بمداواته كلُّ من فى قلبه مراض .
 وما أشكل عليك فاسترشد فيه بمطالعة أبوابنا الشريفة : لتجد هدى واضحا ، وحقا
 لأحبا ؛ والله تعالى يجعلك من المهّدين لأرضه ، القائمىن فى أنواع الجهاد بفرضه ؛
 والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .

الجهة الثالثة

(درب الحجاز الشريف)

وقد تقدّم أنه كان فى الزمن المتقدم يكتب عن السلطان تقليدًا لأمير الركب
 فى الدولة الفاطمية وما تلاها . أما الآن فقد ترك ذلك ورُفِض كما رُفِض غيره من
 الكتابة لأرباب السيوف بالحضرة السلطانية ، ولم يبق الآن من يكتب له من
 ديوان الإنشاء شىء سوى قاضى الركب . وقد جرت العادة أن يكتب له توقيع
 فى قطع العادة مفتتحًا بـ «رسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، كتبت به للشيخ «تقى الدين السبكي» رحمه الله
 فى مبدأ أمره ، وهى :

رسم بالأمر الشريف - لا زال يعين على البر والتقوى ، ويرتاد لو قد الله من .
 يتمسك فى نشر الأحكام الشرعية بينهم بالسبيل الأقوم والسبب الأقوى - أن يستقر
 فلان فى كذا : لما أخصص به من غزارة علومه ، وإفاضة فضائله المتنوعة إلى قوته

في الحق وتصميمه ؛ فإنَّ مثله من يُختار لهذه الوظيفةِ الجاريةِ بينَ وفدِ الله الذين هم أحقُّ ببراءة الدَّمِّ ، وأولىُ بمعرفة حكم الله تعالى فيما يجبُ على المتلبِّس بالإحرام والداخلِ إلى الحرِّم ، وأحوجُ إلى الأطلاع على جزاء الصيد فيما جزأ المتعرِّض إليه مثل ماقتل من النِّعم ؛ إلى غير ذلك من ثبوت الأهلة التي تترتبُ أحكام الحجِّ عليها ، والحكم في محظورات الإحرام وما يجبُ على المتعرِّض إليها ؛ فليباشر هذه الوظيفة في الوقت المشار إليه على عادة من تقدّمه فيها ، مجتهداً في قواعدها التي هو أولى من نهض بها وأحقُّ من يوفّيها .

قلت : أمّا شهود السبيل المعبر عنهم بشهود المحمل ، فإنما تكتب لهم مربيّات شريفةً من ديوان الوزارة .

تم الجزء الحادى عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثانى عشر

وأوله القسم الثانى

(مما يُكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية - أربابُ

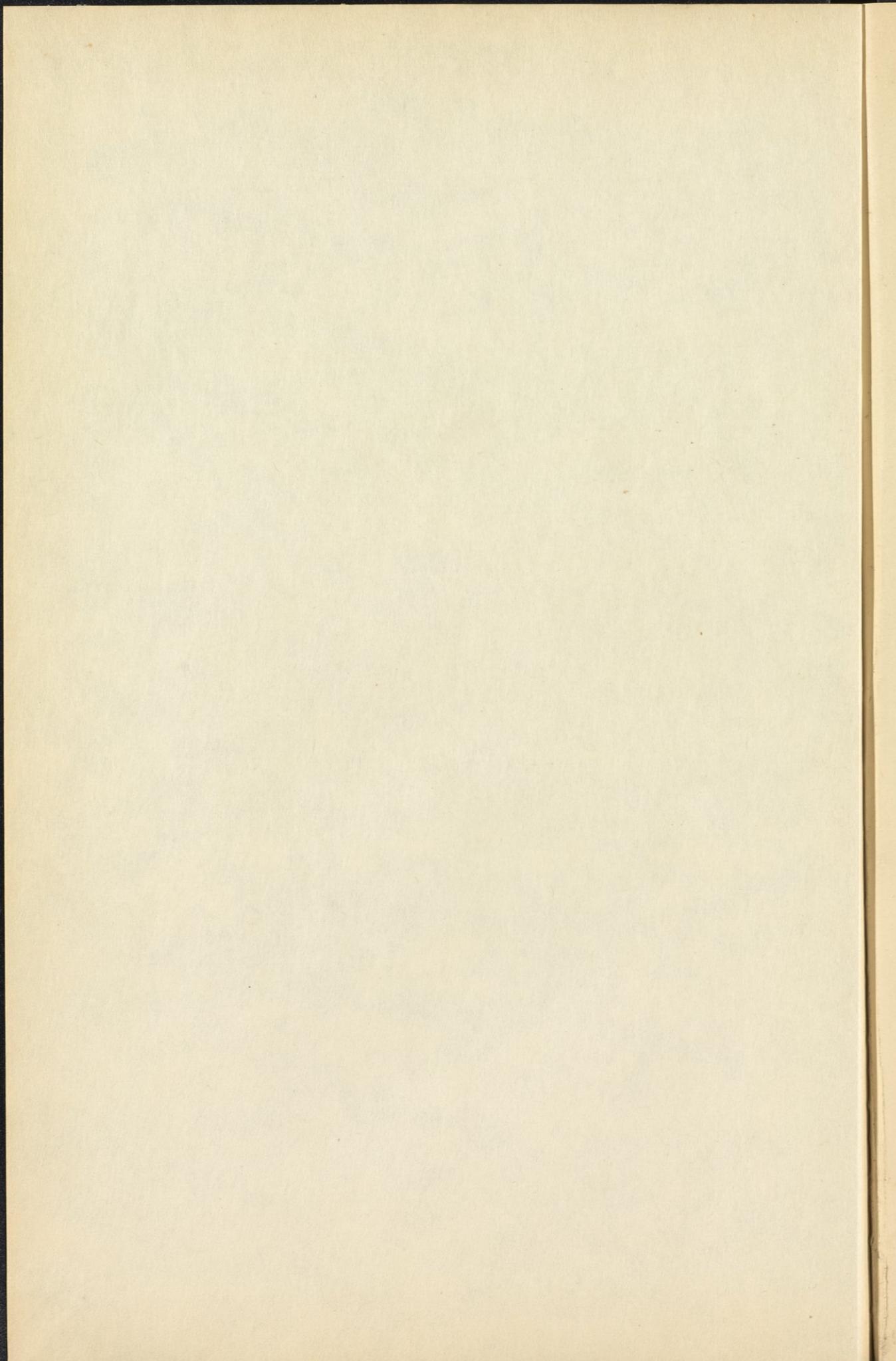
الوظائف بالممالك الشامية)

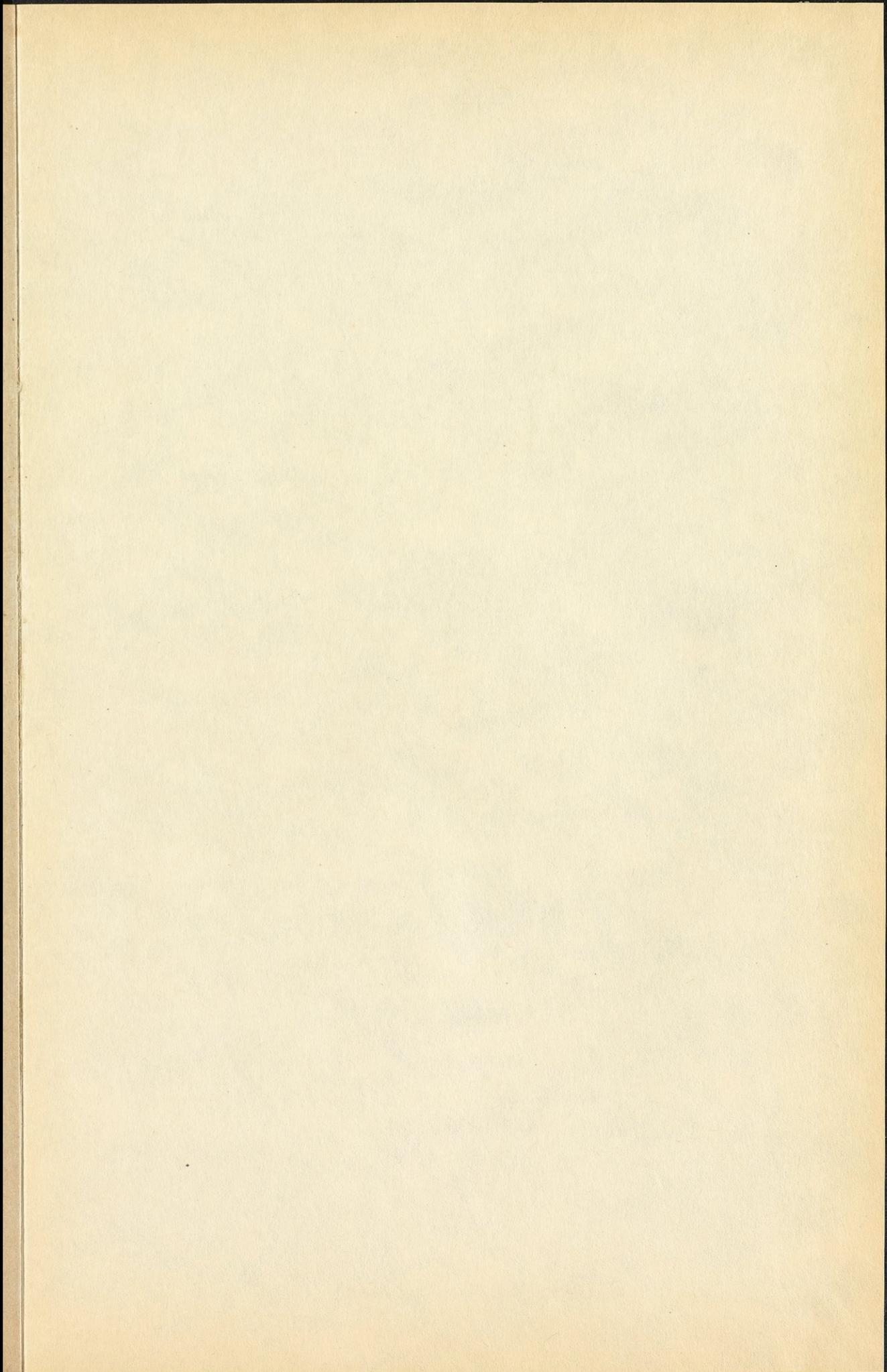
والحمد لله ربّ العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

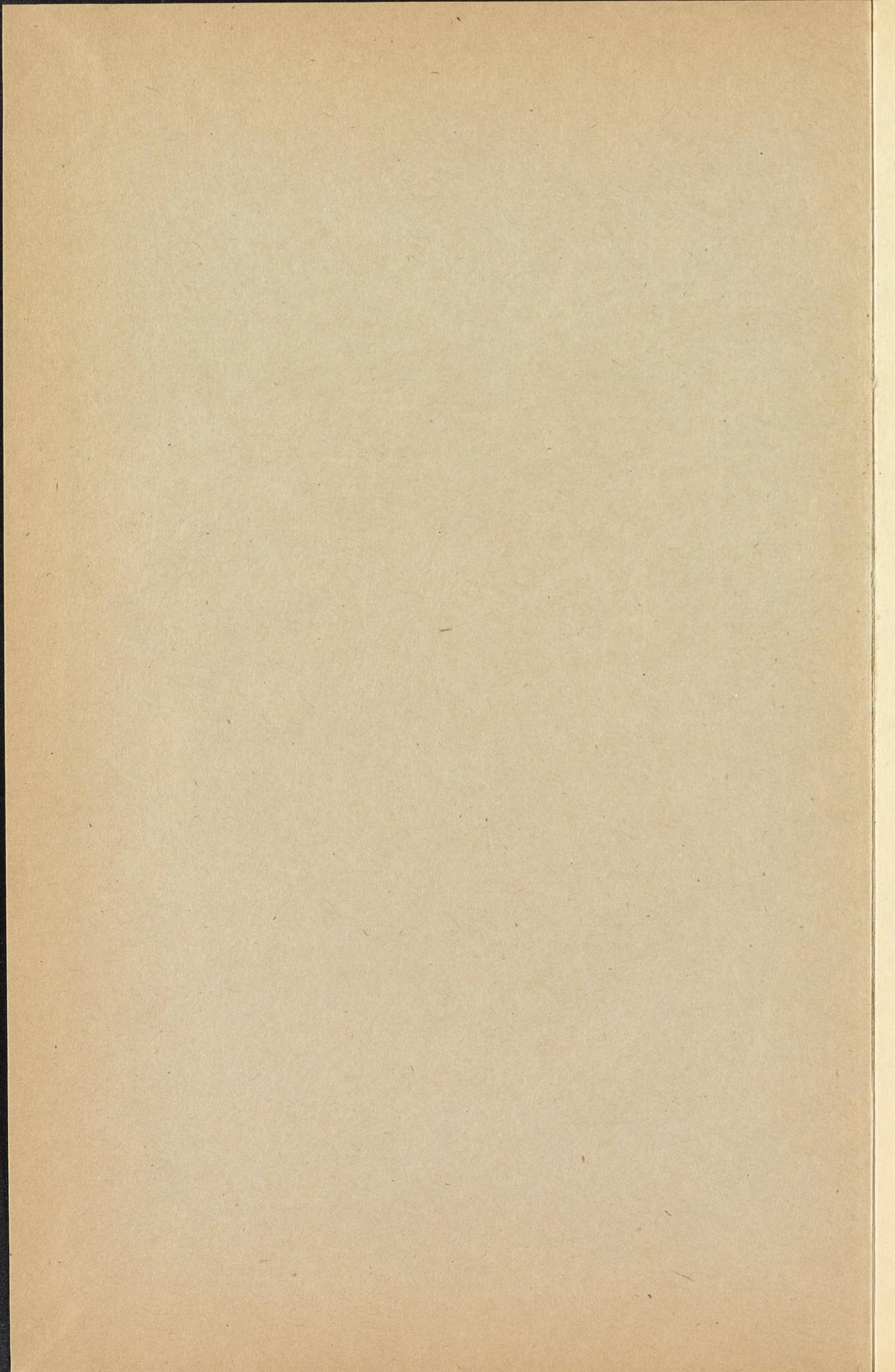
وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

(المطبعة الأميرية، ٥٠٧٠/١٩١٧/٣٠٠٠)







893.7K125

W
II
Cop. 2

893.7K125

W
v. II
cop. 2

Kalkashandī

Kitāb ṣubḥ al-a'shā.

APR 29 '47

BINDER

JUN 17 1947

